بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة اليرموك

كلية الدراسات العليا

برنامج اللغة العربية/ الأدب والنقد

الحنين والغربة في الشعر السعودي المعاصر
من عام 1920– 2012م

Noatalgia and exile with soudi poetry
From 1920 – 2012

إعداد الطالب :

نايف فهد البراك الرشيدي

إشراف:

الأستاذ الدكتور محمود الدرابسة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة اليرموك 2013م

الحنين والغربة في الشعر السعودي المعاصر من عام

١٩٢٠ ـ ٢٠١٢ م

إعداد :

نايف فهد البراك الرشيدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في اللغة العربية / الأدب والنقد. وذلك بإشراف اللجنة التي تتكون من :

الأستاذ الدكتور: محمود درابسة.. مشرفاً ورئيساً

أستاذ الأدب والنقد

الأستاذ الدكتور .قاسم المومني.. عضواً

أستاذ الأدب والنقد

الأستاذ الدكتور موسى ربابعة..عضواً

أستاذ الأدب القديم

الأستاذ الدكتور خليل الشيخ.. ..عضواً

أستاذ الأدب والنقد الحديث

الأستاذ الدكتور ماجد جعافرة.. .عضواً

أستاذ الأدب القديم

الإهداء

إلى وطني العزيز تقديرا ووفاء واحتراما..

إلى والديَّ الحبيبين... الذين أكرماني بعظيم دعواتهما..

إلى إخواني وأخواتي.. أصحاب الفضل والخير والعطاء..

إلى كلِّ غريب عن وطنه لأيِّ سبب من الأسباب...

وإلى كلِّ من يعشق لغة الضاد..

أهدي هذا العمل المتواضع

نايف

الشكر والتقدير

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

مع اتمامي لهذا الجهد المتواضع ، لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى سعادة الأستاذ الدكتور: محمود درابسة المشرف على دراستي هذه ، الذي أولاني جلَّ اهتمامه ، ومنحني الكثير من وقته ، وتفضل عليَّ بتوجيهاته وآرائه السديدة، وبنور علمه كشف الغموض الذي اعتراني في أثناء الكتابة والبحث ، حتَّى خرجت الدراسة إلى الوجود.

والشكر موصول لجميع أعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك ، الذين غمروني بعلمهم ، وأدين لهم بالفضل في وصولي لهذه المرحلة.

ويشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة ؛ على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتحملهم عناء قراءتها ومراجعتها وإثرائها بملاحظاتهم القيمة.

وأخيرا أتوجه بالشكر لكلِّ من قدَّم لي دعما ماديا أو معنويا .

فهرس الموضوعات

الحنين والغربة في الشعر السعودي المعاصر

من عام 1920 ـ 2012 م

إعداد

نايف فهد البراك الرشيدي

إشراف

الدكتور محمود الدرابسة

الملخص

الحنين والغربة فن شعريّ أصيل يرتبط بالحياة ، فهو من الفنون التي تعني بتصوير جوانب من النفس البشرية ، وقد شهدت المملكة العربة السعودية في العقود الماضية نهضة فكرية أدبية متألقة ، وعلى الرغم من ذلك أهملت من قبل الدارسين والباحثين ، فكان هذا هو الدافع الذي جعلني أخص موضوع الدراسة بالبحث والاستقصاء .

وجاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، ففي التمهيد تناولت الدراسة الحنين والغربة من حيث المعنى لغة واصطلاحًا ، ثم التعريف بظاهرة الحنين والغربة قديمًا وحديثًا ، مع بحث لظاهرة الاغتراب في الشعر السعوديّ .

وفي الأول تناولت الدراسة موضوعات شعر الحنين والغربة في الشعر السعودي المعاصر وأسباب ذيوعها وانتشارها ، وهذه الموضوعات هي : الحنين إلى الوطن ، وإلى المقدسات ، وإلى المناسبات الدينية ، وإلى المحبوبة ، وإلى الأهل وإلى الأصدقاء ، وإلى الزمن الماضي ومراحله وذكرياته ، وإلى أمجاد الأمة وماضيها العريق ، وإلى مواطن الغربة .

أما الفصل الثاني فخصص للدراسة الفنية ، حيث تم دراسة الصور الشعرية ، والموسيقى والإيقاع ، واللغة والأسلوب ، وصدق العاطفة ، والمزج بين الحنين والطبيعة ، والتجربة الذاتية الشعرية وبعض الظواهر الأسلوبية كالتكرار ، والحذف ، والتقديم والتأخير ، والتناص .

وفي الفصل الثالث تناولت الدراسة قصيدتين من قصائد الحنين بالدراسة والتحليل ، الأولى قصيدة : (من أجل عينيك ... يا وطني) لإبراهيم صعابي ، والثانية قصيدة :(إلى المروتين) لطاهر زمخشريّ.

وفي الخاتمة أتيت بأهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصَّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

لعلّ شعر الحنين والغربة ، من أبرز ما نجده في شعر العرب كلّه ، بقوة وعنف ، وبرقّة وعمق ، عبر عصور الأدب العربيّ و مراحله المختلفة. وقد أكثر منه الشعراءُ ؛ لأنّه يعبِّر عن عاطفةٍ صادقةٍ ، ويرتبط غالبا بالغربة التي يفارق فيها الإنسانُ وطنه وأهله وأحباءَهُ لظروفٍ كثيرة.

والحنين فن أصيل ، يعدُّ من أسبق الفنون وأصدقها على ألسنة الشعراء ؛ لأنَّه تعبيرٌ صادق عن النَّفس الإنسانيَّة ، تعبير عن لهفة اللقاء ولوعة الفراق ، فهو نابع من أعماق النفس ، متجها إلى القلوب قبل العقول ؛ ليجسد الانفعالات الوجدانية ، والعواطف الجيَّاشة.

وتتناول الدراسة البحث في ظاهرة الحنين والغربة في الشّعر السعوديّ، في الفترة الواقعة ما بين(1920–2012م)، معتمدة على دواوين الشعراء التي صدرت تباعا ابتداءً من عام 1946، أما الفترة الممتدة ما بين عامي 1920–1946م ، والتي انعدمت فيها دواوين الشعر ، فاعتمدت على بعض الدراسات والإصدارات التي قام بها بعض الباحثين السعوديين في ما بعد لشعراء عاصروا تلك الفترة وما بعدها من فترات ، كأحمد إبراهيم الغزواي ، وعبد الحق النقشبندي ، ومحمد حسن فقي ، وغيرهم.

ويعدُّ الأدب السعوديّ بعامةٍ، والشّعر المعاصر منه بخاصة ميدانا رحبا للدراسة ، والبحث في السنوات الأخيرة ، بعد طول إهمالٍ وتقصير ، من قبل الباحثين والدراسين والنُّقاد ، من أبناء البلد ، ومن غيرهم من أبناء البلاد العربية ، فلا نكاد نجد بابا في الشعر إلا وطرقه باحث أو ناقد أو دارس ولله الحمد والمنة.

إنَّ الأدب العربيّ السعوديّ المعاصر– بلا ريب– لا يقلُّ مكانة وأهمية– من حيث البنى والدلالات والتطور والتأثر والتأثير– عن الأدب في الدول العربية. فهنالك في المملكة كتّاب كبار: شعراء وروائيون ، ومسرحيون، ونقّاد ، وأدباء. يُشكلون ظواهر أدبية مميّزة لا يستطيع من يطلع عليها أو يقترب منها ، أو يتعاطى معها أن ينكرها ، وعليه فقد وقع اختياري– تقديرا لوطني– على موضوع في الأدب السعوديّ ليكون محور دراستي لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربيّ ، وهو موضوع قديم مطروق بكثرة في الأدب العربي ، لكنه جديد في الأدب العربي في السعودية ، ألا وهو(الحنين والغربة).

وقد كان للحنين والغربة في الشعر السعوديّ- كغيره من الشعر العربيّ- صورٌ نابضةٌ بعمق الإحساس الصادق ، والعاطفة الجياشة ؛ إذ إنَّ الشاعر العربيّ السعوديّ قد جال أقاصي البلاد وأدناها- لأسباب كثيرة – فلم يرتوِ إلا من ماء وطنه ، فكان شعره معبرا عن حنينه الذي لا ينقطع وتطلعه الدائم نحو أرض الطفولة ، ومهد الذكريات..أرض النور والخير والعطاء ، أرض المقدسات ، ومهد الحضارات.

ومن اطلاعي على الشعر السعودي المعاصر؛ وتصفحي لكثيرٍ من دواوين الشعراء ، والمجموعات الشعرية ، لفت انتباهي بروز غرض الحنين والغربة وحضوره الكبير ، وتألقه الفنيّ والموضوعي.

ومما يزيد من أهمية هذه الدراسة ، أنّها ستعالج ظاهرة ذات أثرٍ بارز في الأدب السعوديّ ، فموضوعات الغربة والحنين بمظاهرها المختلفة تهيمن على جانب كبير مما أبدعه الشعراء السعوديون ، إنّ عملي هذا- ولا أزكيه- يأتي لسدِّ فراغٍ حاصلٍ في الجانب الذي أخترته للدراسة ، خدمة لوطني أولا، وتجربة شخصيةً لي ثانيا. ورغبة مني في تقديم عملٍ يفيد المكتبة النقدية العربية عامة ، ومكتبة المملكة العربية السعودية خاصة.

ولم تكن هذه الدراسة بدعة في موضوعها ؛ فهي استكمال لدراساتٍ كثيرةٍ سابقة ، تناولت ظاهرة الحنين والغربة ، منذ العصر الجاهليّ، وإلى أيامنا هذه. فهنالك دراسات كثيرة حول ظاهرة الغربة والاغتراب والحنين في الأدب العربيّ منها:

- الاغتراب في الشعر السعوديّ ، 1370- 1425هـ ، دراسة في المضمون والفن. لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الرحمن السعيد.(رسالة دكتوراه) ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، 1428هـ .
- الحنين والغربة في الشعر الفلسطيني الحديث ، لأحمد يوسف البلاصيّ.
- الغربة والحنين في الشعر الأندلسيّ ، لفاطمة طحطح ، 1993م.
- الحنين والغربة في الشعر العربيّ : الحنين إلى الأوطان ، للدكتور يحيى الجبوريّ، 2008م.
- الغربة والحنين في الشعر الأندلسيّ عصر سيادة غرناطة ، 635- 897هـ ، لمها روحي إبراهيم الحلبيّ.(رسالة ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية/نابلس ، 2007م.
- الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسيّ الثّانيّ 232- 334 هـ ، لمحمد عبد المنعم محمد قباجة، (رسالة ماجستير) ، جامعة الخليل/فلسطين ، 2008م.

- الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطينيّ بعد المأساة ، لأمين صالح محمود عبد ربه.(رسالة دكتوراة) جامعة الأزهر 1977م.
- الغربة في الشعر الجاهليّ ، لعبد الرزّاق الخشروم ، 1982م.
- الحنين إلى الديار في الشعر العربيّ إلى نهاية العصر الأمويّ ، لعبد المنعم حافظ الرجبيّ،(رسالة دكتوراة) ، 1980م.
- الحنين إلى الوطن في الأدب العربيّ حتى نهاية العصر الأمويّ ، لمحمد إبراهيم حوّر ، 1973م.
- الغربة والحنين في الشعر العربيّ قبل الإسلام ، لخليل صاحب إبراهيم،(رسالة ماجستير)، الجامعة المستنصرية /بغداد ، 1988م.
- الحنين في شعر صدر الإسلام ، لوهران محمود حبيب ، 2003م.

وقد أفادت هذه الدراسات البحث في كثير من الجوانب.

ولا بدّ أن يواجه الباحث صعوبات ومشكلات في سعيه للشمولية وإتمام البحث على أكمل صورة ، فإني على معرفة بحجم الصعوبات التي يمكنها أن تكتنف دراسة مثل هذا الموضوع الذي اخترته عنوانا لدراستي ، والتي لا تتمثل في الفترة الزمنية التي شغلها البحث فحسب ، بل تتجاوز ذلك إلى حجم بعض الأعمال الشعرية للشاعر الواحد ، فقد ظهر في السعودية شعراء مكثرون جدا من الشعر ، وحسبك بالفقيّ والقرشيّ والعواد والزمخشريّ والقصيبيّ والعشماويّ الذين نظموا عشرات الدواوين من الشعر.

كما أنَّ وجود مئات من الشعراء الذين لهم أعمال منشورة في دواوين مطبوعة أو في الصحف والمجلات أو على شبكة الإنترنت ، سيفاقم مشكلة الحصول على هذه الأعمال وحصرها وتبويبها والاطلاع على ما يهم موضوع البحث والدراسة.

وإني على يقين من أنّ معظم هذه الدواوين لا توجد في المكتبات العامة، أو في مكتبات الجامعات التي من الممكن أن يلجأ لها الباحث بعد أن يعييه البحث ، خاصة وأنّ الكثير من هذه الدواوين لشعراء مغمورين ، أو هي من الشعر الحرّ الذي للكثيرين من القراء والنقاد في بلدي آراء خاصة به ، ولذلك لا تعيره المكتبات أهمية تذكر. أمّا دواوين ذوي الشهرة من الشعراء فإنَّ معظم طبعاتها قد نفذت ولم تعد طباعتها.

وقد تطلبت هذه الدراسة مناهج بحثٍ متعددة ، وذلك حسب الموضوعات التي عالجتها ، فكان من المناسب اعتماد المنهج التكامليّ، فقد كانت بحاجةٍ إلى المنهجين الوصفيّ

والتحليليّ في تناول النصوص وتحليلها ، والمنهج الجماليّ في الدراسة الفنيّة ، والمنهج النفسيّ، في الكشف عن الأمور التي تعتمل في نفسيّة الشاعر في حنينه وغربته واغترابه.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ثم خاتمة ، فثبت المصادر والمراجع؛ وقد خصص التمهيد لإعطاء لمحة عن الحنين والغربة من حيث مفهوم كلٍّ منهما لغة واصطلاحًا ، ثم التعريف بظاهرة الحنين والغربة قديمًا وحديثًا ، مع التركيز على التفريق بين الغربة المكانية والاغتراب الذاتي ، ثم أفرد بحث خاص بظاهرة الاغتراب في الشعر السعوديّ .

وفي الفصل الأول تناولت الدراسة موضوعات شعر الحنين والغربة في الشعر السعوديّ المعاصر وأسباب ذيوعها وانتشارها ، كالرحلات ، والدراسة ، والهجرة الطوعية والقسرية ، والعمل والعلاج.... الخ .

وتشمل هذه الموضوعات الحنين إلى الوطن ، الحنين إلى المقدسات ، الحنين إلى المناسبات الدينية ، الحنين إلى المحبوبة ، الحنين إلى الزمن الماضي ومراحله وذكرياته ، والحنين إلى أمجاد الأمة وماضيها العريق ، وأخيرًا إلى مواطن الغربة .

أما الفصل الثاني فقد خصص للدراسة الفنية حيث تم تناول عدة موضوعات هي : الصورة الشعرية ، والموسيقى والإيقاع ، واللغة والأسلوب ، وصدق العاطفة ، و المزج بين الحنين والطبيعة ، و التجربة الذاتية الشعرية ، و عدد من الظواهر الأسلوبية كالتكرار والحذف والتقديم والتأخير والتناص .

أما الفصل الثالث فخصص لدراسة نماذج تطبيقية من شعر الحنين والغربة في الشعر السعودي ؛ حيث تمَّ الوقوف على نموذجين منه ، الأول قصيدة : (من أجل عينيك .... يا وطن) للشاعر إبراهيم عمر صعابي ، والآخر قصيدة: (إلى المروتين) للشاعر طاهر الزمخشريّ .

1- مفهوم الحنين لغة:

الحنين ظاهرة إنسانيّة عامة في نفوس البشر لا يختص بها أناسٌ دون غيرهم ، وقبل الخوض في هذه الظاهرة في الشعر السعوديّ ، لا بدَّ من الوقوف على المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ لها ، في معاجم اللغة وغيرها .

فبالعودة إلى جذر كلمة (الحنين) وهو الفعل الثلاثيّ الصحيح "حَنَنَ" والذي عند تضعيفه صار "حنَّ" وتصريفه حنَّ يحنُّ حنينا ، ففي لسان العرب نجد:

"الحنّان من أسماء الله عزَ وجلَّ. قال ابن الأعرابيّ (ت 231 هـ) : الحنّان بتشديد النون ، بمعنى الرحيم ، قال ابن الأثير : الحنّان الرحيم بعباده، فعّال من الرحمة للمبالغة .

والحنان ، بالتخفيف : الرحمة ، تقول : حنَّ عليه يحنُّ حنانًا.

والحنين : الشّديد من البكاء والطرب ، وقيل : هو صوت الطّرب كان ذلك عن حزنٍ أو فرح.

والحنين : الشَّوق وتوقان النّفس ، والمعنيان متقاربان ، حنَّ إليه يحنُّ حنينًا فهو حان.

وحنَّت الإبل : نزعت إلى أوطانها أو أولادها .

واستحنَّ : استطرب ، وأصل الحنين ترجيع النّاقة صوتها إثر ولدها.

وسمع النبيّ . ﷺ . بلالاً ينشد :

ألا ليت شعري هل أبيتنَ ليلةً بوادٍ وحولي إِذْخِرٌ وجليلُ

فقال له حَنَت يا ابن السوداء ؟؟

والحنّان : الذي يحنُّ إلى الشيء. والحنون من الرِّياح : التي لها حنين كحنين الإبل ، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين ، وسحاب حنّان كذلك .

وامرأة حنّانة : تحنُّ إلى زوجها الأول وتعطف عليه . وقيل : هي التي تحنُّ على ولدها الذي من زوجها المفارق لها .والحنون من النساء : التي تتزوج رقّة على ولدها إذا كانوا صغارًا ليقوم الزوج بأمرهم.

وحنّت القوس حنينًا : صوَّتت ، وأحنّها صاحبها .

وعود حنّان : مُطرِب.

وتحنّن : ترحّم.

وحنانيْك : أي : تحنّن عليَّ مرَّة بعد مرة ، وحنانًا بعد حنان . والعرب تقول : "حنانك يا ربّ وحنانيك بمعنى رحمتك".

ومن معاينة : العطف والرحمة .

والحِنّة بالكسر : "رقّة القلب"

ويقال :"حنَّ قلبي إليه ، فهذا نزاع واشتياقٌ من غير صوت ، وحنّ عليه ، أي عطف عليه، وحنَّ إليه ، أي نزع إليه".[1]

وفي الصحاح ،"الحنين : الشوق وتوقان النفس نقول : حنَ إليه يحنُ حنيناً فهو حان.

والحنان : الرحمة . يقال منه : حنَ عليه يحنُّ حناناً . ومنه قوله تعالى :"وحناناً من لدنا "مريم /13 . والحنان بالتشديد : ذو الرحمة.

وقوس حنّانه : تحِنُّ عند الإنباض"[2]

وفي مقاييس اللغة :"الحاء والنون أصل واحد، وهو الإشفاق والرحمة ، وقد يكون ذلك مع صوت بتوجّع . فحنين الناقة نزاعها إلى وطنها .

والحنان الرحمة . قال تعالى "وحناناً من لدنا" مريم /13"[3]

وجاء في القاموس المحيط :حَنَنَ : الحنين : الشوق ، وشدّة البكاء ، حنَّ يحنُّ حيناً : استطرب ، فهو حانّ ، كاستحنّ وتحانّ[4]

نّ هذا الاقتباس الطويل من المعاجم ، يكشف لنا عن جوانب مهمة ،أهمها: أنّ الحنين له مستوى شعوري داخلي ، ومستوى آخر صوتيّ سلوكيّ ، يترجم عن هذا الشعور الداخليّ ، كأن ترسل الناقة صوتها ، أو تتزوج المرأة زوجاً ثانياً يرعى أطفالها، ويشفق عليهم ، كذلك "فإنَّ للفظة الحنين أكثر من معنى ، لكنَّ معانيها متقاربة الدلالة ، وتشير إلى تطلع الإنسان إلى أمرٍ يشدّه ويجذبه ، ففيه التواء ومَيْل ، سواء أكان ذلك الالتواء مادياً أو معنوياً ، فعندما نقول : حنت القوس ، فإنَّ صوتها يأتي من انحنائها وميلها عند انطلاق السهم وهي أكثر ما تكون ميلاً وانحناء في تلك اللحظة. وهذا الميل المعنويّ يتمثل في التواء المرء من مكانه الذي هو فيه ، إلى المكان الذي حنّ إليه ، أو يرجع إليه من زمانه الذي هو فيه ، إلى الزمان

[1] ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، 1997م ، مادة (حنن).

[2] الجوهريّ، إسماعيل بن حماد، ط4، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1990م ، مادة: (حنن).

[3] ابن زكريا ، أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، بيروت، 1979م ، مادة (حنن).

[4] الفيروز أبادي ، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005م، مادة : (حنن).

الذي حنّ إليه"[1] . وهذا" الالتفات ذاته يكون في الإنسان والدابة ، فالدّابة التي تحنُّ إلى ولدها أو وطنها تكثر الالتفات إِلى مكانه ، والمغترب الذي يحنُّ إلى بلده فإنّه كثيرًا ما يتجه إليه ماديًا ، أي يتجه صوبه ، ويخاطبه ويناجيه ، هذا زيادة على النزوع المعنويّ ، الذي هو السبب الأكيد لمثل هذه الحركات المادية "[2].

---

[1] قباجة ، محمد عبد المنعم محمد ، الغربة والحنين إلى الديار في العصر العباسي الثاني 232–334هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل / فلسطين ، 2008م ، ص 4.

[2] العبد الرحمن ، سعاد عبد الوهاب ، ثلاث نونيات في الحنين إلى الأوطان ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، 2002م ، ص18.

2- مفهوم الحنين اصطلاحًا:

تظل كلمات الحنين وإيحاءاتها تدور في معنى الرّقة والعطف ، مع انتقالها إلى معنى آخر وهو الحنين إلى الديار ، وهذا أمر طبيعيّ ؛ فالحانُّ إلى وطنه يُعبِّرُ عن حنينه ، ويصوّر شعوره بألفاظٍ ناعمة ، تعبّر عن صدق الإحساس ، ورقّة الشعور ، وفيض الوجدان ، وصدق التجربة والمعاناة ؛ فهي تنبع من نفس إنسانيّة متنقلة.

والحنين "مصطلح أدبيّ طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن وطنهم فاعتراهم الشوق إليه ، فكانوا يتغنون به وبجماله ، وهم بعيدون عنه ، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه ، إلا إذا كان في غربة نفسيّة"[1].

وبإنعام النظر في التعريف السابق ، نرى أنّه قد اقتصر على الشوق والنزوع للوطن المفتقد، دون الوقوف على المفتقدات الأخرى مثل الأهل والأحبة ، والأصدقاء ، وذكريات الماضي .

ويرتبط مفهوم الحنين بالفقد، فكلّ إنسان لديه شغف بما فقده ، فتراه يحنُّ إليه، ويشتاق إليه، ويتمنى وجوده معه ، لذلك فقد ارتبط الحنين بالعاطفة عند هذا الإنسان الذي يحنّ لما فقده ، فلا عجب إذن إن يحنَّ إليه ويفتقده.

وهذا ما يقره الواقع ؛ إذ يُطْلَقُ على الماضي في كثير من المجالات الزمن الجميل ، فكم منا من يقول في لحظة ما: ليتني أعود لزمن الماضي الجميل.

ويرتبط الحنين بالأمل ، هذا الأمل الذي يجعل المهاجر يأمل بالعودة إلى وطنه يومًا ، كما يجعل المحبّ يأمل بالرجوع إلى أيام الوصال مع الحبيب ، وليس هذا فقط ، بل إلى كلِّ ما هو جميل في حياته .

والحنين فيه شوق وتوقان النفس ، وهو يكشف عن مدى معاناة الإنسان في ديار الغربة بعيدًا عن أهله وخلانه ، وجيرانه ووطنه ، وقد يعاني الإنسان في وطنه ، فيتوق لذكريات الماضي مع الأحبة ، والأهل ، والأصدقاء ، فيجد في الحنين ، إرضاءً لشغف النفس وحبّها لكلّ ما مضى ، ومن أجمل صور التعبير عن ذلك : الشعر .

ويُعَرِّف المعجم الفلسفيّ الحنين بأنّه " العواطف ورقّة القلب ، وهو لا يطلق إلا على العواطف الإنسانيّة " [2] ويشرحه بالقول :"إن مظاهر الحنان قد يُعَبِّرُ عنها باللغة ، أو بحركات فيزيائية

---

[1] التونجيّ ، محمد ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1993م ، ص 385.

[2] صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفيّ ، دار الكتاب اللبنانيّ ، بيروت ، 1982م ، 500/1.

تجسد حالة الشوق داخل جسم الإنسان [1] . أمّا علماء النفس فيرون أنَّ الحنين هو : " الشعور العاطفيّ الذي ينسجم عنه الولع ، فالحنان فعل شعوريّ منبعه المعرفة والإرادة"[2].

وترى الدراسة أنّ الحنين إحساس مزمن ، يستعرض ذاتنا في كلِّ الأوقات ، فلا يقترن بالمكان أو الزمان ، هو إحساس غامض ، فلا نعرف لمن ، وإلى أين ، وإلى ماذا ، وهو عاطفة تشتعل في داخلنا في لحظات الاشتعال بالذكرى ، الذكرى التي تسرقنا من أنفسنا وتذهب بنا إلى الماضي ، وهو تلك اللحظة التي تشعر بها أثناء تذكرك ما قد غاب عنك ، أو افتقدته ، بألم في النفس لا يضاهيه أيّ ألم ، هو إحساس المرء ببكاء قلبه ، قبل عينيه..

---

[1] صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، 1/ 500.

[2] داغر ، أسعد رزق ، موسوعة علم النفس ، مراجعة : عبد الله عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1977م ، ص 107.

3- مفهوم الغربة لغة واصطلاحا:

بالعودة إلى بعض المعاجم للبحث عن مفهوم الغربة والاغتراب لغة ، نجدها مشتقة من الجذر (غَرَبَ) ، ففي لسان العرب نجد: "الغَرْبة والغرْبِ : النّوي والبُعد ، وغَرْبة النّوي : بُعْدها ، وغَرَبَ أي بَعُدَ .

وقيل : غرَّب في الأرض وأغرب إذا أمعن فيها . وغريب : بعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة، والاغتراب : افتعال من الغربة .

وفي الحديث: أنَّ النبي ﷺ سُئِلَ عن الغرباء ، فقال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي ، وفي حديث آخر : أنَّ الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود كما بدأ ، فطوبي للغرباء...

واغترب الرجل : نكح في الغرائب ... وفي الحديث : اغتربوا لا تضووا ... ورجل غريب : ليس من القوم ، والغربة والغرب : النزوح عن الوطن والاغتراب . والاغتراب والتغريب كذلك ؛ تقول منه : تغرب واغترب ، وقد غربه الدهر ، ورجل غرب (بضم الغين والراء)، وغريب : بعيد عن وطنه ، الجمع غرباء ، والأنثى غريبة . وأغرب الرجل : صار غريبًا ... ورجل غريب : ليس من القوم ، وثنيته غُرْبان.

قال طهمان بن عمرو الكلابيّ:

وإنّي والعبسيَّ في أرضِ مذحــج   غريبانِ شتى الدّارِ مختلفانِ
وما كان غضُّ الطّرَفِ منا سجيَّةً   ولكننا في مُذْحــج غُربانِ[1]

وفي المخصص : "أغْربتُه وَغرَّبته : نحّيته ... بنو الغبراء : الغرباء.أبو عبيدة : الشجير :الغريب ، أبو زيد : النّقيل : الغريب في القوم وإن رافقهم أو جاورهم والأنثى . نقيلة ، ابن السِّكيت : قوم عدا : غرباء ، وأنشد :

إذا كنت في قومٍ عدا لست منهم   فَكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيب [2]"

والغربة في (مقاييس اللغة) البعد عن الوطن، يقال : غَرَبَتِ الدّار.[3]

وفي الصِّحاح للجوهريّ :" التغريب : النفي عن البلاد ، وغَرُبَ بَعُدَ ، وأَغربَ عني أي : تباعد .

وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب ، واغتراب فلان: أي تزوج إلى غير أقاربه.

---

[1] ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة :(غرب).
[2] ابن سيّدة ، على بن إسماعيل ، المخصص ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، 1996م ، مادة : (غرب).
[3] ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، مادة : (غرب).

الغربـة : الاغتراب ، تقول منـه ، تغرَّب واغتـرب ، بمعنـى ، مفهوم غريب ، وَغَرُب أيضًا ، والجمع الغرباء ، والتغريب : النفي عن البلد "[1]

وفي (تهذيب اللغة) ، يقول الأزهريّ "التغرب بمعنى النفي والإبعاد عن البلد الذي وقعت فيه الجناية ، ففي الحديث النبويّ أنّ النبيّ أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يُحْصِن"[2]. وفي (تاج العروس) للزبيديّ نجد : "التغرب الذهاب ، والغرب : النوى والبُعْد ، وأيضًا الغرب والغربة : النزوح عن البلد "[3]

وتأتي في مواطن أخرى بمعنى الشؤم والشذوذ أو تحمل بعض الصفات النوعيّة لبعض المخلوقات التي كان يتطيّر منها الإنسان خاصة في الجاهلية ، ومن كثرة "تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والتغريب والغريب"[4].

في ضوء ما سبق يتضح أنّ الكلمة الشائعة في المعاجم العربيّة هي "غربة" التي تدلّ على الانتقال الحسيّ ، وتحوم حول معنى البعد والنزوح عن الوطن ، وهذا المعنى اللغويّ حصر في الغربة دائرة ضيقة ذات معان محدودة ، وهذه المعاني : الذهاب ، التنحي ، النّوي ، البعد ، النزوح ، ... تشترك بجذر واحد هو (الانفصال عن) الذي يوحي بأنّ الغربة كحدث كائن، يتمّ بإرادة ذاتية تمتلك إمكانيّة الاختيار أي حصول الذهاب برغبة الذاهب ، والغربة بإرادة المغترب. وإذا انتقلنا إلى البحث عن معنى الغربة اصطلاحا في بعض المراجع التراثيّة والحديثة ، نجد معناها الاصطلاحيّ يكاد لا يبعد عن المعنى المعجميّ . فابو الفرج الأصفهانيّ (ت967هـ) في كتاب (أدب الغرباء) يرى أنّ الغريب هو كلّ مشرد عن وطنه ، ونازح عن داره وخلانه وإخوانه ، يقول "وقد جمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ وعرفته ، وسمعت به ، وشاهدته من أخبار من قال شعرًا في غربة ، ونطق عما به من كَرْبة ، وأعلن الشّكوى بِوَجْدِه إلى كلَ مُشَرْد عن أوطانه ، ونازح عن إخوانه".[5]

---

(1) الجوهريّ ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ،الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979م ، مادة : (غرب).

(2) الأزهريّ ، أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ ، معجم تهذيب اللغة ، دار المعرفة ، بيروت ، 2001م ، مادة : (غرب).

(3) الزبيديّ ، ابن عطا الله تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد ، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، 2001م ، مادة : (غرب).

(4) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، شرح وتحقيق : يحيى الشاميّ ، ط3 ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، 1990م ، 516/1.

(5) الأصفهانيّ ، أبو الفرج علي بن الحسين ، أدب الغرباء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1972/ ، ص21

ويقول في موضع آخر :" من شأن الغرباء في الأسفار ، ومن نزحت به الدار عن إخوانه وأترابه ، إذا دخل موضعًا مذكورًا ، ومشهدا مشهورا ، أن يجعل لنفسه فيه أثرًا تبركًا بذوي الغربة".[1]

ويقول : "فَقْدُ الأحبة في الأوطان غربة ، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة".[2]

ويقول أبو حيّان التوحيديّ: بأنَّ الغربة غربة نأي عن وطن ، إلى أن قال : "فأين أنت عن غريب قد طالت غربته في وطنه ، وقلَّ حظه ونصيبه وسكنه ؟ وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان ، ولا طاقة به على الاستيطان"[3]

ويؤكد كثير من الباحثين ما أشرنا إليه من أنّ معاني الغربة وحتى الاغتراب تدور حول معنى البعد والنزوح عن الوطن ، يقول الجبوريّ : "الغربة أو الاغتراب في المجمعات العربيّة تدلُّ على النزوح عن الوطن ، أو البعد والانفصال عن الآخر".[4]

وترى الدراسة أنّ الغربة تعني النزوح عن الوطن والابتعاد عن الأهل والديار، بمعنى أن يشعر المرء بابتعاده عن مكان نشأته وفراقه لذويه الذين يرتبط معهم نفسيًا وعاطفيًا. وفي المعجم المفصل في الأدب نقرأ "الغربة : الذهاب والتنحي عن الناس ، والغربة نوعان : غربة القهر ، وغربة الذات ، والغريب : من كان بعيدًا عن وطنه و أهله ، والغربة إمّا ماديّة ، وتتجلى في البعد عن الوطن والأهل ، وإمّا غربة معنويّة ، وتتجلى في الخروج على مبادئ الناس وأعرافهم . ومنها غربة القهر . أما غربة الذات فقد تجلّت في حنين الشاعر إلى ماضيه ، وتغير الدهر عليه ".[5]

والغربة بصورة عامة، تستولي على المرء ، مما يجعله يعيش في قلق وكآبة؛ لشعوره بالبعد عما يهوى أو يرغب.

والغربة التي ذكرناها إِنَّما هي الغربة المكانية ، أي تلك التي تعني نزوح فرد أو أفراد من الوطن الذي نشأ فيه ، إلى مواطن أخرى ، لمدة تقصر أو تطول ، وتحت أي ظرف كان وهي التي يقصدها الناس عادة ، "ولكن هناك أنواعًا أخرى من الغربة مثل : الغربة الروحيّة ،

---

(1) الأصفهانيّ ، أبو الفرج علي بن الحسين ، أدب الغرباء ، مصدر سابق ، ص23.

(2) المصدر السابق ، ص32.

(3) التوحيديّ ، أبو حيّان علي بن محمد بن العباسي، الإشارات الإلهية ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973م ، ص17

(4) الجبوريّ ، يحيى ، الحنين والغربة في الشعر العربيّ الحنين إلى الوطن ، ط1 ، دار مجدلاويّ ، عمان : 2007م ، ص17.

(5) التونجيّ ، محمد ، المعجم المفصل في الأدب ، مرجع سابق ، ص669.

والغربة الفكريّة ، والغربة الجدليّة ، وهذه الأنواع تشملها الغربة المعنوية "[1]، ومن هنا ندخل في ذلك المصطلح الذي ملأ الدنيا وشغل النُّقاد ، ألا وهو مصطلح (الاغتراب) ، الذي يُعْتبر الدخول إلى عوالمه أشقّ المهام ، لما في ذاك المصطلح من مراوغة ، اكتسبها من طبيعته الزئبقية التي تجددت وظهرت بطرق مختلفة عبر العصور.

لقد أفلحت مشكلة الاغتراب . باعتبارها حالة مميزة للإنسان الحديث . في أن تفرض نفسها على كثير من مجالات النشاط الثقافيّ الحالي ، وأن تظهر كموضوع أساسيّ في الكتابات الأدبية والأعمال الفنية والبحوث الاجتماعية .

ولا نظنُّ أنَّ مصطلحًا حظي بالاهتمام والتنازع في تحديد مفاهيمه كمصطلح "الاغتراب" Alienation ، الذي شاع استخدامه ابتداء في الثقافة الغربيّة ، على يدي كلّ من هيجل وماركس في القرن التاسع عشر[2] ، ثمَّ شاع استخدامه في الثقافات الأخرى ، حتى تحول إلى ظاهرةٍ بشريّة عامة نجدها في ثقافات الأمم الأخرى بنسبٍ مختلفة وفق مستويات التطور الثقافيّ والحضاريّ لأيِّ أمة من الأمم. ولا يعني أنّ مثل هذا المصطلح لم يكن معروفًا في ثقافات الأمم السابقة ، على مرحلة التوسع في استخداماته بل على العكس من ذلك ، فإنَّ بعض الدراسات الحديثة تشير إلى أنّ بعضًا مما يشير إليه مصطلح الاغتراب اليوم قد عرف قديمًا ، بطريقة أو بأخرى ، في ثقافات سابقة ، بيد أنّ ظهوره في صورة لافتة ، من حيث المقصديّة والمنهج ، والفلسفة من استخداماته ، يعود إلى العصر الحديث ، مع ظهور المجتمع الصناعيّ الرأسماليّ.[3]

وبما أنّه من الصعب وضع تعريف دقيق لمصطلحات العلوم الإنسانية ، فقد تضاربت الأقوال والاتجاهات في شأن ذلك المصطلح المتعدد الدلالات ، التي منها : (الغربة ، والانفصال، والانعزال ، والانتقال ، والابتعاد . إلى غير ذلك من المعاني الاصطلاحية).[4] لذا من الأفضل أن نتفق على ماهية الاغتراب في استخدامات هذه الدراسة ، فنحن نعني به تحديدا ،

---

[1] عبد ربه، أمين صالح ، الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ،1977م ، ص 92.

[2] انظر : ريتشارد شاخت ، الاغتراب ، ترجمة : كامل يوسف حسين ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980م ، ص59. ورجب ، محمود ، الاغتراب ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1978م، ص109.

[3] انظر: "تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة " في الكتاب التذكاريّ "نازك الملائكة"دراسات في الشعر والشاعرة ، شركة الربيعان، الكويت ، 1985م ، ص425 وما بعدها.

[4] السِّيِّد ، حسن سعد ، الاغتراب في الدراما المصريّة المعاصرة بين النظرية والتطبيق من (1960 . 1969)، ط1 الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1968،ص11.

الانفصام العاطفيّ ، والانفصال المكانيّ ، وما ينشأ عنهما ، أمّا ما اكتسبه اللفظ من معانٍ تتعلق بالمفاهيم الفلسفيّة ، فهذا لم يعرفه أدب المملكة العربيّة السعودية . حسب ظني . إلا بعد ظهور ما يسمى شعر التفعيلة ، فآثرت ألا أقف عند هذه التقسيمات. على أني أقرّ كثيراً من الباحثين بأنَّ الاغتراب الذاتي ، أو الاغتراب عن الذات هو الأصل في كلِّ اغتراب ، "وأنَّ هذا النمط من الاغتراب المتمركز حول الذات قد يؤدي إلى أنماطٍ أخرى كالاغتراب عن المجتمع ، أو الاغتراب النفسيّ ، والدينيّ ، أو بأكثر شموليّة الاغتراب عن العالم الموضوعيّ."[1] وهذا ما سنفرد له باباً خاصاً في بحثنا لاحقاً.

والاغتراب أمر طوعيّ" يختاره الإنسان لأسباب كثيرة ، منها عدم الانسجام مع المجتمع ، والعجز عن الانتماء ، وعدم الرضي بالتقاليد والأعراف ، والمخالفة في الفكر والمعتقد ، وكثيراً ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ كذلك شعوره بافتقاده الطمأنينة".[2]

أمّا الغربة فكثيراً ما تكون قسريّة . بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلمٍ أو خوفٍ أو جوع ، ونفي وتشريد ، واضطرار لكسب الرزق. وهناك غربة اختياريّة أو إراديّة ، التي يمكن أن تمتد لأيام أو أشهر أو سنوات في سبيل التجارة ، أو طلب الكلأ والماء ، أو طلب العلم ، وتلقي العلاج ، وغير ذلك من مصالح البشر وعندئذ نرى الشاعر العربيّ يحنّ إلى منازله ومضاربه ، ، ويعبر عن اشتياقه إليها ، وإلى أحبابه الذين تركهم بها ، وإلى ذكريات طفولته أو شبابه بهذه الديار.

---

[1] انظر: الزهرانيّ ، أميرة علي ، الذات في مواجهة العالم تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية ، ط1 ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ،. المغرب ، 2007م ، ص 37. . وعيد ، إبراهيم ، الاغتراب النفسيّ ، الرسالة الدولية للإعلان ، القاهرة ، 1990م ص 101 . وخليفة ، عبد اللطيف ، دراسات في سيكولوجيّة الاغتراب ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003م ص80.

[2] الجبوريّ ، يحيى ، الحنين والغربة في الشعر العربيّ ، الحنين إلى الأوطان ، مصدر سابق، ص 17.

4- الحنين والغربة في الشعر العربيّ قديمًا وحديثًا:

ظلَّ الشعور بالحنين والغربة ، من ملازمات الإنسان منذ وطأت قدماه الأرض ، مفارقة الجنة موطن خلقه الأول ؛ إذ إنَّ الشاعر / الإنسان العربيّ كغيره من البشر، عانى من ذلك من وقت مبكر ، منذ اتّخذ الشعر أرقى وسائله التعبيرية ، ورافقه ذلك الشعور عبر مسيرته الطويلة المتقلبة حضارياً ، وثقافياً ، ونفسياً ، إلى أن بلغ عصرنا الحديث. [1] العصر المثقل بالهموم والمآسي ، والقسوة المتناهيّة ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

وشعر الغربة والحنين من أصدق ألوان الشعر ؛ لأنّه يعبر عن خلجات النفس ، وألم الفؤاد ، بسبب فراق الأهل والأوطان ومرابع الصبا ، ومراتع الشّباب والحنين إليهم.

إنَّ طبيعة الغربة وما تحمله من أحاسيس ومشاعر تفرض على الإنسان العاديّ أن يعبِّر عن شوقه وحنينه ، فما بالنا بالشاعر الذي أرهق حسّه ، وحلّق خياله !! وسنرى في هذا المبحث كيف عبّر هذا الشاعر عن غربته ، وصوّر شوقه وحنينه .

فهذا الشاعر امرؤ القيس بن حجر الكنديّ يترك أبياتًا كثيرة تعالج قضية غربته وحنينه ، بعد أن ترك قومه الذين غصبوه ملك أبيه ، فتوجه إلى ملك الروم ليساعده في استرداد ملكه لكنه يصاب بمرض الموت ، ويدخل مرحلة الاحتضار ، فيتضاعف ألمه ، ويزداد حزنه ، لإحساسه بالوحشة والغربة فيقول مخاطباً قومه في لحظات الصدق مع الذات : [2]

فلو أنّي هَلَكْتُ بدار قومي لقُلْتُ الموتُ حَقٌّ لا خلودا

ولـكني هلكت بأرض قومٍ بعيدًا عن ديـارِكم بعيدا

بأرضِ الرّومِ لا نسبٌ قريبٌ ولا شافٍ فَيَسْنُدُ أو يعودا

فهو يتمنى لو أنه مات بينهم ، ودفن قريبا منهم ، لا أن يموت غريبًا في أرض الروم ، وما أقسى قوله :" بعيدًا عن دياركم بعيدا". عبارة نلحظ في ثناياها شدّة الحسرة والندم ، المنبعثة من أعماق قلبٍ يكابد ألم الغربة ، ووجع الفراق ، وهذا التكرار الذي وقع فيه الشاعر ، جاء ليؤكد ما يملأ قلبه من ألم وعذاب ، إنّه ألم البعد عن الأهل والخلان والوطن ، بلا أخٍ أو مواسٍ أو قريب . غربة ما بعدها غربة!!

---

(1) هياجنة ، محمود سليم ، الاغتراب في القصيدة الجاهلية ، دار الكتاب الثقافي ، إربد/الأردن ، 2005م ، ص 34.

(2) امرؤ القيس بن حجر الكندي ، ديوانه ، ضبط وتصحيح : مصطفى عبد الشافي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م ، ص55.

ونقف على موقف آخر له ، حيث يقول وقد رأى قبر امرأةٍ غريبة ، بالقرب منه ، في لحظات عمره الأخيرة ، فيقول:[1]

أجارتَنَا إنَّ الخُطوب تنوبُ ... وإنّي مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ
أجارتَنا إنّا غريبان هَهُنا ... وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ
فإنْ تَصلينا فالقرابة بَيْنَنا ... وإنْ تَصْرمينا فالقَريب قَريبُ
أجارتَنا ما فات لَيسَ يؤوبُ ... وما هو آتٍ في الزَمان قريبُ
وَلَيْسَ غريباً مَن تَناءَت ديارُهُ ... ولكنَّ منْ وارى الترابُ غريبُ

إنّه يناديها ، وقد كوته الغربة ، وألحَّ عليه الحنين إلى من يؤنس وحشته ، ويشاركه كربته ، فلم يجد أحدًا من ذوى نسبه ، يقفون معه في لحظاته الأخيرة ، فكانت تلك الجارة الميتة أقرب إليه منهم .

إنَّ جولة في ديوان امرئ القيس تجعلنا ندرك أنَّ شعره حافل بالغربة وبالشوق وبالحنين، مما يوضح مدى الألم الذي اعتصر فؤاده من جراء اغترابه ونفيه وتشرده ، ويكفينا هذا القدر من شعره ، لننتقل إلى شاعر آخر عانى كثيرا من الغربة المكانية و والاغتراب النفسيّ ، إنه فارس العرب عنترة بن شداد العبسيّ ، الذي عُيِّرَ بسواد وجهه ، وعامله قومه باحتقار وازدراء ، فلم يرض بذلك ، ودافع عن كرامته ، فنال حريّته بحدِّ سيفه ، ودار في أرض الجزيرة والعراق وفارس باحثًا عن مهر عبلة ، فانعكس كلّ ذلك على شعره الذي نلحظ فيه الرِّقّة الإنسانيّة ومشاعر الشّوق والحنين ، إلى أرض الأحبة ومواطن الذكريات ، ورغم ما لاقاه من أهوال ، وما صادفه من مغريات ، فإنّه لم يكن لينسى تلك الديار التي نشأ فيها ، والأماكن التي تمتع فيها برؤية من يحبّ ويهوى ، ونقفُ على قصيدة لعنترة يقول فيها:[2]

طالَ الثّواءُ على رسوم المنزلِ ... بين اللكيلكِ وبين ذات الحرملِ
فوقفت في عَرَصاتِها متحيّرا ... أَسَأَلُ الدّيار كفعل من لم يُذْهلِ
لَعِبَتْ بها الأنواءُ بعد أنيسها ... والرَّامساتُ وكلُّ جَونٍ مُسْبَلِ
أفمن بكاءِ حمامةٍ في أيكةٍ ... ذَرَفَتْ دموعُك فوقَ ظهر المحملِ

---

[1] امرؤ القيس بن حجر الكندي ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 49.

[2] عنترة بن شداد ، ديوانه ، تحقيق : محمد عناني، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،2001م ص118.

لقد شفّه الوجد وأضناه الشوق ، وأيقظت الديار المهجورة في نفسه الذكريات الماضية السعيدة ، لقد كانت في ما مضى عامرة لكنّها الآن أطلال ورسوم . وفي لحظة الإحساس بالغربة تنفجر دموعه بعد أن أثارتها بكاءُ حمامة من أيكة.

وفي موضع آخر ، يندفع عنترة بكلِّ قوةٍ مع عاطفته ، ويتألم من كلِّ قلبه ليعبر عمّا أصابه من جراء البعد والنوى فيقول:(1)

أحرقتني نارُ الجوى والبعادِ   بَعْدَ فَقْدِ الأوطانِ والأولادِ
شابَ رأسي فصارَ أبيضَ لونًا   بعدما كان حالكًا بالسَّوادِ

ولا يزال بكاء الأطلال يثير في نفوس شعراء الجاهليّة أمواجًا متلاحقة من الأسى والشجن ، ويبحث فيهم الحنين جارفًا ، بعد أن عمد الزمان إلى تعكير صفو حياتهم ، فدفع بهم وبأحبابهم إلى الارتحال طوعًا أو قسرًا، " فلم يجدوا إلا الأطلال يسائلونها ، والدموع يسكبونها ، لعلّهم بهذه الدموع يطفئون لهيب الشوق ، وحرقة الغربة.(2)

وليس الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن ، والتعلق به ، والارتباط بأهله ، خاصًا بالرجل فحسب، بل نجد هذه العواطف الإنسانيّة تثور في نفس المرأة أيضًا ، فهذه الشاعرة وجيهة بنت أوس الضبيّة، تردُّ على من هبّت بليلٍ تلومها على شوقها إلى أرض عشيرتها، تقول:(3)

وعاذلةٍ هبّت بليلٍ تلومُني   على الشّوْقِ لم تَمْحُ الصّبابَة من قلبي
فما لي إنْ أَحْبَبْتُ أرضَ عشيرتي   وأبغضتُ طرفاءَ القُصيْبَة من ذنبِ
فلو أنَّ ريحًا بلّغت وحيَ مرسلٍ   حفيٍّ لناجيتُ الجنوبَ على النَّقْبِ
فقلت لها أدِّي إليهم رسالتي   ولا تخلطيها طالَ سُعْدُكِ بالتُّربِ
فإنّي إذا هبّت شمالاً سألتها   هل ازداد صُدَّاحُ النُّميرة من قربِ

لقد كانت الشاعرة في حالة نفسيَّة صعبة جعلتها تردُّ على تلك العاذلة برد مفحم مُسكت ، فكيف تلومها على حبها لوطنها ، وتعلقها به ، قائلة لها من الطبيعي أن أحبَّ أرض عشيرتي ، وأبغض مكانًا أشعر فيه بالغربة والحنين لديار أهلي . وسأحمِّل الرِّياحَ أشواقي وحنيني ، ونراها تخاطب الرِّياح كأنَّها إنسانٌ يسمع ويرى ، وذلك لأنّها لم تجد إنسانًا يحمل أشواقها لقومها ووطنها.

(1) عنترة بن شداد ، ديوانه ، مصدر سابق، ص 67.
(2) انظر : عبد ربه ، أمين صالح ، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة ، مرجع سابق ، ص 136.
(3) يموت ، بشير ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط1 ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، 1934م ، ص87.

وقد عبّر شعراء عهد النبوة عن غربة المسلم الداعي إلى الله ، في مجتمع الجاهليّة ألذي أصمّ أذنيه عن سماع كلمات الحق ، فكانت كلماتهم بحقٍّ تعبيرًا صادقًا عمّا يجول بقلوبهم ، وتحمله صدورهم من آمالٍ وآلام ، وما يعانون من وحشةٍ وغربةٍ ، فهذا الصحابيّ خبيب بن عدي . رضي الله عنه . يأسره كفار قريش غدرًا ، ويجمعون على تعذيبه ، ومن ثمّ صلبه ، فصاروا يقطعون من جسده الطاهر ، والدم يقطر منه ، وهو ثابت كالطود ، لا يزعزعه ذلك ، ولا يثنيه عن دينه ، لكنه في النهاية إنسان من جسد وروح ، يحسُّ ويتألم ، لكنه إنسان مؤمن لا يشكو غربته إلى بشر مثله ، بل يشكوها لله الواحد الأحد ، فكانت الصورة التي سجلها مثالا يحتذى لما يعانيه أصحاب المبادئ أمام قوى الظلم والاستكبار ، في كلِّ زمان ومكان ، يقول:[1]

لقد جمّع الأحزابُ حولي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كلَّ مَجْمَعِ
وقد جمّعوا أبناءَهم ونساءَهم وقرِّبْتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّع
إلى الله أَشكو غُربتي ثمَّ كرْبتي ما أَرْصَدَ الأحزابُ لي عند مصرعي
ولستُ أبالي حين أُقْتَلُ مسلمًا على أي جَنْبٍ كان في الله مصرعي

والحنين إلى الوطن قد لا يرتبط دائما بالآم الغربة ومتاعبها ، والظلم الذي قد يتعرض له الغرباء ، فقد يكون المغترب معززًا مكرمًا ، لكنه يحنُّ إلى وطنه ويشتاق له ، فالمسلمون في المدينة المنورة ، كانوا يكرمون بلالاً الحبشيّ ، باعتباره سيدا من سادات المهاجرين ، لما تعرض له من عذاب لا تطيقه الجبال ، في سبيل دينه ورسوله ، إلا أنّه أخذ يحنُّ إلى مكة ، حيث نشأ ودرج ، ويودُّ أن يبيت فيها ، على الرغم مما عاناه فيها من أذى المشركين قبل هجرته ، وعلى الرغم مما ينعم فيه من نعيمٍ روحيّ بصحبة رسول الله . ﷺ . وصحابته الكرام ، إلّا أنه يحنُّ إلى مكة ، وما فيها من مياه وجبال يقول:[2]

---

[1] انظر: ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميريّ ، السيرة النبوية ، دار ابن الهيثم ، القاهرة : 2006م ، 3/ 68 .

وابن الأثير ، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار المؤيد ، الرياض ، 148/2. 150.

وابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكنانيّ ، الإصابة في تميز الصحابة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1972م ، 5/ 267 –268.

[2] انظر : الحمويّ ، ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1993م ، 183/5.

ألا ليتَ شِعْرِي هل أبيتَنَّ ليلةً بفـجٍّ وحـولي إذْخِـرٌ وجليلُ
وَهَـلْ أَرِدَنْ يـومًا مـياهَ مِجُـنَّةٍ وهَل تبْدونْ لي شامةٌ وطفيلُ

وهذا الصحابي الجليل عبدالله بن أم مكتوم ، يغلبه الحنين ، وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ . وقت الهجرة ، فيتذكر وطنه مكة ، وأهله فيها ، يذكر الأرض التي شبَّ فيها ؛ لأنَّه يعرفها حقَّ المعرفة ، وليس بحاجة فيها إلى هادٍ أو دليل ، إذا ما مشى فيها ، يقول:[1]

يا حبذا مكة من وادي أرض أهـــلــــي وعوّادي
أرضٌ بها ترسخُ أوتادي أرضٌ بها أمـشي بـلا هـادي

وما أعظم المصيبة على الإنسان العادي الذي يموت غريبًا عن أهله ووطنه ، فكيف هو الحال مع فارس شاعر ، خرج للجهاد في سبيل الله ، تاركا الدنيا وما فيها خلف ظهره ، ومِن أروع صور هذا المعنى وما يتصل به الشاعر المجاهد (مالك بن الريب) الذي كان يغزو في خراسان ، فلسعته أفعى ، فأخذ يجود بأنفاسه الأخيرة ، وحين شعر باقتراب أجله ، قال قصيدة طويلة عصماء ، ناح فيها على نفسه بألمٍ وفجيعة ، وشكا فيها غربته وهو يموت وحيدًا غريبًا ، حيث لا أهل ولا وطن ، يقول:[2]

ألا ليْـتَ شـِعْـري هـل أبيتنَّ ليلــة بِجَنْبِ الغَضا أُزجي القلاصَ النَّواجيا
فليت الغضا لـم يقطع الّدْربَ عَرْضُهُ وليت الغضا مـاشـي الرِّكـابِ لياليا
تَذكـرت مَـنْ يَـبكي عليَّ فـلـم أجـد سـوى السَّيـفِ والرُّمحِ الرُّدينـي باكيا
أقـلِّبُ طـرفـي فـوقَ رَحْلي فلا أرى بـه مـن عـيـونِ الـمؤنسـاتِ مُراعيا
وبـالرَّمل مـني نـسـوةٌ لـو شـهدنَـني بَـكَـيْـنَ وفـدينَ الطَّبيـب الـمُداويـا
فمِـنـهـنَّ أمي وابنـتاهـا وخـــالــتـي وبـاكـيةٌ أخـرى تُـهـيـج الـبـواكـــيـا

والأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد ، المستطرف ، في كلِّ فن مستظرف ، دار الحياة ، بيروت ، 1988م ، 62/2 . وحور، محمد إبراهيم ، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1973 ، ص 149.

[1] الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1994 ، 165/23، ومعجم البلدان 183/5.

[2] انظر: القاضي ، النعمان عبد المتعال ، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965م ص 169 . والأصفهانيّ ،أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني ، مصدر سابق ، 332/22. 334. والقاليّ ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ، كتاب الأمالي في لغة العرب ، دار الكتب العلّمية ، بيروت ، 1978م ، 135/3، وطريفي ، محمد نبيل ، ديوان اللصوص في العصرين الجاهليّ والإسلامي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م ،2/ 177.

لقد شكا الشاعر الغربة والبعاد ، وشّعَر بالشوق والحنين إلى دياره وأوطانه ، وحين شارف على الموت . لا يتمنى شيئاً في تلك اللحظات القاسية إلا أن يزور بلاده ، وينام فيها ليلة ، وحين رأى نفسه غريبًا وحيدًا بكى على نفسه ، وحنّ إلى الذين كانوا يشفقون عليه في حالته تلك ، وهن أمه وأخواته وخالته ، اللواتي يظنُّ أنهن لو شهدن مصرعه ، لبكينَ عليه وفدينه ، وكذلك زوجته التي كان بكاؤها يهيج بقية البواكي .

وهذا عبد الله بن الدمينة (ت 130هـ ، 747م) في قصيدته المشهورة (ألا يا صَبا نجدٍ) . يتنسم هواء وطنه العليل ، فتثور عواطفه ، ويزداد وجدًا على وجد ، وتشتعل ذكريات نجدٍ في فؤاده ، فيتوجه إلى ريح الصَّبا يناشدها في كلِّ ما في نفسه من لوعةٍ وحنين أن تشاركه شوقه ولهفتة ، يقول:[1]

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ ... لقد زادني مَسْراكَ وجدًا على وجدي

أَأَنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ في رونقِ الضُّحى ... على فننٍ غضِّ النَّباتِ مــن الرَّنْدِّ

بَكَيْتَ كما يبْـكـي الوليدُ ولم تَكـُـنْ ... جليدًا وأبديتَ الــذي لم تَكُنْ تُبدي

ويذوب الشاعر شوقًا وحنينًا بسبب الوجد وحرارته فيقول:[2]

بَكَيْتَ كما يبكي الحزين صبابةً ... وَذُبْــتُ مِـن الشَّوق المبِّرحِ والصَّدِّ

ونراه ينفي الاعتقاد الراسخ بأنَّ المحبُّ إذا دنا من حبيبه يملّ منه ، وأنَّ النأي (البعد) يشفي من شدّة الشوق . فهي عنده مزاعم لا صحة لها ، لما شهده هو على أرض الواقع ، فمن خلال التجربة التي مرّ بها الشاعر، يقرر أنّه تداوى بكلِّ شيءٍ فلم يشفَ ما به ، على أنّ أفضل ما جربه هو القرب من الحبيب الذي هو خير من البعد عنه ، يقول:[3]

وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا دنا ... يـَمَـلُّ وأنّ النَّـأيَ يَـشْـفي مـنَ الـوجـدِ

بكلِّ تداوينا فـلـم يُشْفَ ما بنا ... علـى أنَّ قُرْبَ الدَّارِ خـيْـرٌ من البُعْـدِ

وإلى مأساة شاعر ، حكمت عليه ظروفه أن يدخل السجن لجرم ارتكبه ، فسجن للقود ، وطال حبسه ، شاعرنا هو هدبة بن الخشرم ، الذي يصّور قساوة العيش في السِّجن ؛ إذ

---

[1] عبدالله بن الدّمينة ، ديوانه ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق : أحمد راتب النّفّاخ ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1959م ، ص 86.

[2] المصدر السابق ، ص 86.

[3] المصدر السابق ، ص 86.

المنيَةُ متوقعة ، ويشتاق لأهله، متمنياً أن تكون الرياح الواسطة بينه وبينهم ، تذهب إلى أهله تخبرهم عنه ، وتأتي بأخبارهم إليه، يقول:[1]

ألا ليت الرياح مسخَّراتٌ بحـاجتنا تُباكرُ أو تَؤوبُ

فَتُخْبِرُنا الشِّمالُ إذا أَتَتْنا وتُخْبِرُ أهلَنا عنا الجَنوبُ

وكانت زوجته هي المتنفس عن أحزانه وهمومه ومحنته ، فذِكرُها وسيلة للحديث عن عواطفه وإحساساته ، فهي سلوته وراحة نفسه ، فيذكرها ويناجي طيفها ، ويتذكر أيامها ويشكو بعادها ، يقول:[2]

طَرِبْتَ وأنـت أحيانًا طَـروبُ وكيف وقد تـعلاّك المشـيْبُ

يُجِدُّ النَّأيُ ذِكْـرَكِ في فؤادي إذا ذَهلَتْ عـن النأي القلوبُ

وكم من صاحبٍ قد بات عنّي رُمـيتُ بِفَقْـده وهـو الحـبيبُ

فلمْ أُبْدِ الـذي تحنو ضلوعـي عـليـه وإنّـني لأنـا الكَـئيـبُ

فَبَعْدَكِ سَـــدَّتِ الأعداءُ طُرقًا إلــيَّ ورابـني دهــرٌ يُـريـبُ

وأنـكرتُ الزَّمـانَ وكـلَّ أهــلي وهـرَّتني لغَيْـبَتُـك الكـليبُ

وقد يغترب الإنسان عن وطنه ، وقد يجول في الدنيا ، وقد يرى في تجواله مشاهد من الجمال لم يرها في وطنه ، ولم يألفها في بيئته ، إلا أنَّ مشاعر الحنين إلى وطنه تثور في نفسه ، وتستبد بكيانه ، فيبقى قلبه متعلقًا بدياره التي كانت مسرحًا لحياته ، وهذا ما حدث لميسون بنت بحدل الكلبيّة ، تلك المرأة ذات القصة المشهورة المعروفة ، وهي المرأة التي نأت بها ديار الغربة ، فانتقلت من موطنها في بادية الأردن ، لتحطّ في دمشق عند الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فتزوجها ، ونالت عنده المكانة العظيمة ، وأسكنها قصرًا مدهشاً في غوطة دمشق . فنظرت إلى الغوطة وأشجارها ، وسمعت غناء الطير في أوكارها ، فتذكرت باديتها ، وحنت إلى أترابها وأناسها ، وتذكرت مسقط رأسها ، الذي ظلّ يجذبها إليه ، فبكت وتنهدت ، فقالت لها بعض حظاياها: ما يبكيك وأنت في مُلك يضاهي مُلك بلقيس؟؟[3]، فقالت:[4]

لَـبَيْـتٌ تَخْـفــقُ الأرواحُ فــيــه أحبُّ إليَّ مــن قّصْرٍ مُنيفِ

---

[1] شعر هُدْبة بن الخشرم العذريّ ، جمع وتحقيق: يحيى وهيب الجبوري ، ط2 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1986 ، ص 58 . 63 .

[2] المصدر السابق ، ص 58 - 63

[3] انظر القصة : الحمويّ ، ياقوت ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، 487/2 .

[4] يموت ، بشير ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، مرجع سابق ، ص 157-158.

وبِـكـرٌ يَـتْبَـعُ الأظـعـانَ ســـقْبًا   أحبُّ إليّ مـن بغْـلٍ زفوفِ

وكـلـبٌ يَـنبَحُ الطُّـراقَ عـنـــي   أحبُّ إليَّ مــن قـطٍّ أليـــفِ

وأَكْـلُ كُسيْـرَةٍ فـــي كِـسْرِ بَيْتي   أحبُّ إليَّ مـن أَكْـلِ الرَّغيفِ

وأصْـواتُ الرِّيـاح بِـكـــلِّ فَجٍّ   أحبُّ إليَ مــن نـقْرِ الدُّفوفِ

خشونةُ عيشتي في البدو أشهى   إليَّ مـن الـعيشِ الطــريـفِ

فما أبغي ســـوى وطني بديلاً   وما أبهاه مـن وطنٍ شريـفِ

وننتقلُ إلى رجلٍ ساقه حظه ليكون مؤسسًا للدولة الأمويّة في الأندلس ، بعد أن كابد الأهوال في هروبه من بني العباس، الذين قضوا على دولة أجداده وآبائـهِ ، فاتجه غربا، وساعدته الظروف ، وجرأته وحنكته على أن ينجح في التحول من رجل شريد طريد ، إلى ملك نال بجدارةٍ لقب (صقر قريش) ، إنّه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، هذا الرجل الذي كان صارمًا جادًا ، لا يكاد يعرف الابتسام والبشاشة لكثرة ما رأى في حياته من مآسٍ ومصائب، هذا الرجل الصارم الجاد القاسي ، يرى نخلة في قصر الرصافة بقرطبة ، فيحنُّ إلى بلاده في المشرق ، ويرى نفسه غريباً كهذه النخلة ، فيعقد مقارنة بينه وبينها ، فيقول:[1]

تبدتْ لـنـا وسطَ الرّصافـةِ نـخـــلةٌ   تنـاءتْ بأرضِ الْغَرْبِ عن بلـدِ النَّخْـلِ

فقلتُ شبـيهـــي فـي التَّغرُب والنَّـوى   وطـولِ التّنائي عـن بنيَّ وعــن أَهلي

نـشأتِ بأرضٍ أنـتِ فـيـهـا غـريـبـةٌ   فَمِثْلُكِ فـي الإقصاءِ والمنتأى مـثـلـي

سقتْك غوادي المُزنِ من صوبها الذي   يــســـحُّ ويستمـــري السّماكين بالويلِ

يـا نَـخْــلَ أنـتِ غـريـبـةٌ مثـــلـي   فــي الـغـربِ نـائـيـة عــن الأهــلِ

فَـاْبكـي وهـل تَـبـكي مُكَـمَّـمــةٌ   عـجـمـاء لم تُـطبـعْ عــلى خـتـلِ

لـــو أنَّـهـــا تَـبكـــي إذن لـبكـتْ   مـاءَ الـفُـراتِ وَمَـــنْـبـتَ النَّـخـــلِ

ويتساءل ابن درّاج القسطليّ (347 . 421هـ ، 958- 1030م) متى ستنتهي غربته ، ومتى سيكفّ عن الرحيل؟ فليس له وطن يستقر فيه ، وليس له بين الناس مكان ، فهو كالوليد الذي فطم عن الرضاعة قبل أوانه ؛ لأنّه كثير الترحال ، فالعام عنده كيوم ، واليوم عنده كعام ،

[1] المقريّ ، أبو العباس أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، دار صادر ، بيروت، 1982م ، 716/2.

فاليوم الذي شبه العام هو يوم الهمّ والقلق الذي لا ينتقص ، والعام الذي كيوم هو يوم اللهو والاستقرار ، الذي هو في نقصٍ دائم ، يقول:(1)

وحَتَّام النّوى تهـوي برحـلي ... وقد عــقَدَتْ بذمَّـتهِ ذمـامي
فـليـسَ لـنـا وطـــنٌ مَـرَدٌّ ... ولا فـي دارِ قـومٍ من مُـقـامِ
ولا حلّـت بـنــا دارٌ فَـزادَت ... عــلى ذاتِ الحـوافرِ والسِّنامِ
مخــاضٌ ما لـمولدِهِ رَضاعٌ ... وتَــرْحــال أمَرُّ مـن الــفِطامِ
وعـامُ مُقامنـــا عــامٌ كيومٍ ... ويـوْمُ رحـلـيـنـا يـومٌ كـعــامِ
كيوم الهمِّ ليس بــذي انتقاصٍ ... ويوم اللهـو ليس بـذي تمـامِ

ومن الشعراء الذين برزت في شعرهم ظاهر الحنين بشكل لافت ابن عنين الأنصاريّ (549 . 630 هـ ، 1154 . 1232م) ، فقد حنَّ إلى دمشق التي نُفِيَ منها ، وأُبْعِدَ عنها ، فقال متشوقًا إليها ، شعرًا حزينًا ، مظهرًا ما يكتنفه إليها من شوق شديد ، واصفًا طول الليل ، وعدم مجيء النهار جرّاء ما يعاني من أرق وقلق ، متمنيًا العودة إلى بلدته (مقرى) ، حيث الأمان والاستقرار ، يقول:(2)

حنينٌ إلى الأوطانِ ليسَ يـزولُ ... وقلبٌ عـنِ الأشـواقِ لـيسَ يحولُ
أبيتُ وأســرابُ النّجـومِ كـأنَّـها ... قـفـولٌ تــهـادى إثرهنَّ قــفــولُ
أراقبها في الليلِ مـن كلِّ مطلعٍ ... كــأنَّي بِـرعـي السَّـاتـراتِ كـفـيلُ
فيالك من ليلٍ نأى عنه صبحُـهُ ... فـلـيـسَ لـه فــجــرٌ إلـيــه يؤولُ
ألا ليت شِعْـري هـل أبيتنَّ ليلةً ... وظـلُّك يـا مـقـرى عـليَّ ظَلـيـلُ
وهل أَرَيني بعدما شطت النَّوى ... ولـي فـي رُبى روضٍ هـناك مَقْـيلُ
دمشقُ فبي شـوقٌ إليها مـبرحٌ ... وإنْ لَــجَّ واشٍ أو ألــحَّ عــــذولُ

ويبكي أبو البقاء الرنديّ (601 – 684هـ ، 1204– 1285م) لحديث جرى بينه وبين غيره ، بلاده ، وَيتحسر على صباه وشبابه ، فقد هاجت ذكرياته وجرى دمعه غزيرًا ، يقول:(3)

غـريبٌ كلّـما يلـقـى غـريـبٌ ... فــلا وطــنٌ لـديــه ولا حــبـيـبُ

---

(1) ابن دراج القسطليّ ، أحمد بن محمد بن أحمد ، ديوانه ، تحقيق محمود مكي ، ط2 ، 1970م ، ص 193 . 194.

(2) ابن عنين الأنصاري ، شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاريّ ، ديوانه ، تحقيق : خليل مردم بك ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1959م ، ص69.

(3) ابن الخطيب ، لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه : محمد عبدالله عنان، ط2، مكتبة الخانجيّ ، القاهرة ، 37/3.

تـذكّر أصلهُ فبكى اشـــتياقًا | وما بغريبٍ أن يبكي غريـــبُ
ومما هـاجَ أشـواقي حــديثٌ | جـرى فَجـرى الدَّمع السّـكوبُ
ذكرتُ به الشَّباب فشقَّ قلبي | ألم ترَ كـيــفَ تـنشقُ القـلوبُ
على زمنِ الصِّبا فليبْكِ مثلي | فمـا زمن الصِّبا إلا عــجيـبُ
جَهَلْتُ شبيبتي حتَّى تـولَّـت | وَقَدَرُ الشَّيءِ يُعْرَفُ إذ يغــيبُ
ألا ذَكَـرَ الإلــهُ بـكـلِّ خـيرٍ | بــلادًا لا يـضـيـعُ بـهـا أديـبُ
بــلادٌ مـاؤهـــا عَـذْبٌ زلالٌ | وريـحُ هـوائهـا مــسْكٌ رطيبُ
بها قلبي الذي قلبي المُعَنَّى | يـكادُ مـن الحـنينِ لـَـهُ يـذوبُ

وقد وقفت على أبيات في غاية الرّقة للشاعر علي بن المقرب العيونيّ (572 . 629هـ ، 1176 . 1231م) أرسلها لابنه المسافر، يبثُّ فيها أشواقه وحنينه إليه ، ويطلب منه العودة إلى بلده ، فيقول:[1]

بُنَيَّ مُذْ غِبْتَ عن عَيْنيَّ مـا عَرَفَتْ | غَـمْضًا ولا بــتُّ إلا سـاهـــراً دَنْــفـا
ولا سَمِعْتُ بِشَخْصٍ آبَ مـن سفـرٍ | إلا حَـنَنْـتُ وأعلَـنتُ البـُكـا أسَــفـا
قضى أخـوكَ حسينٌ نَحْبَهُ ومَضى | فَـــهَــل سِـواكَ تــراهُ لـــي خَــلـفـا
ما مَرَرْت بِقَبْرٍ مُـذْ فُجِعْــتُ بــه | إلا وصِحْتُ بأعـلـى الصَّوتِ والـهـفـا
فارحَمْ أباكَ فـلـو أبْصَرْت عَــبْرَتَهُ | فَكـلَّـمـا كـفَّ من شـأنٍ لـهـا وكَـفـا
قـدْ أقْرَحَ الدَّمْعُ جَفْنَيهِ وقَـدْ وَهَـنَتْ | مـنه العـظامُ واضحـى الجسمُ قـد نَحُـفـا
شيخٌ أناف عـلى السبعـينَ حلَّ بـه | ثُـكْــلٌ وشَـــوْقٌ فـإن داما فـوا تـلـفـــا
فَـرِقَّ لـي وارثُ مـما أكـــابـدهُ | شـــوقًا إلــيـكَ وَحُـزْنـا لـلذي سَلَـفَــا
وَكُنْ جـوابَ كِتابي حــيـنَ تَنْشُرهُ | وَأمُـر بِـشَـدٍّ ولـمّـا تَـبلُغِ الطَّــرَفَـــا
ولا تــكَلَّف لـرزقِ غُـرْبَةٍ وشَــقــا | الـرِّزْقُ آتٍ فـلا تـحـمـل لــه كَـلـفــا

وكان نفي محمود سامي البارودي (1835 – 1904) سببًا لكثير من قصائده حول الغربة والحنين ، فقد انقطع عن موطنه وأهله وأصدقائه ، فأخذ ينفث أحاسيسه في قصائد كثيرة

[1] ابن المقرّب العيوني ، ديوانه ، طبعة الهند ، 1310هـ ، ص 279.

يمتلئ بها ديوانه الضخم ، وتفيض بالحنين لوطنه وذكرياته ومن ذلك قوله وهو في سرنديب يتشوق إلى وطنه:[1]

هل من طبيبٍ لداء الحبِّ أو راقي يَشفي عَليلاً أخا حُزْنٍ وإيراق
قد كان أبقى الهوى من مهجتي رمقا حتَّى جرى البَيْنُ فاستولى على الباقي
حُزْنٌ برانـي وأشواقٌ رعت كبدي يا وَيْحَ نفسي من حُزْنٍ وأشواقِ
لا في (سرنديب) لي خِلٌّ ألوذ بهِ ولا أنيسٌ سوى همّي وإطْراقي
يا "روضة النيل" لا مَسَّتْكِ بائقةٌ ولا عَدَتْكِ سماءٌ ذاتُ أغداقِ
ولا بَرَحْتِ منَ الأوراقِ في حُلَلٍ من سُنْدسٍ عبقريِّ الوَشْيِ بَرَّاقِ
يا حبّذا نَسمٌ من جوِّها عَبِقٌ يَسْرِي على جدولٍ بالماءِ دفَّاقِ
مَرْعى جيادي ومأوى جيرتي وحِمَى قومي ومَنبِتُ آدابي وأعراقي

ويؤكد تعلقه بوطنه ، وبأهله الكرام ، فهو يحمل لهم المودة ، ويشفق عليهم ، ولا ينسى ذكرياته معهم ، يقول:[2]

وكيف أنسى ديارًا قدْ تركتُ بها أهلاً كرامًا لَهُمْ وُدِّي وإشفاقي
إذا تذكرتُ أيامًا بهمْ سَلَفَتْ تَحدَّرتْ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ آماقي
فيا بَريدَ الصِّبا بَلِّغَ ذوي رحتمي أنّي مُقيمٌ على عَهْدي وميثاقي
فيا لها ذُكْرَةً شَبَّ الغرامُ بها نارًا سَرَتْ بَيْنَ أرادني وأطواقي
عَصْرٌ تولّى وأبقى في الفؤادِ هوىً يَكادُ يَشْمَلُ أحْشائي بإحْراقِ

وعانى أمير الشعراء أحمد شوقي (1869– 1932م) من التجربة ذاتها، التي مرَّ بها الباروديّ ، فكان نفيه إلى الأندلس (إسبانيا) ، ومعاناته الغربة ، سببًا لما سمّي (بأندلسيات شوقي) ، تلك القصائد التي يّعْزف فيها على وتر الغربة والحنين ؛ إذ اشتدَّ به الحنين إلى الوطن ، وطال به الشوق ، وملك عليه جوارحه وأنفاسه ، ولم يجد من سلوى سوى شعره ، يبثه لواعج نفسه ، وخطرات فؤاده، وظفرَ الشعر العربيّ بقصائد تعدُّ من روائع الشعر تعبيرًا عن الغربة والحنين للوطن ، وذكريات الماضي، لعلَّ أشهرها قصيدته التي عنوانها "الرحلة إلى

---

[1] الباروديّ ، محمود سامي الباروديّ باشا ، ديوانه ، حققه ووظفه وشرحه علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، 1998م ، ص 371.

[2] المصدر السابق ، ص 372.

الأندلس" ، أو ما تعرف بـ (سنيّة شوقي) ، وقد بلغت مئة وعشرة أبيات ، تحدث فيها عن الأندلس ومجدها ، وعن مصر ومعالمها، وبثَّ حنينه وشوقه إلى رؤيتها ، ومن ذلك قوله:[1]

اخْتلافُ النَّهارِ واللّيل يُنْسي ... إذكُرا لي الصِّبا وأيام أُنْسي

وصفا لي مُلاوَةً من شبابٍ ... صُوِّرت من تصوراتٍ ومَسِّ

وسلا مصر : هل سلا القلبُ عنها ... أو أسَا جُرْحَهُ الزَّمانُ المؤسّي

كُلَّما مرَّت اللّيالي عليه ... رقّ والعَهْدُ في الليالي تُقَسِّي

مُسْتطارٌ إذا البواخرُ رَنَّتْ ... أوَّلَ اللّيلِ أو عَوَتْ بَعْدَ جَرْسِ

يا ابْنَةَ اليَمِّ ، ما أبُوكِ بخيلاً ... ما لَه مُولَعًا بِمَنْعٍ وَحبْسِ

أَحَرامٌ على بلابِلِهِ الدَّو ... حِ حلالٌ على الطيْرِ من كلِّ جنسِ

كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهْلِ إلا ... في خَبيثٍ من المذاهبِ رِجْسِ

نَفَسِي مِرْجَلٌ وقلبي شِراعٌ ... بهما في الدُّموعِ سِيْري وأَرسْي

ولعلَّ الحنين إلى الوطن في شعر العرب كله ، أبرز ما نجده بقوةٍ وعنف ، وبرِّقة وعمق في شعر المهجر ، بشقيه : الجنوبيّ والشماليّ ... فالعربيّ اللبنانيّ والسوريّ الذي نزح عن دياره ، يحمل بين جنبيه طموحًا أعرض من الفضاء ، وآمالاً أطول من أشعة الشمس ، اصطدم في المهجر بالمادية الصارخة ، والحياة ألآلية المزعجة ، التي لم يألفها في الشرق ... فلم يلبث أن شعر بفراغٍ عظيم في قلبه وفي حياته ، فجعل يتذكر قريته الهانئة الوادعة ، ويحنُّ متلهفًا إلى مرابع صباه ، حيث الحياة الهادئة البسيطة ، والطبيعة الباسمة .[2] فهذا بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) ، (1903- 1981). وهو بعيد عن وطنه ، "يتقطع ألمًا ، فالألم أقوى ملهمات الشاعر ، عاش مغتربًا في فيينا واسطنبول وبيروت ، وإنَّ لنا في أثناء غربته شعرًا غزيرًا مبدعًا ، عبّر فيه عن وطنيته الصادقة ، وانتمائه للشام ، وارتباطه بأرضه وقومه"[3]

وقد حفزتني مقالة عبد الهادي صافي للعودة إلى ديوان الشاعر بدوي الجبل، للاطلاع على المزيد من تجربته ومعاناته في الغربة، حيث وجدت له قصيدة تعدُّ من روائعه ، نظمها في فيينا ، وبثَّ فيها حنينه وشوقه لأهله وذويه ، تلك هي قصيدته (البلبل الغريب) التي تقع في

---

[1] شوقي ، أحمد ، الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات) دار العودة ، بيروت ، 1988م ، 46/1 . 48.

[2] الناعوريّ ، عيسى ، أدب المهجر ، الناشر : وزارة الثقافة ، عمان / الأردن ، 2011 م ، ص 37.

[3] صافي ، عبد الهادي عبد العليم ، الغربة والحنين في شعر بدوي الجبل ، مجلة العربيّ ، العدد 643 ، حزيران 2012 ، ص 118.

ستة وخمسين بيتًا ، وهي تُعَدَّ . بِحقٍّ . من روائع ما قيل في الحنين للحَفيد ؛ إذ أهداها لحفيده محمد ، يقول:[1]

وسيمًا من الأطفالِ لولاهُ لَمْ أَخَفْ	على الشّيْبِ أن أَنأَى وأن أَتَغــرَّبا
تودُّ النُّجومُ الزّهَرُ لــو أنّها دُمَىً	ليخْـتــارَ منهـا المترَفاتِ وَيَلْعـبا
وعندي كُنوزٌ من حـــنانٍ ورحمةٍ	نَعيميَ أنْ يُـغْرَى بـهنَّ وَيَـنْهَـبـا
وإنْ نــالــهُ سُــقْمٌ تمنَّيتُ أنَّـنــي	فِـداءً لـه كُـنْـتُ السَّقيـمَ المُعَذبا
كَزُغْبِ القطا لو أنَّـــه راح صاديا	سَكبْتُ لـه عيني وقلْبـي ليشْربَا
وَأوثرُ أن يـرُوى ويَشْبـعَ نـاعــمًا	وأظمأ في النُّعْمَى عـلـيــه وأسْغَبا

ويستمر بدوي الجبل بالعزف على وتر المحبة للحفيد ، ويصدح بأجمل عبارات الشوق والحنين ، ويصور شدة اللوعة والأسى في بعاده عن حفيده ، الذي أحبّه وغالى في حبّه وتقديره إلى درجة التقديس ، يقول:[2]

وأَلْثِمُ في داجٍ مِن الخَطْبِ ثَغْرَهُ	فأَقطِـفُ مِـنْهُ كَوْكَبًا ثُمَّ كَوْكَبـا
يَنامُ على أشْــواقِ قَلْبي بِمَهْدِهِ	حَريرًا من الوَشْيِ اليمانيِّ مُذْهَبا
وأُسْـدلُ أجْـفـانــي غطاءً يُظِلُّهُ	ويــا لـيتـهـا كـانتْ أحَنَّ وَأَحْدَبا

أمّا رياض المعلوف (1912– 2002م) ، فيصف رحلة المغترب بالتفصيل ، فيذكر تحرك السفينة به إلى مغتربه، ولحظات الوداع ، وأسباب الرحيل ، والشقاء ثم الرخاء ، والجشع والطمع ، ثم الغربة والحنين عند الأجداد والآباء والأحفاد ، يقول بقصيدة حملت اسم (المغترب):[3]

أَقلَعَتْ السَّـفـيـنُ وأزفَّ الـوداعُ	فـقـلـبُهُ حـزيـنٌ وفَكْـرُهُ ملتـاعُ
مقطّبُ الجبينِ محطّمُ الأضلاعِ	ذو نظرٍ شرودْ
وَمَدْمَعٌ هتانُ	ضاقـتْ بـــه البلادُ فـقرّر السّفرْ
ما أظلمَ البعادَ وأفجعَ القدرْ	نـهـارُهُ جِـهـادٌ ولـيلـه ســـهـرْ
كي يكسبَ النقودَ	والأصفرَ الرّنان
أبقى هنا أمَّهُ والأختَ والإخوان	أوصى بهم عمَهُ والصَّحْبَ والجيران

---

[1] بدوي الجبل ، محمد سليمان الأحمد ، ديوانه ، دار العودة ، بيروت ، 1958 ، ص 60 . 61.

[2] المصدر السابق ، ص 161.

[3] المعلوف ، رياض ، ديوان: (زورق الغياب) ، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1955، ص 92.

كم أمعنوا ضَمَّهُ بِقُبَلِ التّحنان	قال لهم أعود
ما شأني الهجران	تبًّا لَـهُ درهم فـي كَسْبـه الشّـقاءْ
مُغَـمَّـس بالدَّم بـالـكـدِّ والعـياءِ	مـن أَجْـلِـهِ نهـتـمُ ونـبـذلُ الحياءْ
وننزل اللحود	وَجَبينُا ظمآن
في جَمْعِه النقود	ما أَطمعَ الإنسان!!
لا لَيْسَ من جيوبٍ لهذه الأكفان	فاي متى يؤوبُ إلى حمى الأوطانْ
فاشتاقت القلوبُ إليه في لبنان	فتربة الجدودْ
في حُبِّها الإيمان	فـأنـجـبَ الـبنينَ كـلّهم أغرابْ
لسانُهُم رطين في لغة الأعراب	يحدو بهم حنينٌ لتربة الأحباب
لم ينكروا الجدودَ	ولا ثرى الأوطانْ

ومع أنَّ لغة الشاعر تكاد تَسُفُ، إلا أنَّ دقة وصفه لحال المغترب، تسمو بالمعاني والأفكار، التي أرادها وألحّ عليها ، كي يأخذ غيره العبرة مما جرى له ، ويفكروا كثيرًا قبل أن يقدموا على ما أقدم عليه.

وقد فجّرت مأساة فلسطين ينابيع الشّعر، لتظهر حسرات وأسى في شعر شعرائها ، الذين تتابعوا منذ حدثت النكبة ، وإلى أيامنا هذه يصورون حنينهم الطاغي إلى وطنهم السليب ، تلدغهم اللوعة لفراقه قسراً ، بعد أن تآمر العالم شرقًا وغربًا على وطنهم وعليهم ، يقول محمود سليم الحوت : (1335 . 1410 هـ ، 1916 . 1989م) في الحنين إلى بلدته يافا ، وغيرها من مدن فلسطين:[1]

يافا لقـد جفَّ دمعي فانْتَحَبْتُ دمـا	متى أراك ؟ وهل في العمر مـن أَمَدِ
أُمْسِي وأُصبِحُ ، والذكـرى مُجدّدةٌ	محمولةٌ في طوايا النَّفْـسِ للأبـدِ
كيف الشّقيقاتُ ؟ واشـوقي لها مُدُنا	كـأنَّـهـا قِـطَـعٌ من جَـنَّـةِ الـخُـلْد
وكَـيـف مـن تبقى فـي مرابعـهـا	وقـدْ تـركـنـاه فـيها تـرك مُـلْـتَحَـد
ما بالُ قلبي إذا ما سِرْتُ من بلـدٍ	وَجَـدتـه هـازئًا بالـعـيـشـةِ الرّغـدِ
تعبتُ ، لكـنني ما زلت فـي تعبي	أشـكو إلـى الله لا أشكو إلى أحـدِ

[1] محمود سليم الحوت ، ديوان (ملاحم عربيّة) ، دار الكتب العربيّة ، بيروت ، 1958م ، ص 123.

ويطالب عبد الكريم الكرميّ (أبو سلمى) ، (1910- 1980) ، ألا يسأله أحدٌ عن شوقه لوطنه فلسطين ، ومشاعره نحوها ، فهي معه لم تفارقه لحظة ، وهو يعتزُّ بالانتساب لها ، ويأبى أن ينتسب لغيرها ، يقول:[1]

لا تّسَلني فَلن أطيقَ جوابا	كيف أبكي الدِّيارَ والأحبابا
كُلّما لاحَ من فلسْطينَ بَرْقٌ	خَفَقَ الْقَلْبُ في القَصيدِ وذابا
قَسَمًا بالإله إنّا حَمَلْنا	يا فلسطينُ في هواكِ العَذابا
وإذا ما سَألْتِ عنا انْتَسَبْنا	وأَبَيْنا إلا إليكِ انْتِسابا
ما بَعُدْنا عن طِيْبِ أَرضِكِ إلاّ	زادنا البُعْدَ من ثراكِ اقترابا
هذه دارُنا فيا وَحْشَةَ الدارِ	إذا لم تَسْتَقْبِلِ الغُيَّابا

لقد جلنا في ما سبق مع شعراء كثر ، في مختلف العصور الأدبيَّة ، وفي بيئات مختلفة ، بدءًا من العصر الجاهليّ وإلى عصرنا الحديث ، وقد قصرنا الحديث على هؤلاء الشعراء ، لضيق المقام هنا ، كما أردنا أن نوضح كيف أنَّ هذه الغربة قد تأثر بها الشعراء عبر أزمان طويلة ، فاختلفت بذلك المعاني ، وتلونت الأساليب ، إلا أنَّ المعاناة واحدة ، والجرح واحد ، فكل الشعراء السابق ذكرهم ، قد وقعوا في طريق الغربة ، فأحسوا بوطأتها ، وتحولت الحياة عندهم إلى حنين دائم ، وغربة مستمرة ، وإذا أردنا أن نلقي الضوءَ على الاغتراب بمعناه النفسيّ والروحيّ ، ونفرِّق بين غربة المكان وغربة الذات ، تتراءى أمامنا حالات كثيرة ، آثرت أن لا أتطرق إليها هنا ، وأن أفرد لها بابًا خاصًا في شعر الشعراء السعوديين ، ولا يعني هذا أنَّها ليست موجودة في الشعر العربي قديمًا وحديثًا ، فقد ظهرت عند عنترة العبسيّ . مثلاً . الذي يتمثل الاغتراب عنده في عدم التجاوب والتكيف الاجتماعي ، فهو قد عاش بين أهله وأقاربه ، ولكنه لم يجد منهم إلا الازدراء بغير جريرة له ، ولا ذنب ، فوصف حاله واغترابه في شعر غزير رقيق ، يترك بصمات واضحة في النفس ، وأشباه عنترة كثيرون في تاريخنا الأدبيّ.

[1] أبو سلمى ، عبد الكريم الكرميّ ، ديوان : (المشرد) ، ط2، دمشق ، 1963م ، ص 73.

5- الاغتراب في الشّعر السُّعوديّ:

سبق أن قلنا في ثنايا هذا البحث ، أنَّ الاغتراب الذاتي هو الأصل في كل اغتراب ، والشاعر السعوديّ كغيره من البشر ، تتنازعه هموم الحياة ومتاعبها ، فيشعر بالاغتراب مع النفس ، ومع الذات ، ويشعر بعدم التجانس ، وعدم التوازن مع أهله ومجتمعه ومثل هذه الحالة تتولد نتيجة عوامل وظروف وتراكمات نفسيّة كثيرة ، فقد تصيب الفقير ، والوزير ، والسفير ، وفي الشعر السعوديّ أمثلة كثيرة لكلَ ذلك ، فهذا الشاعر السفير ، محمد الفهد العيسى (1923 . ؟) يقول في قصيدته (دروب الضياع):[1]

أُفَكّرُ ..
أَغْرَقُ في حَيْرَةِ الفِكْرِ...
في اللاّ مدى ..
في المتاهات عَبْرَ الضَّياعْ
لا أَسْمَعُ إلاّ صدى
ضَياعْ ضَيَاعْ
وتَجْتاجُ نَفْسي رُؤىً مُفْزِعَةْ
وَتلْتَفُ حَوْلي جِبالُ الظَّلامِ
كما الْتَفَّتِ الجِنُّ بالزَّوْبَعَةْ
وَيصفَعُ سَمْعي ... عَويلُ الصَّدى
ضّيّاعْ ضَيَاعْ
أَيا نفسُ أَيْنَ دُرُوبُ الأمَلْ؟
دروب الخلاصْ
دروبُ الضِّياءْ.
ليخرس صَوتَ العويل الجبانْ
ونجتث بالفجر ليل الحذرْ

الشاعر يعبّر عن روحه التي تريد أن تنطلق ، وتتحرك ، وتقضي على كلِّ جمود أو توقف ، لكنه يغرق في لحظات التأمل والتفكير في هموم الروح والنفس ، وتمرّ عليه أوقات مليئة

---

[1] محمد الفهد العيسى ، ديوان (الإبحار في ليل الشجن) ، ط1 ، الكتاب العربي السعوديّ 21 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدّة ، 1980م ، ص67 . 68.

بالقلق والترقب والسّعي للخروج من شعوره بالضياع ، إلى عالم الخلاص ، وعالم الضياء ، فالشاعر تتنازعه أحاسيس الضياع والاغتراب ، ويبحث عن نقطة نور في حياة مزقها الضياع.

وهذه صنوه الشاعر السفير. غازي القصيبي (1940 . 2010م) يقول في قصيدته (قومي افتحي الباب):[1]

مدينـتي أنـتِ إنّي جـئـتُ مرتجفـا	من المدائن صَحْبي الرّيحُ والهلعُ
قومي افتحي الباب أقـدامي ممزَّقةٌ	من المسيرِ ووجهي السُّهدُ والوجعُ
لم يبقَ في الكـون ميناءٌ يُرَّحِبُ بي	أو خَّيمـةٌ لي وللأشعار تتسِعُ
كـلُّ الخدودِ الَّتي قد كُـنتُ أَسْكـنُـها	تقول ""من أنتَ يا هذا ؟ " وتمتقعُ
كـلُّ العيونِ الَّتي كانت تُـطارحـني	حُـبًّا تَطِلُّ وفي أهدابها فَزَعُ
كـلُّ الشِّفـاةِ جفـاني وردُها فـغَدَت	ولا سـلاف ولا شوق ولا ولـعُ
قومي افتحي الباب كاد الذِّئب يلحقُ بي	وعلّلت نفْسها من خَلْفِهِ الضَّبْعُ
وكاد هـذا النَّزيـفُ الثَّرُّ يَقـتلُـنـي	فـي كـلِّ زاويـةٍ من أضلعي بُقَعُ
قومي افتّحي الباب إن لـم تفتحيه غدًا	يَدُقُّـهُ شبحي الباكي فَـينخلعُ

القصيدة خطاب دافيء حزين، يوجهه الشاعر إلى مدينته التي نحسها أمًّا أو زوجة طيبة ، خطاب مفاده أنَّ الشاعر هارب من البلاد الغريبة ومدائنها صوب مدينته ، إنه يرتجف هلعًا وبردًا ، وهذا الارتجاف الحقيقي ، أو المجازي ، له ما يبرره ، من الريح و الخوف في البيت الأول ، إلى الأقدام الممزقة والسهد والألم ، إلى إحساس الشاعر باغترابه ، فما من ميناء وما من خيمة دافئة بالشعر والسمر . وقد بدأ الخطاب هادئًا نسبيًا ، ثم راح يتصاعد ويتوتر حتى بلغ أقصاه ، دون أن يخمد ، فالشاعر يعلو صوته محذرًا من يخاطبها بأنها إن ام تفتح الباب ، فإن شبحه سيدقه حتى ينخلع .

ويبدو الاغتراب عند القصيبيّ جليًا في قصيدته (الفرسان) ، التي جاء بناؤها على شكل مسرحية مكونة من اثني عشر مشهدًا ، تناول في كلِّ مشهد منها شخصية تاريخية كعنترة العبسيّ ، ومصعب بن الزبير ، وطارق بن زياد ... ليدلّل على صدمته من تاريخنا المعاصر ، زمن الخنوع والهزيمة ، إلى زمن يرى فيه العزّة والكرامة ، فهو يتقمص شخصياتهم ،

---

[1] غازي عبد الرحن القصيبي ، ديوان (ورد على ضفائر سناء)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1978م ، ص13 . 14 .

ويتحدث من وراء أقنعتهم ، فالشاعر يشعر بالضياع ، والإحساس بالأس والتشاؤم ، نتيجة الهزائم المتتالية لأمتنا المجيدة يقول مخاطباً ذاته:[1]

أرأيتِ فرسانَ الزَّمان ؟؟

يتأرجحون على ثرى التاريخ

ما بين الكرامةِ والهوان

بين الهتافاتِ المريرةِ بالضّغينّةِ والهتافاتِ النّديةِ بالحنان.

أعشقتِ فرسان الزمان ؟؟

أشعرتِ حمى الاشتهاءِ

وقد بدا البطل المظفر

فوقّ عُنْقِ المُهرِ

في صَخبِ الطّعانِ

أعشقتِ ومضةَ وجههِ

وعليه ثلجُ العنفوان؟؟

وفي مقطع آخر يريد القصيبيّ أن يقنعنا أن عنترة هو الذي ينشد ، ولهذا نراه ينسج على منوال معلقته المعروفة، مستعيراً اسم محبوبته ، ومضمناً شطرًا أو عبارة من شعره هنا وهناك ، لكنَّ عنترة هنا ، لم يقدم شيئًا جديدًا عما عرفناه عنه ،اللهم إلا اعترافًا بالهزيمة والمذلة لم نعدهما عنده ، وإنما كانتا في ذات الشاعر ، لقد أسقط الشاعر هزائمه الداخلية على شخصية عنترة التي كانت لا تؤمن بالخنوع والإنكسار ، يقول:[2]

يا عَبْلُ يا حبّي الّذي لم يُهزم	طّعْمُ الهزيمةِ حنظلٌ يكوي فمي
حاربتُ حتّى خرَّ سيفي في يدي	وهَوى حِصاني في كمينٍ من دمي
ولقد ذكرْتُك والجبال تَحُزنني	والذّل قُضْبانٌ تُحيط بِمعصمي
" فوددت تقبيل السِّيوف " لأنها	أحْنى وأرحم من شَماتةِ أرقمِ

---

[1] غازي عبد الرحن القصيبي ، ورود على ضفائر سناء ، مصدر سابق ، ص 45.

[2] المصدر السابق ، ص 46.

وفي موضع آخر يكاد الاغتراب وما يصاحبه من أعراض نفسية ، يودي بالشاعر فيدفعه إلى تمني الموت ؛ لأنّه ومن وجهة نظره . يعدّه الخلاص مما علق بنفسه ، ومما يسيطر عليها من أوهام ، وهموم ، وشك ، وتشاؤم ، وحيرة، وتساؤلات لم يجد لها جوابًا، يقول:[1]

لماذا أعيش؟؟
لماذا أُوَدعُ يومًا وَأَرْقُبُ يومًا؟
وَيُدْفَنُ عامٌ ويُولَد عامٌ...
وما في الحياةِ جديد
تمرُّ عليَّ الليالي
مُكَفَّنَةً بوجومٍ عميق
تراقصُ فيه ظلالَ المللِ
سجونٌ مُغْلَقَةٌ بالأسى
تُسمَّى حياة
وماذا أريدُ
مصابي .. أنّي أجهلُ ماذا أريد
....
إلهي !! " سألتك : " خذني إليك"
فإنَّ حياتي ضاقت عليّ

وينقل لنا حسن عبد الله القرشيّ (1934 . 2004) ، ما يعتريه من قلقٍ واغتراب بدقة متناهية ، مشخّصًا حالته القلقة المضطربة أيّما تشخيص ، وهو في ظلّ قلقه ذاك ،لا بدَّ أن تكون له رؤيته حول حياته إبّان لحظة القلق ذاتها ، يقول في قصيدته (قلق):[2]

قلّقْ
أعيشُ في قلَقْ
كم أكتوي به كم أحترقْ
خواطري أسرابُ جنٍ فوق رأسي حائمة

---

[1] غازي عبد الرحمن القصيبيّ ، المجموعة الشعرية الكاملة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1994 ، ص206.

[2] القرشيّ، حسن عبدالله ، الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، ديوان (النغم الأزرق) ، ط2، دار العودة ، بيروت، ص 366 . 268.

تعضُّني تنهشني

فخافقي مزقْ

مستقبلي

خرافةٌ أعيشُها في حاضري ، وحاضري

أسطورةٌ يلفظها ماضيَّ وهمًا كاذبًا

مهامهًا خرائبًا.

وفي قصيدة (عواطف حائرة)[1] للشاعر عبد الله الفيصل (1923 ـ 2007م) ، تواجهنا تجربة شعرية من واقع نفسيّ آخر يمرّ بها الشاعر ، فها هي المشاعر تضطرب وتحتدُّ لدرجة الشّجار ، فتحوم الشكوك والظنون ، ويعيش الشاعر معها حالة غير متوازية ، فكلما اطمأن إلى جانب ، انقض عليه آخر والبيت الشعريّ الذي بين أيدينا يصور حالة الشكِّ ونتائجها في تفكير العاشق ، بمعنى أنَّ الحالة النفسيّة مركبة من حالة العشق ، وحالة الشكّ أثناء ذلك العشق ، فالشكّ ليس شك عادي ، بل هو شك معقّد ، وتبدأ القصيدة بقوله:[2]

أَكـادُ أَشُـكُّ فـي نَفْـسي لأنّـي	أكادُ أشكُّ فيك وأنت مني

ومنذ اللحظة الأولى ندرك أنَّ الشّاعر يعيش حالة من الاغتراب النفسيّ ، إذ سرعان ما جابهنا بعنف الصراع في داخله ؛ ذلك الصراع الذي وصل إلى الذروة ، حتى أصبح يشكّ في نفسه ، وصدمة الشك السابقة لم تأت من فراغ إذا علمنا مقدار ما بينهما من حبّ .

وفي قصيدة أخرى يصور لنا الفيصل اغترابه النفسيّ ، فمع أنَّ جسده يحيا بين أهله وخلاّنه ، إلا أنَّ روحه تعيش غربة حقيقية ، فهي تعيش مفصومة العُرى عما حولها ، فكلما حاولت التواصل مع من يحيطون بها ، تزداد غربتها ، فهي لا تزرع الودَّ والحنان ، إلا لتجني منها الجحود والنكران ، يقول:[3]

غُرْبتي غربةُ المشاعرِ والرُّو	حِ وإن عِشْتُ بين أهلي وصحبي
أبدًا أَنْشِدُ الهناءَ فألقى	حيثما رُحْتُ شَقْوَةَ الحسَّ جنبي
أزرعُ الودَّ والحنانَ وأسقي	واحةَ الحُبِّ من روافدِ قَلبي
فأرى الشّكَ والجحودَ وألقى	ناتئاتِ الأشواكِ تملأُ دربي

---

[1] الفيصل، عبد الله ، ديوان: (وحي الحرمان) ، دار الأصفهاني ، جدة، 1401هـ ، ص54.

[2] المصدر السابق ، ص 54.

[3] الفيصل ، عبد الله ، ديوان : (حديث قلب) ، دار الأصفهاني ، جدّة ، 1982م ، ص55.

أمّا الشاعر طاهر زمخشري (1906 . 1987م) فهو مثل عبد الله الفيصل في اغترابه بين أهله وخلانه ، وقد تميّز الزمخشريّ بتجاربه الوجدانية التي "اقترنت بالاغتراب النفسيّ ، فهو يشعر أنّه غريب على الرغم من وجوده في بلده وبين أهله، ويتمثل ذلك على نحو خاص في ديوانه (ألحان مغترب) فهو يعكس بوضوح الغربة النفسية، التي يعيشها الشاعر، بعد أن نأت عنه المحبوبة ، وظلَّ هذا الإحساس يسيطر عليه في حاله وترحاله:

وما تغَّربت عـن أهلي وسـكني لكن ينازعني إحساس مغترب"[1]

ومن قصائده التي يكرس فيها اغترابه قصيدة (ألحان مغترب) ، إذ يقول فيها:[2]

أَطْلقتْ غُربتـي حَـبيس شكاتــي مُذْ توانت خطايَ عن غاياتي

ما تغرّبتُ عـن أُنـاسـي وعن أهلي بل تغربتُ في صميم الحياةِ

موطني وحدتي وصحبي كلومـــي وترانـيـمُ خـافِـقـي زفـراتـــي

وشـــراعي الذي يخـــوض الليالي نَسَجَـتْهُ الأيامُ مــن عزماتي

فهو يصّر على أن غربته الحقيقية تكمن في الحياة ، بل إنه ليرى في الوحدة موطنه ، ومع أنّه اغترب حقيقة عن وطنه غربة مكانية في مصر وتونس، إلا أنّه يرى أنَّ غربته في الواقع كانت في عدم قدرته على التكيف مع الحياة ، والتعامل معها بعيدا عن تلك الضغوط النفسية التي عانى منها طويلا، حتى اضطرته في النهاية إلى ترك وطنه الذي أحبه، والإقامة في ديار الغربة ، ولا نستغرب مثل هذا الموقف ، فقد مرَّ بنا أنه ينازعه إحساس مغترب.

وأمّا شاعر الحجاز محمد حسن فقي (1914 . 2004م) فإنّ الاغتراب سمة عامة في شعره ، فهو في قمة شعراء الوجدان السعوديين غزارة ، وبما أنّ " الاغتراب في الشعر هو أحد مظاهر الشعر الوجداني وحيث إن شاعرنا الكبير قد أبدع وأجاد في وجدانياته ، فإنه يمكن القول : إنه من أكثر الشعراء السعوديين اغترابًا في شعره ، ولعلَّ طبيعة حياته والظروف التي عاش فيها أكبر الأَثر في تشكيل هذا الاتجاه وتنميته لديه ، إذ فقد أمه في طفولته المبكرة ، الأمر الذي فقد معه حنان الأم وعطفها الكبير ، فكان مغتربًا في طفولته عن بقية أقرانه ، ثمَّ إنه رزى في ميعة الصبا عندما فقد والده ، فكان أن اغترب عن حياة الشباب بكلِّ ما فيها من

---

(1) عيسى ، فوزي سعد ، في الشعر السّعوديّ المعاصر ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندرية ، 1990م ص (36 . 37) . بتصرف

(2) طاهر زمخشريّ ، مجموعة النيل ، الديوان السادس ، ألحان مغترب، مقطوعة (في دروب الحياة) ، دار تهامة ، جدّة ، 1984 ، ص681.

لذة ومتعة ، لاضطراره للعمل طلباً للرزق ، لذا لا غرو أن طغى الاغتراب على شعره ، فكان له النصيب الأوفى من تعابيره وأحساسيه".[1]

ففي قصيدته الشهيرة (حيْرَةٌ .. وصَيرورةٌ) ، يعلن عن اغترابه في هذه الحياة ، وعن الأسباب التي أدت إلى حيرته واغترابه ، يقول:[2]

أَتَيْتُ إلى الدُّنيا وما كنت مُخْتارا	ولو أنَّني خُيُّرتُ مـا اخْتَرتُها دارا
....	....
فلو كنتُ لم أُخْلَقُ لما كنت آثما	ولا كنت مغروراً ولا كُـنْت مِهذارا
فقد عِـشتُ فيها ماجِناً مُهَافـتاً	علـى مُـتَـعٍ عـادتْ هموماً وأوزارا
شقـاءُ طـفـوليٌّ شقـاءٌ مـراهِـقٌ	شقـاءُ شبابٍ كان قَصْفًا وإعصارا
وشَيْـخـوخةٌ ناءت بأفـدح شقوةٍ	فَـلَـمْ تَـلـقَ إلا مـا يُلَطِّخها قارا
أَبيتُ على همٍ بـه يلتوي الحشا	وهُم جُثَّمٌ صرعـى عَـشيّاً وإبكارا

ثُمَّ هو غريب في مجتمع لا يبادله مشاعره وأحساسيه المفرطة ، مجتمع لا يشعر بمعاناته وهمومه ، فهو في حالة اغتراب عن مثل هذا المجتمع وناسه ، وإن كان يعيش فيه ومعهم ، يقول : في قصيدته (يا ابنتي):[3]

يا ابنتي ... يا ابنتي أبوك غريبٌ	وهـو فـــي داره وبين لداتهْ!!
جـامـدُ الحِسِّ والهمـومُ تُـنــاغيه	وتُقْصيـه عـن لـذيـذِ سُباتـهِ
ســاهـمُ الفِـكرِ تَسْـــتبدُّ به الخيـ	ـفةُ من دَرْبه ومـــن ظلماتهْ!!
فهــو يَمْـشــي به كَـئيباً فَيُعييــه	ويُدْمي الكسولَ من خطواتهْ!!

وتُعَد التجارب التي خلّفها الشاعر حمد الحجيّ (1358 . 1409هـ ، 1938 . 1989م) من أوضح التجارب التي تعتمد على العوالم النفسيّة في الشعر السعوديّ الحديث ، " فقد بُلي هذا الشاعر بمرض العصر ، (الاكتئاب) ، حتى لتخال كلّ قصيدة من قصائده يتفجر من تراكيبها الأسى ، ويولد من تقابل أشطرها الألم . إنَّ أهم ما يمتاز به شعر الحجي .بعد الأصالة ،

---

[1] السيف ، محمد بن عبد الله ، الاغتراب في شعر محمد حسن فقي ، جريدة الجزيرة ، الملحق الثقافيّ ، العدد 10479، الخميس 15/ربيع الثاني /1422هـ..

[2] محمد حسن فقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد التاسع ، ط1 ، منشورات : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1996م ، ص 52.

[3] محمد حسن فقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 26.

وإشراقة الديباجة ، وجلاء الصورة الأدبية المشرقة في اللفظ والأسلوب . هو تلك الملاء الداكنة من الشك والتشاؤم ، والاغتراب النفسيّ ، والشكوى من الحياة والناس" [1]، يقول الحجي:[2]

أأبقى على مرِّ الجديدين في جوىً ويَسْعَدُ أقْوامٌ وهم نُظَرائي

ألستُ أخاهم قد فُطِرنا سويةً فكيفَ أتاني في الحياةِ شقائي

يسيرون في دربِ الحياةِ ضواحكاً على حينِ دمعي ابتلَّ منه رِدائي

أكان لِساني إذا نطقت مُلعثماً وكانوا إذا ناجوا منَ الفُصحاءِ

وهل كلهم أصحابُ فضلٍ ومنَّةٍ وكنتُ أنا المفضول في الفضلاءِ

بلى : أخذوا يستبشرون بعيشهم سوايَ فقد عاينتُ قُرْبَ بلائي

ومن يُطِلِ التفكيرَ يوماً بما أرى من النَّاسِ لم يرتحْ ونال جَزائي

إنَّ شعور الحجيّ بالغبن ، وعدم تقدير الآخرين له كما ينبغي ، فهو لم ينل حظه ، ولم يأخذ فرصته ، عمّق ذلك الإحساس المتأصل في أعماق وجدانه ، بالاغتراب ، ذلك أن حالته النفسيّة التي تملكت وجدانه تبدو واضحة كلَّ الوضوح في أبياته.

وفي قصيدة (الخبت) لعلي الدميني تبدو ظاهرة الاغتراب كرمز مهيمن على جو القصيدة. إنها قصيدة تعبر عن مأزق الشاعر المعاصر في شعوره بالانتماء إلى هوية لا تعترف به، ووطن ينفيه، ويشعر فيه بالغربة ، وهي عتاب مر حزين لهذا الواقع الذي يخذله في عشقه، ومع ذلك يظل الحلم بالوطن المنتظر ويظل الإصرار على التضحية من أجله يتراءيان من خلال القصيدة التي يفتتحها الشاعر بنص من الشعر العمودي:[3]

وظلم ذوى القربى بلادي حملتها على كتفي شمساً وفي الرُّوحِ موقدي

إذا جفَّ ماءُ القطرِ أسقيت غرسَها بدمعي ووجهت الزِّمامَ لتهتدي

إلى الماءِ أحدو خطوها كلّ بارق أشدُّ على غاباتها الرِّيح في يدي

....

....

يا بن العبد ألق عليَّ أدويةَ البعير

سأنسق الأورام

[1] حسين ، محمد بن سعد ، الشاعر حمد الحجيّ ، ط1 ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، 1407هـ.

[2] حمد الحجيّ ديوان : (عذاب السنين) ، جمع : محمد بن أحمد السّدي ، ط1 ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، 1989م ، ص42.

[3] الدميني ، علي ، ديوان : (بياض الأزمنة) ، ط1 ، نادي الرياض الأدبيّ ، 1995 ، ص 36- 37.

أستل الجراح من التفرد والزهادة

وأضمُّ هودج خولة القاسي، أزين وحشة الممشى

بعقد

أو قلادة

....

هذي بلادي لم أكن أغتابها في الليلِ

بل أهذي بوقع تحرك الرعيان في عرصاتها البيضاء

أفردها لهمسِ الرِّيح

ألبسها شتاءً

ألتقي والماءَ في مرعى الطُّروشِ

وأبتني قصراً من الصفصافِ

قد أهذي فإنَّ لكلِّ عاشقةٍ شهادة

لقد رأينا من خلال النماذج الشعرية السالفة ، أنَّ الاغتراب الذاتيّ لدى الشاعر العربيّ السعوديّ ، نشأ عن ظروف اجتماعيةٍ ، ومكانيةٍ ، وشعورٍ بالعزلة والاحباط ، وعدم القدرة على التكيف مع الواقع والمجتمع ، والانكفاء على النفس ، والشعور بالذنب الأزليّ القابع في أعماق الذات.

قبل الدخول إلى موضوع الحنين والغربة في ديوان الشعر السعودي لا بدَّ من إعطاء نبذةً عن المراحل التي مرَّ بها الأدب السعودي ، وما يهمنا هنا أنه يمكن تقسيم الشعر السعودي من خلال المراحل الزمانية إلى أربع أقسام هي :

(أ) البدايات : 1319–1342هـ/ 1902 ـ 1923م .

(ب) التأسيس : 1343–1373هـ/1924 ـ 1953م.

(جـ) التجديد : 1374–1390هـ/ 1954 ـ 1970م.

(د) التحديث : 1391–1419هـ/ 1971 ـ 1999م.[1]

فالمرحلة الأولى ، تمثل بداية اليقظة على المستوى المحلي والعربي، ورسم البدايات لمسار الحركة الأدبية ، ولم تصدر فيها دواوين شعرية ، أمَّا المرحلة الثانية ، وهي مرحلة التأسيس فهي مرحلة التأسيس الحقيقي للشعر السعوديّ ، وكانت حركة الشعر فيها مسايرة للحركة الأدبية في الأقطار العربية الأكثر نشاطًا كمصر ولبنان ، أو متأخرًا عنها بخطوة ، وقد صدر أول ديوان لشاعر سعوديّ عام 1945م ، وهو ديوان: (صبابة الكأس) ، للشاعر إبراهيم الفلاليّ ، وبعده بعام صدر ديوان : (الهوى والشباب) ، للشاعر أحمد عبد الغفور عطار ، وكان ذلك عام 1946م، ثمَ ديوان :(أنفاس الربيع) ، لطاهر زمخشريّ عام 1946م، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة : أحمد إبراهيم الغزاوي ، وحسين سرحان ، وحسين عرب ، وحمزة شحاته ، وضياء الدين رجب ، وعبد الله الفيصل، ومحمد حسين العواد ، ومحمد حسن فقي ، وفؤاد شاكر ، ومحمد أحمد جمال .[2]

أمّا المرحلة الثالثة وهي مرحلة التجديد فقد شهدت متغيرات كثيرة حفزت الشعر لمجاراة الأحداث السياسية والاجتماعية ، والتفاعل معها ، والانفتاح على الآداب العربية والعالمية ، والتأثر بتياراتها ومدارسها الجديدة ، وقد كثر شعراء هذه المرحلة ، وشهدت زخمًا كبيرًا في النتاج الشعري ، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة : أحمد سالم باعطب الذي صدرت له عدة دواوين شعرية منها : الروض الملتهب 1980م ، وقلب على الرصيف 1982 ، وعيون تعشق السهر 1988م . وحسن عبد الله القرشيّ صاحب الانتاج الشعريِّ الغزير مثل :

---

[1] انظر: المعيقل ، عبدالله ، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث (نصوص مختارة ودراسات) ، ط1 ، المفردات لنشر والطباعة ، الرياض ، 1422هـ / 2001م ، 2 / 13–17 . بتصرف.

[2] انظر: المرجع السابق ، 2/ 13–17، والساسي ، عمر الطيب ، الموجز في تاريخ الأدب السعودي ، ط2 ، دار تهامة للنشر والدراسات ، جدة ، 1986م ، ص 74– 76.

الأمس الضَّائع 1957م ، وبحيرة العطش 1967م ، والنَّغم الأزرق 1966م ، وعندما تحترق القناديل 1973م. وغازي القصيبيّ الأديب الشاعر السفير الذي صدرت له أيضًا عدة دواوين منها أشعار من جزيرة اللؤلؤ 1960 م ، وقطرات من ظمأ 1965م ، والعودة إلى الأماكن القديمة 1985م . ويحيى توفيق حسن الذي صدرت له الدواوين التالية : أودية الضياع 1983م ، وسمراء 1985م ، وافترقنا يا زمن 1987م ، وما بعد الرحيل 1990م. ومحمد عيد الخطراويّ صاحب الدواوين الشعرية التالية : غناء الجرح 1977 م ، وهمسات في أذن الليل 1977م ، ومن دفتر الأشواق 1990 م ، وتفاصيل في خارطة الطقس 1991م ، وغيرهم الكثير من شعراء هذه المرحلة .[1] وأخيرًا مرحلة التحديث ، وهي مرحلة النضج والتألق والعطاء ؛ إذ تعدد شعراء هذه المرحلة وشكلوا لأنفسهم مراكز ريادة في المحافل الأدبية والثقافية داخل الوطن وخارجه ، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة : إبراهيم عمر صعابيّ ، الذي صدرت له الدواوين التالية : حبيبتي والبحر 1981م ، وزورق في القلب 1984م ، ووقفات على الماء 1990م ، والشاعر أحمد الصالح (مسافر) الذي صدرت له الدواوين التالية : عندما يسقط العراف 1979م ، وقصائد في زمن السفر 1980م ، والشاعر جاسم الصحيح صاحب ديوان : أولمبياد الجسد 2001م . وغيرهم الكثير الكثير . [2]

وأشير أنه لا توجد خطوط فاصلة وقاطعة بين المراحل الزمنية السابقة ، فهي متصلة ومتشابكة فيما بينها ، فهناك من الشعراء من عاصر عدة مراحل كالشاعر عمر إبراهيم بريّ ، وأحمد إبراهيم الغزاوي ، ومحمد حسن الفقي ، وعبد الحق النقشبندي ، وحسين عبدالله سرَّاج ، وعبد الكريم الجهيمان ، ومحمد حسن عواد ، وحسين عرب ، وغيرهم .

وللحنين في الشعر العربيِّ السعوديِّ المعاصر صور متعددة ، تجملها الدراسة في الحنين إلى الوطن ، والحنين إلى المقدسات ، والحنين إلى المناسبات الدينية ، والحنين إلى المحبوبة ، والحنين إلى الأهل والأصدقاء ، والحنين إلى الطفولة وذكريات الزمن الماضي ، والحنين إلى أمجاد الأمة وماضيها العريق ، وأخيرا الحنين إلى مواطن الغربة. وستتناول الدراسة كلَّ صورة على حدة.

---

[1] انظر: المعيقل ، عبدالله ، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث (نصوص مختارة ودراسات) ، مرجع سابق ، 13/2 ـ17.

[2] المرجع السابق ، ص 13/2–17 و شراب ، محمد محمد حسن ، شعراء من المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، 2006م ، ص 116– 118.

1- الحنين إلى الوطن:

قبل الدخول إلى موضوع الحنين إلى الوطن في الشعر السعوديّ ، من البدهيّ أن نقول أن لا مكان في الحياة بالنسبة للإنسان ، أجملُ وأبهى من المكان الذي ولد فيه وترعرع ، وتفيأ ظلاله وارتوى من فرات مائه ، هذا المكان هو تذكر لمراتع الصّبا ، والذكريات بحلوها ومرّها ، ففيه ضحكات الطفولة البريئة ، وهو جزء من كيان المرء ، فمهما ابتعد عنه ، وشطّت به الدار ، فلا بدّ أن تبقى بلاده في ثنايا فكره ، وحنايا وجدانه ، والإنسان كائن اجتماعيّ بالطبع ، وهو " يرتبط ببيئته ارتباطًا وثيقًا ؛ لأنَّ الإنسان مكمل لبيئته ، وهي مكملة له ، في نشأته وتطوره ، ومن هنا كان للمكان الذي يعيش فيه الإنسان وينشأ أثر كبير في أخلاقه ، وتكوينه النفسيّ ، واستعداده الفكريّ ، وإبداعه العقليّ ،.. . والحنين إلى الوطن ، ظاهرة إنسانية عامة ، لا يستطيع المرء التخلي عنها ، مهما بلغ رقيه الحضاريّ ، وتطوره الماديّ ، وسموه الروحيّ ، ومنذ وجَد الإنسان عاش في وطن ، بين أهل وأصحاب ، آباء وأبناء ، وشعر بقوة الرابطة التي تربطه بهم ، وبهذه البلاد التي شهدت خلته وحياته ، وكانت مسرحًا لتطوراته النفسية والفكريّة.[1]

وقد هام الشعراء منذ القدم بأوطانهم ، يتغنون بأمجادها ، ويسرون إليها بآمالهم وأحلامهم ويبثونها آلمهم وأحزانهم ، ولا يتورعون لحظة في الذود عنها أمام كل من يحاول النيل منها والمساس بها ، بأقوى سلاح عندهم وهو اللسان ، والشاعر العربيّ السعوديّ كغيره من الشعراء ، يهيم بوطنه ويعتز به ، كما تفصح تجاربه . وهذا ليس ناتجًا عن نزعة عصبية ، أو نظرة إقليمية ، فيريقها في شعره ، وإنَّما كان مرد ذلك الدور العظيم الذي ينهض به أبناؤه في خدمة الإسلام والمسلمين ، وشروعهم في تبليغ الرسالة التي انبثقت أنوارها من أراضيهم بوسائلهم المختلفة ، وشعورهم الجميل بأنَّ وطنهم وطنٌ للجميع .

ولا بدّ لنا من أن نقف عند معنى الوطن لغة واصطلاحًا ، قبل البدء في الحديث عن الحنين إلى الوطن ، فقد ذكر يحيى الجبوريّ أن معنى الوطن جاء في المعجمات اللغوية بمعنى مربض الإبل والغنم ، ثمَّ صار يعني المنزل الذي يتخذه الإنسان سواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن ، ونقل عن ابن سيده قوله " الوطن حيث أقمت من بلدٍ أو دار " ، وعن ابن منظور

---

[1] انظر: حوّر، محمد إبراهيم ، الحنين إلى الوطن في الأدب العربيّ حتى نهاية العصر الأمويّ ، مصدر سابق ، ص 12 و 18.

قوله :" ... ووطن بالمكان وأوطن : أقام وكلّ مقام أقام به الإنسان لأمر فهو موطن له " ، ثم ذكر أنَّ مفهوم الوطن توسع فصاركلّ مكان ينزل فيه الإنسان ويعدّه مستقرًا ومقامًاوطنًا "[1]

أمّا مفهوم الوطن في الاصطلاح ، فلا يتوقف عند معان محددة بل يتعداه إلى كلِّ المعاني التي تتضمن روح العطاء ، والولاء ، والانتماء ، فالوطن في النفس السَّويّة انتماء فريد ، وإحساس راق ، وتضحيّة مستمرة ، ووفاء كريم ، فهو ليس مجرد حقيبة سفر، أو لهجة أو جنسيّة أو قانون، أو مجرد لباس، إنه أسمى من ذلك كلّه ، فكلُّ أرضٍ نأكل من ثمارها النديّة ، وننهل من أنهارها الرقراقة ، ونقف على أطلالها ، ونذكر مدارج الصِّبا فيها ، وإذا أجبرتنا الأقدار على تركها هاجنا الحنين إليها ، والتي نرخص أرواحنا ذودًا عنها ، هي الوطن ، فالوطن : شمس العطاء ونبع الخير، ورمز الفداء ، مهدالأجداد ، وكنز الأحفاد، وظلّ الأمجاد ، به آمالنا وطموحاتنا ، وتستقيم بمعالمه الغراء حياتنا.

وفي معجم الفكر السياسيّ نجد :"الوطن دولة مستقلة ، ذات سيادة على أرض محدودة ، يسكنها بشر متحدد اللغة واللهجات المتفرعة عنها ، تصل بينهم عادات وتقاليد مشتركة، وموروثات يجمعها تراث واحد ، يغدو أساس القانون الذي يحدد المصالح والأماني المشتركة".[2]

وقد اختلف مفهوم الوطن قديمًا عن مفهومه حديثًا، " فقد كان مفهوم الوطن في القديم ضيقا يشمل الحيّ ومحل الإقامة ، ثمّ صار يتسع كلّما تقدم الزمن ، ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن ، فصار الحنين إلى الأوطان شائعًا في كلِّ العصور سواء أكان الوطن مسقط الرأس أم لم يكن ، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وشوق وحبّ"[3]

وكيف لا يحنُّ الإنسان إلى وطنه !! وقد جَبَلَه الله على ذلك ، قال تعالى :" هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها ".[4] وقال :"قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا ".[5]

---

(1) الجبوريّ ، يحيى ، الحنين والغربة في الشعر العربيّ ، مصدر سابق ، ص9.

(2) سكرتون ، روجر ، معجم الفكر السياسي ، 1984م ، 3/ 232.

(3) الجبوري ، الحنين والغربة في الشعر العربي ، مرجع سابق ، ص 10 .

(4) سورة هود / الآية (61)

(5) سورة الفجر / الآية (8).

وهذا خير خلق الله كلّهم ، محمد رسول اللهﷺ ، يأخذه الحنين إلى وطنه مكة ، عند خروجه منها مهاجرًا إلى الله ، يقف فيقول :" والله إنك لخير أرض الله وأحبّ أرض الله إليّ ، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت".[1]

وهذا عليّ . رضي الله عنه . يقول :" من كرم المرء حنينه إلى أوطانه "[2]

وجاء في الأثر :" حبُّ الوطن من الإيمان "[3] ، فلنا إذن في رسول اللهﷺ ، قدوة حسنة في حبّه لوطنه وحنينه إليه ، فلا غرابة أن يقتدي الشعراء السعوديون– كغيرهم من الشعراء العرب والمسلمين– برسولهم الكريم فيبدعون شعرًا معبرًا عن حنينهم وشوقهم لوطنهم ، في حلّهم وترحالهم هذا الشعر الذي يسجل نفحات الحبّ ، وهمسات الوفاء والإخلاص لهذا الوطن الغالي.

وقد تجلى في هذا الشعر ما يحمله شعراء هذا الوطن في قلوبهم من ولاءٍ كبير هتفت به قلوبهم ومشاعرهم ، وسطروا أمجاده بحروف من نور، جاعلين الولاء والوفاء ، عقودًا من اللآليء في جيد الوطن، ورسموا الإخلاص أوسمة وضاءة على جبين التاريخ .

وفي الغربة تتجلى مظاهر الشوق والحنين ، ولا يعوض عن الأوطان رقّة عيش ، أو نعومة حياة ، ومهما تبدلت الأحوال ، وادلهمت الظروف ، ودالت الدول وتهيأ للإنسان ظرف أفضل ، ووفرت الحياة له متطلباته ، وظمنت حاجاته ، فإنَّ حنينه للوطن سيظل هاجسه ، والشاعر السعوديّ كغيره من البشر ، تتجلى مظاهر الحنين للوطن عنده حين تكون أرضه ومهد صباه ، بعيدة عنه ، لسبب من الأسباب ، سواء أكانت هذه الأسباب طوعية أو قسرية ، فإنَّ أحرف كلمة الوطن يرددها في كلِّ حين ، ويستنشق عبير شذاه الفوّاح ، ونسماته العليلة ، كلما مرت ريح ، أو صدحت يمامة ، وكلما حلَّ ليل أو انبلج صباح.

ومن قصائد الحنين إلى الوطن قصيدة: "يا عيد" للشاعر حمد الحجي والتي قالها أثناء رحلة علاجه في لبنان ، والتي تحمل كلماتها الألم الشديد ، وتوحي عباراتها بالمعاناة الصادرة من أعماق الفؤاد ، فهي تتقد كالشرارة في قلبه ، لتشتعل لهيبًا في قلوب المتلقين ، فتتأثر به

---

[1] ابن حزم االأندلسيّ ، علي بن أحمد بن سعيد ، المحلي في شرح المجلي بالحجج والآثار، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، 2004 ، 289/7.

[2] المجلسيّ ، محمد باقر محمد الأصفهانيّ ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط2 ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، 1983م ، 71 / 264.

[3] الألبانيّ ، محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الأمة ، ط5 ، المكتب الأسلاميّ ، بيروت ، 1985م ، 187/3.

الأسماع ، منفعلة مع مشاعر الشاعر وأحاسيسه ، وكان قدوم العيد على الشاعر وهو غريب في لبنان ، مثيرًا لهيجان الحنين في نفسه وخاطره ، ، يقول:[1]

يا عيدُ وافيتَ فالأشجانُ مرخيـــــةٌ	سدولها ونعيمُ الرُّوحِ مفـقـــــودُ
لا الأهل عندي ولا الأحباب جيرتهم	حولي فقلبي رهينُ الشَّوقِ مفـؤود
تجري دموعي دماءً في محاجرِهـــا	على وسادي لها صبغٌ وتسهيـــد
يـا فَرحـةَ الـقـلـبِ والآلام تَـعْـصرُهُ	لـو أنَّه بلـقـاءِ الأهــلِ موعـــــودُ
يــا سـاكِـني نجـدٍ إنَّا بعْد بَيْنِكُـم	كأنَّما قـد شـوى الأضلاعَ سُفـودُ

ويجعل حمد بن زيد الزيد (1977م- ؟) وطنه محبوبه الذي سرى حبه في أعماقه ، وسكن روحه وأعماقه ، فكان القمر الذي ينير له ظلام الليل، وهذا الحبّ ، غيَّر حياته وجعلها سعيدة ، مليئة بالبهجة ، تماما كالنهر الذي يمرُّ بالصحراء ، فيجعلها روضة غنّاء ، يقول:[2]

يا محبوبي
يا من أرقَّ في روحي
وتجلى قمرًا في الظّلماتِ
وتهادى في أعماقي
كضبابٍ ضاجعَ
أعشابَ الرّوضةِ والرَّبواتِ !!
يا نهرًا أروى ظمأ الصَّحراءِ
وأحيا الآفَ الغاباتِ
آمّنْتُ بأنَّ الحبَّ الصَّادقَ
يُنبوعُ الرحماتِ!
وبغيرِ الحبِّ تموتُ الأزْهارُ
وتنتصرُ الدُّنيا في لحظات.

ونلتقي بشاعر آخر، هو الشيخ أحمد بن عليّ المبارك ،(1340- 1431هـ، 1922- 2010م) يُصدّر بهذه الأبيات إحدى رسائله إلى والده أثناء دراسته بمصر ، يشكو فيها غربته

---

[1] الحجيّ ، حمد ، ديوان : (عذاب السنين) ، جمع وتحقيق : محمد بن أحمد الشديّ ، ط1 ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، 1989م ، ص 36 .

[2] الزّيد ، حمد بن زيد ، ديوان : (حروف على أفق الأصيل) ط1 ، نادي جدّة الأدبيّ الثقافيّ ، 1983م ، ص 80

، وبعده عن الأهل والديار ، والخلان والأصحاب ، متمنيًا العودة إلى وطنه ، مبينًا سبب غربته ، وهو السّعي للتفوق في العلم والدراسة ، يقول:[1]

سلامٌ بقَدْرِ الْحُبِّ والشَّوقِ في الحَشا ... ومن أين إحصاءٌ لِقَدْرِ التَّشَوقِ

وشوْقٌ ولمّا يَمضِ لي غَيْرُ أشهرٍ ... فكيفَ إذا طالتْ سُنُونُ التَّفرُّقِ

أحبّايَ هلْ يُرجى مَعَادٌ لموطني ... وعقْدُ تصَافيكُمْ بِسِلْكٍ مُنَسَّقِ

رَحَلْتُ ابتغاءَ للمعالي ركائبي ... وأجْهَدتُ نفسي لاِقْتِناصِ التَّفَوقِ

فإن أنا أدركتُ الذي رُمْتُ نَيْلَهُ ... فيا فَرَحي في رِحْلَتي بالتَّفَوْقِ

وفي موضع آخر نقف أمام شخصية مرهفة الإحساس ، مترعة بالعاطفة، تشجيها الغربة ، ويمضها الحنين ، فهو يتحسر على ابتعاده عن مراتع الصِّبا ، ومرابع الأهل والخلان ، ويساءل حبيبته (هجر) بحرقة وغصة إن كانت تذكر محبا هائمًا بها ، يجد فيها محاسنًا لا توجد في مصر أرض الكنانة ولا بغداد ، ويفخر برمانها وأترجها وليمونها ، وخوخ ، يقول:[2]

أتُراكِ يا هَجَرُ الحبيبةِ تَذْكُري ... صَبًّا بِغُصْنِ قَوامِك الميّادِ

للهِ أنتِ فكم وُهِبْتِ مَحاسنًا ... لا في الكنانةِ لا ولا بغداد

من أينَ تَمْتلِكُ الكنانَةُ مثْلَما ... في أرضِ هَجْرٍ قبلةِ الْمُرتادِ

رُمانُها أتْرُجُها ليمونُها ... وجمالها بالخَوخِ والفِرصادِ

ويزور الشاعر السّفير محمد صالح باخطمة ، بيته القديم ، بعد طول نأي وسفر ، فتثور في نفسه الذكريات ، فهنا لعبَ ، وهناك درجَ ، وهذا مجلسهم القديم ، وهنا صلى أبوه ، وهناك أمّه وأخته ، كلهم ذهبوا ، وبقي الشاعر بعدهم ، يحنُّ إليهم ، يقول:[3]

وَرَجَعْتُ للبيْتِ القديمِ أَبُثُّهُ ... وَجدي وآهاتي وحرَّ شكاتي

أتلمسُ الجدرانَ والغُرَفَ التي ... شهدتْ ربيع الْعُمْرِ والصَّبواتِ

فهنا درجتُ من الطفولةِ للصِّبا ... وهنا سَهِرْتُ مُسابقًا لَهفَاتي

وهناكَ مَجْلِسُنا القديمُ وكم حوى ... أهلي وأصحابي ، وصفو لداتي

وأبي هنا صلّى ، تَعَبَّدَ خاشعاً ... ودعا وسبّح بعد كلِّ صلاةِ

---

[1] آل مبارك ، أحمد بن علي المبارك ، ديوان سفير الأدباء وأديب السفراء ، تحقيق وتقديم الدكتور : بسيم عبد العظيم عبد القادر، ط1 ، مؤسسة المختار بالقاهرة ودار العالم الثقافيّة بالإحساء ، 2003، ص 58.

[2] المصدر السابق ، ص 39.

[3] باخطمة، محمد صالح ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، منشورات : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 2005م ص 93.

وهناكَ أمّي كم رأيتُ خيالهـــا		جذَلي ؛ بما تعطيه من نّفّحـاتِ
وهناك أختي إذا تداعينا ضحىً		تحكي الحكايا ثرّة البســماتِ
يا دارُ مرَّ بنا الزّمانُ وغـادروا		وبقيتُ وحدي أشْـتكي لوعاتي

وتهيج الذكرى ، ويَشتعل الحنين في نفس الشاعر ضياء الدين حمزة رجب (1335 . 1396هـ ، 1916 . 1976) عند سماعه لأم كلثوم ، وهي تشدو برائعتها . كيف أسلو ذكرياتك ، فيشتاق لوطنه ، ويتمنى لو أن أم كلثوم تحسّ بأشجانه ، وتشعر بأحزانه ، فيخاطب وطنه قائلاً:[1]

ذَكَرْتُكَ والْقَلْبُ الوفيُّ ذَكـــورُ		فهاجتْ شؤونٌ هُجَّـعٌ وأُمورُ
وصاغَ الهوى مِن لَحْنِها ما أثارني		وأذكَى حنيني والحَنينُ شُعُورُ
وما صَدَحَتْ إلاّ بلحْني وليْتَهـا		تَحِسُ بأَشْجانِ الفُؤاد تمـورُ
إِذَنْ لَدَرتْ قَلْبًا وَعَى اللّحْـنَ حِسُّهُ		تطيرُ بـه آهاتُـهُ وَتَثُـورُ
ذَكَرْتُكَ والْقَلْبُ الوفيُّ ذَكـورُ		فهاجتْ شؤونٌ هُجَّـعٌ وأُمورُ
تَنَاءى الذي يَجْلو سَنَاهُ بِقُربـةٍ		وآفاقُه بِشرٌ يلـوحُ ونـورُ
وغَنَّتْ وقلبي شاردُ الحسِّ هائـمٌ		يُنازِعُه منِّي هـوىً وضميـرُ
وصَحْبي من حولي يريدون سلوتي		أأسلو؟ كأنِّي خائِـنٌ وغـدورُ

كانت تغني ، لكنَّ شاعرنا حاضر الجسد ، غائب الروح ، فقلبه يذكر وطنه ، والصحب يحاولون التخفيف عنه ، ولكنه يعتبر سلوته عن وطنه خيانة وغدر ، وهذا طبع الوفي المخلص ، المنتمي لوطنه ، وإن كان في غربة.

ويتساءل محمد حسن فقي في قصيدته (أشجان مغترب)[2] ، هل سيعود إلى وطنه حيّا ؟ أم أنَّ جثمانه سيرجع ، وتلحّ عليه فكرة الموت بعيدًا عن وطنه وأهله ، وهو في غربته في مدينة (بوسطن) ، فيدعو ربّه خاشعًا ضارعًا ، أن يلقاه في وطنه وبين أهله ، يقول:[3]

لَسْتُ أدري هَلْ سـوفَ أرْجِـعُ		للرَّبْعِ وإلاّ سَـيَـرْجِـعُ الْجُـثـمـانُ
أأَلَحيُّ سوفَ أرْجِعُ للرّبـعِ		وإلاّ تَـلُـقُّـنـي الأكـفـانُ
يا إلهي متى أعودُ إلى الرُّبـعِ		فَـقـد هَزَّت الحشا الأشجـانُ

---

[1] رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، جمع : هاشم دفتر دار المدنيّ ، ط1 ، دار ، الأصفهانيّ ، جدّة ، 1980م ، ص 157.

[2] فقي، محمد حسن ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 77.

[3] المصدر السابق ، ص 77 . 78.

شفني السُّقْمُ واستبـــــدَّ الشَّـــوقُ لمن كُـنْـتُ أصطفـيهم وكانـــوا

والكيانُ الذي أحـــــبُّ وأَهْلُـــوهُ فَنِعْـمَ الهـوى ونِعْـمَ الكـيـــانُ

هي روحـــي تهفُــــو إليْهـــــم ويهفـو وعـزَّ السُّلـوُّ والنِّسيـانُ

أيُّها الـــرَّوَحُ أيُّهـــا الجســـدُ الفانـي ستّطوي بلاءَنــا الرَّحمنُ

أنتما في يَدَيْــهِ مـــا يُقْنَـــــطُ رُوحٌ مِـنـــــهُ ولا جُـــثْـمـــانُ

ويحنُّ إلى مدينته (جدَّة) ، التي يراها درَّة حضنها البحر، فهي مدينة تسبى القلوب والعقول بجمالها ، فليس لها نظير بين مدن العالم ، لذلك فقد ذكرها ، ويطلب منها أن تذكره ، علَّه يُرضي أمانيه وأشواقه ، يقول:[1]

يا معـــاني الجمال والسِّحرِ والفـتنـةِ يـا حُـلـوةَ الـرُّؤى والـمخـائـــلْ

حَضَنَ البحرُ درَّةٌ وحَـــنا البـــرُّ عـلـيـهـا بِـرَوْضـهِ والخـمـائـلْ

فـهـي فيْحـاءُ بَيْنَ برٍّ وبَحــــــرٍ تَـــتـهــادى وتـزدهـــي بـالجـلائـل

بالقـلوب التي يُتَيِّمُها الحـــــبُّ فَـــتَـشْــدو طـروبـةً كـالعنـادلْ

والعقولِ التي نُهَلّـلُ للفـــــنِّ تَـجَـلَّـتْ غـايـاتـهُ والوسـائـلْ

فبدتْ للعيُونِ حُـسْنًـا وفنّـــــا جـاوزتْ فـيـهما الثُّغـور الحوافلْ

ما أرى في مدائن العالمِ الرَّحــبِ كَـمـثـلـيهما ســوى في القلائـل

ما أُحيْلي بواكرُ الفَجْرِ يا جـــدَّةُ فيـكِ ومـا أُحَيْلـى الأصائـلْ

أنا يا جدَّةُ الحبيبُ المُعنَّـــــى بحـبـيـبٍ مـا إنْ لـه مـن مطاولْ

فاذكريني كمثل ذكراي يا جــــدَّةُ يـا مـوطـنَ الـنَّدى والشَّمائـلْ

رُبَّ ذكرى تؤججُ الفكر والحـــسَّ وتُـرضي المنى وترضي الدَّاخلْ

ونلتقي مع شاعر طالت غيبته عن وطنه في إنجلترا ، ذاك هو الشاعر الدكتور : عبد الله صالح العثيمين (1936 . ؟) ، الذي ما إن عاد إلى وطنه من مغتربه في انجلترا حتى نظم قصيدته (عودة الغائب) التي بثَّ فيها حنينه وأشواقه إلى بلدته (عنيزة) ، التي شهدت ولادته ، وسمعت خطواته ، وهو يدرج في رحابها ، يقول :[2]

طَرِبْتُ ماذا على المشتـــاقِ أن طَرِبا لـما دنَـتْ لحظـاتٌ نَـحْـوَهُـــنَّ صَبـا

أرسَتْ على مَدْرَجِ الأمجادِ طائـــرتي وموعـدي مع أحـلامـي قَـــد اقتربـا

---

[1] فقي، محمد حسن ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 43.

[2] ، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، 2001 ، ص 57.

حيثُ التي أسرت قلبــي تُعانقنـــي وتمسحُ الهمَّ عـن عــينـيَّ والتّعبـا

كم قد مكثتُ بعـيدًا عـن مفـاتنهـا أغالـبُ السُّهـدَ فـي (سكتلندا) مُغْتربا

وكـم بعـثـتُ أنـاشـيـدي لأخـبرهـا أنِّـي على العهدِ طالَ الوقتُ أم قَرُبا

لواعج الشّوقِ كم كانــت تؤرقُنــي وكامَنُ الـوجـد كـم أذكـى دمـي لهبا

من كـان مثلي بالفـيحا تعلُّقُـــه فـلا غـرابـة إن عـانـى ولا عَـجَـبـا

لقد ناجى الشاعر بلدته ، كما يناجي الحبيب حبيبته ، وبثها حبّه وهو بعيد عنها ، لكنّ قلبه متعلق بها ، فلا غرابة ولا عجب أن عانى قسوة الغربة والحنين ، ولهذا فقد عاد إلى بلدته ليستريح على رباها ،التي هي أعزّ ربى إلى قلبه الذي أضناه الفراق ، وهو في (اسكتلندا) يّعُدُّ الأيام ، لينهى رسالته ويعود إلى الوطن مكللاً بالنجاح ، أليس من حقه حين عاد أن يخاطب (عنيزة) خطاب المتيم؟ ومن أحقّ بالحبِّ من الأرض التي ولد فيها؟ يقول:[1]

حَـبيبتي أنـتِ يـا فَـيــحـاءَ مُلهمـتـي ما خَطّهُ قَـلـمي شعـرًا وما كتبــا

رَجَعْـتُ من غربتي كــي أستريح علــى رُبىً لـدى قلبي المضنَّى أعَزُّ ربـى

ما بينهن عَرَفْتُ الأُنْــسَ في صَغَــري وفوقهن عرفـت اللهـــو واللعِبــا

هُـنـا سَـمِــعْـتُ أهـازيـجًـا مُـرَتَّـلـةً وعِشْتُ أيام أشْـواقٍ وعــهـدَ صِبـا

وكلُّ شيءٍ يذكره بصباه ، حي الهفوف حيث كانت أسرته تسكن ، والمشراق حيث يجلس الناس ليتمتعوا بالدفء ، والسبيل حيث يشرب الظامئون ، والعزيزيّة حيث يذهب حاملاً كتبه، فهي مستودع الذّكريات الماضية، يقول:[2]

هنا سجلاتُ تأريخٍ تُحَدثنــــي بما يطيبُ عـن الماضي الذي ذهبا

تُعيْدُ لي صورة الهفوفِ كاملـــةً النَّـاسَ والشَّــارع المسقـوفَ والعتبـا

ومتعبا قَصَدَ المشراق في دعـــةٍ وظامئـاً مــن سبيلٍ عُلّـقت شُربـا

وصورتي كلَّ يوم حاملاً بيــــدي إلـى العـزيـزيةِ الكُـراسَ والكُــتبـا

ومعهدًا كان لي فيه سنا أمــــلٍ وإخــوةُ جَـمـعـوا الأخـلاقَ والأدبــا

غابوا كما غبتُ عن أركان مسرحه ومزّقــتـهــم ظـروفٌ دُبِّـرت إربـا

(1) مطلوب ، أحمد، عرار نجد ، قراءة في شعر عبد الله العثيميين ، مرجع سابق ، ص 58.

(2) المرجع السابق ، ص 58.

ويقفُ الشاعر في نهاية قصيدته معتذرًا من حبيبته (بلدته) ؛ لأنّه لم يفها حقها في مناجاتها وجلاء مفاتنها ؛ إذ وقف مبهورًا أمامها ، ولم يسعفه الخيال ليحلق أكثر مما حلق ، ولم ينجده القلمُ ليخط أكثر مما خطّ ، وما بثّ من أشواق ، يقول:[1]

حبيبتي أنتِ يا فيحاءُ معـــــذرةً	إن جاءَ وصفي لما في النفس مقتضبا
فما وُهِبْتُ خيالاً في تدفقـــــــه	يطوي المسافاتِ حتى يبلغ الشهبـــــا
ولا وهبْتُ يراعًا من شمائلـــــه	أن يستجيبَ لقلبـــــي كلَّ ما طلبـــا
في مهجتي الودُّ أصفاه وأعذبــه	لِسِحْرِ عينيكِ ضاق النُّطــقُ أم رَحُبا

أمّا الشاعر أحمد قنديل (1330 ـ 1400هـ / 1911 ـ 1979م) ، أحد رواد الشعر في المملكة العربية السعودية ، فقد أصابه الأرق وهجاه الشوق لوطنه ، وهو في مصر ، وزلزل إحساسه ، وأشعل فكره ، فتمنى الموت لكلّ من ألهته المغريات عن الوطن ، يقول من قصيدة طويلة:[2]

أَرِقْتُ وكم في الليلِ مثلي وهَاجني	إليـكَ هوىً تَحْيا بـه رُوحُ شاعـــر
وزلّزَلَ إحساسي واشْعَل فِكْرَتـــــي	من الشَّوقِ فُمْتَدُّ الحنينِ مُسامِــري
بلادي بلادي لا عَدِمتك موطنـــا	حبيبًا إلى قلبي ونفسي وخاطـــري
ولا عاش من أَلْهَاهُ عَنْكَ احتقابُـــهُ	مُنَى العيشِ مَزْهُوَّ المنى بالصَّغائرِ

وهو يؤكد أنّ تذكره لوطنه يختلف عن غيره ، بعد أن يُعِّرفُ الذكرى في الحبِّ ، وفي الأحياء ، يقول:[3]

ذَكَرتُكِ والذّكرى من الحُبِّ رَوْحُــــهُ	وَمِنْ خلجات النَّفْسِ وَحْيُ الضَّمائرِ
وَذكْرِكَ في الأحياءِ هَمْسَةُ واحــــدٍ	وَتَـرْديـدٌ لإيـماءٍ وَقَوْلَـةُ عابِـــــرِ
ولكنَّهُ في مُهْجَتي ودمي هـــــوىً	سرى كحياتي فيك مَسْرى خَوَاطري

ثُمَّ ينهي الشاعر قصيدته بتحيّة حارة ، من قلب فطره الشوق والحنين ، يقول:[4]

إليكَ إلى أهـــلي وأهلكَ كُلهــــــم	سَـواءٌ بقـلـبـي كُلُّ بادٍ وحاضـــــرِ
تحيّةَ مَعْمــودٍ وتَحْنَانَ وامـــــــقٍ	وَتَسـلـيمَ مشْـتـاقٍ وذكرَةَ ذاكـــــــر

---

[1] مطلوب ، أحمد، عرار نجد ، قراءة في شعر عبد الله العثيميين ، مرجع سابق، ، ص 58.

[2] الساسيّ ، عبد السلام طاهر ، شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ط2 ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، 1402 ، ص 105.

[3] الساسي ، شعراء الحجاز في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 105.

[4] المرجع السابق ، ص 106.

إلى أن تلوبَ النَّفسُ فيك مَلُولـــةً بما اهتاج منها الآن وَجْـــدُ المسافرِ

ويتذكر في موضع آخر وطنه الصغير(الدار) التي وُلِدَ فيها، وشبَّ بين أحضانها فيقول:[1]

واغْتَرَبْنا ولم تَزَلْ صورةُ الدَارِ في الفُـــؤادْ

حَيَّهُ الذّكر والأثَرْ

العصافيرُ حولها حرَّةُ الزّادِ والمــــرادْ

تَلْقُطُ الحَبَّ والثَّمرْ

والليالي التي صحا بين أحضانِها الودِادْ

حلوةُ اللهْوِ والسَّمــرْ

والهوى نَهْرُهُ جرى جانب الشّوكِ والقتــاد

ينتحي الوردَ والزهرَ

والمنى نَبْعُها سرى للدّراري على انفــــراد

يَلْثُمُ النِّجْمَ والقَـمــرْ

ويشدُّ الشوقُ شاعرًا آخر هو إبراهيم أمين فودة (1342هـ . 1415 ، 1924 . 2007م) إلى الأرض التي شهدت ولادته ، فيصفها بأنَّها منارة الهدى ، وأم القرى ، وأم الضاد ، ويلبي داعي الحنين ، مؤكدًا أنه سيعود ، ويشهد الله على أنّه لم ينس وطنه يومًا ، يقول:[2]

شَــدَّنـــي الشّوقُ نحـو أرضِ الوِلادِ	فاستجابت نـفْـسي لشَوْقـــي المُـنادي
يا ربوعَ الميلاد والعــودِ والبـــعـــ	ـثِ وأرضَ المعـــادِ يــومَ التَّـنـــادي
يا منارَ الهـــدى ويا مَـطلعَ النُّـــو	رِ وأمَ الـــقُـرى وأم الضّـــــــــــاد
أنـا آتٍ لبيك لــــبـــــــــــيـ	ـك وكـم قُـلـتُها خلال بُعـــــــادي
أنا آتٍ ، لبيك من كـــلِّ نبــــضٍ	في عروقي ، وخاطـري ، وفـــــؤادي
يعلمُ اللهُ ما نسيــت ولا أنسِـــــيـ	ـت ولا غـاب عـن هـواك رَشـــــادي
أتحدى الزّمانَ إن يثبت الـــــدُّهـ	ـرُ عـلـى مهجـتـي فُراقَ بـــــــلادي
أنا كلي منها : فمنـها دَمائـــــــي	ويقـيـني ، وفكـرتي ، وسِنـــــــادي

[1] قنديل ،أحمد ، ديوان : "شمعتي تكفي " ، ط2 ، ادفا ، بيروت، 1973م ، ص13.

[2] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، ط1، الناشر :عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدّة ، 2005 ،331/1.

ويؤكد المعاني ذاتها في قصيدته (حنين)[1] ،فقد طال صبره على الفراق ، ولم يعد يدري غاية صبره هذا ، فهو يهوى وطنه ،ولم ينسه ، رغم بعده عنه ،وهو وفي له وفاء فوق الحدِّ فكيف يسلو سبب حياته ووجوده ؟؟ يقول:[2]

طالَ صبري على الفــــراق ولا أعـ لمُ ما غايةُ اصطباري عليـــه
رَبِّ ما ألَمَ الفراق علـى النــــــف سِ ، وما حيلةُ الفؤادِ لديـــه؟
أنا أهوى ، وما سلوتُ الـــــذي أهـ واه ، لكن شطَّ المزارُ إليـــــه
ووفائي فوق الظنون وَمَـــــــنْ أهـ واه أهلُ لذلكَ بل ضِعْفـــــــهِ
كيف أسلو ، وَليَّ نعمتي الكـــــب رى وكُــلّي مِـنْهُ وصُنْـعُ يدهِ؟

ونلتقي بشاعر آخر ، يحنّ إلى بلدته (عُنيزة) ، التي عاش فيها صغيرًا ، وكبر ، فلم ينس أهلها ، ومرابعها ، ورمالها ،وعلمائها ، الذين تلقى العلم على أيديهم ، فقدّر فضلهم ، ذاك هو الشاعر : عبد العزيز بن محمد النقيدان (1356هـ . ؟) ، الذي يقول:[3]

ألقيتُ رحْلي صغـيرًا فــي مَــــغـانيهاِ وقد كَبِرْتُ ومـا أنْـسى أهـاليهـا
لـم أنْـسَ أَرْبُعَها في كُــلِّ مُعْتَـــركٍ وفي خُطاها إلى الآمال تطويهـا
رمالها الحمرُ لم تَــبْرحْ مُخَيْـلتـــــي نَخيلُها شامِخاتٌ تَزدهي تيهـا
تَهَلْتُ علمًا على أيـدي أكابرهـــــــا ولـلـمربِـي يـدٌ للنَّاسِ يُسْـديـهـا
ملاعبُ الأمسِ أفراحٌ تُساوِرنـــــــي أعـيـشـها كَحَّلت عـينيَّ مرائيهـا
لم أنسَ جيلا له في العلم سابقــــــةٌ مَضَــى يُـحَـقـق للـفيحا أمانيهـا
عَــاشــت رُبــاكِ على مجـدٍ يُــتوِّجه سمرُ السَّـواعِـدِ تــفـديه ويفديها

ونراه في قصيدة أخرى ، يؤكد غربته عن وطنه سنين كثيرة ، لكنه لم ينسها ، أو ينس عرارها ورطبها ، فهو يمضي يومه مكتئبًا ، حتى إذا لاحت نجوم وطنه في أفقه ، عاد فرحًا سعيدًا ، يرنو نحو وطنه ليضمد جراحه ، ويعترف بنأيه عن وطنه ، لكنَّ روحه ما زالت هائمة به يقول:[4]

أَمْضَيَتُ بِضْعَ سنين عَنْكِ مُغْتربًـــــا فـما نَـسيتُ عرارًا فـيكِ أو رُطـبا
سفائنُ الشّوقِ تجري بي مُحَمَّلـــــــةً بالذّكرياتِ ويومـــي كُنــتُ مُكْتئبـا

---

(1) فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 156/1.

(2) المصدر السابق ، 156/1.

(3) النقيدان، عبد العزيز بن محمد ، ديوان : (ترانيم الرمال) ، نادي القصيم الأدبيّ ببريدة ، (د، ط ، د، ت) ، ص 61.

(4) المصدر السابق ، ص 21 . 22.

تلوحُ أنْجُمكِ الزّهراءُ في أُفقــــــــي ... فـانْـثـنــي وفـؤادي يقـطـعُ الحُقُـبـا

هتافُهُ النّظرةُ الظّمأي لمنشئـــــــــه ... يُضَمِّدُ الجرحَ يـأسو كلَّ مَنْ وَصَبا

إنِي نأيتُ وروحي فِـيك هائمـــــــةٌ ... كـلـتـا يَديَّ تواســي خَدكِ التّربــا

رأيتُ أرضكِ تـبرًا كـم طَـربــتُ لــه ... أرخَـصْتُ من أجله الأكبادَ والنُّشُبا

وهذا الشاعر الرائد عبد الكريم الجهيمان (1330 ـ1433 هـ /1912 ـ 2011م) كان في رحلةٍ إلى أوروبا ، فشاهد نخلةً ، فتذكر بلاده ، فتوقف عندها وأخذ يناجيها ، ويبثها لواعجه ، وأشواقه ، وحنينه وآهاته ، يقول الجهيمان:[1]

رَأيْتُها فذكرتُ الطّلْعَ والبـانــــــــا ... وكان بِــي شَجَــنٌ زادتــه أشْجانــا

أَنِستُ لَمَ رأت عيناي طلعَهـــــــا ... وذكـــرتــنـــي أخـــوانـــا وأوطـانـــا

يا نخلةً قد سَمتْ في الأفق هامَتُهــا ... وأرسلتْ في الهواءِ الطّلْقِ عَسبـانا

تلينُ من نسماتِ الرَيحِ قامتُهـــــــا ... والْخَوصُ يُلْــقي أغارَيدًا وألحانــا

لا غَروَ أنكِ عُمْرَ الدّهرِ عَمَّتُــــــا ... عِـشـنــا وإياك أحقـابًــا وَأَزْمانـــا

فاشكي لنا ما لقيت الدّهرَ من عَنَــتٍ ... وَنَحْنُ نُلْقي إلى شَكواكِ شكوانـــا

ومن قصيدته (أنّة غريب) ، والتي قدّم لها بقوله: "هذه القصيدة قالها الناظم في ظرف دقيق عصيب ، ولذلك فهي تنمُّ عن روح متشائمة ، تفيض بالسخط الغزير ، والتبرم المرير كما أنّها من ناحية أخرى ، تعبّر عن أشواق جارفة وعيون ذارفة"يقول:[2]

ذابَ من فَرْطِ شــوقِـه وجدانـــــــي ... وأتـــانـــي مـــن الهــوى ما برانــــــي

وتذكرتُ في البُعـــادِ بـــــــــلادي ... وتــذكـــرتُ فـــي النّوى أخــوانـــــي

وتصورتُ بــلـــدتــي وضحاهـــــــا ... وهـــواها وطيـــب تــلك المغانــــــي

وتَـــــجولتُ بالخيـــــــال مَليــــــا ... فـــي رُبــاهـــا بـــمـــدمــعٍ هتَّـــان

إنَّ مرأى القيصومِ والشّـــيح والحو ... ذان أشــهــى من زخـــرفـات المباني

يــا بلادي إليكِ مني ســــلامـــــاً ... من فـؤادي ومـن دمـــي ولســانــــي

إنَّ دهرًا قد ســرّني فِــيك قد عــــا ... د فــأورى الـزّنـــادَ فـــي أركـانــــي

[1] الحميديّ ، ناصر بن عبد العزيز ، مذكرات كاتب لمحات من حياة وأدب عبد الكريم الجهيمان ، ط 4 ، بيروت ، 1420 هـ ، ص 122.

[2] انظر: القشعميّ ، محمد عبد الرزاق ، عبد الكريم الجهيمان شاعرًا الملحق الثقافي في جريدة الجزيرة ، العدد (10276) ، الخميس 20/شعبان م1421هـ ، وانظر: ادريس ، عبد الله ، شعراء نجد المعاصرون ، دراسات ومختارات ط1 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1960م ص 169.

مــراقد آبائي ومهـــــــــــدُ طفولتـــي ومـلـهى شبابي بيْـن (ثاج) و (بيرين)

ويحملُ القلمُ أشواق رائد من روّاد الشعر في المملكة العربية السعودية هو الشيخ حسين عبد الله سرّاج ، (1332 . 1425هـ / 1912 . 2007م) الذي أمضى شطرًا طويلاً من حياته ، مغتربًا في مصر والعراق والأردن فعاني الغربة وآلامها ، فجاش به الحنين لمسقط رأسه مدينة الطائف ، فقال مخاطبًا وطنه:[1]

حَمَلَ الشَّوقَ إليكَ القلمُ بخاطري فإذَا الأَسْطُرُ دَمْــعٌ وَدَمُ

وإذا الذّكرى وقد هاجت مُنّـــــىً أَلِهَنَا فِيْها وفيهــا الألـمُ

وَأَنَا أنتَ ومالي أمـــــــــــــلٌ أنْتَ آمالي وأنتَ النِّعَـمُ

أَلِوَصْلٍ عِنْدَ وادي النّرْجـــسِ

وَليالي الأُنسِ "بالمقتـــــــــبسِ"

مِنْ شُعَاعٍ يُرتَجَى أوقَبـــــــسِ

أَلِذِكْرَى في مَغَاني "الطائـــــفِ"

ما لقلبي كلّما هبَّت صَبــــــــــا

هَزَّهُ الشّوقُ لأيامِ الصِّبـــــــــا

وتمنّى العيشَ في تلك الرُّبـــــى

هكذا الدّنيا وصالٌ وَجَفَــــــــا وَنَعيْـمٌ مُتْرفٌ أَوْ عَدَمُ

ونلتقي بالشاعر الدكتور خالد بن سعود الحليبيّ (1964 . ؟) وهو في الطّائرة ، عائدًا من رحلته العلميّة ، التي شملت مصر والأردن وسوريا وتركيا ، والمغرب العربيّ ، مخاطبًا بلدته الإحساء ، طالبًا منها أن تخطر على باله ، فرجولته عطشى لحنانها ، فقد طوّف في بلاد الغربة ، ثمّ عاد يسبقه قلبه إليها ، فهي بسمة الروح ، وفي لقاءها تهدأ الأحزان ، يقول:[2]

رُقّي على قلبي رفيفَ معــــانِ فرجولـتي ظمآنةٌ لحنــــــانِ

طَوَّفتُ تَحرقُني مواجدُ غربتــي ورجعْتُ يسبقـني إليك جنانـــي

يا بسمةَ الرّوحِ الطهور وطلعة الْأملِ الوضيءِ وّهدأة الأشجان

هذا فؤادي يا حياتي فامسحـــي رهجَ الشّقاءِ وَغوَّي حرمانـــــي

---

[1] سرّاج، حسين عبد الله ، الأعمال الأدبية الكاملة ، ط1، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 2005م ، ص 284.

[2] الحليبيّ ، خالد بن سعود ، ديوان : (قلبي بين يديك) ، ط1 ، نادي المنطقة الشرقية الأدبيّ ، الدمام 1993م ، ص 63.

ويتغنى الشاعر أحمد بن يحيى بهكليّ (1374هـ . ؟ / 1955م . ؟) . ببلدته جازان ، و يسأل عنها الليل والنجوم ، لعلّه يلقى عندها خبرًا عنها ، كما أنه ينام مبكرًا ؛ كي يراها حلمه ، ويصحو على ذكراها ويجتاحه الشوق لها ، يقول من قصيدة (الأرض والحبّ) [1]

أُسائِلُ عنكِ الليلَ والأنجم الزّهـــرا	لعلّ لديهـا عنك يـا فتنتي خبـــــرا
وأنـتجـعُ الأحلامَ ظَنّاً بأنَّـنــــــــي	سألقاك حلما يحـتوي لهفتي الكبـرى
وأصحو على ذكرى ليل تصرمــت	بمغناكِ يا وجدي وأغـفو على ذكرى
ويجـتاحـني شوقٌ إليك إذا شـــدت	بألحانها قمريةٌ تشكرُ الفجـــــــــرا

ويقرُّ الشاعر أنَّ غربته علّمته أن ليس للمرء إلا وطنه، بعد أن ذاق مرارة الفراق ، ها هو يعود يقبل تراب الوطن ، يقول:[2]

ألستِ ترين الراحلِ الصَّبِّ قد ثوى	يُقَبِّلُ تربا فيك قـد أرخص الثّبرا
أتيتك يا أرضي فهل لك في فتىً	يحبُّك لا يرجو على حبِّه أجرا
أتَيْتُك يـا جازانُ مِنْ بعْدِ فُــرقـةٍ	تـعلمتُ فيها ما تجاهلتـه غِـرا
تعـلمتُ أنَّ ما للفتى غيرُ أرضـه	ولو وَطِئَت أقدامُه فُلْكَ الشّعرى
بروحي تلك الأرض من إثلها إلى	منابتِ سعيدٍ قد انتشرت عِطرا

وبعد غياب عن مسقط رأسه " قرية عراء" يعود الدكتور عبد الرحمن العشماوي (1956م– ؟) إليها ؛ ليرى معالمها الجميلة ، وليقرأ في وديانها ، وحقولها قصة الطفولة ، وعبير الذكريات ، وليشم في أرجائها عبير الماضي الجميل ، حين انطلقت روح الشباب في حياته، يقول:[3]

قـريتـي يـا محـطَّةَ الذّكريات	يا ائتلاقَ الرِّضى وصفو الحياةِ
قريتي يا انطلاقَ روحِ شبابي	في حياتي ويا صدى بســماتي
لم أزل أذكرُ الزُّهـورَ الجميلة	تهبُ الأنسَ للقـلــوبِ العليلةْ
لم أزل أذكرُ الحِـمى يـومَ كنَّا	لا نُبـالــي صعودَه ونُــزولَهْ

وهذا شاعر يهدي ديوانه الشعريّ إلى بلدته ، ويدعوه باسم بلدته، ذلكَ هو الشاعر: حمزة ابن فايع آل فتحي (1390هـ . ؟ / 1970 . ؟) الذي سمّى ديوانه (خمائل محائل) ، والذي قال في مقدمته " فهذا ديوان شعر ذو مذاق خاص ، يرتبط معي نفسيًا وعاطفيًا واجتماعيًا ،

---

(1) بهلكيّ، أحمد بن يحيى ، ديوان : (الأرض والحبّ) ، ط2 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1400 هـ / 1980م ، ص21

(2) المصدر السابق ، ص 21.

(3) العشماوي، عبد الرحمن صالح ، ديوان :(صراع مع النفس) ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2002م ص91 ، 92.

حيث ينتمي عنوانه وسمة إلى الحاضرة التي نشأت بها ، (محايل عسير) مسكني وروحي ، دراستي وطفولتي ، ولعبي ومرحي ، في ذكريات طوال ، لا يمكن نسيانها ، أو هجر حلوائها ، إنّها موطني وانتمائي ، وحديثي، ومسامراتي ، ليالي محائل الغراء ، والمدينة الحسناء ، التي أشوقها شوق الهائم الملهوف ، والبعيد المخطوف والمغترب الشغوف . أهدي مدينتي وآسرتي وساحرتي هذا الديوان " .[1] فلنصغ إليه وهو يقول في قصيدته (محايل الآمال):[2]

وُلدتُ في "الطائفِ" الميمون وانبعثَتْ إلى "محايلَ" آمالي وأشـــواقـي
بها طَلعــتُ إلى الدُّنيا وما بَرِحـتْ نفسي تتوقُ على مجـدٍ وآفاقِ
"حـيُّ الرّبـوعِ" ترانيمـي ومَفْـرحتـي وفي "المُحتَّمِ" خِـلاني وأوراقـي
تـبــقى " محايلُ" أسْــرارًا ومـنـزلـةً مـن الهُـيـام لـمـسفـارٍ وتــوّاقِ
كـم قَـدْ ضربْنا وسـافَرْنـا بلا عـــددٍ لكنْ "محايلُ" عنواني وتِرْياقــي
قَـضَـيْتُ أروعَ أيـامــي ورائـعـــهـا وكنتُ كالدوحِ في لحنٍ وإيراقِ
وإنْ نـأيْتُ بعيدًا كُنْـت مُـذّكـــــرًا لجوِّها الْعّذبِ في نَجْوى وإشفاقِ

ويشدو الشاعر عبد الله بن أحمد الفيفيّ (1382 هـ . ؟ / 1963م . ؟) . متغنياً متشوقا لبلدته (فيفاء) في قصيدة مطولة ، ناهزت ستة وستين بيتًا ، وذلك خلال إقامته بمصر يفتخر فيها بوطنه ، ويحنُّ لذكرياته في بلدته ، مسحوراً بجمالها ، ورونقها ، يقول:[3]

قـريــتـي يا محطّـةَ الذّكـريـاتِ يا ائتلافَ الرِّضى وصفـوَ الحياةِ
قريتي يــا انطلاقَ روحِ شــبـابــي في حَياتي ويــا صدى بَسـماتي
لَـم أزلْ أذكر الزُّهــورَ الجمـيـلةَ تَـهَبُ الأُنْسَ للــقـلـوب العليلهْ
لـم أزل أذكر الحـمــى يـوم كـنـا لا نُــبـالــي صُـعـودهُ ونـزولـــهْ
يـوم كُـنّـا نـبـنــي عليـه الأمانـي لا نُـبـالــي بِـرحــلـةِ الأزمــــانِ
ونـغـنـي عليــه ألحــان شــــوقٍ ونَـراهـــا مــن أجــملِ الألـحـــانِ
فَيْفــاءُ ، يـا فُلْكَ الخـيال الأبعدا وهَـوىً يُسافـرُ في جناحَيهِ الـمدَى
ما ضَـمّني بَـلَــدٌ ولا ضامَ النَّوى إلا وجَــدْتُ شــــذِاكِ فـيَّ مُـجَدّدا
قالوا : هــي الأوطان مهما تَجْفُنا وأقــول، يـــا وطـنـي : فَدَتْكَ سيِّدا

---

[1] آل فتحي، حمزة بن فايع ، ديوان : (خمائل محائل) ، ط1 ، جامعة الملك خالد ، 2012م ، ص2.

[2] المصدر السابق ، ص122.

[3] د. الفيفيّ، عبد الله بن أحمد ، ديوان (فيفاء)، ط1، اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق،2005م ، ص139.130.

فـــيفاءُ يا كـأس النّدامى إنْ هُـمُ ظـمــئوا لِدَنــكِ أكؤســـاً أو أَكْبُدا
فيفاءُ، يا بِئْرَ الــمعـاني المُفَرَدا ومَعِينَ شَـوْقٍ بـالحــروف تَـوقدا
تَعِبُ الفُؤادُ إليكِ، يـا بلقيسَـــهُ فأتى يفــتش عَنْكِ عرشكِ،هُـدهُدا

وفي قصيدته (دار الأحبة)[1] .يشكو الشاعر محمد حكمت وليد(1944م- ؟) ما يعانيه في غربته، وما يلاقي من حرقة، وهو بعيد عن وطنه ، سائلاً دياره أن تغفر بَيْنَهُ وبعده عنها ، يقول:[2]

سَرَيْتُ بأحلامي لدار أحبتـــــي أُبــلِّغــهـا حبّي وعــتـبـي وحُـرقـتـي
وأنشدها أشواقَ روحٍ رفيفـــــةٍ وأحـكــي لهـا عـمّا أعـانـي بغُـربـتـي
يقاسي فؤادي ما ينوء بحملِـــهِ ولـكـنَّ عَـيـنـي لا تـبـوحُ بِعَبْرتـــي
أُكـابِدُ حُبّـي كـالمـآذنِ واقـــفًا وأسـمـو بأشواقــي إلـى حـيـثُ جَنّتي
أَتَعْرِفُني داري إذا مــا قصدْتُها؟ وتــذكــرنــي مـن بعــد عشرين حِجَّةِ
سأسعى إليها ماسحًا عن جبينها هـمومي ، فَـهَـمُّ الدّار همّي ومحنتي
وأســـألها أن تغفرَ البَيْنَ والنّوى فما البينُ من طبعي ولا الهجـرُ مِلتي

وهكذا يظلُّ الحنين يشتعل، في نفوس شعراء المملكة العربية السعودية ، كغيرهم من الناس الذين اغتربوا عن أوطانهم، فيتوق كلّ مغترب منهم إلى رحاب الوطن الغالي، إنّه حنينٌ دائم لكلِّ حبّة رمل في الوطن، فكانت كلُّ قصيدةٍ تحمل ألوانًا من الحنين ، تمثل إحساسًا نابضًا بالحياة ، وشعورًا صادقًا نبيلًا، زاخرا بالحبِّ الكبير للوطن.

نعم ، لقد طوَّف الشّاعر العربيّ السعوديّ ، كغيره ممن تشابه حالهم بحاله، أقاصي الدّنيا وأطرافها لكنَّه لم يجد راحة- كغيره من البشر- إلا في وطنه ، ولا جمالاً إلا في أرضه ، فإنَّ المرء المنتمي بصدق لتراب وطنه لو عُرضت عليه الدنيا سكنًا وموطنًا لما اختار إلا قريته ، ومدينته ، وداره ، ووطنه. هذا هو الولاء ،وهذا هو الانتماء ، في أبهى عناوينه وصوره.

ولعلَّ المتمعن في نصوص الحنين إلى الوطن لدى الشعراء السعوديين يجد ملحوظة تستحق التوقف عندها وهي خلو هذا الشعر من التحسر على حالة الوطن ، بل على العكس من ذلك

[1] د. محمد حكمت وليد ، قصيدة : (دار الأحبة) ، مجلة الفيصل ،الرياض ، العدد 295 ، محرم 1419هـ / مايو 1998م ، ص34 .

[2] المرجع السابق ، ص34

يزداد الفخر بالوطن لدى الشعراء السعوديين في الغربة عندما يوازنون بينه وبين ما يرونه في غيره .

ويمكن القول إنَّ ثوران العواطف الوطنية على أشدها ، وبروزها بشكل ملتهب يكون في وقت اليقظة والنهضة ، وفي الغربة والبعد عن الوطن ، أو عند الأزمات والحروب ، أو الاعتداء على الوطن ، وفي هذه الحالات يفرز الشعراء شعراً قوياً صادقاً مؤثراً ، وذلك لارتباط الوطن بعز الإنسان وحميته وكرامته . وشعر الوطن السعودي في مراحله كافة ؛ لم يخبُ ، ولم يضعف أو يصب بالركود أو الخمول ، بل بدأ متوهجاً قوياً منذ اللبنة الأولى التي انطلق منها تأسيس الوطن ، وسيبقى – بإذن الله – على تألقه ؛ لأنه لم ينبع ولم ينشأ من رغبات شخصية أو أرضية ضعيفة ، بل ارتكز على الشريعة الإسلامية الغراء لا انفصام بينه وبين ما تأمر به ؛ وتلك مقومات الوطن .

وقد سيطر على شعر الحنين للوطن في الشعر السعودي نغمة حزن باكية ، ورومانسية مكتئبة ، تعكس بكل وضوح ارتباط الشاعر السعودي بوطنه ، الذي يمده بالراحة النفسية والسخاء العاطفي .

كما أنَّ من يستقرىء النصوص الشعرية الوطنية التي كتبها الشعراء السعوديون ، سيجد كماً شعرياً غزيراً غزيراً ، منذ أن بدأت مراحل تأسيس الدولة ، أما قبل ذلك فقد اختفى – أو كاد – الشعر الوطني من الجزيرة العربية ، وكان بعضهم يتغنى بمكانه الذي يقيم فيه فقط دون انتماء أوسع ، ففي الحجاز مثلاً يتغنى شعرؤاه بالأماكن المقدسة ، وفي نجد يصفونها ويتحدثون عن بعض أماكنها ... – مع التسليم بقلة هذا الشعر – فقد خبت العاطفة الوطنية الشاملة ؛ لانطفاء الدافع الذي يشعلها ، فالتشتت والتفرق والانقسام في الجزيرة العربية جعل الشعراء لا يجدون الحافز المثير للتعبير عن الوطن والشدو به ، فاقتصروا على بيئاتهم الخاصة فقط ، حتى ذكرهم لهذه البيئات كان قليلاً ، يفتقد الشعور القوي بالانتماء .

وقد برز شعر الوطن السعودي أثناء تأسيس الدولة ومنذ أول بذرة لها ، بدأ متوهجاً قوياً شارحاً الأسس التي قامت عليها الدولة السعودية ، ومجسداً البون الشاسع بين حالة الجزيرة العربية وما كانت فيه من خوف وفرقة وما صارت إليه من أخوة وأمن ، ثم أشاد الشعر بالتوحيد ، وهذا الحدث الجلل تغنى به الشعراء بنشوة الظافر وبهجة المسلم الذي يرى الإسلام قد عاد قوياً في الوطن الذي انبثق منه نور الإسلام . والشعر الوطني السعودي لم ينته عند

التوحيد ، بل استمر على عنفوانه مشيداً بالنهضة ، ومتغنياً شعراؤه بالوطن بعد أن طاول السحاب عزة ، وشموخاً ، وجاوز هامة المجد رفعة .[1]

وقـد تميز شعر الوطن السعودي بملامح وقسمات جعلت له شخصية مميزة وخاصة ، ومن أبرز السمات الظاهرة لهذا الإبداع في الشعر السعودي بروز الهوية السعودية في هذا الشعر، فأغلب الشعر الوطنيّ العربيّ ربما يفتقد هذه الخصوصية ، مما يجعل المتلقي يميز شعر الوطن السعودي عن غيره ، مثل ترديد مفردات الصحراء وما يتصل بها من شيح وعرار وقيصوم ونخيل ، ولأماكن جغرافية ترددت في الشعر العربي القديم ، ولا عجب في ذلك فالجزيرة العربية هي منبع الشعر وموطن فحول الشعراء العرب منذ أساطين المعلقات ، ومما زاد من بروز الهوية أو من أهم معالم الوطن التي برزت في هذا الشـعر أو كانت سمته التي تفرد بها ، هي : الهوية الإسلامية ، فلا يكاد يخلو نص من ذكر للأماكن المقدسة والتغني بها ، والتركيز على إبرازها ؛ لأنها من خصائص هذا الوطن السعودي ، وهذا ما أسبغ على هذا الشعر روحانية شفافة ، وأبعده عن القومية المرفوضة .

أيضاً من أجلِّ ميزات هذا الشعر هو اختفاء العصبية والدعوة إلى الإقليمية التي ذمَّها الإسلام ، وتركيز الشعراء على وحدة المسلمين ، والتغني بوحدة الوطن ، الذي يعني الأخوة والتآلف الذي دعا إليه الإسلام .[2]

ومما يتصل بهذه الناحية هو اختفاء الأحزاب والتكتلات في هذا الشعر في أي شكل من الأشكال سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم عقدية ، مما يدل دلالة قاطعة على وحدة الوطن ، ووحدة التوجهات والأهداف ، والتحام الشعب مع الحكم ، هذا الحكم الذي يقف على ثوابت العقيدة الصافية التي كانت الأساس المتين للدولة السعودية منذ بذرتها الأولى متمثلة في الدولة السعودية الأولى .

ومن هذا المنطلق فالالتزام الإسلامي ظاهر لدى الشعراء ، برز في سلامة أفكارهم من الانحرافات العقدية والفكرية ، مما يدل على صفاء عقيدتهم من الشوائب ؛ فلا مذاهب دينية ولا أحزاب سياسية تتخبط في دياجي الفرقة ، وتضيع في بحار المصلحة .

كما اختفت المعاني والألفاظ التي توصل الوطن إلى مرتبة التقديس ، أو تجاوز الحد

---

[1] انظر: الحامد ، عبد الله ، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ، ط2 ، دار الكتاب السعودي ، الرياض ، 1413هـ، ص 36 .

[2] المرجع السابق ، ص 36 ، وانظر : الفوزان ، إبراهيم بن فوزان ، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، مكتبة الخانجي ، الرياض ، 1981، 2/ 559 ـ 563.

والتطرف في التعبير العاطفي المرفوض ، كما يبدو من قول شوقي في وطنه :[1]

ولو أني دُعيت لكنت ديـني عليه أقابلُ الحتـم المجابـا

أديرُ إليك قبلَ البيـتِ وجهي إذا فُهمتُ الشّهادة والمتابـا

كما أكثر الشعراء من التغني بالأمجاد الإسلامية التي كانت الجزيرة العربية مسرحاً لها ، وبرز هذا الملمح أو كان في أوج عنفوانه في الحقبة التي رافقت التوحيد وما تلاها مباشرة ، ودائماً يكون الفخر بالتاريخ وذكر المناقب والبطولات في وقت النهضات التي ترافق يقظة الأمة ؛ لذا كان أغلب الشعر الذي أشاد بالتاريخ ؛ رافق التوحيد وزامنه ، وهذه نتيجة بدهية ، ومن هنا فإن أغزر الشعر الذي ركز على التآلف وجسد العواطف الصارخة التي تحكي بلسان الأمة كان من الرعيل الأول أو جيل الروّاد ، وهذا محصلة طبيعة لاستبشارهم بوطن ناهض ؛ فقد عانوا قبله من القلاقل والنزاعات مما يدل ويثبت أيضاً أن الشعور بالانتماء للوطن لا ينمو ولا يتعمق إلا في ظل استقرار سياسي أولاً ، وهو الأرضية الثابتة للبناء الإيجابي ، يشهد على ذلك غزارة شعر الوطن بأشكاله وصورة كافة بعد تأسيس الوطن السعودي بعد أن كان شاحباً ضعيفاً ، لدى شعراء الجزيرة العربية ، فمن يتصفح دواوين الشعراء السعوديين سيجد أن الشعراء قد أفسحوا للوطن مساحات عريضة في شعرهم .[2]

أيضاً بدا واضحاً ميل بعض الشعراء إلى التعبير الرومانسي عن ولعهم بالوطن – وبخاصة شعر الحنين في الغربة – عن طريق محاورة الوطن وبث الأشواق والهموم والمعاناة الذاتية ، مجسدين منه صدراً حانياً يتلقى شكواهم ، ويغمرهم بالحب والحنان ، وهذه النوعية من البث العاطفي فرضتها الظروف الكئيبة المعاصرة والمحيط بالإنسان العربي والمسلم ، مما حدا بهؤلاء الشعراء إلى استنطاق هذا الوطن الذي كان شاهداً على أمة سادت العالم وتزعمت البشرية ، ولعل هذا من أبرز المسببات التي جعلت الشعراء يفرون من الحاضر إلى التاريخ ، ويربطون الماضي بالحاضر ويستبشرون ببلادهم السعودية التي رمزت إلى الوحدة الإسلامية ، وكانت نموذجاً مشرقاً للدولة الإسلامية بكل ملامحها ومقوماتها .

---

[1] شوقي ، أحمد ، الشوقيات ، مصدر سابق ،1/ 64 .

[2] الفوزان ، إبراهيم بن فوزان ، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، مرجع سابق ، 2/ 559 ـ 563.

2- الحنين إلى المقدسات:

تمتع الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، بمكانة كبيرة عند المسلمين في جميع أصقاع الأرض ، لا تساويها مكانة عبر الزمن؛ ولذلك حظيتا بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين والأدباء والمؤرخين والرحالة قديماً وحديثاً، ونظرًا لهذه المكانة وتلك الأهمية ،فقد ورد ذكرها في كثير من القصائد عبر عصور الأدب المختلفة ، وما يهمنا هنا ، هو ديوان الشعر في المملكة العربية السعودية ، فبعد الوقوف على ما تيسّر من دواوين الشعراء السعوديين ، وجدت عدداً كبيراً من هذه القصائد التي صوَّر بها الشعراء السعوديون حنينهم وأشواقهم لتلك الربوع الطاهرة.

وقد استشعر الشاعر السعوديّ ثقل المملكة العربية السعودية الدينيّ باعتبارها مهبط الوحي ، وحاضنة الحرمين الشريفين ، ومأوى أفئدة المسلمين ، ويؤكد هذا القول باحث معروف ، هو بكري شيخ أمين ، ذو الباع الطويل في الأدب العربيّ السعوديّ ، فيقول:"..وقد انطوى الحجاز على المقدسات الدينيّة ، ولا عجب إذًا أن نجد كثيرين من الشعراء ، من أبناء الحجاز يتعرضون عن عمد، أو غير عمد، لتلك المقدسات؛ فيذكرونها في أشعارهم، ويرددونها في ثنايا أحاديثهم"[1]. ونتيجة لهذه المكانة، ومعرفة الشعراء السعوديين لخصوصية وطنهم الدينية، فقد أكثروا من التغني بهذه المقدسات، والحنين لها إذا ابتعدوا عنها، شأنهم شأن غيرهم من المسلمين الذين يأتون لزيارة الأماكن المقدسة، ثمَّ ما يلبثوا أن يغادروها عائدين إلى بلادهم، فتجيش نفوسهم بالحنين إليها، وتمني العودة مرات ومرات لها، فكيف بمن سكن قربها، وعاش على أرضها!! ونتيجة لذلك فقد وقعت الدراسة على نتاج شعري ضخم تناول فيه الشعراء السعوديون موضوع الحنين إلى الأماكن الطاهرة والمقدسات الإسلامية. وللمكان المقدس دلالات كثيرة عند الشعراء ، فهذه الأماكن المقدسة بجلالها وهيبتها ، تضفي بظلالها الروحية على خطابات الشعراء المنوعة ، وتكمن قداسة تلك الأمكنة بالمقدسات التي بها ، مثل : (الكعبة المشرفة ماء زمزم ، الحجر الأسود ، المسجد النبوي ، القبة الخضراء ، جبل أحد ، وادي العقيق ، والبقيع ، والمزدلفة ، وعرفات ، والجمرات ، ومنى ،...إلخ).

وأُضيف وبيت المقدس صنوهما في الشّعر السّعوديّ وله مكانة عظيمة في ديوان الشعر السعوديّ أيضًا ، وسنقف على شواهد من ذلك في ثنايا هذا البحث.

---

[1] بكري، شيخ أمين ، الحركة الأدبيّة في المملكة العربية السعودية ، دار صادر ، بيروت، 1973م، ص33.

ويقول د. سعد العطويّ في ذلك :"ليس هناك من شاعر من شعراء السعودية ، لم تدلف نفسه إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وليس هذا الأمر حكرًا على الشعراء السعوديين فحسب ، وإنما هو عند جلَّ الشعراء العرب ، لكنّ الشعراء السعوديين أكثر التصاقًا ، فهم يشاركون الآخرين في التقديس ، وتعظيم المشاعر ، ويزيدون عليهم بالانتماء التاريخيّ للوطن ، والاستيطان الواقعي ، فهم يستشعرونها ، ويحملون راية الإسلام ، ويذودون عنها"[1]

والغريب أنّ أحدنا يملّ من وجوده في أيَّ بقعة من بقاع الأرض ، ولو كانت الأجمل في كلِّ شيء، ويشعر بالغربة والحنين إلى دياره وأهله ،إلا إذا كان في المدن الثلاث : مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس، فإنّ زائرها يتمنى البقاء فيها ما بقِيَ وما استطاع، فإذا غادرها يتمنى أن يعود إليها مرارًا وتكرارًا ؛ فكأن هذا الشوق والحنين سرّ من أسرار الله تعالى أودعه في عباده المؤمنين لتهفو نفوسهم دومًا لموطن النبوة ، وقطع الجنات على الأرض.

هذا وقد كان "الشوق في الماضي والحنين أشدّ ؛ وذلك لأنَّ الناس اليوم قد اعتادوا رؤية الحرمين الشريفين في وسائل الإعلام المختلفة ، ونُقِلَ إليهم من تفاصيل أحوالها الشيء الكثير ،وذلك بخلاف أجيالٍ مضت ، حيث كانوا يسمعون ولا يرون وليس الخبر كالعيان ، لكن يظلُّ أصل الشوق والحنين موجودًا يخالط الناس . فكيف الشعراء . بين الفَيْنَة والأخرى ، ويتمنون ملابسة تلك الأماكن الطاهرة ، ووصل النظر ، والمشاهدة بالتجربة والممارسة"[2]

وها نحن نلجُّ عالمًا واسعًا من قصائد الحنين إلى المقدسات في الشعر السعوديّ ، فلنتقي مع الشاعر الكبير حسن عبد الله القرشيّ ، الشاعر والسفير ، حين يأسره صباح مكة الجميل ومساؤها ، فتمرّ بذاكرته مواطن القداسات فيها ، الكعبة وجموع الطائفين بالبيت العتيق ، وجبل النور ، مولد الوحي السّماويّ، إنَّها مكة مدينة القداسة والجلال ، يقول من قصيدة (مكة):[3]

تَفتَّق عن راحتها الصَّباحُ	وشَعْشَعَ في راحتيْها القمر
وأزهت بها الشمسُ فوقَ البِطاحِ	وجُنَّ بها الليلُ حلوَ الصُّور
بِها كعبةُ اللهِ طافت بِها	قُلوبٌ تَحِنُّ وأزْهت عُصُر
هَيا جَبلَ النّورِ كم ذا شهدت	من المعجزات وكم ذا ظهر

[1] العطويّ ، مسعد بن عيد ، الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1417هـ ، ص33.

[2] الشريف ، محمد موسى ، الشوق والحنين إلى الحرمين ، ط1 ، دار الأندلس الخضراء ، الرياض، 2010م ص8.

[3] القرشيّ، حسن عبد الله ، ديوان (نداء الدّماء)، ط2 ، دار العودة ، بيروت، ص47- 48.

أمكـةُ فـيك انـطـلاقُ الحَـــنيــنِ وفـيك الشُّعـورُ قـد شـــــعر

ويقدِّم عبد الحقّ النقشبنديّ (1322ـ1402هـ) لقصيدته (شوق) ، بقوله :"أول قصيدة نظمتها حينما كنت أدرس بالهند ، أشتاق لموطني المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"[1] ، وهذه القصيدة بدأها الشاعر .كعادة القدماء .بمقدمة غزلية، ثم تخيل صديقين وهمين خاطبهما بأن يعرجا به نحو طيبة ليرى محبوبه ، محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقد برّح الشوق بجسمه ، فجاء يشكو همه وشجواه وغربته لساكن طيبة، الذي كان وجوده فيها حافزا ساعد على الحنين للمدينة بوصفها مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ووطن الشاعر، متمنيا أن ينال شفاعته، يقول:[2]

تـذكرتُ ذاك الأهيفَ المائسَ القَـــــدِّ ففاضت لآلي الدمع مــني على خَـدْي

خَــليليَّ عَرِجا نحوَ طيبة إنَّ لـــي بها شادنًا يُسْبي عــقــولَ أولي الرُّشدِ

وقـولا لـــهُ إنَّ الــمُــتــيمَ لـم يـــزل على ذلــك العـهـدِ الـقديمِ مِن الودِّ

لقـــد برّحَ الشّـــوقُ الملمُ بجســـمِــه فـأضحى خيالاً لا يُعِيـدُ ولا يُـبـدي

فـهـمٌّ وغـمٌّ والــتـيـاعٌ وغُـــربــــةٌ فـتبًا لـهذا الدَّهـرِ كـيفَ بـنـا يُردي

رعـــى الله أيـامًـا تَـقَضتْ بِطَـيـبـةَ وليلاتِ أُنْـسٍ فـي نَـعـيمٍ وفـي سعدِ

ألا قــاتــــلَ الله الـهـوى مــا أمـــرّه وأحـلــى اللــقـا بَيْـن التَّـفـرُّقِ والبُـعـدِ

وكيف وصولي نحوكم سادة الحمـــى شــتــان مـا بَـيْـن المدينــة والهــنــدِ

ألا ليت شِعْري هــل لطيبةَ عَــــودةٌ أُقبّـلُ أعـتـاب الحـبيـبِ وأستجـدي

إلى أحْـمـدَ المُـخْـتار زاد تــولــعـــي وهــاجـت تـبـاريـحُ الصّبابـةِ والوجدِ

لعلّـي إذا مـا نـِلْت مــنهُ شـــفاعــةً أنالُ المنى في القربِ مـنه وفي البُعْـدِ

ولئن جاء ترحال بعضهم أو جلّهم اختيارًا ، فما أسرع ما كان هذا الراحل يهفو إلى البيت العتيق، ويحنُّ إليه ، وإن كان غير بعيد عنه ،لا يلهيه عن ذلك سحر الجمال، ولا دهشة العالم الجديد، حتى إنَّ أحدهم تخنقه العبرة ، وهو يغادر أرضها، فهذا علمٌ من أعلام الشعر في المملكة العربية السعودية، الشاعر الكبير أحمد إبراهيم الغزاويّ (1909م– 1981م)

---

[1] النقشبنديّ، عبد الحقّ عبد السلام ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، منشورات :عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة،2005، ص34.

[2] المصدر السابق ، ص 34.

يقول وقد توسطت السفينة التي غادر فيها إلى الهند عرض البحر ، في قصيدته (الحنين إلى مكة).[1]

وباخـرةٌ أرست بينبعَ ساعـــــة	وَدَدْتُ لو آتي كـــي أراكم فنارُها
تولتْ ولولا خـشيـتي لكفيتُـهـــا	بِوَجْدي لو يذكي عليها (بخارُها)
فما لوعةُ الباكي يثورُ به الجوى	وقـد حَطّمَتْهُ بالصَّبابةِ نارُهـــا
بأعظمَ مني حسرةً إذ رأيتُهـــا	تُـيـمـمُ دارًا شـطَّ عـنــي مزارُها

ويقف الشاعر عبد العزيز بن محمد النقيدان (1939م- ؟) في الروضة الشريفة ، أمام قبر سيّد الخلق محمد رسول الله ، فتثور في نفسه الذكريات إلى تلك المرابع التي سار عليها رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار من الأنصار الذين جاءوا جحافلاً، شوقًا للحبيب، يقول:[2]

تطوفُ بي الذكرى إلى كلّ مربعٍ	بـــه حطَّ رَحْلُ الدِّين يـبني ويرفـعُ
رأيتُ بها الأنصارَ جاءوا جحافلاً	إلى شوقك الميمونِ شوقًا تجمعـوا
يَحـفـون بالـقصوا وفيهم تَشَـوقٌ	بذكرِكَ تَدي، مِـسْـــكُـها يتـفـوعُ
محمدٌ إني قد نظمتُ قصيدتـــي	بذكرك تندي ، مسكها يتضـــوعُ
أتينا إلى هـذا الحـمى بِتذلـــلٍ	وفـــي القلبِ إيمانٌ بحبِّكَ يسطعُ
أتينا وصلينا وفي القلبِ نَـــشوةٌ	إلـــى مَعْدَنِ الأنوارِ وهي تشعْشعُ
رأيتُ أمامي منبرَ الحقِّ شامخًا	وفيـــه رسـولُ اللهِ بالحقِّ يَصْدَعُ
بِطاحٌ بها شـــعَّ الضِّياءُ مُؤَيِّدًا	مـــن اللهِ لا يَخْبـــو ولا يَتَضَعْضَعُ

ولقد خشعت يا رسول الله ، حين رأيت غيري قربك ، وقد خشعوا والإيمان يسطع في قلوبهم ، أتينا وصلينا، وفي القلب شوق إلى مدينتك وهي تتلألأ بنورك، وهذا منبرك الذي طالما صدعت بالحقِّ من فوقه، في بطاحٍ منها كان نور الإسلام، الذي سيبقى مؤيدًا من الله ، لا يخبو ولا يضعف يقول:[3]

خَشَعْتُ وَحَوْلي في رحابكَ خشَّعٌ	تسيلُ لهم من حوْلِ قَبْرِكِ أَدْمُعُ

ويحنُّ حسين عرب(1338- 1423هـ/1919-2002م) إلى مكة(أم القرى) واصفًا إياها بجنّة اليوم والغد ، وأنّ ترابها كالمسك المعطر، وصخرها أغلى من الزمرد، كيف لا ، وهي مولد

---

[1] أحمد إبراهيم الغزاوي، الأعمال الشعرية الكاملة، الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة ، 2000م ، 269/4.

[2] النقيدان، ديوان (ترانيم الرّمال)، مصدر سابق ، ص128.

[3] المصدر السابق ، ص127.

خير الأنبياء محمد، وأنت مكة ، التي عشقناك صغارًا وشبابًا، وزاد عشقنا لك شيوخًا، يقول:[1]

أَأُمَّ الْقُرى يا جنَّةَ اليوم والغَدِ ويا زينةَ الماضي التَّليدِ المُجَدَّدِ
تُرابُكِ أندى من فَتيتٍ مُعطَرٍ وصخْرُكِ أجدى من كريمِ الزُّمردِ
أعزُّ بلادِ اللهِ في الأرضِ موطنًا ومولدُ خيرِ الأنبياءِ مُحمَّدِ
عرفنا الهوى من قَبْل أن يُخْلقَ الهوى لديكِ فوافيناهُ في خَيْرِ موعدِ
عشِقناك أطفالاً صغارًا وفتيةً وزدناك أشْياخًا عظيمَ التَّوَجُدِ

فهي الأفضل بين بقاع الأرض قاطبة ، ويؤكد ذلك حين يأخذ بتعداد مميزات مكة المكرمة التي خصّها الله بها، دون سائر أصقاع الدنيا ، فهي بلد الأمن والكعبة، ومقام إبراهيم ، و بئر زمزم ، ومنزل الوحي ، وضيوف الرحمن ، وبها تتضاعف الأعمال ، ويأمن الزائر والطير، وبها المقامات والمشعر الحرام، يقول:[2]

بِلادٌ حَباها الله أمنًا وكعْبةً يُصلّي إليها النَّاسُ فَرْضًا مُحَتَّما
وآياتها ما دامَ للنَّاسِ قِبْلَةٌ بها بَيناتٌ تَنْثُرُ الأفقَ أَنْجما
مَقامُ خَليلِ الله فِيها مُحجباً ومَشْرَبُ إسماعيلَ من بئرِ زَمزما
ومنْ أَمَّها مِنْ أَيِّ قُطْرٍ وبلدةٍ ومرَّ على الميقاتِ لبّى وَأحْرما
وفيها نُزولُ الوحي أولُ سورةٍ بها اقرأْ ويا مدثرُ اصدعْ ليُعْلما
وضوعفتِ الأعمالُ فيها تفضلاً من الله ذي العرش الذي قد تكرَّما
وليستْ تَمرُّ الطَيرُ من فوق سَطحُها تَزاورُ عنه سانحاتٍ وحُوَّما
ويأمنُ أُتَيْها وَيَحْرُمُ صَيدُها وأشجارُها حُكمًا من الله مُحكما
وفيها مَقاماتٌ وفيها مَشْعرٌ تُبَيَّضُ وجهَ الكونِ فخرًا مُسلَّما
ولو عرف الإنسانُ حُرّمة أرضَها تأدبَ فيها واستقامَ وعَظّما

ويرى أحمد سالم باعطب (1355-1432هـ/1936-2010م) مكة أمّا حبيبة، يحنّ لها ويشتاق، ويجسدها امرأة من لحم ودم ، ترضعه ويقبِّل يديها، وكلامها عسل صاف ، يرتاح إليه من يسمعه ، يقول:[3]

---

(1) عرب، حسين علي ، الأعمال الكاملة ، ط1، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة،1405هـ ،178/2.

(2) المصدر السابق ، ص 179.

(3) باعطب ، أحمد سالم ، ديوان:(الروض الملتهب) ، الناديّ الأدبيّ بالرياض ،1980م ، كتاب الشهر رقم17، ص242.

يا مُهجة الأرضِ يا ريحانةَ العُمرِ ... حبيبتي أَنتِ في حِليٍّ وفي سفـري

كم بِـتُ أَرْسُـمُ أحلامي مطرّزةً ... إليك بالشَّوقِ والتّذكارِ والسَّــهــرِ

يَـا خيْـرَ أُمٍّ رعى الرَّحمنُ مولدَها ... ومُـنيةَ العاشقيْنِ:السَّــمعِ والبصـرِ

أنـا الـذي أرضعتني كُـلَّ ثــانيـةٍ ... قَبَّلْتُ فيها يَدْيك الحُبَّ من صِغَرِي

يــا قلبَ أرض بلاد الله قـاطبةً ... يطوفُ حولكِ طُهْرُ الحِجْرِ والحَجَرِ

إن كانَ حُبُّ الفتى في عُرْفِهِ قَدَرًا ... فـإنَّ حُـبَّكِ في عُرْفِ الهُدى قدري

لا شيءَ يملأُ أكوابي إذا فَرَغَـتْ ... إلا رِضَابُ المنى من ثغْرِك العَطِرِ

وللبقاع المقدسة في شعر محمد بن علي السّنوسيّ نصيب كبير، ففي قصيدته (طيبة).[1] يظهر لنا مدى تعلقه بتلك البقعة ، التي شهدت انبثاق نور الرسالة الإسلاميّة ، بعد أن فتحت أبوابها للرسول ﷺ ولصحابته من المهاجرين، فمنها انطلقت جحافل المجاهدين، رافعين رايات الحقِّ؛ لنشر هذا الدين العظيم، يقول السّنوسيّ محيبًا طيبة، ذاكرًا ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام والمسلمين:[2]

مَنْزِلُ الوحي والملائــك والأنْـ ... ـصار والطّيِّبين جـيلاً فَجيْــلا

وَمَلاذُ المُهاجريـــنَ إلى اللّـ ... ـه شبــابًا وصـبيةً وكهـــولا

هبّ منها الهُداةُ وانطلـق الإيـ ... ـمـانُ والمؤمنونَ صفًّا طويـــلا

ومشى في ظلالِها موْكِبُ الحـ ... ـقِّ إلى العالمين يهدي السبيـــلا

حيِّها حيِّها وحـيِّ روابـــيـ ... ـها وحيِّ العـقيقَ والعاقُـــولا

وتنشّقْ عَبيرَ أرَضٍ ثراهـــا ... يستحقُ العِناقَ والتَّقبيـــلا

أنْتَ في روضةٍ من القبروالمنـ ... ـبر وَضّاءَةٍ تُنِيرُ العقُـــولا

كادَ قلبي في جَوِّها يَسْتعيدُ الـ ... ـوحْيَ غضًّا ويسْمَعُ التّرتيـــلا

ويعيدُ ضياء الدين رجب إلى الأذهان ، قصة تلك البقاع المقدسة،وكيف أراد الله أن تحتضن وحي السماء ، وتتحول إلى مواطن مقدسة، وفيرة الخير والسكان ، فيقول:[3]

اذكري يـا بطـاحُ كيف أقـام مجـدًا مُخَـلَّدًا فــي بَطْاحَـكِ

صافحـته السَّماءُ فانتـشرتْ فيه نجومًا تألقت فــي وشاحــكِ

ثمَّ ألقت على الأديمِ من الفجر شعاعًا مقـطرا في صباحكِ

---

(1) السنوسيّ ، محمد بن علي ، الأعمال الكاملة ، نادي جازان الأدبيّ ، ص 316–318.

(2) المصدر السابق ، ص 316 ـ 318.

(3) رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص398.

واديا أسفع الرؤى غير ذي زرعٍ محيل ضممتــه بِجَناحِــكِ
فتندي كأنّما اعتصرَ الفجرَ سلافًا من البــــدورِ الضواحـكِ
نهلتهُ الحياةُ أحلى من الشَّهدِ وروت به كريـــم صفاحــكِ
وهفا بالحَمامِ لاعجُ شوقٍ عبقريّ هديلُهُ مــــن صداحــــكِ
شاديًا بالأمان في الحرم الآمنِ من بعد شـــــدوه بنواحــــكِ

وللقدس نصيب كبير من الحنين في الشعر السعودي ، فللقرشـي علـى سبيل المثال قصائد كثيرة في الحنين إلى بيت المقدس ، فقد "احتلت مأساة فلسطين حيزًا كبيرًا في شعره الوطني ، ما يدلّ على أنها احتلت حيزًا كبيرًا فـي قلبه ووجدانـه، فمن وحـي فلسطين ، كتب دواوينـه الوطنية الثلاثة : نداء الدماء ولن يضيع الغد ، وفلسطين وكبرياء الجرح".[1] ودواوين حسن القرشيّ تفيضُ ألمًا ، وتنزُّ حزنًا على ما وصلت إليه الحال في القدس،[2]استمع إليه حيثُ يقول:[3]

تردّتْ روابـي القدسِ ثوبَ حــداد ولفعـنْ من أرزائها بِســــــوادِ
وبيتُ الهدى والطّهر عاد مبـــاءةً يُدنـسُها مستهترٌ ومعـــــــادي
أَنُغضي على الضُيم الملح وأهلنــا وجيرَنا الأدنون رهـنُ كيــــادِ
أتــــلك حياةٌ فماتٌ مجلــــــــلٌ غطاء حياةٍ رُوِّعتْ شبه بصفادِ
إلـــــهي هيَ للإباءِ قيادُنـــــــا فقد أصبح الأحياءُ شبه جمــادِ

وفي قلب شاعرنا يقين لا يتغير ولا يتبدل ولا يتزعزع ،يقين بالنصر الآتي والعودة المظفرة ،فهؤلاء الغاصبون لن يبقوا ولو استعانوا بجيوش الجنِّ علينا ،فنحن سنرفع عنك القيد ونفيك بالنفس والمال والولد ،يقول:[4]

رُبى القدس يا ضَحكاتِ السَّنا ويا مشعلاً فوق هامِ الدُّنى
يعزُّ على غاصبك البقــــاءُ ولو حشدوا الجنَّ جيشًا لنا
سَــنرفع عنك قيودَ الظــــلامِ فحاشا ضياؤك أن يُسْجـنا
ربى القدسِ يا مَهَجَ الذكريات ومجلي التَّنبوّاتِ:أنـا هنـــا

---

[1] الجدع ،أحمد ، حسن عبد الله القرشيّ شاعر من الحجاز ، ط3، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان،1986م، ص42.
[2] الخواجيّ، مجدي، الشعر السعوديّ الحديث وأثره في تعزيز الانتماء العربيّ الثوابت والمستجدات، مجلة جامعة دمشق ، المجلد24، العدد الثالث والرابع ،2008 م ، ص220.
[3] القرشيّ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، ط2، دار العودة ، بيروت ،1979 م،2 /528.
[4] المصدر السابق، 234/2

فداؤك مــا تلدَّ الأمهـــــاتُ حتّى نحقق فيك المنـــى

وفي قصيدته (وقفة على بوابة المسجد الأقصى) [1] ، يخاطب الشاعر عبد الرحمن العشماويّ الأقصى بكلِّ شجوٍ ومرارة ، متسائلاً: يا صاحب المجد العظيم ، من أيٍّ بوابتك أدخل إليك ، وقد سدّت الأبواب التي توصل إليك كلّها ، بيد أهلك، يقول:[2]

مِـن أيِّ بـوابـاتِ مَجْـدِكَ أَدْخُــلُ وبأيِّ ثَـــوبٍ في رحابكَ أرْفُـــلُ؟

وبـأيِّ قـافـيةٍ أصوغ مـشاعـــري وبذهنِ أيّ قَـــصيدةٍ أتأمَّـــــلُ؟

يــا مَسْجِـدَ القدسِ الذي أحببتُــهُ حُــبًّا عميقًا في دمي يتغلغـــلُ

أركضتُ نَحْوكَ خيلَ أحلامي فما ركضت،ولا وقفت ولاهي تصهـلَ

أركضتُهـا عَـبْـرَ العراقِ فـردَّنــي عنك السِّياجُ اليعربُيُّ المُخْجِـــلُ

وجعلتُ عَمَّان العُروبة مَعـبـــرًا فرأيتُ بـــابًا دون أرضِك يُقْفَـــلُ

ودفعـتها فــي الشَّام أطلبُ منفذًا فرأيت سدًا دون أرضك يُذْهِـــلُ

كلُّ الدروب إليك سدَّت لم أجــدْ يا مسجدي دربا إليك يوصِّـــلُ

ويحمل عبد المحسن بن حليت بن عبد الله الحربيّ (1958م . ؟) بشدّة وقسوة على المتخاذلين ، الذين كانوا سببا في الحال الذي وصلت إليه القدس ، بصمتهم وتأمرهم ، وصلحهم المزعوم ، يقول:[3]

يــا قَـدسُ يا مسرى النَّبيِّ تصبَّري فالنّـــار قد خُلِقَتْ لأهلِ النَّـــارِ

لـلبائـعـيـن شُـــعوبَهُم وكأنَّـــهـــا قطعٌ من الفلين والفُـــخــــارِ

يَـبكـون إن ذُكِرُ الحسينُ وكربــلا ويشاركـون يزيدَ كـــلَّ قــــــرارِ

لـم يَـبقَ سيفٌ من سيوف محـمد إلاّ وباعـــوه إلى الكُـفـــــــّارِ

يـا قُـدس يـا أمَّ الحزانـــى ها هُـمُ سَـــكبوا على خديك ماءَ نـــــارِ

بــاعوك في سوقِ السَّلامِ وأوقعـوا بالصّلحِ بَـــين الـثأرِ والثّـــــوارِ

إنْ أجَّروك فـفـي جـهـنـمَ وحدهـا سَــيسددون ضريبةَ الإيجـــــارِ

يا قدسُ هل للعشقِ عندك موضـعٌ فالعشقُ دومًا كــان من أقـــداري

وهــواك حــاضري أنــا ومـراكبــي ما عاد لــي في الحبِّ أيُّ خيـــارِ

[1] العشماويّ ،عبد الرحمن صالح ،(ديوان يا أمّة الإسلام) ، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض ، 2002 م، ص 133 . 134.

[2] المصدر السابق، ص133. 134.

[3] عبد المحسن بن حليت : جسد الثقافة، قصيدة على الموقع الالكتروني www.aljsad.com 17.5.2013.

وفي قصيدة (للنُّور مدينةٌ لا تنطفي) [1] يفتخر الشاعر المدنيّ عبد الرحمن بن سليمان المروبع(1978م؟) بمآثر المدينة المنورة ، ويحنّ إلى مآذن المسجد النبويّ والروضة ، وقباء و أحد، فلكلٍّ منها حكاية معه ، فهو عاشق متيّم ، يقول:[2]

أمدينـةَ الأحْـبـابِ إنِّـي عـاشـقٌ	وهـواكِ فَـوْقَ تـصوري وحِسابـي
الحُـبُّ فـيـكِ قـصائدٌ لا تَـنتهـي	ورؤاكِ "لا يكـفـيـه ألـفُ كـتـابِ"
لا تُـنْـكـري هـذه الزُّهـورَ حـبيبتـي	وطفولتي .. وملاعبي.. وشبـابـي
أنا ذلك (المدنيّ) الذي سكبَ الهوى	للنَّـخلِ ..والنِّعْـنـاع...والمحـرابِ
ومآذن (النبويَّ) تَـسري في دمـي	وقـبـابُـهُ سِـفْـرٌ عـلـى أهدابـي
و(الروضةُ) الغراءُ تَعْرِفُ مـن أنـا	وتَـمـدُّ فـي وصلِ الهُدى أحقابـي
و(قباءُ) يَشْرَحُ للنَّخـيلِ قَضيتـي	رطـباً جـنـيَّـا يـا بتـول رحابـي
(أُحُدُ) يُرتِّلُ للنّجـومِ حكايتـي	وعـلـى (الرُّماةِ) تفَتَّحـت أبوابـي
تلك الحمائمُ لا تُـغادرُ مُهْجَـتـي	سَبْحٌ لهـن بِـخـاطـري وكـتـابـي

ويوجه شاعر مكة علي حسن أحمد أبو العلا (1343هـ . 1428هـ)، الشوق والحنين إلى حماها، فهو يهواها ويعشقها ؛ إذ إنَّ جسمه ومقدرته نميا من ثراها ، وهي موطن الأحلام منذ الطفولة، وعنوان الذكريات ، يقول:[3]

يا مكّة الخير بي شوقٌ يُتَيمُني	إلى حماكِ ويستهوي هواكِ دَمـي
فـمن ثراك بـما جسمـي ومَقْدِرَتي	ورحمةُ اللهِ جاءتْ بي من العَـدمِ
فـكـنـتِ مَوْطِنُ أحلامـي وتنشئتي	بين القداسةِ عبْرَ الأشهُـرِ الحُـرُمِ
وحول كَعْبَتَكِ الغرّاءِ كم سَبَحَـت	نفسي وناجَتْ لـدى رُكنٍ ومُلْتَـزمِ
إنْ كانَ كلُ محبٍّ شاقهُ وطـنٌ	مـثـلـي فَـحَسْبي جِيْرَةُ الحـرَمِ
تطوفُ بي ذكرياتٌ عَنْكِ مَبْعَثُهـا	منذُ الطفولةِ تمـضي بي بلا سَأَمِ
فليس مِثْلُكِ يروي الذّكرياتِ علـى	مرِّ العصورِ ومن يَعْلَقْ بهـا يَهِـمِ

---

[1] المروبع ، عبد الرحمن ، (للنّور مدينة لا تنطفي) ، المجلة العربيّة، الرياض ، العدد 349، السنة 31 ، صفر 1427هـ / مارس 2006م ، ص 86.

[2] المرجع السابق، ص 86.

[3] انظر: محمد ، عبد المقصود خوجة ، الأثنينيّة ، العدد 81 ، حفل تكريم الأستاذ علي أبي العلا، 1409/4/5هـ ، 1988/11/14م.

وفي قصيدة (طيبة) [1] للشاعر عبد الله الصّيخان (1956م – ؟) ، تسمو روحه الإيمانية ، ومشاعره الدينّية ، وذاكرته التاريخيّة ، فقد زار المسجد النبويّ وزار القبة الخضراء ، وبكى أمام قبر الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فثار حنينه وجاشت عواطفه ، فقال:[2]

بالأمسِ عُجْتُ على القباب أزورُها وأشمُّ عِطْرًا عالقًا بقــبابِ
ووقـفـتُ بالقبرِ العظيمِ أعودُهُ وبجيـرةِ الصِّديـقِ والْخطَّـــابِ
أَلْصَقْتُ وجهـي بالسِّياج أَشُمُّهُ وبكيتُ بين القبر والمحـــرابِ
وذكـرتُ دمعـةَ سيِّدي وبكــاءِه لمَّـا رأى قبرًا نـديَّ تُـــرابِ
يا قبرَ آمنةَ استفق فوقوفُهُ سيحـيلُ هــذي الجردِ كالأعنـــابِ

ويرسل عبد السلام هاشم حافظ (1347– 1416) زفراته الحارة ، وأشواقه الملتهبة لمسقط رأسه ، المدينة المنورة ، من مكان غربته في مصر ، حيث يشكو الغربة ، والنوى ، ويحنّ إلى وطنه ، وأهله، وأصحابه، ومآثر أجداده يقول:[3]

داري وسرُّ الهـوى الباقــي وأوطـــانيُ	يا طيْبَةَ النُّورِ يا روحـي وَوجدانـي
الشّوقُ يا ما أمرَّ الشّوقَ في كـبـــدي	عـلى مدينتنا والمَسْكَنِ الحانــــــي
عــامٌ وأكـثرُ قَــدْ وَلّـى وَرِدْتُ جـوىً	في مصرَ مُغْتَرِبًا والشّوقُ أضْناني
أنـقِّـلُ الطّرفَ أين الأهل؟ أينَ هُـــمُ؟	أهلي وموطننا الغالي ووجدانــــي
أينَ الصِّحابُ الكـرامُ الصِّيدُ تَنْظـمُنا	مجالسُ الأُنسِ في صَفْوِ وتَحْنـانِ؟
بَعُدْتُ عن عالمي المحبوبِ في وطني	والقلبُ يأسى بلوعتي وحرمانــــي
هُناكَ مَسْقَـطُ رأسـي حـيثُ أُسْرَتُـنــا	من آلِ حافظ منْ أحفادِ عدنـــــانِ
لــنــا بــطيـبــةَ أمجــــادٌ يُعَزِّزُهــــا	جهادُنا والبقاءُ الحَقُّ البانـــــــي
أوّاهُ مــن شوقي المحمـومِ يَشْغَلـنــــي	عن كلِّ أمرٍ سوى داري وأوطانــي

ونجد المعاني عينَها عند شاعر مدنيّ آخر ، لكنه يحنُّ إلى مكة، ويتشوق لها ، فهي له كلَّ شيء ، الدنيا والدين ، المربع الشامخ ، والدار الشّماء ، والروضة الغناء، يقول محمد حسن الفقيّ :[4]

---

[1] العارف ، يوسف حسن ، قراءة في نص طيبة للشاعر عبد الله الصيخان، جريدة الرياض، العدد 15697، الخميس 2011/6/16م

[2] المرجع السابق.

[3] حافظ، عبد السلام هاشم ، الأعمال الكاملة ، نادي المدينة المنورة الأدبيّ، 1993م، 592/1.

[4] الفقي، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق، ص20.

شجانا منك يا مكـــــةُ وما يُشْجي المُحبِّنا
فقد كُنْتِ لنا الدُّنيــــا كما كُنْتِ لنا الدِّينا
وكُنْتِ المربَعَ الشامخَ يُرشِدُنا وَيهْدينـــــا
وكنْتِ الدّارة الشمّـــاء تكرمُنا وتؤوينـــــا
وكنتِ الرَّوضةَ الغناء تُلْهِمُـــنا وتُعْلينا
فما أغلاكِ يا مكـــةُ أَنْجَـبْتِ الميامينا
وما أحلاكِ يا مكــــةُ ما أحــــلا القرابينا

ويعزو الشاعر حنينه لمكة رغم بعده عن ثراها وعن أبنائها ، بأنّه خَلقَ من ثراها ، وتكوّن منه ، فذكرياته فيها ، ويتمنى لو انه لم يرحل عنها، ويتمنى لو أنَّ قبره يكون فيها:[1]

يا حنيني لمكتي رغمَ بُعْــــــدي عن ثراها الزَّكيَ..عن أبنائـــهْ!
أنا من ذلك التّرى قد تكوَّنـــْتُ وفي ظلّهِ وظلِّ سمائــــــــــهْ!
كيف لا أسْتَعِرُّ من حُبِّه الهادي ولا أسْتَطيلُ من إطرائـــــــــهْ
ذكرياتي مُنْذُ الصِّبا عَنْهُ حَتَّـــى شِبْتُ. كانت للقلبِ خَيْرَ غدائـهْ
ليتني ما ارتَّحَلتُ ولا غــــــاب عن العين سَرْمَدِيٌّ سنائـــــــهْ
أتمنى البطحاءَ تلكَ لمثـــــوايَ نديًا في صُبْحهِ ومسائــــــــهْ
بين أهْلي وبين صحبي فمــــا أطيبَ هذا الرُّقادِ في بِطْحائـــــهْ

لقد جُلْنا في ما مضي في بحار من أعمال بعض الشعراء السعوديين ، وهم يسطرون صفحات مضيئة ، تعبق بالشذى ، والصور الكثيرة ، التي تعبر عن مدى حنينهم وعشقهم ، لتلك البقاع الطاهرة ، التي أكرمهم الله بأن جعلها في مملكتهم الحبيبة ، ثم تفضل عليهم بأن ربط بيت المقدس ، الحرم الثالث ، برباط مقدس مع الحرم المكي ، برحلة الإسراء والمعراج . فكان حنينهم له كحنينهم لمكة والمدينة.

وقد حركت ذكريات المشاعر المقدسة ، مشاعر الشوق والحنين في نفوسهم ، فانسكب دمعهم غزيرًا شوقًا إلى الوطن الكبير ، بجباله وسهوله، وصحاريه، وشطآنه، مهد الذكريات ، وأرض النور والخير والمقدسات.

[1] الفقي، محمد حسن ، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 22.

3- الحنين إلى المناسبات الدينيّة:

للمناسبات الدينية كرمضان والحج ، والعيدين الفطر والأضحى والمولد النبويّ ، والهجرة النبويّة ، وغزوات النبيّ ، كبدر وأحد وفتح مكة ، مكانةٌ عظيمة في نفوس المسلمين ، والشعراء السعوديون جزء من أمّة رسول الله ﷺ ، يعظمون هذه المناسبات ، ويذكرونها في شعرهم ، ويحنون إليها بكلِّ أحاسيسهم ومشاعرهم، بل إنهم أكثر من غيرهم اهتمامًا بها ، وحرصًا عليها ، فالمجتمع السعوديّ . حكومةً وشعبًا . قد اتخذ منذ بداياته الإسلام وما يمثله من مشاعر ومناسك وعبادات ، دستورًا ومنهجًا إيمانًا منهم بمدى أهميتها في الحياة ، وحرصًا منهم على سلامة مجتمعهم وبقائه أنموذجًا يحتذى في عالمنا المعاصر.

وليس من شك في أنّ المسلمين- وشعراء السعودية جزء منهم- يجدون في كلِّ ما يمت للنبي محمد ، ما هم بأمس الحاجة إليه ، أو إلى تقديمه في حياتهم ومجتمعهم على الدوام ، فهذه المناسبات المرتبطة به عليه الصلاة والسلام واحدة من مثيرات ومهيجات الشوق والحنين ، عند الشعراء عامة ، وعند الشعراء السعوديين خاصة ، فها هو الشاعر محمد بن حمود الرحيّليّ (1980 . 2008م) يقف ليهدي السلام لجبل أحد في ذكرى أحد ، وفي زيارة لقبور شهداء أحد ، منه أولاً ، ومن أهل العقيق

ثانيًا ، وكلاهما يحمل المحبة والشوق . لهذا الجبل ، ذي الأثر الكبير في تاريخ الإسلام ، فكلما هبّ النسيم جاشت الذكريات إلى أولئك الصحابة الأجلاء الذين سطروا في أحد أروع البطولات ، يقول:[1]

مَنّي ومن أهل العقيق سَلامٌ	وتحيةٌ تشدو بها الأيامُ
ومحبةٌ في القلب تُشرقُ كلّما	مرَّ النَّسيمُ ونَشرُها إعْظامُ
وسناءُ ذكرى والقلوب حَزينةٌ	لما تُضيءُ تُعالجُ الألامُ
يا أيّها الجبلُ المنيفُ تحيّة	هذا الحديثُ وخطة الإلهامُ
فلأنت في التّاريخِ أَبْلَغُ واعظٍ	رُفعَتْ على أكتافك الأعلامُ
سنعيدُ الذكر والطّيوفُ عديدةٌ	شأنَّ الكتيبةِ والرّسول إمامُ
باعوا النُّفوسَ إلى الإله وروحَهُ	فالذّكرياتُ بِعِطرِها أَنْسامُ

[1] الرحيليّ ، محمد بن حمود ، (أحُد .. سلامٌ وتحية) ، مجلة المنهل ، العدد 584 ، المجلد (64) ، العام (68) ، ذو الحجة 1423هـ /فبراير 2003م ، ص48.

وهذه قصيدة ألقاها الشّاعر الدّكتور زاهر بن عِواض الألمعي (1935 . ؟) يحنُّ فيها إلى مناسبة يتمناها كلُّ مسلم ، ولو في العمر مرة ، تلك هي فريضة الحج ، فالشاعر دبَّ الشوق بين جوانحه كالجمر ، وتمنى التواجد في تلك المناسبة ليرى المشاعر المقدسة ، التي هي النور والإلهام والحقّ والطّهرّ ، يقول:[1]

سرى الشَّوْقُ فاسترعى مواكبَهُ ... وَحَفَّ به الأفلاك والأنجُمُ الزُّهَرُ

سرى في متاهات الزَّمانِ فَيَمّمَتْ ... مواكبُهُ أُمَّ القرى فانْجلى الفَجْرُ

يَدُبُّ حثيثُ الشوق بين جوانحي ... لكلِّ مُحبٍّ في محبَّتِه أَمْرُ

ومن لي بوصلٍ في رحابٍ كريمةٍ ... يُطَهّرُها الإيمان والوحي والذِّكْرُ

فيهتزُّ وِجْداني لرؤيا مشاعرٍ ... هي النّورُ والإلهامُ والحقُّ والطّهْرُ

وفي قصيدة أخرى يصف الشاعر الحجاج وقد علا ذكرهم ، فكأنّه أريج المسك إذ هبّ وفاح ، فلما رآهم سرى الشوق في أضلعه ، يقول:[2]

يطوفون حولَ البيتِ يدعون خُشْعَاً ... ويعلو أريجُ الذّكرِ كالمِسْكِ إذا هبّا

تناجيك من أحلامَهم لَوْعَةُ الصَّدى ... وقد نهلوا الرّقراقَ من زَمزمَ مشرْبا

وفي صفحة الرُّكنِ العظيمِ ائتلاقةٌ ... حوتْ من معاني الوِّدِّ أَصْدَقُها حُبَّا

وقد هَزّني من باعثِ الشّوقِ لاهبٌ ... تسرَّبَ في الأحشاءِ فاستوطنَ القلبا

وقد لامني العُذَّالُ في غمرةِ الجوى ... وقالوا بأنَّ الشّوقَ في أضلعي دبّا

فبوركتِ يا أرضَ القداساتِ والهدى ... ولا زِلْتِ ميداناً لأماني رَحبا

ويمرُّ عليه العيد ، فتجيش في نفسه الذكريات لوطنه وأسرته ، فلا يجد من يُبلِّغَ أشواقه وسلامه لهما إلا العيد ، فيحمّله السلام ، طالباً منه نقل مشاعره لهم ، وحرقة قلبه في البعد عنهم ، مع أنَّ العيد موسم للفرحة والأنس ، يقول:[3]

يا عيدُ بلّغْ أسرتي وبلادي ... أزكى تحيّاتي وشوقَ فؤادي

وانقل لهم يا عيدُ وصفَ مشاعري ... وأبن لهم عن لوعتي ووِدادي

أنا في الرِّياضِ وحال دون أحبتي ... بيدٌ من الواحاتِ والأطوادِ

والقلبُ ملتاعٌ بحارقِ لوعةٍ ... والعيد عيدُ الأُنسِ والإسعادِ

---

[1] الألمعي ، زاهر بن عواض ، ديوان : (على درب الجهاد) ، ط1 ، 1400هـ ، ص143.

[2] الألمعيّ ، زاهر بن عواض ، ديوان : "الألمعيات" ، دار القلم بيروت ، 1971م ، ص83.

[3] المصدر السابق، ص23.

ويناجي أحمد بن إبراهيم القَرويّ رسول الله ﷺ ، في يوم عيد الأضحى ، في يوم النحر ، مثنيًا عليه بعد الله ، الثناء الأوفر ، ويهنئه بهذا العيد الذي يسفر فجره به ، فقد أصبح الأضحى بك سعيدًا ، ومشى الحجاج إليك كأنهم البحر الزاخر والسحاب المندفع ، يسيرون نحو الحمى ، ويرون الحوض ، تحت الراية الخضراء ، علم السعودية الخافق في السماء عاليًا ، يقول:[1]

للهِ ثُـمَّ لـكَ الثَّنـاءُ الأوفـــــرُ	فاهنأ بعيدٍ فَجْـرُهُ بك مُسْفِرُ
أضحى بكَ الأضحى سعيدًا مشرقًا	واعتزَّ فِــيك مُحَلِّقًا ومُقَصِّرُ
ومَـشى إليكَ بــه الحجيجُ كأنَّـــهُ	بحرٌ من العُبّادِ نحوكَ يَزْخُرُ
شِيَعٌ كَـأمثال السَّـحاب تَدفَّعـــتْ	ولها إليكَ تَقَدُّمٌ وتَــقهقُـــرُ
مُـتهافتين إلى حِــماك طوائفـــاً	والجو مُفْتَرُّ المباسمِ مُمْطِـرُ
يَرِدون حَوْضَكَ منَ مَـناسِك حجِّهِمْ	أو أوتَّهُ بين المواقفِ "مشْعَرُ"
حامت بــه الآمالُ وهــي جَسيمـــةٌ	وتلفتْ فَـعيونها لكَ تَنْظُـــرُ
تـتـزاحمُ الوُفَّادُ فـــيه مواكبـــاً	تترى ويزهوها اللواءُ الأخضرُ

ويؤكد الشاعر إعجابه بعصر النبي ، فقد سمع كلَّ ناطق يعجب ويفخر بهذا العصر ، الذي تجيش له الذكريات ، بعد هذه الغربة التي يعيش فيها الناس ، وقد ملوا جورها وظلمها ، ثم نراه بفخر بوطنه ، أثناء منجاته لرسول الله ﷺ ، فليس في وطنه بدع تهتك ، ولا خمر أو قمار ، والأمر بالمعروف عقيدة ، والأمن دائم والحكم قائم على الشريعة يقول:[2]

ولـقد سَمِعْـتُ فَلَمْ أجدْ من ناطقٍ	إلا بعصرِكَ مُعْجبًا بِكَ يَفْخَـرُ
هـاجتْ بـه الذّكرى ولجَّ بِــنفسهِ	ما كان في عَهْدِ النُّبوَّةِ يُؤثَــرُ
فَـرآكَ مُـعـجـزَةَ القرون وقد خَلَتْ	والدِّينُ من جَوْرِ التَّغرُّبِ يجْأَرُ
مـا فــي بلادِكَ بِـدْعَـةٌ وتهتُّـــكٌ	كلا ولا خَمْرٌ يُباحُ وميْسِـــــرُ
الأمـرُ بالمعـروفِ عـقـيــــــدةٌ	لا يستقيمُ على هداها ومُطَهِّـرُ
والأمنُ مضروبُ السُّــرادقِ وارفٌ	والحكمُ عدلٌ والشَّريعةُ مَظهـرُ

(1) الغزاويّ ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق، ص 119.

(2) المصدر السابق، ص 119 .

وفي ذكرى المولد النبويّ الشّريف ، يتشوق الشاعر لرسول الله ﷺ فتارة يخاطب العيد ، وتارة يناجي صاحب الذكرى ، متسائلاً ، أهو روح انطلقت من الفردوس ، أم أنّ الملائكة أجسام في بُرْدَية ، ثم يقطع الشّك باليقين مقررًا أنّه كالدّنيا وزينتها، يقول:[1]

هل أنتَ رَوْحٌ من الفردوس مُنْطَلِقٌ	أم المَلائكُ في بُرْديكَ أجسـامُ
لا ريـب أنّك كالدّنيا وزينتُها	وليس فيك . وإن أغربت . إبْهامُ
يا عيدُ فيك معاني الخيرِ سـابغةٌ	شُكْرٌ وَحمْدٌ وتتويبٌ وإجمـامُ
وأنـت لا شكّ ذخرُ المتَّقين غدًا	وأنت للجهل أثوابٌ وآثـامُ
كلَّ يميلُ إلى ما اخترتَ من حُسْنٍ	وإنّمـا الدّينُ توحيدٌ وإسـلام

ويثير مجيء العيد الحنين في نفس الشاعر حمزة فايع آل فتحي ، فهو مغترب في مصر ، بعيدًا عن وطنه وأهله وصحبه ، فأخذ يقارن بين العيد في وطنه والعيد حيث هو في مغتربه ، فلا فرحة في العيد إلا مع الأهل والخلان ، رغم وجود مدن للأفراح وملاعب للزوار ، لكنه يرى نفسه غريبًا لا يحلو شيءٌ له يقول في قصيدة (عيد مغترب):[2]

في الغربة العيدُ لحنٌ غَيْرَ جَذّابِ	فافرحْ بذا الليل أو فـافـرح بأجنـاب
لا والدان لـنا نجـوى ومرحمـةٌ	ولا حـدائـقُ إخـوانٍ وأحـبـابِ
فازَ الأحبةُ وازدانت بهم سُرُجُ	مِـن الـوصالِ ورفَّ الطَّلُّ للآبـي
في حينِ أنتم بُعادٌ عن مرابِعنـا	لا السَّعدُ يُضحـكُ أو يأتي بأطيابِ
تحسُ بالفرحةَ الصُّغرى ورونَقَها	ولا تَـحـسُّ بِـخـلانِ وأصـحـابِ
فَـذي مدائنُ أفـراحٍ ومَلْعبـةٍ	لـلـزَّائـريـنَ ولا تَـحـلـو لأغـرابِ
فقـد سئمتُ من التّسفارِ واحُرقي	عـلـى التَّعيّد فـي أهْـلي وآرابـي
العيدُ في البَوْنِ عيدٌ فيه مَفْرَحةٌ	والعيدُ في الأهلِ أفْراحي وأنسابـي

ونقف على المعاني نفسِها ، عند الشّاعر إبراهيم أمين فودة ،أثناء إقامته في مصر ، فهو يفلسف قدوم العيد ، ويعتبره عيدًا حقيقيًا ، وفرحة كبيرة ، ولكن مع صحاب تحلو بهم الحياة ، ووطن فيّاض بالذكريات، وليس في الثياب الجديدة ، والطعام اللذيذ ، والشّراب الطيب ، وليس في الفراش الوثير ، والمظاهر البرّاقة ، وتبادل كلمات التهاني ، يقول:[3]

---

[1] الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 119.

[2] آل فتحي ، حمزة فايع ، ديوان : (كنت أحلم) ، ط1 ، جامعة الملك خالد ، 2010م ، ص51 .

[3] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 157 . 158.

رُبَّ امـرئٍ يـخـتّـالُ فـي أثـوابـهِ وفؤادُهُ قـد غَصَّ بالأتــراحِ

فالعيدُ في القلب الطريِّ ولـيس فـي قلب الشجيِّ المُـوجَعُ الملتـاحِ

ما العيدُ في الفَرْشِ الوثيرِ وليس في رِئي الشكول وظاهـر الأفـراحِ

وصنـاعـةِ الـزِّينـات زاهيــة هنــا وهـنات مُـوَشّاة بِنَـوْرِ أقــاحِ

وتـبـادلِ الـكلـماتِ رائـعةً بـمـــا أوتيت مقدرةً علـى الإفصــاحِ

هــو ضِنّـهُ للـنائبــات وإنــــه ليراه . بعـد الله . خيـرَ سلاح

ولصُحْــبَةٍ تحلو الحيــاةُ إذا هـمو بَدَرُوا لِجدٍّ أو لسـاعِ مَــرَاحِ

ولموطــنِ الذكـرياتِ مُـــجَلـــلٌ فيـاضة مـن غــابرٍ لمّــاحِ

هـــذا هــو الــعيدُ السَّعيدُ فلـيتنـــا نصحو على عيدٍ بكلِّ صباحِ

ولرمضان مكانته في نفوس المسلمين ، حيث فضلّه الله على سائر الشهور ، وشرّفه بأن جعل الله فيه ليلة القدر ، الليلة التي هي خيرٌ من ألف شهر ، والشعراء السعوديون شأنهم شأن المسلمين في كلِّ بقاعِ الأرض ، يقدسون هذا الشهر ، ويعرفون مكانته ، ويحنون إليه بكلِّ إحساسهم ومشاعرهم ، ينتظرون قدومه ، ليصوموا نهاره ، وقوموا ليله.

فهذا الشاعر ضياء الدين رجب ، يستبشر حين يقبل هلال رمضان ، ويكاد يرقص طربًا ، فرحًا بقدومه ، فقد أَقبلت معه نفحات الإيمان لتضلل المسلمين ، فيرحب الشاعر بقدومه بقصيدة من خمسة مقاطع تحت عنوان (من أغاريد رمضان) ، يقول:[1]

يا هلالاً مباركًـــا ربُّك الله ربّنا

أنتَ والله بِشْرنـــا أنت والله حبُّنا

حين أقبلتَ أقبلــتْ نفحاتٌ تُظِلُّنا

وتبدَّت سحائــبٌ ورجاءً يُحِبُّنـا

وفي مقطع آخر ، بيّن الشاعر مكانة شهر رمضان في نفوس المسلمين ، فهو يُمن محقق ، وعهد موثق ، ونفوس تحلّق ، يهفو له الصغار ، وتندى به الزهور ، يقول:[2]

أَنْتَ يمنٌ مُحَقّ أَنْتَ عَهْدٌ ومَوْثِقُ

ونفوسٌ تُحلّـفُ وقلوبٌ تُصفَــقُ

الصَّغارُ البراعمُ لكَ تَهفو وتَخْفِقُ

---

[1] رجب ، ضياء الدين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق، ص 392 .

[2] المصدر السابق ، ص 393 .

والزّهور الفواغمُ بك تَنْدي وتألـقُ

ويتحدث محمد هاشم رشيد (1929 . 2002م) عن الخير والهدى والسلام ، تلك المغاني السامية التي جاءت مرافقة لموكب رمضان ، حامل الهدايا للقلوب المتيمة بحبه ، والذي ينتظره أصحاب الخطايا والذنوب ، كي يغسلوا خطاياهم وذنوبهم في شهر المغفرة والرحمة ، وخاصة في ليلة القدر ، ذات المكانة والقدر ، ويهنئ الشاعر نفسه وسائر المسلمين ، بهذا الشهر الكريم المبارك ، يقول:[1]

موكبُ الخيرِ والهدى والسَّلامِ أقبلَ اليوم هاتفًا بالصِّيامِ

حاملاً في يديه أحلى الهدايا لقلوبٍ متيماتٍ ظوامِ

رحمةً تَغْمُرُ العبادَ وَصَفْحًا عن جَميع الذُّنوبِ والآثامِ

ورضىً من رفاف الخُلدِ يهمى بَلْسمًا للجروحِ والآلامِ

وتباشيرُ ليلةٍ تتلاشى في سناها مباهجُ الأعوامِ

ذات قدْرٍ وأيِّ قَدْرٍ وفيها نَزلَ الوحيُ بالهدى والسَّلامِ

فهنيئًا لنا بأكْرمِ شَهْرٍ وهنيئًا لنا بأسعدِ الأيامِ

وللشاعر محمود عارف (1327– 1421 هـ) الكثير من القصائد في استقبال رمضان والحنين إلى أيامه باعتباره محراب العبادة ، وموسم القرآن والأذكار وصلاة التراويح ، تلك الصّلاة الخاصة برمضان ، بها تهذّب النفوس، وتطهر القلوب ، وتطيب الأوقات، يقول:[2]

في رَحْبِ أرواحنا لاحت بوادرُهُ تهُزُّ أشواقَنا هزَّ الآراجيحِ

في كوكب الأرض شهرُ الصّوم قد بزغت أنواره تتجلى في التروايح

شهر له في قلوبِ النَّاسِ منزلةٌ وفي القلوبِ له نورُ المصابيح

في كلِّ نشوةٍ نبض من مشاعرنا تمتد خاطرةٌ عبر التسابيحِ

يا صوم يا مرتع الأرواح طائرة في عمق أعماقنا من غير تطويحِ

رحماك عفوك طهرُ الصَّوم منبثق مع التّهَجدِ من قلبي ومن روحي

ويخاطب محمد بن علي السنوسيّ ، شهر رمضان ، خطاب المؤمن الراغب والمؤمل في نشر العدل ، والسلام ، والأمن ، والإيمان ، في هذا العالم المترامي الأطراف ، يقول:[1]

---

(1) رشيد ، محمد هاشم ، ديوان : (في ظلال السّماء) ، النادي الأدبي بالمدينة المنورة ، 1398 هـ /1978م ، ص35 .

(2) الحقيل ، عبد الله حمد ، صور عن رمضان في الأدب العربيّ ، جريدة الجزيرة ، الملحق الثقافي ، العدد 12787 ، الثلاثاء 20/ رمضان / 1428هـ.

مَـلِكُ الــشُّهورِ وسيِّد الأَيَّــــــامِ ... رَمضانُ يا إشراقَةَ الإسلامِ

يــا نــفْحُ أرواحٍ زَكتْ ومشاعِـــرِ ... رَقَّتْ وَنَبْعَ تسامحٍ وتسامِ

رَفْرفْ على الدّنيا بأجنحةِ الهدى ... وامنحْ عوالمها ندىً سلامِ

وانــضــحْ عـلـى أكبادها وقُلوبِـهـا ... رُوحَ الصَّفاءِ ورِقّةَ الأَنْسامِ

وانـرِ بـنــورِكَ وهـوَ نُورُ قداســةٍ ... وضياءُ مَرْحمةٍ كثيفَ قتامِ

ويصفُ فرحةَ المؤمنين بحلول هذا الشهر الكريم ، وتغير أحوالهم فيه ، بقوله:[2]

تــتهَّلُ الدُّنيا بوجْهِكَ طَلْعَـــــةً ... وتَفيـضُ بالإحسانِ والإنْعـامِ

وتشـفُّ فيك الكائناتُ نقـــــاوةً ... فكــأنَّها روحٌ بلا أجْســــــامِ

وتجوعُ فيك من الخطايا أنفُسٌ ... تَخمتْ بشهوتِها مدى الأيـامِ

وتموتُ مَن أخلاقها وطباعِها ... رُوحُ التَّكالبِ والسُّعار الطّامِ

ويترقب الشاعر عبد الملك بن عواض الخديديّ (1978م . ؟) قدوم شهر رمضان ، ويرنو ببصره إلى السماء علّه يرى هلال الشهر الفضيل ، فإذا ثبت الصيام ، فرح قلبه وخشع وملأ الكون تكبيرًا وتسبيحًا لقد جاء رمضان مرة أخرى ، بعد أن تولى عام مضى ، فكأنه لم يكن ، بقدوم رمضان حفّت بالناس نفحات الإيمان، وزادت حرارة الأشواق ، يقول:[3]

إلى السَّماءِ تَجَلَّـتْ نظرتي وَرَنَتْ ... وهـلَّـلـتْ دَمْعَتي شوقًا وإيمــانــا

يُـسـبـِّحُ اللهَ قـلبـي خـاشعًا جذلاً ... ويملأُ الـكـونَ تَـكبيرًا وسُبْـحـانــا

جُزيتَ بالخيرِ مَـنْ بَشرت مُـحْتسبًا ... بالشَّهــرِ إذْ هلَّتِ الأفراحُ ألـوانـا

عــامٌ تــولّــى فـعـادَ الشَّهـرُ يُطلبنا ... كـأنَّـنـا لـم نَـكُـن يومًا ولا كانــا

حقَّت بنا نفحةُ الإيمـانِ فــارتفـعـت ... حرارةُ الشَّوقِ في الوجدانِ رضوانا

ويشكو محمد حسن فقي همومه ومتاعبه ، التي ناء بها كاهله ، لشهر رمضان ، الذي هو شهر الثواب ، والرحمة ، والمغفرة ، والعطاء ، يقول:[4]

---

[1] سيد ، مفرح إدريس أحمد ، الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسيّ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،(د.ت) ، ص 107 .

[2] المرجع السابق ، ص 107 .

[3] الخديديّ ، عبد الملك بن عواض ، ديوان : (نفحات في نصرة الحقَّ) ، ط1، الناشر : عبد الملك بن عواض الخديديّ ، 2007م ، ص93.

[4] فقي ، محمد حسن ، قصيدة : " رمضان" ، مجلة المنهل ، العدد (585) . المجلد (65) ، العام (69) ، المحرم وصفر 1424هـ/مارس وابريل 2003م ، ص 74 . 75.

رمَـضـانُ إنّ بـهيكلي و بنُهيتي ومشاعِـــري كومًا مِـنّ الأقذاءِ
إنِّـي أنـوءُ بِـكـاهلي من عبئه ويظلُّ صُبْحي عـــانيًا ومسائي
رمضانُ أثقلنا عَليك ولـم نَكُنْ يومًا عـلى أحـدٍ مـن الثّـــقـلاءِ
عَـفـوًا فإنَّ نُـفوسنا في نشوةٍ تَسْـرِي مـن الأعضاءِ للأعضاءِ
مَـحْـبـورة بِـثوابها ، مغمورة بِـعَـطـائها ، مَسـرورة بِـــلقـاءِ
لا زلتَ فـينـا قادما ومودِّعـا تُـسْـدِي، فَنُثْني نـحـنُ خيرَ ثَـناء

وينقضي شهر رمضان ، فتسيل دموع الشاعر الدكتور : عبد الرحمن بن عبد الرحمن شملية الأهدل (1377هـ . ؟) . لفراق هذا الشهر الفضيل ، ويأخذ الشاعر بالمقارنة بين واقعنا قبل رمضان، ورمضان ، ويعدد مآثره ، وحال المسلمين في أيامه ولياليه، فيقول:[1]

رمـضانُ دمْـعـي لـلفُـراقِ يسيـــلُ والقـلبُ من أَلَمِ الْوَداعِ هَزِيْــلُ
رمـضـــانُ إنَّـكَ سـيِّـد ومـهــذَّبٌ وضيـاءُ وَجْهِكَ يا عزيزُ جليـلُ
رمضانُ جِئتَ ولـيلُنا مُتَصَـــدعٌ أمَّا النَّـهارُ بِـلَهْـوِهِ مشغـولُ
فالتفَّ حولك سـادةٌ ذو هِمَّـــــةٍ لم يُثْنِهمْ عَن صومهم مخذولُ
قـامـوا ليـالٍ والــدموعُ غزيـــرةٌ ويدُ السَّخـاءِ يَزِيْنُها التّـنـويـلُ
كَمْ فيكَ مِنْ مِنَحِ الإلهِ ورحمـــــةٍ والعِتْقُ فـيك لمَن هَفـا مأمـولُ
ورحائِبُ الرحمنِ في فَلَكِ الدُّجـى فـي ليلةٍ نـادى بـهــا التنزيـــلُ
وملائكُ الرحمنِ تــحيْـي ليلهـــا فيهـمُ أَمِيْنُ الوحـــي جبرائيـــلُ
وعصابةُ الشّيطانِ فـي أصْفادِهــا قَـد ذلّـها التَّسبـيـحُ والتَّهليـــلُ

ومن المناسبات التي لها صدى في شعر الحنين ، ذكرى المولد النبويّ الشريف ، واستحضار شخصية رسول الله ﷺ فهو صاحب النور الأسمى ، والمثل الأعلى للكمال الإنسانيّ ، وفيه تتجلى محاسن الدين ، وقيّم على صورة لم بشهد لها العالم مثيلا ، يقول الشاعر عبد السلام هاشم حافظ متشوقًا لذكرى مولد المصطفىﷺ ، فذكراه تعطر الآفاق ، وتسبي القلوب ، وتعيد الحنين لتلك الأيام التي عاشها رسول الله ﷺ بين كرام الناس ويقرر الشاعر أنَّ ميلاد النبي ذكرى وفاء لمن شقي وتعب في حياته وأراد الهدى ، يقول:[2]

---

[1] الأهدل ، عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة ، ديوان : (روضة الشّعر الهادف) شرح وتعليق : سارة عبد الرحمن الأهدل ، 1426 هـ ، ص 88.

[2] حافظ ، عبد السلام هاشم ، ديوان : (عبير الشّرق) ، ط1 ، دار التراث ، القاهرة.

بِذِكْراكَ تَسْمُو على الكائناتِ تُعَطِّرُ آفاقَا بِابْتسامِ

وَذِكْراكَ تَسبي القُلوبَ فتشدو بأشواقنا ... بالهُدى والأُوَامِ

تعيدُ الحنينَ لِعَهْدِ الخلودِ لأيّامك الغُرِّ بَيْنَ الكرامِ

فَميلادُكَ اليومَ ذكر وفاءٍ بِمَنْ يَهْتدي دربه بالضِّرامِ

وَقَلْبي يُردِّدُ : أنتَ الحبيبُ وفي يوم ذِكراكَ يَذْكو هُيامي

وأنت رسولُ السّلام.. مَنَارٌ بِه نهتدي في تُقَىً واحترامِ

وينافح الشاعر الدكتور محمد بن عبد الرحمن المقرن (1981 . ؟) ،عن رسول الله في ذكرى مولده ﷺ، ضد أولئك الذين تطاولوا على مقامه الكريم ، بتلك الصور المسيئة ، والطعن بالسّيدة عائشة زوجته ، يقول:[1]

ما يزيدُكَ مَدْحُنا وثناؤُنا واللهُ في القُرآنِ قَد زكّاكا؟

ماذا يُفيدُ الذَّبُّ عنك وربُّنا سُبحانه بِعيونه يَرعاكا؟

لم أكتب الأشْعار فيك مهابة تُغْضِي حروفي رأسَها لحلاكا

لكنَّها نارٌ على أعدائكم عادى إِلَهُ العرش من عاداكا

إنّي لأُرْخِصُ دون عِرْضِكَ مهجتي روحٌ تروحُ و لا يُمَسُّ حماكا

شُلَّتْ يَمينٌ صوَّرتك وجمِّدتْ وسطَ العروقِ دماءُ مَنْ آذاكا

ويلٌ فويلٌ ثمَّ ويلٌ للذي قد خاضَ في العِرضِ الشّريفِ ولاكا

لكَ يا رسُولَ اللهِ نبضُ قصائدي لو كان قلبٌ للقصيد فداكا

هُم لن يطولوا مِنْ مُقَامِك شَعْرةٍ حتَّى تطولَ الذُّرةُ الأفلاكا

واللهِ لن يَصلوا إليكَ ولا إلى ذراتِ رَمْلٍ من تُرابِ خطاكا

لقد وقفنا على نماذج من الشعر ، استلهم فيها شعراء سعوديون ما في المناسبات الدينية من ذكريات عطرةٍ ، وآيات وعبر ، بهدف حثّ الأمّة على التمسك بالفضائل ، للسير نحو الشموخ والعزّة ، والقوة والتمكين .

[1] محمد بن عبد الرحمن المقرن ، منتدى الإسلام اليوم ، شبكة الانترنت ، muntada.islamtoday.net، 2013/5/17 .

4- الحنين إلى المحبوبة:

للمرأة مكانة بارزة في حياة الشعراء العرب ، فهي مركز استقرارهم ، ومصدر إلهامهم ، لذا نجد أروع قصائدهم وأبرع آثارهم يتصل بالمرأة ، يصفون حسنها ، وجمالها ، ويذكرون تأثيرها في النفس ، "فالمرأة العربية ذات تأثير ساحر في عقل الرجل وقلبه ، لذا فهو يقتحم الصعاب ويخوض الغمرات من أجلها ، ولا يفتأ يردد ذكرها في كلِّ مناسبة للقول ، فيفتح بها قصائده ، ويقف على أطلالها باكيا ، ويُلِمّ بمنازلها مشتاقًا".[1]

فلا عجب أن وجدنا في ديوان الشعر السعوديّ، أسوة بغيره من دواوين الشعر العربيّ، ذلك السمو بالمرأة ، والرقي بها ، وقد شغلت حيزًا وافرًا من وجدان الشعراء السعوديين. فكانت صورة المرأة لديهم ، تلك الصورة المثالية للمرأة عند العرب ، والتي تتمثل في حيائها وعفتها، والبعد منهم عن رغبات الجسد، والغرائز والشهوات.

والحقيقة أنَّ صورة المرأة أمّا ، وأختًا ، وزوجة ، وابنة ، وحبيبة بالمقام الأول ، كانت " غائبة في الشعر السعوديّ بصفة عامة ، في فترة ما قبل توحيد المملكة العربية السعوديّة ، ولكن بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن أل سعود- يرحمه الله- كان للانفتاح الثقافيّ والمعرفيّ ونهضة الحياة الفكرية ، أثره البارز على الشعراء حيث التفتوا إلى المرأة وأفسحوا لها مكانًا عريضًا في شعرهم، فلا يكاد يخلو ديوان من نتاجهم ، إلا ونجد صورة أصلية للمرأة في هذا المجتمع،وكلها تزخر بفيضٍ من الأشواق الصادقة،والمشاعر النبيلة " [2]

وترى الدراسة أنّ الشاعر العربيّ السعوديّ قد قدم للمرأة صورة كما يحبها هو ، أو كما يحلم بها أن تكون ، فليس شرطًا أن يكون الشاعر عاشقًا على أرض الحقيقة والواقع ، فقد يخترع حبيبته بوحي خياله ، يتغزل بها ، ويحنُّ إليها ، ويبثها لواعج فؤاده . فالشعراء في معظم الأحيان كانوا يتنفسون من خلال شعرهم ، في تصوير علاقتهم بالمرأة ، بسبب افتقادهم إلى علاقات حقيقية مع الأنثى ، كونهم جزء من مجتمع شرقيّ ، نظم العلاقة بين الرجل والمرأة بما يتناسب مع عادات المجتمع ومُثُله ودينه وقيمه. وسنلج في هذا الباب عالمًا من نماذج متنوعة لشعراء سعوديين ، حنوا إلى الحبيبة ، واشتاقوا لها ، وتحدثوا عنها ، بكلِّ رقّة وعذوبة ، فها هو الشاعر عبد الله الفيصل ، يعترف أنه من أجل عينيها عشق الهوى ، بعد أن كان

---

[1] خفاجي ، محمد عبد المنعم ، الشعر الجاهليّ ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1973م ، ص 252.

[2] شيخ أمين ، بكري ، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، مرجع سابق ، ص207 وما بعدها .

قلبه فارغًا من ذلك ، لكنه بعدما وقع في هواها ، أصابه الأرق ، فلم يعد يقوى على النوم ، ثم سلّم أمره لها، تفعل بفؤاده ما تشاء ، يقول في رائعته الخالدة "من أجل عينيك": [1]

من أجلِ عينيكِ عشقتُ الهـوى   بَعْدَ زمــانٍ كُنْتُ في الخَلـي
وأصبحتْ عَيْنيَ بَعْدَ الكـــــرى   تقول للتَّسهيد ... لا تَـــرْحَلِ
يــا فــاتِـنًــا لـولاهُ مــا هزَّنــــي   وَجدٌ ولا طعم الهوى طاب لي
هـــذا فُـؤادي فــامــتَلك أمــرهُ   واظلمْهُ إن أحببتَ أو فاعدلِ

لكنه بعد هذا العشق والهيام ، يطلب منها ألا تسأله عن لياليهم العذبة ، وعن الأماني التي صارت سرابًا ، فقد أسدل على ذلك سترًا وحجابًا ، فعليها أن تتحمل نتيجة الهجر ، ولا داع للوم والعتاب ، فقد ذهب أوان ذلك ، يقول:[2]

لا تَـقـل أيـن لـيـالينا ، وقـد كانــت عِذابـا
لا تسلني عن أمانينا ، وقد أضحت سَــرابا
إنَّني أَسْدَلْتُ فـوق الأمـس سـترًا وحِجابـــا
فَـتحمـلْ مُــرَّ هِـجْرانِكَ ، واســتبــقِ العِتابـا

ويقول كذلك في موقع آخر يصف ما يلاقي من ألم الجفاء ولوعته ، رغم أنّ حبها في قلبه باق ، وكلّما أسرفت في صدِّها أسرف هو في لوعته وحنينه واشتياقه ، ولو أنها عرفت ما يعاني من فراقها، ما زادت في جفائها ولا نزل دمعه غزيرًا ، يقول:[3]

أُلاقـــي فـــي عـذابكِ ما أُلاقي   وَحُبُّكِ فـــي حـنايا القلبِ بـاقِ
وَتُسرفُ في الصُّدودِ وفي التّجني   وأُسْرِفُ في التياعي واشتياقـي
ولـو يـدري فُـؤادُكِ ما أعانـــــي   ومــا ألــقاه مِـن الـمِ الـــفــراقِ
لما أَمْعَنْتِ فـــي هـذا التَّجافــي   ولا أَذْلَلْتُ مـن دمـعي المـراقِ

وفي قصيدة يظهر فيها تأثر الشاعر أحمد بهلكيّ بقصيدة ابن زريق البغدادي(لا تعذليه) التي يقول مطلعها:[4]

---

(1) كمال ، خلايلي ، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربيّ ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1993م ، 217 . 219 .

(2) المرجع السابق ، ص217–219 .

(3) الفيصل عبد الله ، ديوان (وحي الحرمان) مصدر سابق ، ص 44 .

(4) انظر : شوشة ، فاروق ، أجمل (20) قصيدة حبّ في الشعر العربيّ ، ط6 ، دار ابن زيدون للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995م ، ص 163 .

لاتعذليه فإنَّ العــذلَ يوجِـــعـــه		قد قلت حقًا ولكــن ليس يسْمَعُهُ
جاوزتِ في عذله حدًا أضـــرَّ به		من حيثُ قدَّرْتِ أنَّ العذلَ ينفعُهُ

فيقول البهلكي في قصيدته الصدى لتلك القصيدة بعنوان (شوق) [1] والتي اضطرمت نار الشوق في أحشائه بسبب الهجران والصدود من الحبيبة ، فعلا صوته بالشكوى مدفوعًا بالحزن الشديد ، لفراق تلك الحبيبة ، التي ملكت لبه ، وسيطرت على مشاعره ، في كلِّ الأوقات ، فأصبح متيما لا يدري كيف أصابه داء الغرام ، فصار ذا همٍّ وتعب ، فيقول:[2]

يا شادناً وسـرارُ الـقلـبِ مرتعُـهُ		والحسُّ إمّا غَفَتْ عيناه مَضْجَعُهُ
وفي الحِشا مِنْهُ نارٌ باتَ يُوْقِدُها		هِـجرانُهُ ، وصدودٌ ظـلَّ يصنعُهُ
آهـــاتُ صـبٍّ وأنّـاتٌ يـردِّدُهـا		ونحو عُمقِ الشَّكاةِ الحُزنُ يدفعُهُ
تَعْنو إليه تباريحُ الجوى سَـحَرًا		وتحـتويـه مَـعَ الآصالِ أدمـــعُـهُ
مُتَيَّمٌ ليس يـدرس كيـف حلَّ بـه		خَطْبُ الغرامِ فأضحى الهمُّ يتبعُهُ

ويبدأ عمر بن إبراهيم البريّ (1891م– 1958م) قصيدته بفعل الرجاء (عسى) الذي استخدمه ليفيد الشك مع اليقين ، فهو بينهما في رجاء الأيام أن تنجز له مراده ، بجمعه مع التي ملكت قياده ، فقد أخذ الشوق بعقله ، فلم يعد يقدر على الصبر ؛ لشدة أرقه وسهاده ، ففاض دمعه غزيرًا كالسيل،وطوّح الغرام به في كلِّ واد، فأشعلت الذكريات نار وجده فصاح ثلاثًا، وا فؤادي ، يقول:[3]

عـسى الأيامُ تنجزُ لي مرادي		بِـجَـمْـعي للتي مَــلكت قيـادي
أقولُ إذا ازدرى شَـوقـــي بلبي		وضجَّ الصَّبرُ من طول السُّهادِ
وفاضَ الدَّمعُ من عيني سيولاً		وهـام بــي الهوى فـــي كلِّ وادِ
وأجَّج لـي التَّـذكــر نـارَ ودِّي		فؤادي!..وا فؤادي.. وا فؤادي!

ويدفن محمد إسماعيل جوهرجيّ صبابته وأشواقه ، لكنّ الحنين زاد به إلى هوى المحبوبة ، فحاول أن يعالج صبوته وحزنه ، بأن يحلم برؤيتها في الخيال ، فلما سكن قلبه ، واستقر حاله ، جاءه الفراق الذي كان فيه أسير هواها، ويتعجب الشاعر ، لِمَ فعلتِ ذلك ؟ وقد أحببتك بصدق ، ووهبتك قلبًا ما وهبته لأحدٍ غيرك ، وبعد ذلك كله ، يكون جزائي الصّدّ

---

[1] بهلكيّ ، أحمد يحيى ، ديوان : (الأرض والحبّ) ، ط2 ، نادي جازان الأدبي ، ط2 ، 1980م ، ص 39 .
[2] المصدر السابق ، ص 39 .
[3] البريّ ، عمر بن إبراهيم ، ديوان البريّ ، تحقيق وتقديم : د. محمد العيد الخطراويّ ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، (د . ط . ، د ، ت) ، ص 213 .

والهجران ، يقول:[1]

وأُدتُ صبابتي وعزيزَ شوقــي فزادَ بـــي الحنينُ إلى هواكِ
أعالجُ صبوتــي ولهيبُ وجـدي وأحلمُ فــي الخيالِ بأن أراكِ
فلّما أَنْ سكنتِ شغافُ قــلبي وأشرقَ كالـصّباحِ رؤى بهاكِ
أحـاطَ بـي الفـراقُ وكُنْتُ فيه أسيرًا في هواكِ وفي رضاكِ
فكم ذا قد وهبْتُكِ صِدقَ حُبِّي وقلبًا لم أَهِبْهُ لِمنْ سِـــواكِ
فلم أرَ منْكِ غــيرَ الصَّدِّ دربًا وهــجـرًا للذي يـرجـو لــقـاكِ

وتعاوده الصّبابةُ وشدّة الحبّ لتلك التي غاب عنها، ويتذكر ما مضى من لحظات السعادة حين كان معها، فهي ذات جمال فاتن، وعيون ذات سحر جاذب ، جعله يهيم بهما ويغرق في سحرهما ، وتأخذه الذكرى والحنين ، فلا يحتمل البعد ولا النوى ، ويتمنى أنّه لم يتعلق بها ، ويبقى يعيش على الذكريات بكلِّ خليةٍ في بدنه ، هائمًا بصمت في هواها ، علّه ينال وعدًا صادقًا منها ، يقول:[2]

ما لي تُعاودني الصَّبابةُ والـهوى فَأَهيمُ فـــي سِـحْرِ العيونِ وأَغْرقُ
حَتّى إذا حنَّ الفؤادُ .. لِخَلْـوةٍ تَـنتابُــني الذِّكرى وقـلـبـي يَخْفِـقُ
ما عُدْتُ أَحْتَمِلُ البُعادَ ولا النَّوى ولـكـمْ وَدِدْتُ بـأنَّنــي لا أَعْلَـــقُ
سـاعيشُ للذكرى بكـلِّ خلـيَّةٍ فَـلَـنِعْمَـتِ الـذّكرى بِحُـلْمٍ يُـــورقُ
وأهيمُ في صّمْتٍ لعلّي أَجْتنـي من روضةِ الأحبابِ وعدًا يـصْدُقُ
رُحْماكِ إن نَكَأَ التَّذكرُ مــاضـيًا حـاولـتُ أُخْـفيهِ بـقلبٍ يَخْفِـــقُ

وفي قصيدته (على كفِّ وَجْد) يجعل إبراهيم فودة ذكرى محبوبته وجد ، شغله الدائم ، عن عمدٍ وعن غير عمد ، فهذه الذكرى تملأ جنبه ، ولن تنفذ طوال عمره ، فقد وجد فيها وجوده ، وعاش فيها أحلام وَجْده ، وذاق معها أجمل الأمنيات ، التي طال فيها سعده ، يقول:[3]

ذَكَرْتها وهــي شُــغْلــي عمدًا ، وعنْ غيرِ عَمْدِ
فَمِــلْءُ جَـنْـبَيَّ ذِكْــرى لا تَنْفَذُ العمرَ عِـنـدي

---

[1] جوهرجيّ ، محمد إسماعيل ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 2005 ، 55/2 .

[2] جوهرجيّ ، محمد إسماعيل ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 302 .

[3] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 103 .

وَ وَجدتُ فيها وجُــودي   وَعِـشْتُ أحلامَ وَجْدي

وَذُقْتُ أحلى الأمـــاني   وطالَ فيهِن سَـــعدي

وكان بعدي عنك خارج إرادتي، ولا اختيار لي فيه، ونتيجة لذلك لم يهنأ لي عيش ، فلم أعد أرى شيئًا جميلاً بنظري ، وانكشف سري ، وطال سهري ، فتمنيت أن يكون قلبك عندي ؛ لأكون فيه وحيدًا ، لا يشاركني فيه أحد ، لنسمعه وهو يقول:[1]

مِـــنْ بَعْدِ بُعْدِكِ عَنـي   ورغمَ عَيْنيّ بُعْـدي

ما طابَ عيشي وهانتْ   كُـلُّ المفاتنِ عندي

وصارَ سرِّي جـــهارًا   وغـالبَ الليلُ سُهْدي

فَلـيتَ قـلبُكِ عِـــندي   ولـيتني فـيه وحدي

أمّا غازي القصيبيّ ، ذلك الشاعر الذي كان للمرأة مكانة كبيرة في ديوان شعره ، حتى أكاد أقول: إنّه نزار ديوان الشعر السعوديّ، وذلك من خلال اطلاعي على كثير من قصائده، التي اختص بها المرأة ، ففي قصيدته مدار بحثنا، يخاطب محبوبته ليخبرها بأنّهُ مُقَدِّر حبها له ، فقد أحبته شابًّا في عنفوان شبابه ، وما تغيرت عن حبه حين غزت جسمه الأوجاع ، وقد منحته من أثمن كنوز الحبِّ ولولا حبها لكان جائعا عاريا ، ويطلب منها إذا سئلت عنه أن تقول : لقد أحبني بكلِّ قوَّةٍ وإصرار ، وكنت كلَّ شيء في حياته ، أنا معه حيث سار وذهب ، يقول:[2]

أيَا رفيقةَ دَربـي لـو لـديَّ سـوى   عـمري لقلتُ : فِدى عَيْنَيْكِ أعماري

أَحببتني وشَـبـابي فــي فُـتـوتــه   ومـا تَـغـيرتِ والأوجـاعُ سُــمّاري

مَنَحْتني من كـنوزِ الحـبِّ أَنْفَسها   وكُـنـت لولا نَـداك الـجائعَ العاري

إنْ ساءلوك فقولي : كان يَعْشَقني   بــكـلِّ ما فيه من عُنْفٍ و إصرارِ

وكــان يــأوي إلــى قلبي ويَسْكُنُــهُ   وكـانَ يَحْمِلُ في أَضلاعِـــهِ داري

وفي قصيدته (خُصَلٌ من الأحلامِ) [3] يحنُّ حسن عبد الله القرشيّ للمحبوبة بلهفة وحزن ، لكنّها تردُّ على ذلك بغير ودّ ، فالعلاقة بينهما بين جزر ومد ، بين صدٍّ وردّ ، مع أنه نسج

---

[1] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 103 .

[2] القصيبي ، غازي ، ديوان : (حديقة الغروب) ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، 25007م ، ص 15 . 16.

[3] المصدر السابق ، ص 15 . 16 .

لها من دمه باقة من أجمل الورود ، لكنَّ المرأة تبقى المرأة ، تريد الرجل عبدًا لها رغم هيامه بها ، يقول:[1]

أهفو إليك بلهفةِ الْوَجْدِ	وتُبادلينَ بِغَيْرِ ما وُدِّ
أهفو إليكِ نَسيجَ أشرعتي	وتراوحين هوىً بلا وعدِ
يا حُلْوَةَ العينينِ إنَّ يَدي	مُمتدةٌ والمجدُ في زَندي
والشِّعْرُ ينسجُ من خيوط دمي	لكِ باقةً من أجمل الوردِ
كم كنتُ حرًّا في مسارِ غَدي	فغَدّوتُ في مسراي كالعبدِ
طوبى لمن أهدى الغرام له	عهدًا وأوفي الخلُّ بالعَهْدِ

ونلتقي بشاعر يكاد ديوانهُ يكون مقصوراً على الحنين والشوق للمحبوبة ، والوقوف على ذكرياته معها ، ففي قصيدته (فرحة اللّقاء) [2] يدعو الشاعر مصطفى عبد الواحد زقزوق، لمحبوبته أن يردها الله من غربتها ، وأن يطوي بينهما بعد المسافات ، ويسألها : هل تشعرين وأنت بعيدة باضطرابي ، وعذابي ووحدتي؟ ثم يصف حاله في البعد عنها يقول:[3]

ردّك اللهُ بعْدَ طولِ المغيبِ	وطَوى بَيْنَنا عَذابَ الدُّروبِ
هلَ تَمثلتَ في البُعاد اضطرابي	وعَذابي في وحدتي .. يا حبيبي ؟
ضَحكَ الحبُّ في عيوني جلالاً	وانْتهى آسفًا لهجرِ غريبِ
وروى الدَّمعُ مُقْلتي فأراها	تَنْهَبُ الخَطوَ للقاءِ القريبِ
وانطلاقاتُ خافقي تتهادى	تَذْرَعُ الشَّوقَ في الفَضاءِ الرحيبِ
فإذا أنتَ حاضرٌ في فُؤادي	وخَيالي وبالوشاحِ القشيبِ

وكأنَّ هذه المرأة تقيم في نفسه ، فهي عيونه ومسمعه ، تسكن في أعماق قلبه وأضلاعه ، فهي ما فارقته إلا للحظة ، فهي شغله الشاغل بين أهله وربعه ، وكلما لاح خيال منها، جاشت ذكرياته، وأصغى بسمعه، علّه يسمع عنها خبرًا ، ثمَّ يصل إلى أن ليس كلّ الشوق قد نستطيع إخفاء ناره ، وخاصة إذا كَثُرَ مدعو الحبِّ ، ثمّ يتمنى تحقيق أحلامه مع كلِّ همسة عاشق ، فيلتقي بها ولو بآهاته وخفايا مدامعه ، يقول:[4]

---

[1] القرشيّ ، حسن عبد الله ، ديوان : (ستائر المطر) ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1997م ، ص 49 . 50.

[2] انظر : زقزوق ، مصطفى عبد الواحد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 2005م ، ص 32 .

[3] المصدر السابق ، ص 55

[4] زقزوق ، مصطفى عبد الواحد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 39 .

كأنّك في نَفسي وعيوني ومسمعــي وأنّك فــي أعماقِ قـلبي وأضلعي

وأنّـك مــا فـارقــتِ إلّا لسلـــوةٍ وأنتِ حديثي بّيْنَ أهلي ومربعـــي

ويعتادنـــي فيمــا إذا لاح بــــــارقٌ خيالُـكِ والذّكرى تُشَنِّفُ مَـسْمَعـي

ومــا كـلُّ شوقٍ قد يُخْفَّ وقِيــــدهُ إذا قــامَ في وَصفِ المحبَّةِ مُدَّعِ

عســانــي أرى في كلِّ همسةِ عاشقٍ تباشيرَ أحلامي وغايات مطمعــي

إذا غـابَ عنــي فــي مغباتِ أَمْسِــهِ سَيحيا بآهـاتي وأعماقِ مدامعـــي

وينادي الشاعر عبد الرحمن بن عبد الله آل عمير (1920 . 2002) ، الحبيبة مشبهًا إياها بالغزالة التي ترعى بين الشيح والرّاك ، مخبرها بأنها سلبت قلبه بعينيها الفتاكة ، فقد زادت على قريناتها بجمالها وأخلاقها ، ومنطقها ، ثم نراه يتعجب من جمال وجهها ، وأنفها وطولها ، ويطلب منها أن تترفق به ، فنار الأشواق تحرقه ، وهواها جعله نحيلاً ، وغاية ما يطلب أن تمنَّ عليه بالوصال ، كي يزول كربه ، ويقدر على الراحةَ والنوم ، يقول:[1]

يا ظبيةَ الحسنِ بَيْنَ الشّيـحِ والَـراكِ سَلَبْتِ قَـلبــي بِـطَرْفٍ مِـنْـكِ فـتّــاكِ

حُزْتِ الجمالَ على الأَقرانِ في خُلقٍ ومَنْطِقٍ طـابَ مــا أحـلـى مُحَيّـاكِ

وأَنْفُكِ المرهفُ المبيضُّ فـاقَ عــلاً حُـسـنًـا كـذاكَ قَوامٌ منك حــلاّكِ

والفرعُ مِنْكِ طويلٌ فـاحـمٌ وبــــه طِيْـبٌ وعِـطْرٌ وربُّ الكــونِ يَرْعـاكِ

رفقا بصبٍّ من الأشواقِ في حــرق هــواكِ أَنْـحَـلَـهُ والـقـلبُ يـهــواك

مُنّي بوصلٍ على المُشْتاقِ في عجلٍ ونَفِّسي الكـربَ كــي يُطْفَى برؤيـاكِ

عيناه لم تغتمضْ بالنَّومِ من ولـــــهٍ ولم تَـذقْ طعـمَهُ مُـذ غابَ معنـاكِ

ونجد المعاني عينها عند الشاعر محمد حسن عواد (1902 ـ 1980 م) فهو يخاطب محبوبته مستخدمًا حرف النداء (أي) وهو نداء للقريب ، وهي بعيدة عنه ، ليبيِّن أنّها ذات مكانة كبيرة عنده ، واصفًا إياها بأنها تطيل عهد الفراق ، مع علمها بأن البعد مرّ المذاق ، ويسألها لِمَ تجفو ، وهي تعلم كم يعاني شوقًا لها ، وتعلم أيضًا عفته ، وابتعاده عن كل ما يشين الهوى بينهما ، فإن كان له مثل ذلك ، فلتغفر وتصفح ، يقول:[2]

أَيَهـذا المطـيلُ عَـــهْـدَ الفـــراقِ إنَّ شَـحْـطَ النَّوى لـمُـرُّ الـــمذاقِ

---

[1] الحليبيّ ، خالد بن سعود ، الشّعر الحديث في الإحساء (1300 . 1400 هـ) ، إصدارات نـادي المنطقـة الشرقية الأدبيّ ، الدمام ، 2003م ، ص 187 . 188 .

[2] معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1 ، الناشر : مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، 2008م ، 194/4.

فيمَ تجفـو وأنــتَ تَـعْــرفُ أنّـــي | واجـدٌ مِـنْـكَ لَـوعَـة الاحْــتـراقِ
ولأَشْقى القلوبِ قلـبُ مُـحِـبٍّ | منْ صدودِ الحبيبِ فــي إشْـفاقِ
دُمْتَ للحبِّ ، ما علمـتُ لِنَفْســي | فـي الهـوى مأثمًا عـلى الإطلاقِ
ولئن كان لي من الإثـم ما يكـ | بو لــديــه مـدى الدُّهـون الدِّقــاقِ
فالتمسْ لي شفاعـةً في لظي قَلْـ | بي ، وفي سَـيْبِ دمــعي المُهراقِ
وإذا شِـئْـتَها فَـفـي أَنّـــي بــا | قٍ على العَـهدِ ، صادِقُ الميـثاقِ
لو عَرَفتَ الهوى وما يضمَرُ القلـ | بُ العَـمـيـدُ الولوعُ ، مـن أشْـواقِ
لرأيتَ اقتـراب روحـك مِـنــــي | لازمًا ، فــي شَــريـعـةِ الأخــلاقِ

وهذا شـاعر طـارت شـهرته، وعُـرفَ بقصيدة ردّدهـا العديـد مـن الفنـانين العرب ، ذاك هـو الشاعر يحيى توفيق حسن (1929م . ؟) صاحب قصيدة (سمراء) ، الذي يقول صاحبها عنها : " كتبتُ هذه القصيدة وأنا دون العشرين ، وكانت نتيجة تجربة عاطفية لا شكَّ في ذلك ، وها أنـا وقد جـاوزت الستين ، أحنّ لها ..." [1]، فهـا هـو يطلب من تلك السمراء أن تـرقَّ للمدنف الباكي ، وأن تترفق بفتى لا همّ له إلا رضاها ، فهو لا ينام منذ أن رآها ، ووقع في غرامها " والمرأة ذات تجنٍّ ودلال ، تهجر الرجل ، وتطلب أن يسعى إلى ودها ، وتقسو على الرجل ولا تعترف أنها قست ، والرجل أمام هذا كله ، لا بدَّ أن يكون مرهف الحسِّ ، صافي القلب " [2] وهذا ما كان من أمر شاعرنا وفتاته ، يقول:[3]

سـمـــراءُ رقّي للعـلـيل البـاكي | وترفَّـقـي بـفـتىً مُـنـاه رضـاكِ
ما نـــامَ مـنـذ رآك لـيلةَ عـيـدهِ | وَسَقَتْهُ مــن نـبع الهـوى عينــاكِ
أضناهُ وجْـدٌ دائِـــمٌ وصبـابــةٌ | وتَـسَـهـدٌ وتَـرَســـمٌ لِــخُـطــاكِ
أتخادعـــين وتخلفـين وعـــودهُ | وتُــعَـذبــيـنَ مُـدَلـهًـا بـــهـواكِ
وهو الذي بـات الليالي ساهـــرًا | يَـرعـى النِّجـومَ لعـلَّهُ يَـــلْقـاكِ
يا منيةَ القلبِ المعذَّبِ رحمـــةً | بالمُـستَجـيرِ من الجوى بحمــاكِ
تُرْضيهِ منكِ إشارةٌ أو بَسْمَـــةٌ | أو هَـمْـــسةٌ تَـشْــدو بها شفتــاكِ
لا تهجـري وتُقَوِّضـي أحلامــهُ | وتُحــطِّــمــي آمالـــهُ بـجـفـــاكِ

[1] محمد ، عبد المقصود خوجة ، الأثنينيّة ، حفل تكريم الشاعر : يحيى توفيق حسن ، العدد 140 ، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1993/10/18م ، ص 32 ،
[2] حسّان ، أبو رحاب ، الغزل عند العرب ، ط1 ، مطبعة مصر ، القاهر ة 1947م ، ص 7 .
[3] محمد ، عبد المقصود خوجة ، الأثنينيّة ، مرجع سابق ، ص 30 .

وتَــرقَّــقَــي بِــفُــؤادِهِ وتَـذكري قَـلـــبًا بِــــدايةً سَــــعْــدِه رؤيـاكِ
سمراءُ عودي واذكـري ميثاقنـا بين الخمائلِ والعيونُ بــــــواكِ

ويعترف مرة أخرى . بأنّه ما يزال يحنُّ إليها ، فهو كلّما حاول طردها من دمه ، لا يقدر، فكأن يديه تمتد لتشدَّ وثاقه ، فيعود نبضها يجري في دمائه صاخبًا ، حتى يحسَّ بهواها في عروقه ويرى طيفها في خاطره ، يزهو مختالاً في روحه وفي مآقي عينيه ، يقول:[1]

انا كلّما حاولتُ نبـذكِ من دمـــي رَكَضتْ إليكِ يدي تَشُدُّ وثاقي
ويمورُ نَبْضُكِ في دمائي صاخبًـا حتّى أَحُسَّ هَواك في أعراقي
ويلوحُ طَيْفُكِ عابرًا في خاطـــــري يَخْتالُ في روحي وفي آماقي

ويجأرُ بالشكوى ، مستخدمًا نداء البعيد ، فقد أصبح حبه محكومًا بالفشل ، وحزنه موعوداً في أعماقه ، وصار إعصار الفراق يلفُّ قلبه فلم يعتقد لحظةً أن ما بينهما سينتهي بالفراق ، بعد طول شكٍّ وريبة ، فجاءت اللحظة التي كان يخشاها ، لقد تقوَّضت أحلامه ، وتمزق حبّه الكبير ، وتعثرت الخطوات ، فلم يبق إلا الحنين ، يقول:[2]

يا حـبيَّ المـوعـود بـــالإخفاقِ يـا حُـزني الموعودَ فـــي أعــماقي
قلبي وإعـــصـارُ الفراقِ يَـلـفنـي يَشْـكو إلـيكِ مـواجـــعَ الأشْـــواقِ
ما كان في حُسْبانـهِ أنَّ الـــذي بَـيْــنــي وبـينكِ يَـنتـهـي بـفـراقِ
لعبتْ رياح الشَّــــكِ في أرواحنا مِــن بَـعْـد طـــولِ تآلـف ووفـاقِ
فتقوَّضـتْ أحلامنـــا وأحــاطنـــا لَـيْـلٌ يَــنُوءُ بِـحـيْـرةٍ وشِـــقــاقِ
وتمزَّق الحبُّ الكبيرُ ولـم يعُـــدْ للصَّبْــرِ فـــي قَـلبـي وقَلبك باقِ
قدْ كنتِ لـي قلبًا ألوذُ بـدفئـــهِ فـي غُـربـتي من شـدّةِ الأشـــواقِ
ورحلتِ فـــي صمتٍ كأننا لم نكنْ نَـحْـيـا بِـــقـلـبٍ واحدٍ خَـــفـاّقِ
واليومَ أصبحَ حُبُّنا أقصوصـــــةً تُحْكى فَيَصْمُتُ . مُشْفقين . رِفـــاقي

ونجد صورةَ المحبِّ الذي يحترق بنار الأشواق ، تتكرر مجددًا عند الشاعر حسين أحمد النجميَّ (1962– ؟) ، في قصيدته : (رحلة في دروب الذكريات)[1] ، فهو وإن كان قد

---

[1] محمد ، عبد المقصود خوجة ، الأثنينيّة ، مصدر سابق ، ص28 . 30 .

[2] المرجع السابق ، ص 29 .

غادر ديار المحبوبة ، فقلبه ما زال عندها باقٍ ، لم ينتقل من مكانه ، وكعادة من سبقه من الشعراء ، إن لم يرها عيانًا ، فإنّه يراها في أحلامه ، وفي خياله ، يقول:[1]

سيري على دربي ولا تـسألي ولا تـقـولـــي حُـبُّنا قد بَلـي

فلمْ تزل نار الهوى في دمي تفورُ مثـل الماءِ في المرْجلِ

ولم يـــزلْ قـلبي وروحي هُنا هـائـمةً فـي حُبْـهـــا الأولِ

فإن أُكن غادرتُ أوطانَـــكم فَخَـافِـقـي باقٍ ولم يُـــنقلِ

يا حلوة العينين روحي غدتْ هــائـمةً فـيـك فلا تَـرحلـي

أُبْحِرُ في أحْـداقِـــها زورقًا شِـــراعُــها من حلمٍ مخملـي

ونـلتـقـي فـي شـاطئٍ حالمٍ تَـرسُـمــها فــي دربِــه الأولِ

سَنابِـــلُ العشِــقِ بأطيافــهـا يَحْـصُدُها الحزنِ بلا منجلِ

ومن الظواهر التي تلفت نظر المتأمل في شعر الحنين إلى المحبوبة عند الشعراء السعوديين ، أنَّ الحنين إلى المحبوبة ، عند هؤلاء الشعراء كثيرًا ، ما يتداخل مع الحنين إلى الوطن ، " فهذا الشاعر ، البعيد عن وطنه سفيرًا ، أو مهاجرًا ، أو طالبًا للعلم ، يقف في وجه بطش الحياة ، ورمضاء الزمن ، وعصف الوحدة ، فيحس بشيءٍ غير قليل من الحنين إليهما ، إلى الأرض وإلى تلك ، وأمام مرارة الواقع ، حاول الشاعر أن يتحدى هذه المرارة ، بمحاولة نبش كنز الذكريات ، لتخرج منها صورة امرأة ، هي وطن داخل الوطن ، وكلاهما بعيد ... بعيد " (2) فغازي القصيبيّ . مثلاً يحنُّ للمحبوبة التي ذكّرته بذكريات دفينة ، وحنينه هذا دفعته إليه غربته بشقيها ، غربة الذات ، وغربة الجسد ، وكلتاهما حركتا في أعماقه مشاعر الأمل باللقاء ، يقول:[3]

حبيبةٌ لا تتركيني لليلٍ كئيـــبٍ..وفَجْــرٍ شحيــــــح السَّنـــــا

ولا تُسْلميني لدَّربِ الضَّيــــــــاعِ ولا تكليني لِجُـــــــرْحِ الضَّنـــــا

أنا وفلولٌ منَ الذِّكريــــــاتِ وصمتُ المساءِ وبقايا المنّـــى

أحنُّ إليكِ حنين الغريــــــبِ إذا ذكــــر الأهـلَ والوطنـــا

---

(1) النجميّ ، حسين أحمد ، ديوان : (تأملات على مرافئ الغربة) ، نادي أبها الأدبيّ ، ص 49 .

(2) التيهانيّ ، أحمد بن عبد الله ، المرأة في شعر الحنين عند شعراء جنوب البلاد السعودية ، مجلة بيادر ، نادي أبها الأدبيّ ، العدد 43 ، جمادى الأولى 1425 هـ ، ص 80 .

(3) القصيبيّ ، غازي ، المجموعة الشعرية الكاملة ، ط2 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1407هـ/1987م ، ص 30 .

وفي قصيدته (تائه)[1] يبحث سعد البوارديّ عن حبيبته ، لكنه لا يجدها ، فهو إنسان حي ، لكن ، بلا مكانٍ أو زمان ، ثُمَّ يكتشف أنَّه يبحث عن نفسه ، وأنه لا يجدها ، بل وجد ظلالاً كتبها الحرمان ، ووصل إلى قناعة مفادها أنَّـه لا يعيش في زمن ، وكل ما يعرفه أنه سائر بطريق . حتمًا . ستصل به إليها ، وإلى الوطن ، يقول:[2]

بحثتُ عنك يا حبيبتـي
تصوري !!
حيٌّ بلا مكانٍ . أو زمانْ
بحثتُ عني ! لم أجدْ
سوى ظلالٍ خطّها الحرمانْ
في لوحةٍ مجهولةٍ بلا عنوانْ
بحثتُ عني !! يا حبيبتـي
مُذْ أقلعتْ بك السُّفنُ
وأودعتك رِيْحَها ...
وأودعت لي الحـزنْ
فما وجدتُ أنَّنـي
أعيشُ فـي زمـنْ
حتى إليكِ يا حبيبتـي
أمضـي ...
وما بعد الكفـنْ
لأنـك الوطـنْ
وهل حبيبٌ في الورى مثل الوطن ؟!

ونلمحُ في قصيدة " البحث في وطن كبير "[3] لمحمد عبد الرحمن الحفظي،(1961م . ؟) أنَّه مزج حبَّ المرأة بحبِّ الوطن والأرض ، بحيث لو نظر في عيني الحبيبة ، وأغرق في النظرات ، لـبدت له صورة الوطن والأرض فيهما ، ولو نـظر في طبيعة بلده وأطال النظر

---

[1] البوارديّ ، سعد ، تائه ، مجلة الفصل ، العدد 327 ، رجب ، 1425 هـ ، ص 48 .
[2] المرجع السابق ، ص 48 .
[3] الحفظيّ ، محمد عبد الرحمن ، ديوان : (لحظة يا حلم) ، ط1 ، نادي أبها الأدبيَّ ، 1984 م ،ص17 .

في جمال روابيها ، وشواطئها ، وصحاريها، لكانت صورة الحبيبة بارزةً شاخصةً ،يقول:[1]

يـرى نـــهـرَ الحَــياةِ يَسـيْرُ	لكنْ ... مــا له مجرى
وَيَحْـمـلُ دفْـتـرَ الكـلـماتِ	لـم يـكتبْ بـه سَـطرا
وَيَـلْـقي فـي حَـبـيـبـتـــهِ	معاني الحبِّ ... والشّعرا
ولَــكِـــنْ ... لا يَـرى طيفًا	لـــهــا ... يحيا به عُذرا
فَــلَـمْ يـلمِـسْ لـهـا كــفَّا	ولـم يَـلْـثُـمْ لـهــا ثَغرا
هـــي الــمـأسـورةُ الحسناءُ	بَــيْــن خَــواطرٍ سَكرى
هي الذّكرى .. وصوتُ النَّاي	تَــسْـكُنُ فـكـرَهُ الدَّهرا
يُــفـتِّــشُ عــن مَـلامِـحها	ويَــنْـثُـرُ قَـلبَـــهُ نثرا
ويَــرقُــبُــهــا بِـــكلِّ الشّوقِ	حَــتـى تَغْـمُـرَ الصدَّرا

وفي قصيدته (أخاف علي حبيبتي من البحر) [2] ، نلتقي بالشاعر إبراهيم عمر صعابي (1954 . ؟) الذي نلمح ندمه وأسفه لفراق وطنه ، فقد فقدَ راحة باله ، وهدوءه وأمنه واستقراره ، حين فارق وطنه ، فهو يناجيه مناجاة الحبيبة ، فكلاهما واحد في قلبه ووجدانه ، ولا فاصل بينهما ، يقول:[3]

أخـافُ عـليكِ من غدرِ البحارِ	أخافُ عـليكِ من هذا الدّوارِ
أتيتُ وأدمعي السَّوداَء ثَـكلى	وجرحي ضجَّ من مأساةِ ناري
عَشقتكِ إنّما ظَلّتْ دمـوعي	دليلَ هوىً بأحـلامـي الكبارِ
قَتَلْتُكِ يا بْنَةَ البحـــرِ الجميلِ	قتلتُ شَـــواطئًا كانت منـاري
فَـكـمْ أرجـو وانتظرُ التّلاقــي	ولكنْ ملّني طـــولُ انتظـاري
حذارِ من الرَّحيل إلـى الرَّحيلِ	ومـــن بّحْرٍ سيغرقُنا ...حذارَ
حَمَلْتُ إليكِ أشْــواقي وحبّي	وجِـئــتُ إليكِ يتبعني غبـاري

وتختلط – أيضًا – الحبيبة بمسقط الرأس عند الشاعر الدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي ، فهو يتغزل ببلدته التي حنَّ إليها بعد طول فراقٍ ، فكأنما يتغزل بأنثى ، فقد

---

[1] الحفظيّ ، محمد عبد الرحمن ، ديوان : (لحظة يا حلم) ، مصدر سابق ، ص 17 .

[2] الصّعابي ، إبراهيم عمر ، ديوان (حبيبتي والبحر) ، ط1 ، منشورات : نادي جازان الأدبيّ ، 1403 هـ ، ص 98

[3] المصدر السابق ، ص 98 .

استلهم المرأة رمزًا لبلدته التي غاب عنها ، يقول في مطلع قصيدته بعنوان : " من القدس إلى سراييفو " [1]

أَذْبَـلـتـنـي لأجـلـكِ الأحــزانُ	وبَـكَـى قَـبْــلَ مُقلَتي الوُجْدانُ
سَـهْمُ عَيْنَيْكِ لَمْ يُصبني ، ولكِنْ	سَـلَـبـتـنـي إرادَتي الأَجْــفانُ
لا تَـغـيبي عَــني فَإنّي لأخشى	أَنْ يَجِفَّ النَّدى وَيَشْـقى الجَنانُ
لا تَـقـولـي مَنْ أَنْتَ إنّي مُحِبٌّ	أُشْـعِـلَـتْ فـي فُـؤادِهِ النِّـيرانُ

وعليه أقول : إنَّ الله وضع في أعماق الكون بعض أسراره وعجائبه ، وكذلك وضعه في عباده ، وخاصة الشعراء ، فكانت قلوبهم تنبضُ باللهفة والتّوق والانجذاب إلى الجنس الآخر ، وإنّها لطبيعة سماوية غرسها الله في نفوس الناس كافة منذ بدء الخليقة ، وحتى قيام الساعة ، ولا شكَّ أنَّ الشعراء أحفى بتلك المشاعر والأحاسيس والرغبات من غيرهم ، " ومن لم يفتح الحبُّ قلبه يومًا ، لم يدرك أسرار الحياة ، ولم يتسربٍ إلى نفسه بصيص من جمال الوجود ؛ لأنَّ الحبَّ يفجر طاقات أخرى في الإنسان ، غير طاقات الوجدان والشعور ، طاقات تسمو بالجماعة والأمة وترفع من شأنها على نحو ما " [2]

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد ضيف : " الشاعر الذي يشعر بالحبِّ لا يتكلم عن نفسه فحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم فيتألم ويئن معهم .. وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحبّ إلى النفس مع سماع هذا الأنين ، إن الشاعر يصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ، ورنات ما يجول بها من المعاني ليدفعها إلى النفوس فتصبو إليها ، ويدفعها بين العشاق ، فيرى كلُّ قلبه ... والحياة ثقيلة الأعباء ، والأعمال كثيرة الأشواك . وما أحوجنا إلى ما يذهب عنا الهمَّ والحزن " [3]

من هنا رأينا في ما سبق أمثلة حيّة لرهافة الحسِّ وحدة الذهن ، وشائق التضحية ، وفاخر الطموح ، وقمة الإخلاص ، والصبر ، والوفاء .

---

[1] العشماويّ ، عبد الرحمن صالح ، ديوان: (من القدس إلى سراييفو) ، ط1 ، دار الصحوة ، القاهرة ، 1314هـ، ص5.

[2] رداويّ ، محمود ، خصائص الحبّ والغزل في الشعر السعوديّ ، مجلة الثقافة ، دمشق ، تشرين أول 1988م ، ص41

[3] ضيف ، أحمد ، بلاغة العرب بالأندلس ، ط 2 ، دار المعارف ، سوسة ، تونس،1998م ، ص 79 .

5- الحنين إلى الأهل والأصدقاء:

الإنسان بطبعه كائن اجتماعيّ ، لا يعيش عادة منعزلا عن غيره ، فهو يعيش في أسرة ، وبين أهل وأصحاب وزملاء قي كلٍّ منحى من مناحي الحياة ، في مجتمع كبير، يؤثر كلاهما في الآخر.

وبين صرخة الحياة الأولى وشهقة الروح الأخيرة ، وفي دروب العمر يلتقي الإنسان بالآخر طوعًا أو كرهًا ، مصادفة أو قصداً ، وهذا الآخر قد يكون الوالد والوالدة ، الجد والجدة ، الأخوة والأخوات ، الزوجة والأبناء ، والصديق الحميم ، هكذا هو شأن الإنسان في الخليقة منذ كانت ، وهكذا سيظل شأنه حتى يرث الله تعالى الأرض وما عليها ..

ولست هنا لأبيِّن مكانة الوالدين ، أو الأخوة ، أو الزوجة والأبناء ، والصديق ، ففي هذا الباب سنتبين ذلك من خلال نماذج من الشعر السعوديّ ؛ لنقف على صورٍ من التناول وألوانٍ من العرض ، وجوانب من هذا التوأم الخالد ، الأهل والصداقة .

ونبدأ مع الشاعر حسين عبد الله سرّاج ، وقد شفّه الشّوق والحنين لكلا التوأمين الأهل والأصدقاء ، وهو في غربته في إسبانيا ، فخاطب أهله الساكنين في سفح جبل سهيل قرب الطائف، فقال:[1]

أَيُّها السَّاكنونَ سفحَ "سُهيل"	باكرَ الغَيْثُ رَبْعَكُم وأهلا
شقَّني الشَّوق والحنينُ إليكمُ	وسَقاني جَواهُ علاًّ ونَهلا
فَركِبْتُ الصِّعابَ جوًا وبَرًّا	وقطعت الطَّريق حزنا وسهلا
وطويت البلادَ طيًّا وَنَشْرًا	وإذا الصَّبر من مسيري عيلا
وإذا اليَأس يتشفى	كادَ واللهِ أن يَكُونَ عَذولا

كذلك نجد إبراهيم أمين فودة ،يشجيه الشوق والشجن ، فشوقه للحبِّ أضعفه وأوهن جسمه ، وتركه كعابر السبيل ، بلا أهلٍ وبلا سكن، فأخذ يشكو البعد والغربة وحرّ الفراق، فهو ليس كغيره ممن لا خلاق لهم ، هو إنسان بهوى أحبابه مرتهن ، ومهما طال الرحيل ، لا بدَّ من اللقاء ، ويؤكد أنَه باق على العهد وستثبت الأيام صدق قوله ، فهو كريم والأيام تمتحن أمثاله ، يقول:[2]

قد أَرَّني الشَّوق من ذكراكِ والشَّجنُ	وشَقَّني الوجدُ في حُبِّكِ والحَزَنُ

---

[1] سرّاج ، حسين عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 340 .

[2] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 122 .

شَوقــي إِلـى الحبِّ أَذوانــي وخـلَّقـنـي كعابر السَّبيلِ : لا أهلٌ ولا سكنُ

أَشْـكو النّوى والجَـــوى والليل قرحّني حـرُّ الفِـراقِ وأدوارُ الـهوى فـنَنُ

إِنْ عاشَ بـالحُـبِّ قومٌ لا خـلاقَ لـهـم فإنّني بهَـوى الأَحْـبـــاب مُرْتَهنُ

يا راحِلــيــن إلى عودٍ ، وإن بّــعُـدَتْ مــا بيننا شُــقَّةٌ أو أَمْعَـنَ الزَّمــنُ

مضى الزَمانُ الذي طابتْ بوصـلـكـمو أيامُهُ ونأى عَــن مُقْلَتي الوسنُ

إنّي على العهدِ ما تمضـي الحياةُ بنــا إنَّ الكِـرامَ عَـــلى الأيامِ تُمتَحَنُ

وفي إحدى رحلاته ، يحنُّ الشاعر لصديقه ورفيق دربه ، فيرسل له هذه الأبيات ، يخبره فيها بحنينه إليه ، وإلى ربوع عاشا فيها معًا . بطلاوة عيش ، ومدارج أنس ، وفرح وحبور ، لكن ذلك الزمان مضى وتسابقت بعده أحداث كثيرة ، يقول:[1]

لـكَ الـودُّ ما بَـينَ الضُّلـوعِ غَـميرُ سـتيـرٌ لَـهُ فـي الخافـقين عبيرُ

رويدكَ لا تحملْ على قَلْـبٍ لاهـفٍ يَـكــاد مِـنَ الشَّوقِ الكـبيرِ يطيرُ

يَـحـنُّ إلــى خَـيْـرِ الرّبُـــوعِ وعهدنا بها حـيثُ جِلبابِ الشَّبابِ طريرُ

وحَـيْـثُ تلَـقّـانا النَّـعـــيـمُ بِوَجْهِهِ وهَـــشَ لَـنا بِشْرٌ وفـاض سرورُ

وشَعَّ عَـلـينا . ثَمَّ . والدَّهـرُ بـــاسمٌ شبــابٌ على غضِّ النّفوسِ مُنيرُ

مَـدارجُ أُنْـسٍ طَـاب فــيها مُقامــنا كــأنَّـا لَـنـا فَـوقَ الــمجـرَّةِ دورُ

تُـعاودُنـــي الذّكرى فأَجتَرُ ماضيــنا يُـواكِـبُ ذِكــراهُ جــوىً وزفـــيرُ

مضى ذلكَ العهدُ النَّضيرُ تتابعت على إِثْرِهِ الأحـــداثُ وهـــي كثيرُ

ونكاد نبكي بكاء الشاعر خالد بن سعود الحليبيّ ، وقد توقدت ذكرى صديقه الذي رحل عنه إثر حادث على طريق الرياض ، هذا الصديق الذي قضى معه الشاعر أجمل أيام الدراسة ، فصعب عليه أن يصدق أنَّه رحل هكذا فجأة ، فهو يشعر دومًا أنّه معه ، ويكابر حين لا يجده واقفًا أمامه ، فيناديه ، فتردّ الذكريات ، يقول:[2]

تراءَتْ طيوفُك في مَدْمعـــي فَأَوْقَدَ جَمْرُ الأسى أَضْلُعي

أَحِــسُ بَأنّي عَبرْتُ السِّنيـــنَ وأنَّكَ يا شِقَّ روحــي مَعي

وكَابَـرتُ حـيـنَ التَـفـتُّ فَـلَمْ أَجْدكَ تُخَفِّفُ مِــن مفزَعي

فنادى كـيــاني (عبْدَ الرَّحيمِ) وردَّها الحبُّ في مَسْـمعي

---

(1) فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 152 .

(2) الحليبيّ ، خالد بن سعود ، ديوان : (قلبي بين يديك) ، مصدر سابق ، ص 30.

فَجاوَبَني أَرَجُ الـذِّكرياتِ وأَنْتَ مع السُّجَّدِ الرُّكَّعِ
تُرتِّلُ آيَ الكتاب العَزيزِ وتَرنو إلى الهدفِ الأرفَعِ
وكفِّي وكفُّكَ غُصْنا إخاءٍ يَجُودانِ بالثَّمَرِ الأَينَعِ
تراءتْ طيوفُكَ ثارِ الحنينُ تأجّجَ فَقْدُكَ في أَدْمُعي

ويضيق صدر أحمد إبراهيم الغزاويّ شوقًا إلى أولاده (مها وصبري) وإلى أهله الذين ذكرهم ، والذين لا حياة له دونهم ، ولقد ذكرته إياهم الحمائم وهي تمرح في أيكها ، فلم يبك ، بل قال شعرًا يصبو به إليهم ، يقول في قصيدته (الحنين إلى الأهل والولد) [1]

بَينَ شَوْقي إلى (مهاتي ، وصبري) ضاق واللهِ أيُّها النَّاسُ صَدري
وعَجِبْتُ أَنَّي أحِنُّ ، وأَصْبو بَيْنَ (ماءٍ) به ؛ الجَداولُ تجري
حَاضرًا ، غائبًا ، أروح ؛ وأغْدو صاعِدا ؛ هابِطًا بِنجدٍ وغَوْرِ
ذَكَّرتْني الطُّيورُ تَمرح في الآيـ كِ بِطانا (ضفاف) (وَج) ووكري
فإذا بي وما ذرفْتُ دُموعًا أَسْكبُ القلبَ في صُبابةِ شِعري
شَغَفًا ؛ يا لَيْتني ، يا ليت أنّي بَينهم قائمٌ أُريشُ وأَبْري
ما حياتي . بِدونهم . غيْر شجوٍ و (شُجون) كأنَّها مَوْجُ بَحْرِ
لا أرى البينَ غَيْر بَطْشٍ شديدٍ آهِ مِنْهُ ومن تَصاريف دَهْري
هو في الحقِّ (قطعة من عذابٍ) وسَعيرٌ يَشُبُّ من دونِ جَمْرِ

ويجيش الحنين ، وتفيض الذكريات ، في نفس الشاعر عزّ الدين سليمان سليمان ، لصديقه ورفيقه ، الذي سافر بعيدًا ، وخاصة كلما رأى حجرًا على جانب الوادي ، الوادي الذي عاشا قربه معًا، وكانت لهما فيه ذكريات كثيرة ، لا تزول من ذاكرة الشاعر، يقول:[2]

يسقى سهولَ الأمسِ ماء جِفائهِ ويظلُّ في قلبي نداءُ دمائهِ
وإذا خطايَ تعثرت يهفو لهُ قلبي ويسكن في حروف ندائه
خَمَدَتْ مواقدُ أمسنا ، فمن الذي منّا سقى جمرَ الوفا من مائهِ
نسيَ الهوى أشياءهُ ، كم مرَّةٍ علّقتُ أجفاني على أشيائهِ
ذاك الزّمانُ السَّمحُ كم أبكي لَهُ كالطّفل أَمْسَكَهُ بفضلِ ردائهِ

---

[1] الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 308.

[2] سليمان ، عز الدين سليمان ، حجرٌ على الواديّ ، مجلة الفيصل ، العدد 270 ، ذو الحجة 1419 هـ / إبريل 1989م ، ص 88 .

حطمت كأسَ الأنسِ في قلبي ، أما تدري ؟ فأنت العـمـر من ندمائهِ

حَجَرٌ على الوادي سَـهِـرنا عَـنـدهُ ما زال يُسـمـعـنـي حـزينَ غنائهِ

أسـعـى إلـيـه كـمـا تـلـهَّـفَ تـائـهٌ للـدّربِ ، مـا أشـقى حنين التائهِ

بالأمـسِ كـنـتُ مـغـردًا فـي عرسهِ والـيــومَ جئـتُ مواسـيًا بــعـزائِهِ

وهذا الشاعر زكي إبراهيم السّالم (1968 . ؟) يقول لرفيقه لِمَ أنت ناءٍ عني رغم أنك ملء السمع والبصر ، فأنت يا من سكنت القلب ، حي رفيقك الذي يسكن هجر ، حقّا إنك بعيد ، لكنَّ طيفك يمزق قلبي ، فأنا لم أكن أعرف مرارة البعد حتى رحلت ، فأجابني الحزن والشجن ترى ؟ ماذا فعلت حتى عاقبتني هذه الدنيا فأخذت مني الرفاق . فلم تبق ولم تذر ، يقول:[1]

ناءٍ وأنت مِلء السّمــــع والبصر يا ساكن القلبِ ، حيٍّ ساكني هَجَرِ

ناءٍ وطيفك في قلبــــــي يُمزِّقُهُ لم أدرِ أنَّ النّوى سيفٌ على البشــرِ

لم أدرِ أنَّ جراح البُعد قاتلـــــةٌ حتّى رَحَلْتَ ، فأودت بي على الأثرِ

ماذا صنعتُ بدنياي التي أخـذتْ منَي الرِّفاقَ ، فلـم تُبـــــقِ ولم تَذَرِ

ويرى الشاعر الكون موحشًا ، حيث بات الهمَّ يصاحبه ، فقلبي بذكراك مشتعل الجمر ، وفيه نار حامية لفراقك ، فلو جمعت لي الدنيا كلها ما اشتقت لشيء فيها بعدك، يقول:[2]

ما أوحش الكون مُذْ أضحى يصاحبهُ طيفٌ من الهمِّ ، أو رؤيا من الضّجرِ

لم يبق في مهجتي للعشق مُتّســـعٌ ولا لـفادات حيٍّ بالـهـوى نَـضِـــــــرِ

فخافقي أَلهبت ذكراك جمـــــــــرتهُ حَتَّى استحالـت إلى دنيا من الشّـررِ

وفي الفؤادِ لهيبٌ عارم ، لعبــــــت به الحوادث لَعِـبَ الرِّيحِ بالشَّـجــــرِ

وللحنين إلى الأم قصائد رائعة في ديوان الشعر السعوديّ ، فهذا الشاعر ظاهر بن علي الظاهر، تخاله يتغزل بمحبوبته وهو يناجي أمّه، ويحنُّ إليها، في أبيات تفيض رقة، يقول:[3]

أنْـتِ دنْـيــاي كـلّهـا وحـيـاتــي أنتِ روحي وفي بقاك ارتياحي

لا أبــالــي بـحـــبِّ أحـدٍ ســواكِ أنتِ نوري ومشرقـي وصباحي

إنَّـنـي عـاشـقٌ وعيـنـيك فـيـهـا فرحةُ الشّوقَ دمعة وانشـــراحِ

لَكِ قلبٌ يظلُّ ينظر نحـــــــوي كصغـيرٍ مرفرفٍ بالجنـــــاحِ

---

(1) السالم ، زكي إبراهيم علي ، يا أقرب الناس ، مجلة الفيصل ، العدد 275 ، جمادي الأولى 1420هـ / أيلول 1999م ، ص 106 . 107 .

(2) المرجع السابق ، ص 106 . 107 .

(3) الظاهر ، ظاهر بن علي ، سامحيني ، المجلة العربية ، العدد 348 ، السنة 31 ، محرم 1427هـ 2006م، ص 75 .

إنْ تذكرتُ حين كنت صغيــــرًا	كيف تشقين في سبيل ارتياحي
قـد مضى عمركِ الطّويل قصيرًا	فــي صراعٍ لـلـقـمـةٍ وكـفـاحِ
كمْ تجرعتِ مُرَّ كأس المنــــايا	لهنائي وصبتي وصلاحــــــي
فيك عطفٌ ورحمةٌ وحنــــــان	أنت شوقي وفيك طِبٌّ جراحــي

ويتوقف الزمن عند الشاعر محمد بن عبد الله الهويمل (؟) عند اللحظة التي فارقته بها أمّه ، إلى التراب ومن التراب ، لقد بلغ الثلاثين من عمره ، لكنه يعود إلى تلك الفترة ، التي كان بها رضيعًا بين راحتيها ، أجل ، لقد ذهبَت أمه إلى بارئها ، لكن ذكراها باقية إلى الأبد ، يقول:[1]

لكِ الله يا أمّي
يا مرضعة أبناءِ الثُّرابِ والتّرابِ
أكادُ أخدشُ غشاوة الماضي
بابرةٍ من إبر الثلاثين الصَّدِئة
لأعودَ رضيعًا أبلةَ في راحتيكِ
تداعيني وترسليني في الهواءِ كالدّعاءِ
فأرجعُ إليك كالُدعاءِ المستجاب
أجل .. لم يبقَ غيرَ عباءتك المعلّقة
وساعتكِ التي أهد يتنيها قبل مولدي
وأنا ضَحْكةٌ مشطورة بين الصلّبِ والترائب
تلك السّاعةُ المؤمنةُ برعشةِ الخشب الخائف من طعنات
المسامير
اضبط عليها كلَّ يوم ألفًا وأربعمائةٍ وأربعين موعدا
لقد صفعها الزّمان فسكتت
ويّبستْ عقاربُها كأصابع هيكلٍ عظمي
وعقاربها لا تُشيرُ إلا إلى الخامسةِ والثلث.

وكان وجه الحبيبة أول وجه قابله الشاعر علي حسين الفيفي (1930م – ؟) ؛ إذ قابله بكلّ

[1] الهويمل ، محمد بن عبد الله ، توأمي الإفريقيّ ، مجلة الفيصل ، العدد 288 ، جمادى الآخرة 1421هـ / أيلول 2000م ، ص 91 .

حنان ، فكان أول حبٍّ غرس في فؤاده ، وأول عين رأته ، فلها عنده مكانة لا تدانِيها مكانة يقول:[1]

لـقـد كـانَ وجهُكِ أولَ وَجْـــهٍ ... نَظَرْتُ وقابلـنـي بالـحـنـانِ
وأولُ حــبٍّ نمـى فـي فــؤادي ... وطـرفُـكِ أولُ طــرْفٍ رآنـي
وأول ما قلـتـهُ فـي حيـــاتـي ... وأعذبُ شيءٍ حكــاه لسـاني
وصوتُكِ يا أمُّ حنيــن تُـلبينـي ... فيه سحرٌ كســحرِ البيـــانِ
وفي كلِّ قولٍ وفــي كلِّ نُصْحٍ ... لنا مِنْطِ يا أمــيِّ لُبُّ المعاني
إذا غِبْتُ عنــك أحسُّ فراغًــا ... بـقلبــي ويبدأ في الخفقـــانِ
ويغدو خيــالك فــي مقلتــي ... ونـفســي ونـفسك تلتقيـــانِ
وإنْ غِبْتِ عني أَحسُّ اضطرابًا ... بنـفسـي يكادُ يهـدُّ كيـــــاني

كذلك كانت الأم في حياة حسن عبد الله القرشي ملء حياته ، فلها عنده . أيضًا . مكانة لا تنافس ، فهي التي ملأت حياته حنانًا ، وهي التي غرست في قلبه الأمل ، وبثت في روحه الرجاء، وكانت ملاذه كلما ضاقت به الدنيا ، أو عبست في وجهه نوائب الزمن ، يقول:[2]

كيف آســى وأنتِ ملءُ حياتي ... وشـــعوري ومحبتي وذكريـــاتي
دبَّ في خــاطري فأحيا رجـائي ... وتـهـادى إليَّ عَذْبَ السِّمــــاتِ
كيف آسى وأنتِ لي جِدَّةُ العـمرِ ... ونـــورٌ تـهـفــو لـه خطـراتــي
تسكبين الحنان بردًا لقلبــــــي ... ناعمَ الهـمس ساحر النّبضـاتِ
أنتِ نجوايَ إنْ تعاورني اليــأسُ ... صحتْ منْكِ للمنَى نـظـــــراتي
وابتساماتك الحبيبة فجْــــــــرٌ ... أتلقاهُ مُشْرقَ الخفقــــــــاتِ
وسماءٌ تُظلِّلُ الــــــــرَّوحَ لهفا ... نِ وتهدي له أجلَّ الهبـــــاتِ
باركي مطمحـي وروِّي حنينــــي ... تَسْعَدُ الرُّوحُ منك بالنفحـــــاتِ

وكان صوت والدة عبد الرحمن العشماويّ مبعثًا لزيادة الإيمان عنده فصار يمتع بالحنان في لبه ، والشفقة على الناس ، حتى الحساد منهم ، ثم يطلب من أمّه ألا تحمل همًّا ولا حزنًا ،

---

[1] الفيفيّ ، علي حسين ، ديوان (زائر الأمس) ، ط1 ، مطبوعات نادي الطائف الأدبيّ ، 1406 هـ ، ص 144 .
[2] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، 232/1 .

لأنّ الحياة بهمومها تخضع أمام المتقي وتذعن له ، يقول في قصيدته (عندما يورق الحبّ) مصدرًا القصيدة بقوله : إلى أمي الرؤومَ عنوان محبة ووفاء [1]

أماهُ .. صوتُكِ زادني إيمـــــانا فغدوتُ أزرعُ في الفؤادِ حنـانا
ورحمت خُسَّادي لأنّض قلوبـَهـمُ لم تعـرفْ الإيثارَ ، والإحسانا
أماه ... يا لحنَ الصَّفاءِ بخاطري لا تحمـلي همّا ولا أحـــزانا
مـهـما تطاولتِ الهمومُ فإنهـــا تُغْضـي أمـام المتقـــى إذعانا
أماه ... يا أماه ، غُصنُ سعادتي يـذوي ، وغصنـك لم يـزل ريّانا
في صوتكِ المحبوبِ نَبْعٌ أستقـي من فيضه ، وأذوقُ فيـــه أمانا

ويفدي أيمن بن عبد القادر كمال (؟) أمّه بدماء عيونه فإن أخذته للموت فإنه يرى نفسه غير خاسر ، فهي التي طالما غفرت مثالبه ، وزلاته وكانت قسوتها عليه وتجبرها ينبعان من قلب امتلأ بالحنان والمغفرة ، ولذلك فلن ينسى فضلها وعطفها ، يقول:[2]

إن رُمتِ يـا أمي دماءَ محاجري أو سقـتـنـي للموتِ لَسْتُ بخاسرِ
أتراكِ أمــي قد غفرتِ مثالـــبي ومــحوت عني ذنبَ عُمْرٍ عابرِ
فلكم زَلَلْتُ وكم قَسَوْتُ فلا أرى بَــعْدَ التَّجبُّرِ غير قـلبٍ غــافرِ
تنسـينَ في لُقياي كلَّ مَهَمَّـــةٍ إلا هـمـــومًا قد بدون بناظـــري
أمّاهُ لا أنسى ، ولستُ بغافـــلٍ فإذا دمـوعــي كالندى المتقاطـــر
يفديكِ قلبٌ نابضٌ بالحبَ ، بَلْ يُفديك عـمـري يا حبيبة خاطـري

وللوالد كذلك نصيبٌ في شعر الحنين إلى الأهل ، في ديوان الشعر السعوديّ ، ولا تقل مكانته عند الشعراء السعوديين .كغيرهم من الشعراء . عن مكانة الأم ، فهذا شاعرنا حسن عبد الله القرشيّ يهدي يديوانه الثاني (مواكب الذّكريات) لكلِّ من أسدى إليه جميلاً وأولهم والده الذي حبب إليه الشّعر ، وتمنى أن يراه شاعرًا يقول:[3]

لروحِ أبي كم هزّني بحنانـــه وكم ودَّ لـو روّى صدى الشّعر قيثاري
لكلِّ صديقٍ مسَّني طيفُ ودَّه وكطلِّ صــفيٍّ كان وحيًا لأفكـــــاري
إلى كلِّ فنانٍ إلى كلِّ شاعـــرٍ أقــدِّم ألــحـانـي وأبعث أشـعــــاري

---

[1] العشماويّ ، عبد الرحمن صالح ، ديوان : (صراع مع النفس) ، مصدر سابق ، ص 100 . 100 .

[2] كمال ، أيمن بن عبد القادر، أمّي ، المجلة العربية ، العدد 349 ، السنة 31 ، صفر 1427 هـ / مارس 2006م ، ص 67 .

[3] القرشي ، حسن عبدالله ، ديوان : (مواكب الذكريات) ، دار العودة ، بيروت ، 1972م ، ص 65-67.

وأبوه الذي توفي شاباً وتركه صغيراً ، يعارك الحياةَ فجَّر في نفسه نغماتٍ من الأسى والحزن ، فكانت هذه النغماتُ الحزينة ، أوَل أبيات شدا فيها ، وهي وإن كانت من شعر الرثاء التقليدي ، إلا أنها ، وهي تخرجُ من قلب فتى يافع لم يمتلك أدوات التعبير بعد ، تعبِّر عن حزن حقيقي سيطر على قلب الفتى الشاعر ، يقول:[1]

كؤوسُ المنايا علينا تـــدورُ	وتزجي بنا في مهاوي القبورِ
تولى نبيلُ السجايا وخلّــَف	جرحًا بأعماقِ قـلبي كبــيرُ
لمن تترك القلب؟ للحادثـاتٍ	لدينا تعجُّ بكلِّ الشُّــــرورِ
حنانيك ، لا تتألم لم يبقَ فيَّ	دماءٌ فقد عادَ قلبي ضريـــرُ

ويرى د . أحمد بن صالح السُّديس (؟) أن أباه لم يلبث في الحياة سوى ثوانٍ قليلة ، ويسأله يا ابت لم استعجلت الرحيل ؟ فبعدك صار ليلي طويلاً ، لا أرى له فجرًا ، ويتعجب من طول زمانه ، خاصة وأنه وسيلة للشجن والحزن، والذكريات التي تهزُّ كيانه ، يقول:[2]

أبتاهُ مهلاً قـــدْ مَلَكْتَ جَنانيُ	فلِمَ الرَّحيلُ وما لبثتَ ثواني ؟
ليلي يـطــولُ ولا أحسُّ بفجرهِ	بعدَ الفراقِ ، فما أمدَّ زماني!
الحزن زادَ علي الليالي ظُلمةً	والذّكرياتُ تهزُّ كـلَّ كيانـــي
وتمــرُّ يا أبتي خيالاً مُمْطـرًا	فَتَخَلْفُ العبراتِ في الأجفانِ
هذا أبــي يحكــي كهولته التي	كانت لـنا كخمائل البُستـــانِ

وكما حنَّ الشاعر أيمن بن عبد القادر كمال إلى أمه وناجاها فها هو يبكي أباه بكاءً شديدًا تضاءلت أمامه الأمطار ، وكما طلب المسامحة من أمه يطلبها كذلك من أبيه ، الذي جاءه يحمل غليه ألف ذنب وهو علي يقين أنه سيصفح عنه ، كي يسعد حياته برضى أبيه عنه ، يقول:[3]

غَـنَّـيْـتُ حـتّـى مَلَّـت الأوتـــــار	وبكيْتُ حتَّـى غارت الأمطارُ
ســابقتُ أخطائي إلـيك فردّنــــــي	عن بَحر جُودِكَ حائطٌ وجدارُ
وأتيتُ أحمل ألفَ ذَنب مُوْقـــنـــا	بالصَّفحِ تُشْرِقُ بعدَهُ الأنـــوارُ

---

(1) القرشي ، حسن عبدالله ، ديوان : (مواكب الذكريات)، لمصدر سابق ، ص 36 .

(2) السّديس ، أحمد بن صالح ، إنّه أبي ، المجلة العربية ، العدد 349 ، السنة 31 ، صفر 1427هـ / مارس 2006م ، ص 33 .

(3) كمال ، أيمن عبد القادر ، ابتي ، المجلة العربية ، العدد 347 ، السنة 30 ، ذو الحجة 1426هـ ، يناير 20065م ، ص59 .

وتلاطمت حولي الخطوبُ وهدَّني تعبُ السِّنينِ وزاغت الأبصـار

أبــتي ، أردّها ومـلءُ صبابتـــــي شوقٌ تصاغر عِنْدَهُ الإعصـارُ

وهذه نفثة من قلب شاعر انفرجت عنها شفتاه عند زيارته لقبر أبيه ، هذا الشاعر هو إبراهيم أمين فودة الذي وقف على قبر أبيه ، فكان قلبه هو الجاثم عنده ، ومن حنايا أحشائه ثار حبه ، فهو ما نسيه ليذكره لم تَخْبُ في قلبه يومًا ، يقول:[1]

على قبركِ الجاثي هنا جثَمَ القلبُ ومن بَيْنَ طيّاتِ الحشا اندفق الحـبُّ

ذكرتكَ لا عن نَسْـوةٍ بَـل مردداً لذكرى بقلبي لم تكن قَــبلَ ذا تـخبو

ذكرتُكَ فانهلت لذكــراك أَدمُعــي غِـزارًا وفـاءً للذي عِـشْـت تَمْـنَـحُ

وإنَّــي الذي أدَّبـتَ صبراً وحكمــةً إذا الَّهر واسى أو إذا الدهر يجــرحُ

وإن كُـنْـتُ لم أبلغ مـداك فإنّنــي سعيدٌ بأنَّي بَضْعَةٌ مِنْكَ تُحْسَــــبُ

وتعجز الشاعرة ثريا قابل (1940 . ؟) عن نسيان أبيها ، فهو باقٍ في ذاكرتها، فهي تجد طيفه كلما دخلت حجرتها ، تراه مسجى على سرير الموت ، وجبهته كالجليد ، لكن الابتسامة ما زالت مرسومة على ثغره ، تقول:[2]

في حجرتي

شريطُ طيوفٍ على ناظري

....

وفوق السّريرِ

تسجى أبٌ راحل

وجبهته كالجليدِ

وشل ابتسام

على ثغرهِ

أبي في فؤادي اليتيمِ

تهاجمني الذكرياتُ

وتفتحُ جرحًا

---

[1] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق 215 .

[2] الشداديّ ، هاجد بن دميثان بن محمد ، الرثاء في الشعر السعوديّ 1351 . 1423 هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1425 . 1426هـ ، ص 121 .

قديم

كاد يطيب

ونجد أنَّ نماذج الحنين إلى الزوجة نادرة في ديوان الشعر السعوديّ ، في ما توفر لي من مصادر ، وأعزو ذلك إلى نظرة الشاعر السعوديّ لهذا الأمر من زاوية الحرج من تناول مثل هذا الموضوع ، لكني وقفت على بعض النماذج لم يتحرج أصحابها من الحنين إلى شريكة العمر ، ورفيقة الدّرب ، فها هو الشاعر علي زين العابدين (1924 . 2007) يصف زوجته بأنها شريكة الأيام ، والضياء والكوكب في الظلام ، طالبًا منها أن تحدثه حديث حبٍّ طويل ، ينسى من خلاله خصامه مع الحياة ، فهي نجواه وفكره في سكون الليالي ، وفي صحوه ومنامه ، يقول:[1]

وَرْدتي يا شريكة الأيامِ	يا ضيائي وكوكبي في الظّلامِ
حدثيني حَديثَ حبٍّ طويلٍ	فيه أَنْسى معَ الحياةِ خصامي
أنتِ نجوايَ في سُكونِ الليالي	أنتِ فكري في صحوي ومنامي
كم تناجتْ قلوبنا في حنان	كم تلاقتْ أبصارنا في غرامِ
كم شربنا مِن الصَّفاءِ كؤوساً	مُتْرَعاتٍ بأعذبِ الأحلامِ
يا ملاكي الحبيبَ إني وحيدٌ	أتلوى من وطأة الآلامِ
ذوقيني الحنانَ فهو دوائي	بالعناقِ الطّويلِ بُلي أوامي
وامسحي دمعتي بكفٍّ نديٍّ	هي أندى من النَّدى والغمامِ
وابسمي لي كما تعوَّدتُ من قبـ	ـلُ وردّي إلى الحياةِ حطامي

ويرى شاعر المدينة المنورة عبد الحق رفاقت (1305 . 1380 هـ) أنَّ صفو العيش بدلَ بالنكد ، حين غابت زوجته ، وهو في مكة المكرمة ، وهي في المدينة المنورة ، فزاد حياته شقاء ، وأوهى ذكرها صَبره ، فقد كانت ذات مكانة كبيرة عنده ، ونراه يصرِّح باسمها لشدة حنينه لها ، وتعلقه بها ، لذا فهو لن ينسى فضائلها ، وكان فقدها صعباً شديداً عليه ، بحيث نلمس حزنه العظيم ، مما يدلُّ على أنّه كان يعيش معها حياة هادئة يملؤها الحبُّ والوداد ، يقول:[2]

اليومَ بُدِلَ صفو العيشِ بالنَّكدِ وفتَّتْ الحادثاتُ السُّودُ في عَضدي

---

[1] معجم البابطين للشعراء العرب ، مرجع سابق ، 542/3 .

[2] الشداديّ ، الرثاء في الشعر السعوديّ ، مرجع سابق ، ص 27 .

وافتنـي اليـومَ أنـباءٌ شقيت لهـــا مـن (المدينة) أوهـى ذكْرها جَـلَـــدِي
فـقـدتُ زينبَ لا أنـسى فضائلهـــا رُزِئْـتُ فيـهـا بـفـقـدي خـيـرَ مُفْـتَـقَـدِ
ترعى حقوقي ولم تُرْهِـــقُ مطالِبُها نـفسـي وقد مَنِيَت بذاتِ الـفـقرِ يـــدي
لـو ينـفع الدَّمعُ ثأري كُنْتُ أشــربَهُ لا يـنـــفــعُ الدَّمعُ نار الحـزنِ والكـــــمدِ

وفـي قصيدته (تباهي على القلب) [1] يعترف الشاعر محمد عبد الرحمن الحفظـي بحبـه لزوجته ، جاعلاً من ظلِّ عينيها نافذة للعاشقين ، يستقون منها أسطورة العشق ، فقد اختارها من بين النساء ، لأنها تمثل النقاء والطيبة ، لذا فيحقّ لها أن تتباهى على قلبه ، الذي يحمل لها الهوى كأجمل ما يكون ، يقول:[2]

لأني أحبّك
أشرعتُ نافذة العاشقين إلى ظلِّ عينيكِ
....
توّجتُ أسطورتي رافدًا يَسْتقيْكِ
على كلِّ إشراقةٍ للقمر
توقفت عند اختيار الوجوه ..
فكان لوجهك طُهْرُ الحياة ...
نقاءُ السَّماءِ...
وطيْب البشر .....
....
تباهي على القلب وهو يَمُدُّ
شراع الهوى .. وطريق السّفر
....
لأني أُحِبُّكِ
تبقى المسافاتُ ... أقربُ حتى من الاحتمال
وتبقين أنتِ
طريقَ الحياةِ

---

(1) الحفظي ، محمد عبد الرحمن ، ديوان (تباهي) ، ط1 ، مطابع المستقبل ، أبها ، 2006 ، ص 90 .
(2) المصدر السابق ، ص 90 .

وللأبناء نصيبهم في شعر الحنين في ديوان الشعر السعوديّ ، فهم بهجة العمر ، وزينة الحياة الدنيا ، هم تارة فرحنا ، وتارة ترحنا ، بهم نسعد ، وبهم نشقى ، وللحالتين نماذج في الشعر السعوديّ ، فها هي الشاعرة مريم البغدادي (؟) ، تجسد مشاعر الأم تجاه ولدها (عدنان) القريب البعيد، القريب من قلبها ، البعيد عن عينيها، تقول في قصيدتها (ولدي عدنان):[1]

عدنانُ أنت هـديـــةُ الأقـــــدارِ	كـالنَّسمةِ الزَّهـــراء للأزهـــارِ
يا مالكًا قلبي حبيـبي مُـهْـجـتي	عدنانُ أنـت رجاؤنا وفخــــاري
قدْ غِبْتَ عني يا مـــلاكُ فهدّني	مِنْكِ الفراقُ فَشتتّتْ أفكـــــاري
أهفو إليكَ وملء قـلبي لهفـــةٌ	أرنو إلـيكَ كما إلى الأقمــــــارِ
طفلـي حبيبي يا ملاكًا طاهـــرًا	عدنانُ عُدْ حتّى أقضِها أوطاري
عدنانُ ليتك قد رأفت بحالتـــي	ورجعت لي ليعود نورُ الـــــدَّارِ

ولا يزال قلبها يحترق ألمًا ، ومشاعرها تفيض حزنًا وكمدًا ، منذ غاب عنها ابنها ، ففي قصيدة (عودة ابني) تقول:[2]

ارفق بقلبي الخافق الولهــــــانِ	وكـفـى فـؤادي لهـفـةً وكـفـانـــي
أخذوك مني يا بُنَيَّ فأحـــــــرقوا	قلبي وروحي ، مُتُّ مـن أحزاني
والدمعُ يحرقُ لي خدودي والأسى	يُدْمي فـؤادي والنَّوى أضنانـــي
فكأنَّ قلبي يوم رُحْـــتُ لدارهـــمْ	قـد طارَ مـني تاركًا أوطانـــي
يهــفـو إليك بِعَبْـــــرَةٍ وتنهُّـــدٍ	ويقــول (أبغي) رؤيةَ العدنــانِ
ما لي أَراهُ حـــيْنَ يذكرُ عَــهْدَكـم	قـد هـامَ حُـبّاً دائمَ الخفقــــانِ
عــدنانُ يا نــورَ الـوجـودِ تحـيّةً	من قـلبٍ صبٍّ عاشقٍ ولهـــانِ
أُهـديكَ حبّاً صادقًا يا فــلذتـــــي	يـا روح أنــت مــن أبكانـــــــي

وتخاطب الشاعرة أسماء بنت صالح الزّهراني (؟) صغيريها صالح والشيماء ، طالبةً منها الصبر على صروف الدهر ، والفراق إذا حلّ ونزل ، وألا يخذلاها ذات يوم ، فقد بنت عليها آمالاً عراضًا ، وتنتظر منهما تحقيق هذه الآمال ، تقول:[1]

---

[1] دوغان ، أحمد ، الأمومة والطفولة في ديوان الشاعرة مريم بغداديّ ، المجلة العربية ، العدد (101 . 104) جمادى الثانية 1406 هـ آذار 1986م ، ص 21. وبغدادي ، فاطمة ، ديوان (عواطف إنسانية) ، ط1 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1400هـ / 1980م ، ص 87 .

[2] بغدادي ، فاطمة ، ديوان : (عواطف إنسانية) ، مصدر سابق ، ص 90 .

صغيرايَ قد يحنو الزّمانُ وقد يقسو   وينكا مـن أوجاعنا قَدْرَ ما يــأســو

فلا تَهِنا إن فرَّقَتْنا صروفُـــــــهُ   أعيذكما أن يستـبدَ بكـما يـــــأسُ

فلا تـخـذلانـي قـد بَنيْتُ عليكمـــا   مراكبَ آمالٍ تتوقــفُ لأَنْ تَرْســـو

أَحِنُّ إلـى الشّيماءِ غضَّةَ مَبْسَـــمٍ   تتوقفُ لحضْنٍ في حنـاياهُ تَتَــدْسُ

وَيُثْقِلُني شَوْقـي لمنْ أحـملُ اسمـهُ   كما يَحْمِلُ التِّيجان يزهـو بها الراسُ

وتطلب في موضوع آخر ، ولدها ألا يلومها ، حين طاش صوابها ، فأغلقت في وجهه بابها لسبب ما ، وتأخذ بتذكيره بالأيام الجميلة التي قضاها معها ، طفلاً وشابًا ، حين كانت تسهر لينام ، وتتعب ليرتاح ، تقول:[2]

لا تلُمني قد طـاش منـــي صوابـي   حِـين أغلقتُ دون وَجْهـك بـابي

فـالليـالـي تعـــاورتْ كـبـــريائـــي   بِحرابٍ مـن جَـفوةِ الأصحــــابِ

هـل نَسيتَ اختـباءَنا مـــن دُجاهـــا   في تضاعيـف أغـنيات الإيــابِ

حَيْثُ تغفـو قريرَ عـينٍ بحضنـــــي   وعـيـونـي قـــريحـةُ الأهـــدابِ

حَيْثُ أطوي الحشا على الجمر غمضًا   يرتوي مـن رؤياكَ غـضَّ الإهـابِ

وتتابعُ خطابها ، مستخدمة أسلوب الاستفهام ، فتسأل ، كأنَّها تنتظر الجواب ، فلما لم تلق جوابًا ، طلبت منه أن يتجه صوب قلبه ، ويحكمه ، ثمّ يُجيب بعد أن يجد الجواب خلف السؤال ، تقول:[3]

أم تناسيت أَدْمعًا كُنْتَ تذرفهـــا   لـتـزهـوَ سابـلاً مـن خـــرابِ

يا صغـيري لا تستبحْ دمَ حُـلـــمٍ   نَسَجـتْـهُ السِّنينُ مـن أهدابـــي

يا صغيري وأنت بـلسمُ جرحـــي   لا تلمني إذا طاشَ منـي صوابـي

إن تكنْ قد لَمْتَ مني جَـــفـــاءً   أو تساءلتَ عـن حـقيقةِ ما بـــي

واعتراكَ الذُّهولُ من طول صمتي   أو تطاولت عُـزلتي واحتجابـــي

فالتفت صَوْبَ قلبِك الغرَّ وأســال   تلق خلف السُّؤال بَعْضَ الجـوابِ

[1] الزهرانيّ ، أسماء بنت صاالح ، نجوى ، المجلة العربية ، العدد (347) ، السنة (30) ، ذو الحجة 1426هـ / يناير 2006م ، ص 38 .

[2] الزهرانيّ ، أسماء بنت صالح ، صفعة ندم ، المجلة العربية ، العدد (349) ، السنة (31) صفر 1427هـ / آذار 2006م ، ص 39 .

[3] المرجع السابق ، ص 39.

ويفقد الشاعر ضياء الدين رجب ، ابنه الوحيد حمزة الذي مات في ريعان الشباب إثر حادث سير مؤسف ، فكان لهذا الحادث صداه العميق في نفس الشاعر ، خاصة وأنّه لم يكن له من الذكور غيره ، إلا أنه قابل الحادث بصبر المؤمن بقضاء الله وقدره ، فلله ما أعطى ولله ما وهب ، ولكنَّ النفس البشرية هي النفس البشرية ، فلقد كانت ذكرى العزيز الراحل لا تفارق خيال الأب الثاكل ، وإن كان يتجمل بالصبر ويكتم الأحزان ، ويهيج الحنين بالشاعر فيتذكر ابنه ويقول:[1]

ومحوتُ كلَّ الذّكرياتِ البيـــــضِ بَعْـــدَكَ مـــــن حياتـــي

وَوَصَلتها بكَ أَنْتَ وحدكَ — كي أعيشَ بغير (آتـــــي).

حسبي من الدنيا زمـــانٌ — كنتَ فيه ضياءً في الحالكاتِ

والحبُّ أرواحٌ تَشعُّ بهـــا — الحقيقةُ فوقَ اشعاعِ الحيـــاةِ

ويتكرر حنين الشاعر في قصيدته (أفول الأقمار عام 73) [2] والتي يصدِّرها بقوله " إلى ابني حمزة المتوفى في ريعان الشاب عام 1390هـ ، رحمة الله رحمة الأبرار" [3] ، يقول: [4]

بُنَيَّ ومـا أحلاه جرسًا مُنَغَّمًــــا — يُـرَتِّلُـه قـلـبي وَيشــدو بـه فـــمـي

ذكرتُكَ والدُّنيا تـمـــوجُ بناسهـــــا — حَيارى سُكارى بين صَحْـوٍ ونُــوَّمِ

ذكرتك في جُنْحِ الظَّلامِ وفي السُّرى — وفي خَلجاتِ الحسِّ تَنْبضُ في دَمي

ألا إنَّها يا حَمْزُ نفحـــــة والـــــدٍ — ونجوى هَزِيعٍ مُطبِقِ الصمت مُلْهِـمِ

ويدعو عبد الرحمن بن صالح العشماويّ لولده أسامة بأن يرعاه الله ، فهو الروح في جسد الشاعر ، والسعادة التي يعيش بها في عالم النكد ، فإذا عاد إلى بيته ، ورأى ولده ينجلي كلُّ هم ، ويزول كلَّ نكد ، فكله بابا من ثغره تجعل الشاعر يرى الدنيا ملك يديه، يقول:[5]

رعـاكَ الله يا ولـــــــدي — فأنتَ الرّوحُ فـــي جسدي

وأنـت سعـادتـــــي أحيا — بــها في عالمٍ نَكـــــدِ

أجيء البيتَ فـــي قلبـــي — هــمومٌ أوهــنت جِلـــْدي

فأسعـــــــدُ حين تلقاني — كـأنَّ القلــــبَ فيَّ يجــدِ

---

[1] رجب ، ضياء الدين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 422 .

[2] المصدر السابق ، ص 420 .

[3] المصدر السابق ، ص 420 .

[4] المصدر السابق ، ص 420.

[5] العشماويّ، عبد الرحمن ، ديوان : (صراع مع النَّفس) ، مصدر سابق ، ص 97 . 98 .

أرى في وَجْهِكَ الغالـــي حقيقةَ حُبِّـــي الأبـــدي

إذا ما قلـــت لي (بابا) رأيتُ الكوْنَ مُلْكَ يـــدي

وَنجدُ للأحفادِ نصيباً في شعر الحنين ، فهم الأبناء مع الأبناء ، وبعد الأبناء ، وهم استمرار للأجداد ، بعد فوات الأجداد ، وما أصدق القول العاميّ المأثور : (ما أعزَّ من الولد إلا ولد الولد !!) وعلى ذلك نجد نماذج راقية من الشعر في دواوين الشعراء السعوديين في الحنين والتوق للأحفاد ، فهذا الشاعر الإسلاميّ المعروف عدنان رضا النحويّ ، يرى في حفيده (ريّان) رقة النسيم ، ورؤى من الحنين ، وطيف فارس بطل ، ونبعة من الحنان الدافق ، وهو قرة الأعين للأهل كلهم ، يقول:[1]

" ريّانُ " يا رقّةَ الأنسامِ يحملُ من عطْر غنيٍّ وري الشّوقِ والأَمـــلِ

إنِّي لألمحُ في عينيك طيفَ رؤىً من الحنينِ وطيفِ الفارسِ البطـلِ

وبهجةً في مديدِ العمر ناضـــرةً بكـلِّ سعـدٍ معَ الأيـــامِ متَّصـــلِ

"ريانُ" يا نبعةَ التَّحـنانِ دافقـــةٌ رَوَّيْتَ أشواقـنـا بالنَّهـــــلِ والعللِ

يا قُرَةً لعيونِ الأهـــلِ كـلِّهـــم والوالـدينِ وأرحامٍ ومـــن سَبَلـــي

زيَّنتَ رَوْضَتنا منْ كلِّ مُزْدَهِـــرٍ من الـورودِ نديٍّ بالشَّذا خَضِــــلِ

وَيلد للشاعر حفيدة في بوسطن فأرسل أبوها صورتها عبر الانترنت لجدّها الشاعر في الرياض ، وقال الابن لأبيه أنّه سماها (نهى) ، فلم يملك الجدّ الشاعر العجوز نفسه شوقاً وحنيناً لتلك الطفلة التي خلبت لبه بجمالها وبراءتها ، فقال:[2]

جمالك ! ما هذا الجمالُ؟ بنيتي بَـراءَتُـهُ سِـــحْـرٌ يَـشُـدُّ ويـأسِـرُ

"نهى" والربيع الحلوُ إشراق طلْعةٍ مُـحـيـاكِ أنْـفـاسُ الـرَّبيعِ وَأعطـرُ

كأنك قد أحييت آمالي التـــي تَـغـيـبُ فَـعـادتْ بَـعْـد ذلك تُـزهـرُ

حنيني تواقٌ إليكِ ، حفيدتــــي! ولــدتِ بـعـيـداً فـاشتـياقـي أكـبـرُ

وجاءت رسالاتٌ ورسْمُك بينــها بـهـاءٌ غَـنـيٌّ بـالـمعـانـي مُعَبِّـــرُ

كأنكِ قد أدركت شوقي ولهفتـي ولهـفـةَ مَنْ حَـولي ، نَـتوق وَنَصْبِــرُ

فَطَرْتِ على موجِ الأثيرِ بلمحـةٍ على (شبكات البرق) أو هـو أظهـرُ

---

[1] النحويّ ، عدنان رضا ، ديوان : (حرقة ألم وإشراقه أمل) ، ط1 ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2005 م ، ص 269 .

[2] المصدر السابق ، ص 267.

رأيتكِ ! يا دُنيا أطلّي وَرجِّعــي   مـعـانيَ مِـنْ شَـوقٍ يـهـيجُ فَـيَجْـهـرُ

ويهدي غازي القصيبيّ قصيدته (ترنيمة لسلمان غازي القصيبيّ) لحفيده سلمان بن فارس القصيبيَّ ، طالباً منه منحه تذكرة لدخول عالمه الصغير ، يقول:[1]

سلمانْ

سلمانُ هل تمنحني

تذكرةَ الدّخولِ في عالمكَ الصغيرْ

في عالمِ الدّميّة ... والحليب ... والسَّرير

كلُّ الكبار فيه طيبون

وإن بكَيْتَ بغتةً ، لا يغضبونْ

وإن ضحكت ، فجأة يقهقهون

وأنت يا سلمان في دناهم

السلطان والملك والأمير ....

....

حتى إذا ابتسمت .. ابتسم المكانْ

وهزّت النَّشوة جدَّك الكبير

لقد وقفنا في ما سلف على نماذج من الحنين إلى الأهل والأصدقاء ، عند بعض الشعراء السعوديين ، حنين للصديق والأبناء والأحفاد ، وللوالدين، وكلّها تثير في النفس الحزن والشجا ، لكن الحنين إلى الأم يبقى عندي الأسمى ، فالمرء وإن غدا رجلاً كهلاً ، عركته تصاريف الزمان ، أو علا به المقام ، يظلُّ طفلاً في حضرة أمه ، تلك الملاك الطاهر ، ومن منا لا يهتز كلُّ كيانه ، فيرقص حبّاً وحنانا وشوقًا وحنيناً ، بكلِّ قطرةٍ في عروقه ، لأمه . إذا غابت عنه ، أو غاب عنها ؟؟ كلُّنا في حضرتها أطفالاً ، كلنا أمامها ، يلخص حالنا قول سعيد عقل:[2]

إمي

يا ملاكي

يا حبّي الباقي إلى الأبد

---

[1] القصيبيّ ، غازي ، ديوان : (يافدى ناظيرك) ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض / 1421هـ ، ص 13 .

[2] أحمد ، عبد العزيز السيد ، رسالة في الحبِّ والصداقة ، ط1 ، دار الشباب للنشر والتوزيع ، قبرص ، 1993م ، ص 51

ولم تزل يداك أرجوحتان

ولم أزل ولدْ

وكيف لا يّحِنُّ الإنسان للأبناء !! وقد قال خالقهم :"المال والبنون زينة الحياة الدنيا ..."[1]

وكم أعجبني قول عمران بن حطان، حين لخَّص العلاقة التي تربط الوالد بأولاده،فقال:[2]

وإنّمـــــا أولادُنـــا بَـيْـنَـنـــا أكبـــادنا تـمــشي على الأرضِ

إن هبـــت الرِّيحُ على بعضهم لم تشـــبع العينُ من الغَمْـــضِ

---

(1) سورة الكهف ، الآية 46.

(2) الأبهيشي ، المستظرف في كل فن مستظرف ، مصدر سابق ، 1/ 360

6- الحنين إلى الزمن الماضي ومراحله وذكرياته:

لئن كان الحنين إلى الوطن من أكثر صور الحنين امتدادًا واشتدادًا ، وتغلغلا في الفؤاد ، فثمة حنين آخر مثله ، أو أشدّ ، هو الحنين إلى مراحل الطفولة ، والصّبا ، والشباب وذكريات الزمن الماضي . حنين من الأزل ، وحتى الأبد ، حنين بدأه الإنسان حين رأى الشيب يغزو مفرقيه ، حنين خير ما مثله أبو العتاهيةّ ، حين تمنى عودة الشباب ، في أبياته التي كانت ولا زالت نبراسًا خالدًا أعنى قوله:[1]

عَرْيتُ من الشَّباب وكان غضًّا ... كما يَعْرى من الورقِ القضيبُ

وَنحت على الشبابِ بدمعِ عيني ... فَما نَفَعَ البكاءُ ولا النّحيبُ

فَيا ليت الشَّباب يعودُ يومًا ... فأخْبُره بِما فعل المشيبُ

والطفولة هي مرحلة الجذور والنبع الأول الصافي في حياة الإنسان ، ومرحلة البراءة والطهر ، والأحلام البريئة ، يهرب إليها المرء من واقعه المرير ، الممتلئ بالحقد ، المشبع بالكراهية ، وحياة الماضي حلوة ومرة في آن واحد ، حلوة بطفولتها ومرحها ، ومرة بذكرياتها الحزينة ، والشاعر يجد في ماضيه ملجأ فيعود بذاكرته لأيام الطفولة العذبة ، يتذكر خلوها من الأعباء والهموم ، برغم الآلام التي أصابته وهو في الصِّبا ، ويتخلل صورًا من الطفولة البريئة التي قضاها في لهو ومرح ، يتذكر طفولته مع أترابه الصغار ، وأصدقاء الفتوة والمراهقة والشباب ، يشاطرونه حياة الحرية والانطلاق ، ، حياة خلت من الهموم وتحمل أعباء الحياة ، فقد حملها عنهم غيرهم ، حملها الأجداد ثم ألآباء ثمَّ ها هم الأحفاد صاروا أجدادًا ،يحنون لأيام خلت . و " قضية الزمن قضية كلِّ حيّ ؛ إِذ إِنها تتصل بحياة الإنسان على الأرض ؛ فهو يولد طفلاً ، ثم يبلغ أشده ، فإذا امتدّ به العمر حطّ المشيب رأسه ، ثم يصيبه الكبر ويصير شيخًا ... ثُمَّ يردُّ إلى أرذل العمر "[2]. وهذا ما سنقف عليه في هذا الباب ، ونبدأ مع الشاعر إبراهيم مفتاح (1940- ؟) . فها هو يتساءل ، وهو يعرف الجواب مسبقًا ، فالاستفهام خرج إلى غرض بلاغي هو (التعجيز) . فلن يرضى أحد أن يقايضه بما طلب ، فمن ذا الذي يقاضي عشرينا بسبعيني ؟ ومن ذا يقدر على إعادة الشباب في دمائه ؟؟ يقول:[3]

من ذا يُقايضُ عشرينا بسبعيني؟ ... ومن يعيدُ شَبابي في شراييني

---

[1] شكري ، فيصل ، أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ط1 ، دار الملاّح للطباعة والنشر ، 1965م ، ص

[2] محجوب ، فاطمة ، قضية الزّمن في الشعر العربيّ الشباب والمشيب ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ط . د. ت) ، ص 9 .

[3] مفتاح ، إبراهيم، من وحي السبعين ، المجلة العربية ، العدد 435، ربيع الثاني 1434 هـ / مارس 2013م ، ص 103 .

ومن يُعتقُ طعْـمَ الدفـاء في وهني ومن يَردّ إلى عـرشي سلاطيني

ومن يُعيدُ لثغري طعْـمَ أزمنَـتـــي وفي خريفي ربيع العمر يُعْطيني

تلك السنونِ التي أودعتها عمــري كانت عـمـق آهـاتـي وتغريني

يا حسرةَ العمرِ ردّي خفقَ أشرعتي إلـى الموانئ التي كـانت تنادي

ردّوا زمــانـــي الذي وَلّى وغادرني وحَـبَّـذا لـــو تعيدوني لعشريني

ويتذكر عبد السلام هاشم حافظ ، طفولته حين كان الفتى الذكي النابغة ، المحبّ لدروسه ، المتوثب المتطلع ، إلى مستقبل زاهر جميل ، يجهد نفسه بالقراءة والاطلاع ، وكأنّه عالم بحّاثة ، تعود به الذكريات إلى أيام الصّفا وراحة البال ، يقول:[1]

كانت له في ذكريات الأمس دنيا حالمة

بالغمِّ من لوعاته وضرامه ..

قد كان في مرح الطفولة لاهيا خلو الهموم

كبلابلِ الرّوضِ الخضير

يحنو على أترابهِ ويقاسمُ الحلوى أخاه

وَيُجَمِّعُ الخلاّنَ عند ربوعهِ

فيبكرون إليه في الصُّبْحِ الطّريرِ

ويُؤَمِّرون عليهم الطّفلَ الجميلِ

ويزّجون ويحكمون ....

لا يعرفون الْبُغْضَ لا يتناكرون .

ويحنّ عدنان علي رضا النحويّ إلى عهد الصبا والشباب ، فذكرها محبب عنده ، ففيها عَرف الخير والهداية وطريق النور ، وشق طريقة سعياً وراء رزقه ، وفي تلك المرحلة عرف الناس على حقيقتهم ، فمنهم صاحب التقوى ، ومنهم من تشعبت به المذاهب ومسالكها ، ومهم من تغره الدنيا فيرتدع ، ومنهم ضال محجوب عن الهدى ، يقول:[2]

أّحنُّ إلى عَـهْدِ الشَّـباب وأطربُ وَذِكرُ الصِّبا عندي وفـاءٌ مُحَبَّبُ

ففيه عَرَفْتُ الدَّرْبَ والنوّر والهدى وفيه شققتُ الدَّربَ أسعى وأرغبُ

وفيه عرفتُ الناس : هذا أخو تُقىً وهـذا لـه بَيْن المَسالك مَـذْهَبُ

---

(1) حافظ ، عبد السلام هاشم ، ديوان : (وحي وقلب وألحان) ، مطبوعات نادي أبها الثقافيّ ، 1965م، ص 112 .

(2) النحويّ ، عدنان علي رضا ، ديوان : (حرقة ألم وإشراقة أمل) ، مصدر سابق ، ص 223 .

ويربط حنينه إلى شبابه وبهجته ، بالحنين إلى المقدسات في مكة والمدينة وبيت المقدس ، يقول:[1]

حَنانيك مِـن شَـوقٍ يَلُحُّ وخَـفْـقة ... تَـهيجُ وأضلاعٍ تَحـنُّ وتَعْـشَقُ
أَعِدْ لي أَيـامَ الشَّـباب وبَـهْجـةً ... وظلاً نديّاً بالنَّـسـائمِ يَخْفـقُ
ودارًا بِـهـا مَسْـرى الرَّسولِ وآيةً ... يَحنُّ لها غَرْبُ الدّيارِ وَمشرقُ
يحنُّ لها شـوقُ " المدينة " والرُّبى ... ومَـكّـةُ والآفـاقُ تحنو وتُشفـقُ
هنالكَ يهيجُ القلبُ بالشّوقِ والهوى ... فَتُبْدَرُ الآمالُ فِـينـا فَـتَنْطِـقُ

ويتحسر محمد فهد العيسى ، على الأمس الذي كان ، وأيامٍ كانت فيها الابتسامة خزامى وأقحوانا ، وليالٍ هي ذكرياتٌ تخطت الزمانا ، يقول:[2]

أهِ يا أَمسي الّذي قَدْ كُنْتُهُ
رَعْشَةَ الثغْر
خُزامى ... أُقحوانا
غَرَّبتْ بي ذكرياتُ العُمرِ
بين حُقَّيْنِ
عصفورين ...كانا
هَمْسَا....
عن ليالي التَّوقِ...
....
عن ليالٍ
هي ذكرى ذكرياتٍ
قد تخطَّتْ في رؤاها
وتساميها ...
الزمانا .

وفي قصيدة (أين ؟ لا أينَ صبوتي وشبابي) [1] يتساءل الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي ، عن الأيام والليالي التي كانت ، كانت كلّها مرح وحبور وسعادة ، كأنّها أيام أعراس هانئة ،

---

[1] النحويّ ، عدنان علي رضا ، ديوان : (حرقة ألم وإشراقة أمل) ، مصدر سابق ، ص 39 . 40 .

[2] العيسى ، محمد الفهد ، ديوان : (إبحار في ليل الشّجن) ، مصدر سابق ، ص 208 . 211 ..

ويتساءل عن الصّبا والانطلاق ، والصَّبوة والشَّباب ، والجمال وحماسة الماضي ، وعن أولئك الذين مضوا ، يقول:[2]

وَيْحَ قَلْبي وأينَ مني المُواسي ؟ أَيْنَ مِني " فتوَّتي" ومِراسي؟

أينَ مني الرِّفاقُ ؟ أين لَيالٍ كالرؤى غودرتْ وأين الأماسي؟

أينَ أيامُنا وما هي إلاّ من حُبُورٍ ولائمُ الأعراس

أين مِني الصِّبا ؟ وأين انطلاقي بالعَشيات والضُّبا والكِناسِ

أينَ؟ لا أيْنَ صَبوتي وشبابي ورَوائي ونُضرتي وحماسي

أينَ مَن كُنْتُ بَينهم أتهادى بَيْنَ وردٍ وياسَمينَ وآسِ

وتعود الذّاكرة بالشاعر إلى تلك الأيام الجميلة في زمان ماضٍ جميل ، كانت السعادة عنوانه ، ونسيم الحياة مليء بالحرية والانطلاق ، والقناعة والنعمة والغبطة ، وأصدقاء كالبدور ، والدنيا لم تكشر عن أنيابها ، ولم تقلب للشاعر وربعه ظهر المجن، يقول:[3]

يومَ كُنّا كالطّيرِ نهتفُ نشوى ونشيعُ السُّرورَ في الجُلّاسِ

ونسيمُ الحياةِ طَلْقٌ شَذيٌّ عابقُ النَّفح عاطرُ الأنفاسِ

في كفافٍ ونعمةٍ وانعْطافٍ وائتلافٍ وغِبْطةٍ وائتناسِ

وندامى كأنَّما هُم بدورٌ بَرئوا من شوائبِ الأدناسِ

وكأنَّ الدُّنا لنا لا علينا لَم تُرْتَّقْ بِنبوةٍ أو باسِ

ثُمَّ أصحبتُ مُوْثِرًا كَسرَ بيتي وكِتابي وعُزلتي واحتباسي

أينَ أبصرتُ راعَني ما أُلاقي مِن جَفاءٍ ونقمةٍ وافتراسِ

وتّمرُّ ذكريات الماضي بذاكرة الشاعر عبد الله بن عمر بالخير (1423.1333هـ) فيراها وقد تمثلت أمامه بسعدها ونحسها ، واخضرارها ويبسها ، ضاع منها الكثير في زحمة العمر ، وبقي منها الكثير عالقًا في فكره ، تومض أحيانًا ، وتخبو أحيانًا أخرى ، وهذا حال الدنيا ، كَرْب وأنس ، وها هو في أواخر العمر، تمامًا كالبدر حين يصير محاقًا ، ذهب الشباب وجفّ عوده ، ولم تبق إلا الذكريات ، يقول:[4]

---

[1] الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 302 .

[2] المصدر السابق ، ص 302 .

[3] المصدر السابق ، ص 303.

[4] رداويّ ، محمود ، عبد الله بالخير ، شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية ، ط4 ، منشورات : عبد المقصود خوجة ، جدة ، 2004م ، ص 107.

ذِكْـرَيـاتي ما بين يومــي وأمْــســي هي عمري ما بين سعدي ونحسي
ضاعَ منها ما ضاع في مهمةِ العمـ ـر طَـواهَـا بينَ اخْـضِـرارِ وِيبْــسِ
وَتَبقى مِـنْـهــا الَّـذي رسَـــبتْ منـ ـه رؤىً لا تُرى بِـفِـكْـري وحــسي
مومضـاتٍ تَــشُــعُ طــولاً وتَــخْـبو في شَريطٍ في ظلمةَ الذِّهن مَنْسي
تَـتَـعــالــى بــه حَـيـاتي وتَـكْـبـو بَـيْـن كَـربٍ مِـنَ الزَّمـانِ وأُنْــسِ
هـو عُمْرٌ مـضـى وقد أذِنَ العصـ ـرُ فأضحى مُصبِّحِ العمرِ مُمْـسِي
وهـو فــي دَوْرةِ المحــاقِ فَـلــم تَبْـ ـقِ الليالي مِـن بدرها غيرَ سُـدْسِ
ما تَـبَـقى مِـن ذكْـريـاتي عَـنْــه قطراتٌ عَـلى حصىً مِنـــه مُلْسِ
جَفَّ فيَّ بعدها نَـداهــا فَـلا تَــبـ ـتـلُّ مِـن مسِّها بـنــانــي بِـمسِّي

ويلتقي الشاعر فـاروق صالح بنجر (1949 . ؟) بمعلمه في مرحلة الطفولة ، فتعود به الذاكرة إلى تلك المرحلة وفضائها ، فيطلب من أستاذه أن يقف؛ ليرى الطفل الذي كانه ماذا فعلت به الأيام ، لقد كان طفلا لا يعرف دربه ، ولا يعلم ما يريد ، يقول:[1]

... وقفْ في فضاءِ الطّفولة
يا سيدي ...
هل ترى الطفلْ؟؟
هل تتلمس في نهر عينيهِ
وإيماءة اللؤلؤةْ؟
يَشِفُّ مع الفجرِ
والطّيرِ
يَنْثُرُ خطوتَهُ في المدار المبلّل
غَصَّةً فتموجُ .. وتَنْدى بها الرَّملةُ المطفأَةْ!
هو الطفلُ ،
حينَ تُضيءُ له الدربَ
يُدْرِكُ مَوْطئَهُ
ويرى مَرْفأَهْ!!

[1] بنجر ، فاروق صالح ، ديوان : (زمن لصباح القلب) ، ط1 ، منشورات عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1989م ، ص 37 .

ويرتدُّ حسن عبد الله القرشيّ ، إلى عالم الطفولة بصفائه وطهره ، حين يرى أطفاله يمرحون ، فيحملونه على جناح الخيال ، إلى دنيا البهجة والمرح ، بعيدًا عن الواقع الذي يرفضه بوجدانه وحسّه ، يقول:[1]

ضحكةُ أطفالي

نشيدُ الطَّيرِ في الحقولِ

تلمُّ موسيقى الوَجودِ

تخصبُ السهولَ

يدغدغُ العمرَ

تخصِّبُ الأصيل بالذَّهبِ

تُرجِّعُ الذِّكرى حديثًا

مُرِقُ اللهبِ

تملأ قلبي اخضرارًا

تزرعُ العنبَ

تحملني في زورقٍ

مجدافه الأثير

لعالمٍ صِيغَ

مِنَ الصَّفاءِ والعبير.

وكانت أيام الطفولة مهرباً للشاعر خليل صالح العلاف (1931–1991م) من زمنٍ تلوثت به النَفس البشرية بالشهوات والأحقادِ والأهواء ، إلى تلك الأيام البريئة الساذجة ، يقول:[2]

أَتذكرُ أيــامَ الصِّبا والملاعبَا	وعيشًا بريئًا كان باللهو صاخِـبا
ونحْــنُ بأحلامِ الطّفـولةِ رُتَّعٌ	نَـشُـطُّ خَـيالاً مطلـقًا مُـتـواثـبا
يُشَاغلنا العيدُ المؤملُ بالمنى	فَنَنْضَحُ أشْــواقًا ونحكي عجائبا
وَنَـرْقَـبُ زيًّا مُبْهِجًـا مُـتـلونًا	ونَعْلاً صقيلاً يَسْتَـفيضُ جـواربا
تـدور حوالينا الدُّمى ووراءهـا	نهيمُ ونلقي في هواها المصاعِبا

كذلك يتذكر محمد حسن فقي أيامه ولياليه الماضية ، وعمره الذي مضى وانقضى ، وتحول

---

[1] انظر : هدّارة ، مصطفى ، دراسات في الأدب العربيّ الحديث ، مصدر سابق ، ص 181 .

[2] العلاّف، إبراهيم صالح ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، 1409هـ ، ص 42 .

الأيام وتقلبها ملك عليه عقله وحشاشته ، وأنسته كل عذب وغالٍ في حياه ، حتى أهله وربعه ، فلم يعد إلا عاشقاً متصابيا ، ويتمنى لو دامت تلك الأيام ، وأن الزّمان يسير معه كما يريد ، فقد كان كالملاك الخالد في الفردوس ، ولم يبق إنساناً فانياً ، يقول:[1]

تذكرّتُ أيامًا مضـــتْ ولياليـــا ... قَضَيْتُ بها كفلاً من العمر خـاليا

تَملّكْنَ مني نُهْيَتي وَحشاشتـــي ... وأَنْسينني ما كـان عَذْبـــاً غاليـــا

وأَنْسينني حتّـى أُهَيْلي وَمعْشري ... فَـما عُـدْتُ إلا عـاشِقًا مُتَصابِـيا

زَمَـانٌ تَـوَّلّـى لَيْتَه كان باقيًا ... ويَـا لَـيْتَهُ كـانَ الزّمــانَ المُـوالــيا

كأنّي به كُنْتُ الملاك الذي ثوى ... بِفردوسِـهِ يرجـو الخلودَ المصافيا

فلم أَبْقَ مَخْلوقًا من الإنسِ راجيًا ... حُطامًا ومَجْدًا ، بل غدوتَ المُجافيا

وتعاوده ذكريات الزمان الماضي ، حيث كانت الأمسيات شعاعًا في شعوره ، وشعلة في ضميره ، لقد تغير كلّ شيء حتى قدرته على نظم الشعر ، فقد كان شعره كالنسمة ، كالنشيد، كالندى ، كالعبير ، ولم يعد له غير الحسرة والحزن ، فهو العِطْش الذي لا يرتوي من غديره ، يقول:[2]

لَمْ يَعُدْ لي من بعْدها غيرُ نَظمٍ ... يَـتـهـاوى عـلى ضِفـافِ حَفيرِ

أينَ تلكَ الأَماسِـي كانـــتْ شُعـاعًا ... في شعوري وشُعْلةً في ضميري

لَمْ يعد لي شِعْري الذي كان كالنَّسـ ... مة كـالشَّدوِ كـالنَّدى . كالعبيـــــرِ

لم يعد لي غيرُ الأسى فأنا الظامِئ ما عُــــدْتُ أرتـــــوي مـــــن غديـــــري

ويتساءَل عن الزمان الذي كان فيه سعيدًا ، فرحًا ، لا يعكر صفو حياته شيء ، متمتعًا بالحنان ، والحبِّ، والدلال، لقد ذهب كلّ ذلك ، ولم يبق إلا ريح يعصف بالحياة، يقول:[3]

أينَ ذاك الزَّمـانُ كان جنانًا ... وفِـراشًـــا مُرَقّها من حرير

ورحيقًا مِـنَ الحَـنانِ مُصفّى ... ومن الحُبِّ والدّلال المُــثيرِ

قد تَولّى فليسَ لي غَيْرُ ريحٍ ... عاصفٍ بالحياةِ غَيْرُ هجيرِ

ويقارن محمد سعيد جوهرجي حياته الماضية ، بحياته الحاضرة ، ففي ما مضى ، كانت المحبوبة له الهناء ، وكان لهما بيت يجمع شمل حبّهما ، واليوم فقد الأمل ، وتغيرت حياته

---

[1] فقي ، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 91/9 .

[2] المصدر السابق ، 50/9.

[3] المصدر السابق ، 50/9 .

نحو الأسوأ ، حتى إنّ طيفها رحل، فلم يعد له من يبثه حنينه وأشواقه، ويشكو له وحدته، يقول:(1)

يالأمسِ كُنتُ لي الهنا

أيامَ كان .. لِحُبِّنا

بَيْتٌ يُجمِّعُ شَمْلَنا

وكُنتِ لي حلمي .. الجميل

واليومَ طيفك قد رحل

أَفْضي بشوقٍ .. لم يزل

في راحتَّي .. بلا أمل

يضيءُ لي دربي الطويل

ماذا جَنَيْتُ من البُعادْ؟

غيرَ التّمزقِ والسُّهاد

الوصلُ أجدى .. أن يُعاد

لا شيءَ يبدو مستحيل

ونراه يقرن حنينه لذكرياته الماضية ، بحنينه إلى المحبوبة ، فكلاهما انقضى وراح ، فهو يحنّ إلى ساعات وصْلٍ مضت، ونفحة زهر حركت فيه أحلامًا عطشى ، ويحنّ إلى حبٍّ رأى فيه الحياة جميلة زاهية ، فيذكرها بما مضى من سنين ذهبت، لكنه ما يزال يشم عبيرها ، رغم بعدها ونائيها ، يقول:(2)

أحنُّ إلى ذكرياتٍ عفـــــت	وساعـات وصل لنا ماضيةْ
وَنَفْحَةَ زَهْرٍ بِكـــــفِّ الرَبا	تُحَرِّكُ فـيَّ رُؤىً صـــــاديـهْ
وَفَيْضًا مِنَ الحُــبِّ كان لنـا	على خَطراتِ الدُّنا الزّاهــيهْ
فأذكرُ ما قد مَضــى من لِقا	وكَمْ كُنْتِ جَذْلى به شاجيهْ!
سنيـــــــنٌ توالتْ ولمَّا أزلْ	أَشُمُّ عبيـرِكِ ، يا نائيـــــةْ
متى يا زمانُ يعــــود اللّقا	وأحلمُ فيهِ ولـو ثانيـــــــــهْ

ويحنُّ أحمد قنديل إلى ذكرياته السالفة ، التي لا تبرح مخيلته ، فهو يتذكر أيام الشباب،

(1) جوهرجي ، محمد سعيد ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 322.

(2) المصدر السابق ، ص 322..

ويأسى لكهولته التي حالت بينه وبين ملذات الحياة ، يقول : في قصيدته (أيام وأحلام) [1]

ودَّعْـتُ أيـامَ الشَّـبـابِ تَـفـيَّـأتْ	زَهَـراتُـهـا ظـِلَّ الشَّبـابِ الأملَـدِ
رَقْـراقـةَ الأوراقِ حَـيَّتـهـا الصِّـبـا	بالْـهَـمْـس بَـيْـنَ تَـوَجُّدٍ وَتَوَدُّدِ
رَقَّـتْ عـلـى الأغصانِ نافحةَ الشَّذى	شِـعْـرًا تَـنَـهَّـدَ بـُغْـيَـةَ المُتنهِّدِ
ودَفَـنْـتُ أحْـلامَ الصَّبـابَـةِ بَـينها	خَـضْـراءَ عـاشتْ سـيرةَ المتعبِّدِ
وركِـبْـتُ أَجْبـال الكُـهولةِ لاهِـثًا	بَـيْـن الصُّخورِ بصلْدها بالجلمدِ
تجري الِّسحائبُ صَحوةً في صحوها	غامتْ هناكَ بعيدةً عَن مَشْهَدي
ظَـمـــآن أَرْتَـشِـفُ السَّرابَ غـلالةً	جَـوْعـانَ في مَـسرايَ غيرَ مُزَوَّدِ

ويتمنـى أن يعـود شـابًا ؛ ليتحقـق مآربـه وآمالـه ، وليلهـو كمـا يـشاء دون أن يحـسب حـسابًا لعاديات الزمن ، ولكن أنى لهذه الأمنيات أن تتحقق ؟ فالماضي لا يعود ، والشباب لن يتجدد ، يقول:[2]

ليتني ليتني
ليتني اليوم مِثْلَهُ
مثلُ هذا الشَّبابْ
لاهيًا بالهوى
لاعبًا بالحياة
لايُداري زمانهُ
مرَّ مَرَّ السَّحابْ
أو يُوارى مَكانه
مارقًا كالشِّهابْ
في دروبٍ مَشَيْتُها
في ضُحَى الأمسِ قَبْلَهْ
ومَغانٍ أَلِفْتُها
إلْفَةَ الرَّبْعِ أهْلَهْ
صُورةٌ في الفؤاد

[1] قنديل ، أحمد ، ديوان : (اللوحات) ، مؤسسة قنديل ، جدّة ، 1978م ، ص 93 .
[2] المصدر السابق ، ص 107 .

سيرةٌ لن تعاد

في سؤالٍ بلا جواب .

وحلقت الروح بالشاعر سلمان بن محمد قاسم الحكمي الفيفي (1923 . 2000م) وأخذت ي البيد ميلاً ميلا، وذلك حين حنَّ إلى الماضي البعيد ، ماضي الصِّبا الذي تمثلت أيامه كأشجار النخيل الباسقة ، يقول:[1]

حَننتُ إلى الماضي السَّحيق فَحلَّقَتْ	بي الرُّوحُ تطوي البيْدَ بالـميلِ والمَلّي
أيَا واردات الماءِ ما أجملَ الصِّبا !	مَثّلْنَ أمـامـي باسِـقـاتٍ مِنَ النَّــخْـل
أنــامُ وأُرخِــي الجَفْـنَ والقـلبُ مـا بــهِ	سوى الحبِّ والتّفكير والطيشِ والجهل

ويشعرنا أحمد صالح الصالح (مسافر) ، بقسوة الذكريات ، حين لجأ إلى استخدام الفعل الماضي في كلِّ مقطع من قصيدته (متى) ؛ كي نشاركه تلك الذكريات الماضية ، حيث كان الحبّ ينمو ويترعرع ، فيخفق له القلب ، يقول:[2]

وكانت لنا ...؟؟

ذكرياتٌ ... وحُبٌّ

ننادي .. فيخفق للحبِّ قلبُ

....

رعينا الهوى في لقاءاتنا

منحناه ... حلوَ ابتساماتنا

وثُرْنا على الضّعف في ذاتنا

بكلِّ العيون ...!

ويبكي الشاعر حسن مصطفى صيرفيّ (1918 . 2009م) ، الماضي وذكرياته ، ويترحم على نفسه وعلى ذلك الماضي ، حين كان اللقاء ، وكانت النهاية ، يقول:[3]

التقينا .. وانتهينا

ونفضنا .. ما تبقى من يدينا

وبكينا ..

---

[1] الفيفيّ ، سلمان بن محمد قاسم ، ديوان : (مرا فيء الحبّ) ، تحقيق وتعليق : د . عبد الله بن أحمد الفيفيّ ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 2007م ، ص 165 .

[2] الصالح ، أحمد صالح ، ديوان : (قصائد في زمن السفر) ، النادي الأدبيّ بالرياض ، 1981م ، ص 17

[3] الخطراويّ ، محمد العيد، شعراء من أرض عبقر ، مصدر سابق ، ص 103 ، 104 .

ذلك الماضي بكينا

رحمةُ اللهِ عليه وعلينا ..

وقد وجدت الدراسة أنَّ معظم الشعراء السعوديين كانوا يركزون على الحنين إلى مرحلة الشباب أكثر من غيرها من مراحل العمر كالطفولة والصِّبا ؛ لأنّ الشّبابَ– عندهم– رمزٌ للقوة والفتوة ، كما " إنّ الإحساس بمرارة الشيخوخة يدفع الإنسان– الشاعر– إلى تذكر أيام شبابه، كرد فعل على تعاسة الحاضر وتفتته ".[1]

ويؤكد ذلك الدكتور ماهر حسن فهمي بقوله : " يحنّ الإنسان إلى ماضيه ، إذا كان غير راضٍ عن حاضره ، لذا نجد الشعراء في مرحلة الشيخوخة تمتلئ أشعارهم بذكر الشباب والحسرة عليه ".[2]

وقد مرَّ بنا نماذج من ذلك في ثنايا هذا الباب ، ونقف على نماذج أخرى ، ففي قصيدته (الأمس واليوم)[3] يندب محمد حسن فقي شبابه ويتحسر عليه ، حين يقول لتلك الحلوة لو أنك غازلتني في شبابي لرأيت العجب العجاب ، فقد كنت فتىً شديدًا ، يكتسحُ كلَّ الصِّعاب ، يقول:[4]

يا حلوتي لو كُنْتِ غازلتني	قَبْلَ مَشِيبي لرأيتِ العُجابْ
لَكُنْتِ أفضيتِ إلى نَشْوَةٍ	تُسلُ بالبهجةِ نَهْجَ الصَّوابْ
فإنَّني كُنْتُ الفتى عارماً	يَفْتَرِعُ الذّروة رغمَ الصِّعابْ
عُروقُهُ تَحْوي دمًا لاهبًا	يَجْري بِها مُكْتسحًا كلَّ باب
أوَّاه من شَيْخُوخَةٍ لاتَني	تجعلُ منّي الشّدْوَ مِثْلَ النُّعابِ
كُنْتُ هَزارا شاديًا مُطْرِبًا	وعُدْتُ مِنْه،ا ناعقًا كالغُراب
لو كنتُ مِثْلَ الأمسِ ما شفني	حُسنٌ ولا أثْخَنَ رُوحي الضِّرابِ

ويصف في موضع آخر حاله وقد بلغ الثمانين ، وصار شيخًا فانيًا ، بعد أن كان

---

(1) النّعيميَ ، فيصل غازي ، الحنين إلى الشباب في ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، مج11 ، العدد 1 ، ص 153 .

(2) فهمي ، ماهر حسن ، الحنين والغربة في الشعر العربيّ الحديث ، معهد البحوث والدرسات العربية . القاهرة ، 1970 ، ص 111 .

(3) فقي، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، 9 / 110 .

(4) المصدر السابق ، 9 / 110 .

سيفًا صارمًا ، لقد ولّى عهد الصِّبا ، ومن بعده ولى الشباب ، وغزا الشيب رأسه إيذانًا بدخوله مرحلة المرض والسقم ، والسير مستعينًا بالعصا ، فهو يبكي حاله في صمت ، كي لا يراه أحد على تلك الحالة ، يقول:[1]

بَعْدَ الثّمانين خَبَتْ جَذْوتي   وآدَني السُّقْمُ وطابَ الرَّحيلْ

بَعْدَ الثَّمانين أَبَتْ صَبْوتي   إلاّ انْحسارًا عَن جَبيني الأثيلْ

عَهْدُ الصِّبا ولَّى ومن بَعْده   ولّى شَبابي راكَضًا مِنَ السَّبيلْ

أَشْعُرُ منْ بعدِ المشيبِ الّذي   أنْهَكَني .. أشْعرُ أنّني العليلْ

عَليلُ جِسمٍ راعشٍ ينحني   على عَصاهُ في الضُّحى والأصيلْ

يَنْشِجُ في صَمْتٍ لئلا يَرى   منه الورى الدَّمعَ ويُخْفي العويلْ

ويلتقي محمد صالح باخطمة بوجهٍ من الزمن الماضي الجميل ، فتثور كوامن أشجانه ، فقد عاد له زمن مضى وذهب ، فبدأ يسأل عن أيام الصّبا ، ويقارن بين الأمس واليوم ، كيف كان ؟ وكيف صار؟ يقول:[2]

وجهٌ منَ الزَّمَنِ الجميلِ لقيتهُ   فأثار فيَّ كوامِنَ الأشْجانِ

وأعادَ لي زمنًا حَلِمتُ بأنَّهُ   يبقى وهل يبقى الزَّمانُ الفاني؟

وطفقتُ أسألُ أينَ أيامَ الصِّبا   حيث الصَّفا والآنَ عُمْرٌ ثاني

فَلَقَد كَبرنا والحياةُ مليئةٌ   بالصَّفوِ والكَدرِ المريعِ الآتي

كُنَّا بلا شَكوى تؤرقُ ليلَنا   نَسْعى كَشَوقِ الموجِ للشُّطآنِ

والآنَ غيَّرَنا الزّمانُ فَبَعْضُنا   مُتَسابِقٌ للبغْضِ لا التّحنانِ

مَا عَاد صفو حياتنا يَحلُو لنا   صِرنا نَقْضي العُمْرَ في الأضغانِ

أو صاحب قد كُنْتَ تَحْسّبْهُ أخًا   فإذا بِه كالذِّئْبِ ، كالثُّعْبانِ

ولّى زَمانٌ أَهْلُه وصفاؤه   وَجَلَسْتُ أَسْألُ : أين أين مكاني؟

وفي قصيدته (ولكنّها أيام) [3] يرجع مصطفى عبد الواحد زقزوق لأحلام الشباب ، التي صارت بعيدة عن ذاكرته ، فبدت محطمة من كلِّ جانب ، فيحاول لمَّ شتاتها ، ولكن هيهات له ذلك ، فقد ضاع العمر ، إلا بقية منه ، فلا يملك إلا التحسر على تلك الأيام ، وتلك

---

[1] فقي، محمد حسن ، الأعمال الكاملة، مصدر سابق ، 121/9 .

[2] باخطمة ، محمد صالح ، الأعمال الكاملة ، ص 8 .

[3] زقزوق ، مصطفى عبد الواحد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 45 .

الذكريات ، يقول:[1]

رَجَـعْـتُ لأحْـلامِ الشَّبـابِ وإنَّـهـا ... مُـحَـطَّمَةُ الأشلاءِ فـي كُـلِّ جانبِ

أُحَـاولُ جَهْـدي في الـتئام شتاتها ... ولـكـنَّـهـا تـأبـى لأَطْـماعِ خـائـبِ

وما راعني بين التَّمني وحَسْرتـي ... سوى مَخْرجي منها بِحُسْنِ العواقبِ

فقد ضاعَ مـنـي العُمرُ إلّا بَـقـيـةٌ ... ويـا ربَّـمـا تَمْضي بأجْـفـانٍ واثـبِ

لَـقـد ذَبلَتْ روحُ الصِّبا وإذا بـهـا ... تُـثـيـرُ حَـديـثًا فـي زوايـا الذَّوائبِ

وكيفَ يعودُ الغصنُ رطبًا وقد سرى ... بـه العمرُ لا يُـرجـى رجوعٌ لذاهبِ

فَـيـا ويحَ أيـامٍ لهوتُ بصفْوهـا ... وماذا تُـفـيـد الآن شَكوى لغاصبِ

وداعًـا وأعْـبـاءُ الـملام جَسيـمةٌ ... وداعًـا لأحـلامِ السِّنين الكَـواذبِ

وتعصف الذكرى مجدداً بقلبه المتعب ، وخياله المضطرب ، فيلحُ عليه السؤال الأزليّ ، الذي كثيراً ما سأله الكثيرون قبله: أين أيامي؟ وأين شبابي؟ وماذا فعلت بنا الحياة. يقول:[2]

تعصفُ الذِّكرى بقلبِ المُتْعَبِ ... وخَـيـالِ الوالـهِ المُضْطَـربِ

ضاعَ في أَسْـبابها من عمرهِ ... وهـو لم يَدْرِ ظروف اللعِبِ

يَـعْـتَـريه الخوفُ فـي أحلامـهِ ... ويُـقـاسـي وَحْدَةَ المُـغْـتَـربِ

فـي بَـقـاياهُ سُـؤالٌ حـائرٌ ... أينَ أيامـي؟ فَـيا للعجبِ !!

يا أماني العُمْـرِ قد طالتْ به ... قسوةُ الأيامِ هلْ منْ سببِ ؟

فَـعَـلـى الذِّكرى ومن تحنانها ... يَسْـهَـرُ اللـيلَ بِطَـرْفٍ وَثِبِ

ونلتقي بهذا الشاعر الحزين ثانيةً ، وهو يبكي أيام الشباب المنصرمة وصفوها ، فلم يعد يشعر بالحياة ولا جمالها ، فهو يعيش في سأمٍ مملٍّ قاتل ، ويتساءل بحسرة عن كثير مما كان في أيامه وذكرياته الماضية ، يقول:[3]

بَـكَـيْـتُ أيامَ الشّبابِ وصفَـوها ... وأقمتُ من وجْدي على أَحْزاني

لا شَـيءَ يُغْري في الحَياةِ بمالها ... منْ بَـهْـجـةٍ تَبدو على الأكوانِ

سَـابَـقْـتُ أيامِـي كـأنَّ نَـعيمها ... قَـد مرَّ بِـي في لحظةٍ وثَوانِ

وأعِـيـشُ فِـي سـأَمٍ مُـملٍّ قاتلٍ ... بَـيْـنَ الأَسَـى ومرارةِ الحِـرمانِ

---

[1] زقزوق ، مصطفى عبد الواحد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 45 .

[2] المصدر السابق ، ، ص 51 .

[3] المصدر السابق ، ص 60 .

أينَ ابْـتِـهــاجُ العمرِ أينَ ربيعُهُ ومَـسَـرتي في سَـالـفِ الأزمانِ
أيامَ كـانَ القـلـبُ يَرفُـلُ بالرِّضا وكَـــأَنَّـــهُ خــالٍ مِـنَ الأدرانِ
وتفرّقَ الأحبابَ نَهْبَ هُـمـومِهم والـكُـلُّ مِـنْـها مشفقٌ ويُـعـاني
يــا ربَّـما جــادَ الزّمانُ وعاد لي زَهْـوَ الرَّبِـيـعِ وصفـوةُ الخـلّانِ

ويجد الشاعر عبد العزيز الرفاعيّ (1923 . 1993) ، نفسه وقد بَلَغَ السَّبعينَ من عمره ، فهاله الأمر ، أوصلَ لهذه السِّن ؟ أطالت عليه السنون ؟ لقد تراكمت الأعوام ، حتى نـاءت بها الرقاب ، والعجيب!! أنَّ الشاعر توفي بعد أسبوعٍ من نشر قصيدته هذه ، التي تلقفتها الصحف والمجلات واختارت كلٌّ منها عنوانًا لها ، فالمجلة العربية التي كان الرفاعي أحد أعضاء الإشراف عليها ، اختارت لها العنوان التالي : (حنّت إلى عبق التراب جوانحي) وفيها يقول:[1]

سبعونَ يا صَحْــبي وجـلَّ مُصابُ ولَدى الشَّدائدِ يُعْـرفُ الأصحــــابُ
ســـبعــونَ يـا للهـولِ أَيّةُ حُـقْـبَـةٍ طالت ، ورانَ على الرَّحيق الصَّـابُ
تَـتَــراكَــمُ الأعوامُ فَـوقَ رؤوسِــنا حــتَّـى تَـئـنَّ مـــن الرُّكـامِ رقـــابُ
سبعونَ في دَرْبِ الطُّـفـولةِ شَـوكةٌ أمَّــا الشَّـبـابُ فَلَـيس ثَــمَّ شَـبـابُ
إنْ كُـنْـتُ كابرتُ السِّـنـينَ فَـإنّها أَقْـوى وأعْـنَـفُ إذ يحيـــن غـــلابُ
تعبتُ من ألمِ السِّنُونِ وأُغْـلِـقَـت بَـيْـنـي وبَـيْــنَ أَطَايبي الأبْـــوابُ
هو في دمي عشقُ الطُّفولة والصِّبا فهـو الهـوى، واللحن ، والأحبـــابُ

ويحنُّ الشاعر الدكتور عبد الله بن صالح الوشميّ (1975 . ؟) إلى أيام ما قبل النفط في المملكة العربية السعودية ، رغم أنه لم يعشها أو يرها ، فقد ولد بعد طفرة النفط بسنوات كثيرة ، لكنَّ حنينه جاء على لسان (الخيمة) ، أي بيت الشَّعر، التي جعلها إنسانا يتحدث ، وعبَّر بواسطتها عن مكنونات صدره ، وتوقه إلى الزّمان الماضي ، الذي . ربما . سمع عنه من الآباء والأجـداد ، حين عاش الناسُ على البساطة والسهولة في كلِّ شيء ، يقول:[2]

رائحةُ الرَّحيل والقهوةِ والضُّيوفْ
في خاطري تطوفْ

---

[1] باعطب ، أحمد سالم ، عبد العزيز الرفاعيّ صور ومواقف (أديبًا وناشرًا) ، ط1 ، منشورات : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 1997م ، 2 / 252 . 252.

[2] الوشميّ ، عبد الله بن صالح ، الخيمة ، مجلة الفيصل ، العدد 304 ، شوال 1422هـ / ديسمبر 2001م ، ص 96 . 97

وشعلة الحروفْ

تَنْثُرُ في دمائي النّار وفي عيوني القطوفْ

والليلُ والشّعرُ على بساطي الملفوفْ

تكادُ أن تبوحُ بالألوفْ !!

ذاكرتي أكبرُ من ذاكرةِ الحروفْ .

.....

هذا أنا الخَيْمَةُ . يا سائلي .

خارجةٌ من فَشَلِ القصورِ والكهوفْ

أَحملُ ألف ليلةٍ

والشّعْرَ والأشواقَ والدفوفْ

.....

أَنا هنا قبلَ مجيءِ النَّفطِ في بلادنا

وقبل أن يحترقَ الإنسانْ!!

أنا التي أحملُ في ذاكرتي

عروبة البيد إذا آلمَها الزّمانْ

أنا العصافيرُ التي تحِنُّ فوقَ الزّهرِ والأغصانْ

تحنُّ للأوطانْ...

.....

لا تهجروني دائمًا

فإنّني ....

أخافُ أن يذوبَ هذا الملحُ ، أو تشعلُ النّيرانْ

وهذا شاعر يقول لليلاه بأنَّ شِعْرَهُ شاخ وهرم، وأنَّ قوافيه دخلت مرحلة الشيخوخة مثله تمامًا ، وذلك حين طلبت منه ليلاه أن يقولَ فيها شعرًا ، وكيف يقول ولا ملهمة تشجيه ، ولا شباب بقي ليعطيه الحماسة والعنفوان، إنَّه الشاعر حمد العسوس (1956م– ؟) ، الذي يقول:[1]

وكـان زِنْدُ شَـبـابي تحت عاطفتي ... وكُـنـتُ خَلْفَ قضايا الأهـلِ مُسْتعرا

والـيـومَ يُطْـفـئُ أَيـامِـي تَـقـادُمُها ... والشّعْـرُ يُـطْفئُهُ يأســي، إذا حضرا

---

[1] العسعوس ، حمد ، السؤال ، مجلة الفيصل ، العدد 309 ، ربيع الأول 1423هـ / مايو 2003 م ، ص 94.

فأنقذيني ، وكُوني أَنتِ مُــلْهِمَتي وحرِّكي راكدًا .. كالبحْــر إن هّدرا

ففجِّري لُغَة العِشْقِ التي عَـجـزت ريحُ الكهـولةِ أن تَمْحُوَ لها صورا

ليلى ... تُناشدني أنْ أعزفَ الوترا وفي دروب الهوى ، أن أَنْثُرَ الدُّررا

ليلى ... أَنـا شــاعرٌ لكنَّ قافيتي بلا وقُـودٍ ، ولَـيْـلـي يَفْـقِـدُ القـمرا

كـان الشَّبــابُ وكانت نارُ أسئلتي مَـشْبوبـةً .. وخـيالي يَعْشَقُ السَّفرا

وعليه، فقد رأينا أنَّ الحنين إلى مراحل العمر الماضية ، وذكريات الزمن الماضي ، كان جزءاً من حياة الشاعر العربيّ السعوديّ ، فهو . كغيره . حنَّ إلى أيام الطفولة والصبا ، وعصر الّشباب الذي ذهب ولن يعود ، وحنَّ إلى الذكريات الماضية ، بما تحمله من أوقات الهناء والسرور ، ورغد العيش المفتقد ، وتمنى عودة تلك الأوقات ، وعقد مقارنة بين الماضي بصورته الجميلة ، والحاضر بصورته التي هو عليها ، دون تجميل أو تزيف.

وكانت الشيخوخة واحدة من التجارب التي عمّقت إحساس الشعراء بالحنين ، فأقروا بغلبة الدّهر الذي يستلب شبابهم ، وينتزع ماضيهم المفعم بالنَّشاط والحيّوية ، فلا يستجيب للإعادة والاسترجاع إلا من خلال الذكريات ، التي تؤرق الحاضر بلوعة الفقد ، وأنين الغربة ؛ إذ يستعرض الشاعر ذاته الماضية ، فيتصاعد إحساسه بالألم ، وهو يرى الزمان يحيله شيخًا هرمًا ، فيقعده عن مواصلة السعي في دروب الحياة ، وتماديه في اللهو والصبابة.[1]

---

[2] انظر: وهران، حبيب محمود ، الحنين في شعر صدر الإسلام، رسالة دكتوراه ، جامعة تشرين/ سوريا ،2003م ، ص 6.

7- الحنين إلى أمجاد الأمَّة وماضيها العريق:

ينتمي الشاعر العربيّ السعوديّ إلى أمة عريقة ، قدّمت الكثير للبشرية في مجالات العلوم ، والآداب والفنون ، والصّنائع ، والمعارف جميعًا ، أمّة لها ماضيها المشرف ومآثرها العظيمة ، ومع أن واقعها اليوم ، لا يُعَبِّر عن المكانة التي ينبغي أن تتبوّأها ، فبفضلٍ من الله ومنته ، فأمتنا لا تزول أو تفنى ، وإنما هي تضعف وتتكمش ، وتنتقل من طورٍ إلى آخر .

ويقع على عاتق المثقف الدور الأكبر في إنعاش هذه الأمة ، وإخراجها من سباتها الذي هي فيه ، وذلك بضخِّ دمٍ جديد في شرايينها ، حتى تستأنف دورتها ، وتواصل عطاءها وتقوم بدورها في إنقاذ العالم ، الذي يعاني من أزمات شديدة ، لا سبيل إلى معالجتها ، وتجنب البشرية كوارثها المحتملة .

إنَّ أمجاد أمتنا قائمة على مبادئ إيمانية ، ونزعةٍ إنسانيّة ، ورؤى مستقبله ، لذلك فالشاعر السعوديّ يؤمن بعظمة أمته على مدار تاريخها ، وهو لا يهرب من واقعه المأساوي إلى ماضي أمته المجيد ، إلا ليأخذ العبرة ، ويثير الهمة ، ويكشف مواطن الضعف ، ويدلَّ على مواقف القوة ، ينظر إلى الماضي ، ويتطلع إلى المستقبل ، على مبادئ دينه الحنيف ، وعدالة مبادئه ، وألق حضارته.

لقد حنَّ الشاعر العربيّ السعوديّ لأمجادِ أُمةٍ ، كانت وستكون ، وكما قادت البشرية ذات يوم ، ستفعل ذلك مرة أخرى في قابل الأيام ، وهذا عين ما قاله العلامة ابن باز يرحمه الله حين قال : " أنَّ هذه الأمّة تمرض ، لكن لا تموت ، وتغفو ، ولكن لا تنام فلا تيأسوا ، فإنكم سترون عزّكم " [1]. فها هو الشاعر عدنان بن رضا النحويّ ، يستقبل شهر رمضان الفضيل ؛ ليطلب منه أن يحيي ذكريات مجدٍ تولى ، يوم كنا سادة الدنيا ، وبناة التاريخ ، يقول:[2]

رمَـضَــانُ ، أَحْــي الذّكـريـاتِ لعلّنا	يَـومًا نُـفيـقُ بِـهـا ويـومًا نَـسْبِقُ
أَقْبِـلْ بِبَـدرٍ والـزُّحــــوفُ غَـنِـيَّــةٌ	لله تصفـو فـي الجهادِ وَتَصْـدُقُ
وأعِـدْ لَـنــا ذِكْـرى الملاحمِ رفْـرفتْ	راياتُـهـا نَـصْــرًا يُـعـزُّ ويَخْــفِـقُ
كُــلُّ المواقـعِ لَـمْ تَـزلْ ذكْـرى لَـنـا	بدمٍ يَـفـوحُ الـمِسْــكُ مِنهُ ويَعْبَقُ
أيْــن الَّـذيـنَ مَـضَوا إذا مـا جِئتهمْ	هَـبُّوا لِـمَـلحَمةٍ تدورُ وصدَّقُــوا
يُــحْــيــون لَـيْـلَهـمُ بآيـاتِ الهُـدى	ومعَ الـنَّهـارِ هُـم الأُبـاةُ السُّبَّقُ

---

[1] عبد العزيز بن باز ، ملتقى أهل العلم ، شبكة الإنترنت www.ahialaim.org ، 2013/5/17 .

[2] النحويّ ، عدنان رضا ، ديوان : (حرقة ألم وإشراقة أمل) ، مصدر سابق ، ص 107 .

قد كنتَ تشرقُ في ربى الإسلام يَجْ ... مَعُها الهدى ساحًا تجودُ وتغْدقُ
والـيـومَ مُـزِّقَـتْ الدِّيـارُ وقُـطِّعَـت ... تلك الحبالُ وغـاب عنها الرَّونقُ
رمَـضانُ أقْـبِلْ وامسحَنَّ من الأسى ... وأَعِدْ لـنـا الأمَـلَ الَّـذي يـتألَّـقُ

وتنطلق لواعج الشاعر من عقالها ، ومن ثمَّ فقد نظم أكبر قصائده (لم يبق في عرفات إلا دمعه) في مئة وثلاثين بيتًا ، بكى فيها واستبكى ، ووقف في دروبها واستوقف ، وأنا هنا أنقل بعض أبياتها بلا ترتيب ؛ إذ إنَّ هدفي هو الإشارة إلى حنينه وتحسره على أمجاد الأمّة ومآثرها الماضية ، من خلال ذكره لبعض البلاد التي رفرفت عليها راية الإسلام ، يقول:[1]

رُدّي روابـي (الصِّـيـن) أيْـن قُـتَيْبةُ ... والسُّور تَـنْهَـدُ حَـوْلَـهُ الفرسانُ؟
و (السِّندُ) مـا لـلـدّاجـيـاتِ تـلُـفُّـهُ ... والـذّكْـريـاتُ عـلـى ذُراه أذانُ
رُدّي روابي (الهند) أين شَريعةُ الرْ ... حمنِ مِـن سُـلْـطـانِـها السُّلطانُ
(دار السَّـلام) وأيُّ لَـحْـنٍ لَـم يَـكُنْ ... شكوى بدارِكِ إن شَدَت (بغدان)
تَـمْضي رُبى (الأردنِّ) بَـيْـن مياهها ... ذِكْـرى يُـعـيـدُ رواءُها الجريانُ
....
و (المَـغْـرب) الزَّاهـي أَرِدُّ لسـاحِـهِ ... طَـرْفـي فَـيَـهْـفـو للّقا إخوانُ
يا(تُـونـس) الخَـضراءُ عَـهدي بالهوى ... صافٍ وعهدي في الرُّبى رَيْحانُ
وَتَـلَقَّـتَ (الأقصى) لـ(مَـكـةَ) لوعـةً ... أُخْـتـاه تَـنْهَشُ أضلعي الغِربانُ
أُخْـتاه أيـنَ الـمسلـمـون وحَـشْـدُهم؟ ... أَيْـن الـملايينُ الغُثاء أهانوا؟؟

ويفخر الدكتور زاهر بن عواض الألمعيّ بأمجاد أمته ، وتاريخها العابق بالبطولات ، حاضًا المسلمين على نبذ الفرقة والخلافات ، ليعودوا كما كانوا ، حملة هدى وضياء ومشاعل ، يقول:[2]

إنَّـهـا ذكْـريـاتُ مَـجـدٍ تَـليدِ ... خـالِـداتٌ فـي عـالـم الآبـادِ
أيُّـهـا المسلمون قَـد هزّني الفخْرُ ... بِـذكـرِ الأبْـطـالِ مِـن أجْـدادي
بَـيْـدَ أنَّـا أمام خطبِ رهـيـبٍ ... وابْـتـلاءٍ مِـنْ فُـرْقَـةٍ وارتـدادِ
أنتم اليومَ بيـن مـدٍّ وجـزْرٍ ... وسيبقـى التّـراثُ للأحفـادِ

---

[1] النحويّ ، عدنان علي رضا ، ديوان : (الأرض المباركة) ، ط 6، دار النحويّ للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1994م ، ص 144 . 156 .

[2] الألمعيّ ، زاهر بن عواض ، ديوان : (على درب الجهاد) ، مصدر سابق ، ص 124 .

فَجَعَتْه الأيامُ في الأُمِّ والأهلِ	فَضاقتْ بِه القُرى والبوادي
قَلَّبَ الطَّرفَ يمنةً وشمالاً	فَرأى الدَّارَ مُوحِشًا في حدادِ
وأجالَ الأنظار حينًا ونادى:	أين مأوى الآباء والأجداد
أين عِزُّ الإسلامِ في أرضِ قومي	أينَ مجدي الطّريفِ ، أيْنَ تلادي

ويعيب محمد سعيد جوهرجيّ على الأمَّة الانسياق وراء مظاهر الحضارة الحديثة ، البرَّاقة والمزيفة ، ونسيانها ماضيها المضيء المشرق ، يقول في قصيدته المطولة (ومضة من تاريخنا):[1]

يا أُمَّةً جَهَلتْ بِماضيها الَّذي	كان المنارَ وكانَ قِنْديلَ السَّنَاءْ
فبدَتْ تنوصُ اليومَ عن دربِ الحجى	صَوْبَ الحضارةِ في انخداعٍ وازدهاءْ
هَلْ غالَها وَهَجُ التَّزيُّفِ صَبْوَةٌ	واستلَّ منْها الفَيْضَ قهرًا والإباءْ
وبَدتْ تَغذُّ السَّيرَ نَحْوَ مَجاهلٍ	ما كان أجدى أن تعودَ إلى السَّماء
لِتَرى شُعاعَ النُّور بَيْن جَوانحٍ	ظَمِئتْ إلى الإيمانِ سلسالِ الرّواء
واسْتَنْفرت حِسًّا لِغابرٍ أُمَّةٍ	كانَ الوضاءُ لها وكانَ الكبرياءْ

ويذكِّر الشاعر أُمتَّه بماضيها التليد ، وما قدَّمت للبشريَّة ، فيقول:[2]

أهْدت إلى الدُّنيا ربيعًا حالمًا	من روضةِ التّوحيدِ سخاءَ العطاءْ
وَسَمتْ بأخلاقٍ شفيفٌ فَيْضُها	لا تُنزعَنَّ .. بطارقاتِ الإشْتهاء
ولها من التَّاريخ سِفْرٌ حافِلٌ	يَحْكي الرُّجولةَ ؟؟ والبطولةَ والفداء
قَدْ كَان تاجُ العِزِّ فوق رؤوسِها	فَعلامَ لا نَرْعَى تُراثَ الصفاءِ؟
أَنَعُقُّ زَهْوَ حَضارةٍ كانت لنا	تيَّاهةً كالنَّجمِ في حِضْنَ السَّماء؟
لمَ لا نَعودُ إلى الطريقِ ونهتدي؟	ونَجُبُّ عنَّا عَادياتِ الابتلاء؟
ونَعُودُ والإيمانُ يَمْلَؤنا هُدىً	في صَحْوَةٍ صادِقَةِ العَزْمِ.. مَضَاء
تلكم لعمري قصَّةُ الماضي الّذي	كان الفنارَ لنا وكان الاجتلاء

ونراه يُقدِّم . في موضع آخر . قصيدته (دفء التِّلال) [3]، بمقدمة نثرية توضح هدفه من نظم قصيدته ، يقول : " بقدر ما يحقُّ لنا أن نفخرَ ونعتزَّ بتاريخ آبائنا وأجدادنا ، وما حققوه

[1] جوهرجيّ ، محمد سعيد ، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 101 . 103 .
[2] المصدر السابق ، ص 103.
[3] المصدر السابق ، ص103.

لنا من عزّةٍ ومجد ، عِبْرَ حضارة قامت على الأخلاق، واحترام القيم ، فيضُها الحبُّ والأمن والعزّة.. سيرى أبناؤنا وأحفادنا عَبر أجهزة "الانترنت " تمزقنا وضياع حالنا ، وتصدع أمتنا وشتاتها وضياعها بين التنافر والتناحر ، والخصام ... فهل من عودةٍ جادةٍ تجمع شتات الأمة ، لتجعلها مانعًا في وجه تغريب هويتها وكرامتها ، وصحوها من سباتها، ليتها تفعل ذلك ليتها ليتها .." [1] لنسمعه وهو يقول:[2]

إنِّي رأيتُ التُّربَ حِسًا .. دافقًا

ورأيتُ وَجْهَ الأرضِ خصْبًا

غادقا

فمضيتُ أرسُمُ

لوحةً .. عذراءَ

تزهو بالحنينِ

وبالغرامْ...

صُوَرٌ .. منَ الحُبِّ المُشَعْشِعِ في

العيونْ

صورٌ .. من الفرحِ المخبأِ .. في

الجفونْ

قَصصٌ من الماضي

المؤزَّرِ

بالوئامْ

ظُلَلٌ من الآباءِ والأجداد مِنْ زمنٍ

بعيدْ

وَهَجٌ من الماضي المخَضَّبِ

بالبطولةِ والصُّمودْ

تحكي لنا

عِزًّا ... ومجدًا

[1] جوهرجيّ ، محمد سعيد ، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 213

[2] المصدر السابق ، ص214

واحترامْ

ونلتقي بشاعر يكثر من الالتفات إلى أمجاد الأمة وماضيها المشرق ، يتخذ من ذلك وسيلة لاستنهاض الأمة ، وحثّ الشباب على أن يسيروا على هدي الآباء ، وأن يتنوروا خطى الأجداد ، ذلك هو الشاعر حسن مصطفى صيرفيّ ، ففي قصيدة له بعنوان (يا عيد) يخاطب العيد ويناجيه، كم فعل المتنبي ، مع اختلاف في الغرض والغاية ، يقول:[1]

يا عِيدُ عُدْتَ فهل عادتْ ليالينا؟	وهَل ترنَّم فـي الصَّحْراءِ حاديـنا؟
وهَـل تبسَّـمَ ثَغْرُ الدَّهـر وانفرجـتْ	تلكَ الأساريرُ عَن تَقْطيبها حِينا؟
عَنْ عَهْدِ طه وعَـنْ عهدِ الخلافة	عَن بَنـي أُمَيَّةَ والعبـاس أَنْبِيـنا
بَـلْ عَـن تُراثٍ نَسِينا أنَّ قِيمَتُـهُ	دمُ الجُـدودِ .. نَـفَضْنا مِنه أَيْدينا
أَعِدْ حَديثَك عن بدرٍ وعن أُحـدٍ	وعَـنْ حُـنَـيْـنَ ويَـرموكٍ وحِطـينا
وعـن أُنـاسٍ تَفانَـوا في عَقـيدتهم	قَدْ جرَّعُوا الكُفْرَ بالإيمان غِسْلينا
كانوا إذا انْصرفُـوا يـومًا لغـايتهم	لا يَرجِـعُونَ بِـغَـيْـرِ المجْـدِ آتِـينا

ويحنُّ يحيى توفيق حسن إلى أمجاد الأمة ، وذلك حين طاف حول قصر الحمراء وفي شرفاته ، في زيارة لربوع الأندلس ، قام بها الشاعر عام 1962م ، فتذكر نهاية تاريخنا الطويل هناك، فضغط الحزن على أنفاسه ، وطلَّ من عيونه ، وخاصة حين تخيّل عائشة الحرة، وهي تخاطب ابنها أبا عبد الله، آخر ملوك الطوائف من بني الأحمر في الأندلس ، فلم يملك الشاعر مشاعره ، فقال:[2]

أبكي الذي ضاعَ أم أرثي لحاضرنا	وَكُـلُّ هـذا الدُّجى حَوْلي وفـي ذاتـي
عـلى قصوركِ يا حمراءُ قد نُقشَتْ	أمجـادُ قـومي وفي الأركان بَصماتـي
وفي مغانيكِ بالأسحارِ كم رقصتْ	أَفْراحُ أهْلـي وماسَتْ فِـيـكَ جَـدّاتي
وفي المَسَـاجِـدِ كَـم نادى مُؤذنُـنا	إلـى الصَّـلاةِ وَهـمْـنـا فـي العـبادات
ما لي أَغُصُ بريقـي كُـلّما ذُكِرَتْ	أَطْـيـافُ أَمسي وأَشْـقـى بالحكـايات
وَبيْنَ جَـنْـبَـيَّ جُـرْحٌ باتَ يُنْهِكُـني	يُعِـيدُ حُـزْني ويُحْـيي فِـيكِ حَسَـراتي
يا بؤسَ شَـعْبٍ يَرُوم المجْـدَ عدَّتَهُ	مـاضٍ تَـولـى ولا يُـرْجَـى لَـهُ آتِ
كـلُّ الشُّعوب لها من أَمْسِها عِظَةٌ	تَهْدي خُـطـاهـا تَـقـيـهـا شـرَّ عَثَراتِ

---

[1] الخطراويّ ، محمد العيد ، شعراء من أرض عبقر ، مصدر سابق ، 90/2.

[2] محمد ، عبد المقصود خوجة ، الأثنينية ، حفل تكريم الشاعر يحيى توفيق حسن ، مصدر سابق ، ص 25 . 26 .

إلاّ بَنـي أُمَّـتـي لا فِكْرَ يُرْشِدُهُم   كـأنَّـمـا القومُ بــاتـوا نِـصْفَ أمْـواتِ

ويطـوف محمـد بـن علـي الـسنوسيّ ، فـي دروب أمجادنـا التَّليـدة ، عبـر صـور الفتوحـات والانتصارات التـي مهرناها بقوافل الشهداء الأبرار ، ففتحنا بها عيون البشرية على الهداية والنور، فيرى المسلمين الأوائل وقد دكوا أسوار فارس ، وزلزلوا عرش قيصر ، وانطلقوا يبلغون رسالة ربّهم في كلِّ أرجاء المعمورة ، يقول:[1]

وإذا تِلْكُمُ الصَّحاري حديثُ الـ   فُرْسِ والرّومِ مِـن قريبٍ ونـاءِ

وإذا تِـلْـكُـمُ الجـزيـرةُ يَـمْـتـ   دُّ سناها عَبْرَ الذُّرى والسَّماءِ

وإذا خـالـدٌ وعَـمْـرُوٌ وزيـدٌ   فَـلَـكٌ دائـرٌ عَـلى الأجْواءِ

يُرْسلونَ الضِّياءَ في كُـلِّ أُفْقٍ   ويُـداوون كُـلَّ سُـقْـمٍ وداءِ

ويُـنـيـرون بالعدالةِ والإسْـــ   لامِ دَرْبَ الحَـيـاةِ والأَحْـياءِ

ـبـون بـالشُّـعُـوبِ إلـى الـحقِّ نَـقـيًّـا مِـن دَعْـوَةِ الأدْعِـياءِ

ودعَـوا كُـلَّ أُمَّـةٍ تـنـشـد الحـقَّ إلـى كـلمـةٍ وحـكْـمٍ سَـواءِ

ويقف على ما شاده المسلمون في المغرب العربيّ فيتلك الحقبة الزمنية السالفة ، والتي استطاع المسلمون فيها دك الصعوبات التي اعترضت طريقهم وهم يحملون مشاكل الهداية للناس كافة ، يقول:[2]

على الشَّاطئِ الرَّقراقِ في المغرب الأقصى   قرأتُ أحاديثًا مِن المجدِ لا تُحْصى

مُـسَـطَّـرةً مِـن عَـهْـدِ مُوسـى وطـارقٍ   وعُـقْـبةَ لم تَنْصلْ شُـروحًـا ولا نَـصّا

تَـأَمَّـلْتُـهـا والـذِّكْـريـاتُ يَـهُـزُّنـي   صَداها كـمـا تَهْـتَزُّ أمواجُـهُ رَقْـصَا

كـأنِّـي أرى مُـوسـى أمـامـي بِخَـيْـلِـهِ   وأسمعُ وَثْبَ الخيلِ والرَّكضَ والقَمْصا

ولَمْـحَ الـمَـواضي والسَّـفـيـنَ وطـارقٌ   يخـوضُ عُبابَ اليَمِّ واليمُّ قـدْ غَـصّا

وخُـطْـبَـتُـهُ كـالـرَّعـدِ تَـقْـتَـحـمُ الذُّرى   وإيـمانُـهُ لا يَعْرِفُ الخوفَ والحِرصا

مـآثـرٌ للإسْـلامِ وهَّـاجـةُ السَّـنـا   قِـبـابًا وأَلبـابًا سَـوامِـقَ لا وَقَـصا

وكَـمْ لهدى الإسلامِ في الأرضِ من يدٍ   بها صَـفَـعَـتْ مُسْتَعْمرًا ورمَـتْ لِصّا

وينفي غازي القصيبيّ أقوال من قالوا بأنَّ أمتنا ماتت، وانهزمت، وتوارى دورها في قيادة البشرية ، ويردّ عليهم بأنه يعلم ما يجهلون ، فهذه الأمة ، ستقوم ، وستصحو من سباتها ،

---

[1] مفرح ، إدريس أحمد سيّد ، الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسيّ ، مصدر سابق ، ص119.

[2] المرجع السابق ، ص 120.

وستبقى ، وهم سيذهبون ، ولن تموت أمة فيها محمد، والقرآن العظيم ، يقول في قصيدته المطولة (أُمَّتي):[1]

يقولون : إنَّك مُتِ
يقولون : إِنَّك غُسِلْتِ ... كُفِنْتِ
ثم دُفِنْتِ
وداعًا ... وداعا
يقولون : أنتِ انهزمتِ
يقولون : لكنَّهم يكذبون
وأعرفُ ... أعرفُ ما يجهلون
أَحُسُّكِ فيّ...كأنَّ دمائي
رادارُ نَبْضِكِ .. أُبصِرُ ما يختفي
خَلْفَ صَمْتِكِ ... أواه لو تبصرون
وسوفَ تقومين .. سوف تقومين ... سوف تقومين
تبقين أَنت ... وهم يذهبون

....

تموتين؟! كيف ؟! ومنكِ محمدْ
وفيك الكتابُ الذي نَوَّرَ الكونَ
بالحقِّ حتى تورَّدْ
وطارقٌ منكِ
ومنك المثنى
وأنتِ المهندْ.

ويتغنى الشاعر الدكتور محمد العيد الخطراويّ ، بأمجاد أمته وتاريخها العريق ، ويعقد صلة بين ماضيها وحاضرها ، بين حال المسلمين في الماضي ، وحالهم اليوم ، يقول في قصيدته : (نشاز في لحن غجري):[2]

أَتُرانا جِئْنا الحَياةَ لنَشْقَى ... وَنُعاني من شَرِّها ما نعاني؟

---

[1] القصيبيّ ، غازي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 596 .

[2] الخطراويّ ، محمد العيد ، ديوان : (غناء الجرح) ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبيَّ ، 1397هـ ، ص 57.

أَمْ تُـرى أَمْـسُـنَـا تَـبَـرأَ مِـنّـا　　　واســتَـنــام الأَحْــفــادُ للأكفانِ؟

أَيْـنَ جُنْدُ الرَحمن فـي يومِ بدرٍ　　　تَتَصباهُــمُ ضُـــروبُ الطِّـعـانِ؟

أيْنَ ؟ لا أين ، مات كلُّ سؤالٍ　　　فـي فمي، واستـشاط منهُ لسَاني

أيُّ جَدْوى من السؤال عن الما　　　ضي ، وفي داخلي تَنُوحُ الثّواني

ويقف الشاعر على قصور العرب في غرناطة ، حيث المجد الزائل ، في تلك القصور الوارفات ، والقلاع الشامخات ، وهي اليوم مجرد أطلال ، نمرُّ بها فتجيش الحسرة، ويثور الحنين إلى تلك الأيام،التي سطع بها شمس العرب ؛ لتنير ظلام الجهل والتخلف،يقول :[1]

هـذي الطُّـلـولُ أجِنَّــةٌ مَــوْؤدةٌ　　　وملاحـمٌ سَـقَطَـتْ بـها الخَوْذاتُ

كـانـت شَـبـابًا رائعًـا مُـتَمَرِّدا　　　وقَـصِـيـدةً تَـزْهـو بهـا الأَبْيـاتُ

ومَساحِبًا للفَخرِ ما زالت لهـا　　　في مَسْـمعِ الزَّمـنِ الوريف لغاتُ

كم عِـزَّةٍ خَـفَـقـت بــهـا مَزْهـوَّةً　　　وتَزاحَـمَـتْ فـي ساحِـها الرَّايـاتُ

فَـهُـنـاكَ مِئْـذنَـــةٌ تقْصِفُ مَتْنُها　　　وهـناكَ مِـحْـرابٌ عـليه عِـظـاتُ

قَـدْ زُرتُــهـا فَـرأَيْـتُـها مذعورةً　　　تَـهْـوي على أقدامِـها اللحظاتُ

وكما وقف الخطراويّ ، على أمجاد العرب الغابرة في الأندلس، كذلك وقف عبد الله بلخير الموقف ذاته ، ومرَّ بالتجربة نفسها ؛ إذ زار غرناطة فتذكر مجد أهلها ، وما آل إليه أمرهم ، ونراه يتأثر بالبحتري حين وقف على إيوان كسرى ، وبأحمد شوقي في سينيته المشهورة ، فيقول من قصيدة : (ولا غالب إلا الله) ، في ملحمة غرناطة : [2]

هِـي هــذي (الحَـمْـرا) (ولا غَـالِـب إلاّ الله) كــانَـت (دارَ الخــلافـةِ) أَمْـسِ

كــانـتِ الـمُـلْـكَ ، والـخِـلافَـةَ ، والـفَـتْــحَ ، لآلٍ مِـنَ الـعُــروبَـــةِ شَـمْـسِ

ثُـمَّ زالــت . وزالَ مُــلْــكُ (بَـني الأحْـمَـرِ) مِـنْـهـا لَـمَّـا أُصِـيـبَ بِـنَــكْسِ

سُنَّــةُ الكَـوْنِ أَنْ يَـزولَ ، ويَـنـها　　　رُ بِـنـاءُ الـبـاني عـلى غَـيْـرِ أُسِ

تِلْكَ (حمراؤنا) على مفرق (أورو　　　با) مَـنــارٌ يُـهْـدى بِـه كلُّ مُمْسي

خُـيِّـلَـتْ لي تَـمُـوجُ أَكْـنـافُها بالـ　　　خَيْـل كالصُّبحِ في صهيلٍ وعَـسِ

أشرقت في سنا (الخلافة) تزهـو　　　بِـرِجَــالِ شُـمِّ المَـعـاطسِ نُـطْـسِ

[1] الخطراويّ ، محمد العيد ، ديوان (تفاصيل في خارطة الطقس) ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبيّ ، 1411هـ ، ص 119 ، 120 .

[2] رداويّ ، محمود ، عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية ، مرجع سابق ، ص 107 ، 108

ويحلّق الخيال بالشاعر، فيرى خليفة الأندلس في إيوانه، وحوله القادة يقفون في عزة وإباء ،عليهم زرد الفولاذ والحديد، ويرى وفود الغرب وقد نكست رؤوسها، أمام خليفة المسلمين ، الجالس على عرشه بزهو ورفعة ، يقول:[1]

وتراءى لــــــــــي (الخليفةُ) في (إيـ … وانهِ) مُصْبحًا بِـهـا أو مُـمْـسِّي

حَوْلَهُ الفاتحـــــــونَ في زرد الفو … لاذ يَـزْهــونَ فــي إبـاءٍ وبــــأْس

فَلَكَ شعَّ بالشُّموسِ أنــــــــارَ (الـ … غربَ) عِبْرَ القرونِ في كـــلِّ درسِ

كــانــت الأرضُ كُـلُّهـا تَـتَـلاقـى … حَـوْلَ أَبْـوابِـهـا ومَنْ كُلِّ جِـنْـــسِ

تَـتَـلقـى العلمَ الغَـزيـرَ عـلــى أعـ … لامِـهـا الغُرِ مِـن إمـامٍ وكَـيِّـــسِ

ووفود (الرُّومان) و(الغالِ) و(الـــجر … مان) حَوْلَ الأبوابِ أطيافُ نُــكْسِ

وقَفَوا في الصُّفوفِ يَلْتَمُـســونَ الـ … إذنَ لا يَـنْـبِـسُــون فِـيـهـا بِنَـبْـسِ

كُلُّهم شاخصٌ إلى الإذنِ في غـــمـ … زةِ طَـرْفٍ أو فِـي إشَـارةِ خِـلْــسِ

ويثيرُ سقوط بغداد بيد التتار الجدد، في 9/ 4/2003م، كوامن الشجن في نفس الشاعر عيسى بن علي بن محمد جراب (1389هـ . ؟) فيلتحم مع بغداد ؛ ليقرأ في ملامحها نزيف الجرح ، وهنا تتجلى لديه القدرة على توظيف المفارقات بين الأمس واليوم، يقول:[2]

بغدادُ ماذا جَـرى ؟ فالليلُ مُتَّشِحٌ … ثَـوبَ السَّـوادِ يُواري سُـحْنَةَ الأُفُـقِ

قرأتُ في وَجْـهِـك المكلومِ مَلْحَمَةً … صِيغَتْ لنا من نزيفِ القلبِ والحدقِ

ولاحَ لي أَمسُكِ الزّاهي وقد لَمَعت … به سُيُـوفُ بني العَـباسِ كـالفَـلَـقِ

ولاحَ لي أَلْـفُ حُـرٍّ لـو رأوك لما … طاب لهم عِيشَــةُ الإغضاءِ والملقِ

فَـأَنْــتِ بَــغْــدادُ تاريخٌ لَـهُ أَلَـقٌ … ما زالَ رغْـم الدُّجى يَفْـتُـرُ في أَلَـقِ

بغدادُ ماذا جرى ؟ إنِّــي لمحترقٌ … ومَنْ فَـدَيْـتُـك أَمْسى غَـيْـرَ مُحْتَرِقِ

قُـلُـوبُـنا مِرْجَـلٌ يغْـلـي وأدْمُعُنا … تَـجْـري وأَعْـيُـنُـنـا مُسْـتَودعُ الأَرَقِ

ويتساءل الشاعر فؤاد إسماعيل شاكر (1905-1972م) في قصيدته (من وحي بغداد) [3] عن أمجاد أمته الغابرة ، التي سمت وتطاولت ، حتى بلغت عنان السماء ، يقول:(4)

---

[1] رداويّ ، محمود ، عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية ، مرجع سابق ، ص 107 .

[2] جراب ، عيسى بن علي بن محمد ، يا بغداد ، مجلة البيادر ، دورية فصلية تصدر عن النادي الأدبيّ في أبها ، المملكة العربية السعودية ، العدد 41 ، محرم 1425هـ / 2004م ، ص 123 .

[3] انظر : معجم البابطين لشعراء العربية ، مصدر سابق ، 814/3 .

[4] المرجع السابق ، 814/3 .

أنــا بالكَــرخِ فاسْــألوا عـن فـؤادي ضاع مني بَيْنَ المهــا والمهادِ

بــالــعـراقـيـيْـن ضلَّ ، وما لـــي أفْقدُ الرُّشدَ في بلادِ الرَّشـــــادِ

أينَ ليلى ؟ فـما رأيـــتُ مريضــاً غَيْرَ قلبي ، ولوعـتي وسُهادي

ووسادي التّاريخُ حِين تجلـــــــىَّ في خيالي ، أنعم به من وسادِ

إنَّ حُلمِي الذي تخيَّلــــتُ ماضٍ من طريفٍ وحاضرٍ من تــلادِ

أينَ مني قومي ، وأمجادُ قومــــي تَـتَـهــادى مـن أُمّةِ الأمْجـــادِ

إنَّــهـا وَحْـدهـا ولـيْـسَ سِــواهـــا مُثُلُ الجدِّ والجِدا ، والجـــــلادِ

لقد رأينا– في ما مضى– صوراً من حنين الشاعر العربيّ السعوديّ إلى ماضي أمته المجيد ؛ لأنَّ فيه من الكنوز الوضاءة المشرقة ما يكفي لتنعم من البشرية من مشرقها إلى مغربها بظلاله الورافة .

هذا الماضي كان وما يزال مصدر قوتنا ، ومصدر وحدتنا ، ونبراس عزيمتنا . أمجاد أمتنا ماثلة على مدى الزّمن ، ومضينا عريق رغم المحن ، وكأنَّ جُلَّ الشعراء السعوديين عنوا بشعرهم ما قاله الشاعر مصطفى عبد الرحمن ، ذاك الشاعر الذي صاغ شعراً عذباً في التغني بأمجاد الأمة ، حيث يقول:[1]

أمَّـتي يا أمّةَ الأمـجـاد والماضي العريـقِ

يا نشيداً في دمي يحيا ويجري في عروقي

اصعدي يـا مـشرقَ النُّــور لأغـلى مأربِ

اصعـدي للقـمـمِ الشّمــاء فـوقَ الشُّهـــبِ

---

[1] عبد الرحمن ، مصطفى ، قصيدة (أمّة الأمجاد) ، مجلة العربي ، العدد 107 ، اكتوبر 1967م ، ص 87 .

8- الحنين إلى مواطن الغربة:

من المحال أن تكون مواطن الغربة بديلًا للوطن ، مهما طالت فترة غياب المرء عن وطنه، فهناك قوة خفيّة من الصعب تعريفها أو الوقوف عليها، تدفع الإنسان إلى مسقط رأسه ، والحنين إليه ، هذه القوة الخفيّة تفوق قوة الجذب المغناطيسيّ ، ومن العسير تفسيرها منطقيًا ، نظرا للشحنة العاطفية الهائلة ، التي تحملها بين طياتها .

والغربة . إجمالاً . ليست فقط ذلك الحدث المأساويّ الذي يمتزج بالحزن والكآبة ، وببحارٍ من دموع اللوعة والشوق ، وبجبال من الآهات والحسرات ، فهنالك من يحنّ إلى غربته ليس لأنه مستاء من وطنه ، فقد يكون دافعه للحنين إلى مواطن غربته ما رآه في تلك المواطن من أمور لم يرها في وطنه الأصليّ ، كالأصدقاء والخلان ، والمحبوبة التي تركها تندب حظها ، أو الحرية والتسامح ، والاحترام الحقيقيّ للآخر بغض النظر عن لونه ، ودينه ، وجنسه ، وأشياء كثيرة عاشت في نفس هذا المغترب.

وعليه فقد وجدت الدراسة صوراً من الحنين إلى مواطن الغربة في ديوان الشعر السعوديّ ، " فالإنسان ابن المكان وأماكنه القديمة هي ذكرياته وخبراته ، وتجاربه هي ميدان وجوده وقالب تكوينه ، وضوابط تطوره ... وبهذا يتأهل المنظور الرومانسيّ ، حيث يعيش الإنسان زمانه بالممارسة ، ويتمنى لو توقف الزمن به هنالك " [1]. فهذا الشاعر السفير غازي القصيبي ، يحنُّ إلى موطن غربته (البحرين) ، حيث قضى شطراً من طفولته وصباه هناك ، ثم أصبح سفيراً لبلاده في المنامة ، فهي ليست غريبة عنه، فالبحرين بالنسبة له . بحرين الصِّبا والكهولة ، فليس غريباً أن يكون محور أحد دواوينه الحنين الجارف ، إلى ذكرياته في البحرين وأقصد ديوانه (العودة إلى الأماكن القديمة) الذي يبرز فيه الحنين الناضج إلى موطن غربته وطفولته (البحرين) . بشكل واضح ، ففي قصيدته (أغنية حبٍّ للبحرين) . يُشجيه الحنين إلى البحرين ، فيخاطبها قائلاً :[2]

بحرينُ هذا أوان الوصلِ فانْسَكبي	عَلى بَحْرينِ مِن دُرٍّ ومِن رُطَبِ
تنفسي في شُجوني وادخلي حُرَقي	واسترسلي في دمائي واسكني تعبي
يا فَرْحَتي ورياحُ اليأس غاضبةٌ	يا نَشْوَتي حين يذوي موسِمُ العنبِ

---

[1] عبد الوهاب ، سعاد ، ثنائية المكان والزمان في " العودة إلى الأماكن القديمة " ديوان للشاعر غازي القصيبيّ ، مجلة الكويت ، العدد 199 ، محرم 1421هـ / مايو 2000م ، ص 199.

[2] القصيبيّ ، غازي ، أغنية حبٍّ للبحرين ، مجلة الكويت ، العدد 119.، 26 محرم 1421هـ / 1 مايو 2000م ، ص 100.

يا ضحكتي والدّموعُ الحمرُ تَعْصُرني	يا واحتي وهَجيرُ القفر يعبثُ بي
حَمَلْتُ وجْهَكِ في روحي وطرتُ به	على المحيطاتِ عِبْرَ البرقِ والسُّحبِ
والشّيْبُ في لمتي فجرٌ بلا مَرحٍ	يَطُلُّ فوقَ ماءٍ خامدِ الشُّهبِ

والقصيبيّ شاعر طاف الأرض . بحكم مناصبه . حتى ملَّ الطواف ، فعاد كالطير الجريح، باهتةٌ ابتسامتة ، حزينًا لطول غربته ، فتراه يجسد (البحرين) فتاة جميلة يخاطبها ، ويشكو لها شجواه ، يقول:[1]

ضَرَبْتُ في الأرض حتَّى ملَّ مضطربي	وطفتُ في البحرِ حتى ضجَّ منقلبي
وعدتُ طيرًا جريحًا في ابْتسامَته	ما يملأُ الكونَ من أشْجان مُغْترِبِ
سمراءُ! هل يرجع الماضي إذا رَجَعَتْ	رؤاه تَخْطُرُ بَيْنَ القَلبِ والهُدُبِ
وهَلْ أعُودُ صَبيًّا كُلّهُ خَجلٌ؟	وهلْ تَعودين بِنتًا حُلوةَ الشَّغبِ
بحرين! يا دانتي العصماء هل حرج	إذا تأَملْتُ في عَيْنَيك عَنْ كَثَبِ
بحرين! هاتي أغاني البحرِ هامِسةً	فَقَدْ سَئِمْتُ ضجيج المجدِ والنَّشَبِ
بحرين! هذا أوانُ الوصلِ فاقتربي	وحرّكي العودَ عَنْ دُنيا من العَجَبِ

ولم تكن البحرين مكانًا يلوذ به غازي القصيبيّ ثمّ يتحوّل عنه ، ولكنَّ البحرين كانت الأمَّ التي ألفى في كنفها الطمأنينة والدّعة والسّكون ، وكانت الرَّحم التي رعاه طفلاً وشابًا ، وهي التي أسبغت عليه هُويّته الأدبيّة ، فمنها أصدر ديوانه الأول : (أشعار من جزائر اللؤلؤ)،عام 1960م [2].

وليس عجبًا ، أن يفتح الشاعر ديوانه بقصيدة يشتاق فيها إلى البحرين ، يقول في قصيدته (جزيرة اللؤلؤ) : [3]

أرضي هناكَ ... مَعَ الشّواطئِ ...
والمزارِعِ .... والسُّهولِ
في موطنِ الأصدافِ ... والشمسِ المضيئة....
والنخيلِ
أُمّي هُناكَ ... أبي ... رفاقي

(1) القصيبيّ ، غازي ، أغنية حبٍّ للبحرين ، مجلة الكويت ، العدد 119.، مصدر سابق ، ص 199.

(2) بافقيه ، حسين محمد ، غازي القصيبيّ ذاكرة بحرينيَّة ، مجلة العربي ، العدد 625 ، محرم 1432هـ / ديسمبر 20010م ، ص 114 . 115 .

(3) القصيبيّ ، غازي ، ديوان : (أشعار من جزائر اللؤلؤ) ، المجموعة الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 95

نَشوةُ العَيْشِ الظّليلِ

حَيثُ الحياةُ تَمُرَ صافيةً

مُعطَّرَةَ الذُّيولِ

حُلُمٌ شهيٌّ الطَّيْفِ

تَقْنَعُ مِنْهُ عَيْني بالذّهول .

وكلّما تقدمت بالقصيبيّ السِّنّ تَشُدُّه البحرين إليها ، فثمة البئر الأولى ، بئر الذاكرة ، التي تكوَّنت فيها ، وحقيق لمن تأمل أدب القصيبيّ أن يمسك بالبحرين غائرة فيه ، فهي بئر الذكريات التي لا تغيض [1]. والعجيب أنّه لقي بارئه في البحرين ، التي اختارها لتكون مقره بعد عودته من رحلة استشفائه الطويلة في أمريكا ، ثمَّ نقل جثمانه إلى الرياض ؛ ليدفن فيها ، وها هي الرياض التي توسَّد ثراها تردد كثبانها ما قاله القصيبيّ في أيامه الأخيرة ذاكراً البحرين ، سائلاً إياها عن ماضيه فيها ، يقول:[2]

أَتذكرينَ إذا ما غِبْتُ في سَفَــري	أنِّي خَلَعْتُ على عيْنيكِ سِحْرهُــما؟
وأنّــي قُلْـتُ فـي عـينـيـكِ قـافيةً	مـا اسْتَوْطَـنَتْ ورقًـا لـولايَ أو قلما؟
وأنّني كُنْتُ في العشاقِ أعْشَقَهــم	وكُنْتُ في الشُّعـراءِ المفْردَ العلـما؟
وكنتِ بين حبيباتي الأعفَّ هــوى	الأجمل الأنبل الأصفى الأرقَّ فَمَـا

ويحنُّ إبراهيم أمين فودة ، إلى مصر وأهلها ، مؤكدًا أنه لم ينسَ مصر ، ولا أهل مصر ، حتى وإن باعدت بينه وبينهم الأيام ، باقٍ على العهد ، وفيّ لأحبابه هناك ، يقول في قصيدته : (أحبابنا في ربوع النيل):[3]

أَحْبابنا في ربوع النِّيل ما بَرِحَــت	. والله . ذكـراكمو مِـن نَــفْسِـنا حينـا
إنْ قصّرت في أداءِ الواجباتِ لكـمً	أو أمسكـتْ دون ذلـك الحَقَّ أيـدينا
فاللهُ يعلـــمُ أنا لـــم نَجِـدْ . أبدًا.	عــن الـوفـــاءِ ولسنـا عـنــه سالينا
إنَّا وإن باعدت ما بيننـــا ونــأت	بـنا الدِّيـــارُ فـمـــا كـنـــا بـناسينـا
مهما تكـن شِـــرَعُ الأيامِ قاسيــةً	وللظّـــروف بـنـا أحكـامُـهـا فينـــا
وإن تناســـى دَعِـــيٌّ الوُدَّ موثقــة	كــنا علـــى العهـدِ حُقَّاظًـا وفـيينا

---

[1] بافقيه ، حسين محمد ، غازي القصيبيّ ، ذاكرة بحرينيّة ، مصدر سابق ، ص 116.

[2] المرجع السابق / ص 117..

[3] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 528.

ويحنُّ الشاعر ـ كذلك ـ إلى أيامه وذكرياته الماضية في مصر ، ويؤكد لأحبابه شوقه وحنينه لهم ، ولتلك الأمسيات الماضية ، حين كانت مجالسهم عامرة بالأنس والسعادة والأيام لهم لا عليهم ، يقول:[1]

أحْبَابَنا في رُبوعِ النِّيل إنَّ بنا ... شَـوقًا إلـيكم وتحـنـانـا لنـادينا

أَحْبَابَنا في ربوع النِّيل إنَّ بنا ... شوْقـا إلى أمْسنا فيه وماضينـا

كانت مجالسُنا بالأُنْسِ عامرةً ... بـيـضٌ صنـائِعُـنـا بيضٌ ليالينـا

يا جِيرةَ النِّيل أشواقًا ومعذرةً ... إنّا على الحبِّ ما زلنا مُقيميـنـا

ويتشوق الشَّاعر عبد الله الصّالح العثيمين (1950 ـ ؟) إلى الجزائر ، التي يُقِرُّ بعطشه لمرآها ، وبالشَّوق الكبير الذي حلَّ في فؤاده لها ، كلَّما تعاقب الليل والنّهار ، فهو عاشق صبّ لها ، يقول:[2]

في مُقْلَتيَّ إلــى مَرْأى حِـماكِ ظَـمَا ... يــا موطنًا في ذُرا الأمجادِ عَزَّ حِـمَى

وفـــي فُـؤادي شَـوقٌ لـم يَحُـــلَّ بِـه ... رَكْـبُ الجَـديـَديـــنِ إلّا زادهُ ضَرَمـــا

وذو الغـرامِ وإنْ ألوى المشيـــبُ به ... يَـعُـبُّ كـأسَ تَـبـاريـحِ الهَـوى نَـهِـمَـا

وإن تَخُنْهُ قوى التَّعبيرِ عَــــنْ وَلـه ... بدا بعينيهِ مـا فـي القـلـبِ وارْتَسَـمـــا

وأبْـلَــغُ الـقَـولِ إعْـرابًـا وأصدقُـهُ ... إذا التقى الصَّبُّ مَن يهـواهُ بوَجْهِـمـا

ويؤكد عشقه للجزائر كغيره من ملايين العشاق ، الذين يرون فيها رمزًا للعلا والمجد ، فهي بلد المليون شهيد، وبلد الأمير عبد القادر، وحاضنة فكر العلاّمة ابن باديس، يقول :[3]

أُنشودةَ المجد ... يا أنشودةً صدحتْ ... بهـا ملايينُ عشّاقِ العُلا نَغَمـــا

عَشِقْتُ منذ الصِّبا ، مغناك ملحمــةً ... مـن الإباءِ وسِفْرا يزدهي شِمَمَــا

صحائفًا ناصعاتِ الذِّكر أسطـــرُها ... سَمَتْ حـروف جهادٍ وارتقت كَلِما

كان الأميــرُ وما كانـــت بطولتُـــهُ ... إلاّ المنارَ بدربِ النَّصرِ والعلمــا

وكان فِكْرُ ابـــن باديـــسَ بدعوتِـــهِ ... إلى الأصالةِ فِكْرًا يَحْفِزُ الهِمَمــا

ويتغنى حسين عرب بمصر ، ويبثها أشواقه وحبّه وحنينه فقد زارها دنفًا مستجمًا ، يرجو في

---

[1] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 527 .

[2] العثيمين ، عبد الله الصالح ، الجزائر أنشودة المجد ، مجلة الفيصل ، العدد 316 ، شوال 1423هـ / ديسمبر 2002م ، ص 82 .

[3] المرجع السابق ، ص 82ـ83

رباها راحة باله ، هارباً من همومه وهواه ، وشقاء حاله ، فوجدها فريدة الزمان والمكان ، فلم يملك أمره حين ثارت شجونه ، وهاجت ذكرياته ، إلاّ أن يقول:[1]

مصْرُ يا مَرْبَعَ الهوى والجمالِ وملاذَّ النُّهى ، ومرعى الخيالِ
زُرْتُ واديك ، عانيًا مُسْتَجِّمًا أَرْتجي في رُباكِ راحةَ بالي
شاردًا من هُمومِ قلبي وَحُبِّي وهوى مُهْجَتي ، وشِقْوةِ حالي
وتخيَّرْتُ في مرابعك الخُضْرِ رِياضًا ، رَفّافةً بالظِّلالِ
وَتفيَّأْتُها ، فألْفيتُ فيها جَنَّةً ذاتَ روعةٍ واخضلالِ
فإذا دُرَّةٌ كأنَّ الدَّراري لَمَعَتْ مِنْ بَريقها المتلالي
نَفَحَتْ عطْرِها عليَّ نسيمًا يَبْعَثُ الرُّوحَ في الرَّميمِ البالي
فأثارتْ شُجُونَ قلبي وهاجتْ ذكرياتي ، وَهَيَّجَتْ بِلْبَالي

أمّا عمر بن إبراهيم البريّ ، فإنَّ تشوقه لتونس باد في لهجته ، وتعلقه بها ، فهي عنده بلد المعارف والعقول والذوق الرفيع ، فهي كمصر في ذلك ، وتشبه دمشق في بعض حسنها ، وتكاد تشارك المدينة المنورة في فصاحة أهلها ، وبلاغة منطقهم ، يقول:[2]

أبداً بتونسَ في الأنامِ تعلقي وللهجتي فيه تبيّن تشوُّقي
بَلَدُ المعارفِ والعوارفِ والنَّهى والذوقِ ، كلٌّ في المجادةِ يلتقي
في مصْرَ منها مُشَبَّهٌ في ذَوقها ولِحُسْنِها بعضٌ تراه بِجِلَّقِ
وتكادُ تُشْرِكُ طابةً في لهجةٍ وفصاحةٍ تَسْبِي العقولَ بِمَنْطقِ

وفي قصيدة (رجوع الشيخ)[3] يحنُّ الشاعر محمد صالح باخطمة إلى تلك الأيام الماضية التي قضاها في مصر ، حيث كان النعيم ، وصفو العيش ، فهو يتمنى عودتها ، ولكن كيف يتسنى له ذلك ؟ فهو لا يملك من أمره غير البكاء والتحسر والشكوى يقول:[4]

الليلُ والنيلُ والأحلامُ والقمرُ عادوا إليَّ وقد أضناني السَّفَرُ
وذكّروني بأيامٍ لنا سَلَفَتْ فيها النَّعيمُ وصفوُ العيشِ يُعْتَصَرُ
مرّت طوالاً ومن عمري أُتابعُها أرنو إليها وأجري ثمَّ أُهْتَصَرُ
مُنْذُ افترقنا وخوفُ البَيْنِ يُقلقني أقول : كيف اللقا ؟ والعمرُ يُخْتَصَرُ

---

[1] عرب ، حسين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 2 / 178 . 179.

[2] ديوان عمر بن إبراهيم البريّ ، مصدر سابق ، ص 57.

[3] باخطمة ، محمد صالح ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 99.

[4] المصدر السابق ، ص 99.

أُكَفْكِفُ الدَّمعَ أسوانًا لفرقتهُـــمُ   وأشتكي وَحْدتي حُـزنا ولا خَبـــــرُ

ويرى باخطمة أنَّ بهجة العمر وأنسه ، كانت في تلك الأيام التي قضاها في مصر ، حيث لا خوف يؤرقه ، ولكنه صار أسير الأفكار المتزاحمة بعد أن غادرها ، فلا عجب أن يتساءل عن تلك الأيام ، أين ذهبت ؟ بعد أن كانت معطرة بالصفاء والنقاء ، مع الأصحاب والخلان ، يقول:[1]

أقــول : كـان زمـانٌ إنَّ بَهْجَتَــــــهُ   وأُنْسَـهُ ومُناهُ ذلك العمـــــرُ

قَدْ كُنْتُ لا الحزنُ لا خوفٌ يؤرقنــي   واليومَ صِرْتُ أسيرًا هَمَّهُ الفكرُ

أين الليالي وقد كـانت مُعَطَّـــــرةً؟   صَفْوَ النّدامى يُحلُّها فَتَنْتَشِــرُ

كمْ عِشْتُ من صبوتي دومًا أُسامرهم   حلو الأماني أًناديها فتأتَمِــرُ

كذلك فإنَّ الشاعر حمزة بن فايع آل فتحي ، يذكر أيام دراسته في مصر ، ويحنُّ لها ، ويصف نيلها ، مفتخرًا بها ، ففيها ألوان العجب ، لذا فهو يقرُّ بفضلها عليه ، يقول:[2]

ناداني النّيلُ بالأشْعار والطّــربِ   فَصُغْـتُ فـيه مزاهيرًا مِنَ الذَّهـبِ

كم ذا رأينا من الدُّنيا وروعتِهـــا   لكنَّ (لمصر) أفانينٌ من العجـبِ

هي الكمالُ هي الحُسنى برونقِها   ونيلُها العَذْبُ مرتـادٌ لمغتـــــربِ

قَلْبُ العروبة مقلاعاتُ أُمَّتنــــا   يومَ الحسومِ وعندَ القـلعِ للجِــرَبِ

هي الخزائنُ تُهدي زورَها تُحَفــاً   من الصَّفاء وتـرعاهم بلا عَتَــبِ

قد زُرْتُ واللهِ أديارًا وماتعـــــةً   لكنَّ " بمصرَ" ترانيمي ومُنتخبِي

سَلِمْتْ بِقاعُكِ لا عدوى ولا طِيـرٌّ   وعمَّكِ الخيرُ مزهـوا بلا نَصَـــبِ

ويرى الشاعر محمد طاهر حسين الجلواح (1955 . ؟) ، الكويت مأوى لكلٍّ من يريد العيش الكريم ، فهي ضياء الفكر لكلِّ من يبحث عن حرية النّفس والكلمة ، فليس غريبًا أن تَعْشقها القلوب ، وتشتاق لها النفوس ، يقول:[3]

وإليها يُسافِرُ القلبُ شوقــــــا   ويغــنـــي (كُفْى الملامَ) الأليما

يا ابنة البحرِ يا خزامى الصحاري   يا غـراماً في خافقي مُسْتَديمــا

(تاؤك) يا(كويــــــت) أروعُ (تاءٍ)   نَقَشتْ حَرْفـها جديدًا قديمـــا

---

[1] باخطمة ، محمد صالح ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 99.

[2] آل فتحي ، حمزة بن فايع ، ديوان : (توجهات النيل) ، ط1 ، جامعة الملك خالد ، 2009م ، ص 3 .

[3] الجلواح ، محمد ، قصيدة :(دولة الكويت) ، مجلة العربيّ ، العدد 651 ، ربيع الأول 1434هـ/ فبراير 2013م ، ص66 .

دولةُ الحرْفِ والنَّهارِ ومــــــأوى كلَّ حـرٍّ يرومُ عَيْشًا كريمـــــا

وضياءٌ للفكْرِ تهفو إليـــــــــه روحُ من كان في الظلام مُقيما

لَيْسَ بِدْعًا أنْ تَحْتَوِيها عيـــــونٌ وقلوبٌ تدعو الإلهَ الرحيمــــا

كلُّ حرفٍ من اسمها هو سِفْـــرٌ عَزَفَتْهُ الأمواجُ فنًّا عظيمـــــا

وهذا شاعرنا الرائد أحمد إبراهيم الغزاويّ يعترف بأنه دنِف بمصر ، التي تشفه وجدًا ، فيذكر مآثرها ، وما اختصت به دون غيرها ، فالكلّ عالة عليها في العلم والأدب واللغة والدين ، يقول:[1]

إنِي وإنْ عِشْتُ في أمِّ القرى دَنِـــفٌ (بمصر) تَشْقُني وجـدًا وتَشفينـــي

الَشمْسُ زادُ الضُّحى ، أمجادها فلقـــا وفخرها لفَخْرُ في الدُّنيا وفـي الدِّينِ

ما شِئتُ أحصى ثناءَ (الضاد) في بلدٍ إلا وأَوْمى (لمصر) الكلُّ مديـــونِ

(الجامعاتُ) بها نـــــورٌ و(أزهرها) حِصْنُ الهُداةِ وُينبـــوع (الأساطين)

حَقٌّ عل كلِّ من تزكو الأصـــول به شكرٌ (الكنانة) في كلِّ الأحاييـــنِ

وبعد ، فهذه نماذج من الشِّعر السّعوديّ المعاصر، الذي قيل في صور الحنين المتعددة ، ولذلك فإنَّ هذه النماذج التي قدمناها، لم تلبس ثوب الخيال، وإنَّما هي حديث عن واقع عاشه هؤلاء الشعراء ما أثاره في نفوسهم وعواطفهم ومشاعرهم ، من حزن ، وأمل ، وغربة وشوق ، وحيرة.

نعم إنَّ كلَّ هذه المشاعر قد تجسدت في النّماذج الشعرية التي عرضناها لتبرهن على أنَّ الشعر يظلُّ أهم الوسائل في التّعبير عن خلجات النفوس ، وتصوير مشاعرها وانفعالاتها متى كان صادقًا لا زيف فيه ولا افتعال.

[1] الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 4/ 367.

الفصل الثاني

الدراسة الفنيَّة

1 . الصورة الشّعرية .

التصوير أمر فطريّ في الإنسان، فهو شغوف بطبعه أن ينقل للآخرين ما قد شاهد ، أو سمع ، أو عايش من تجارب وجدانية ، وأحداث متعددة الجوانب والاتجاهات ، تظلُّ تختلج في داخله إلى أن ينقلها إلى غيره ، فيجعل سامعه أو قارئه يحسُّ بما يحسُّ ، ويشعر بما يشعر ، بقدر إحساسه وشعوره لتلك الأمور .

لذا تعدُّ الصّورة الشعرية من أهم عناصر الشعر وأشدها تميزًا في تحقيق الجمالية الإبداعيّة ، فهي ركن من أركان العمل الأدبيّ الأساسيَّة ، ولبنة من لبناته التي يتكأ عليها الشاعر في نقل أفكاره وعواطفه ؛ "لأنّه عندما يلجأ إلى الصورة فإنّه يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في وجدان المتلقي لشعره ، وجعله يعيش التجربة التي عبّر عنها، ويتفاعل معها سلبًا أو إيجابًا ، سواء كانت التّجربة المُعَبَّر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها ، أو عامة أحسّ بها حوله ، فعمد إلى جمع عناصرها ، ولم شتاتها ، وقام بمعايشتها والاندماج فيها ، ثمَّ عبَّر عنها ونقلها إلينا ، لحملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك".[1]

وتعنى الصّورة الشعريّة بدراسة" إبداع الشاعر وقدرته على رسم انفعالاته وإحساسه ، فيرسمها لوحة فنية جميلة تختلط فيها الألوان بزهائها ورونقها ، وما ذلك إلا لانعكاس ذلك المشهد على روح الفنان الشاعر، الذي تتغلغل الصورة بمعاناته ومشاعره لتصل به نحو موقف ما ، فيرسمها بريشة إبداعه لوحات ملونة محاك فيها بفنيةٍ وإبداع ذلكم المشهد الشاعري".[2]

لذلك نالت الصورة هذا النصيب الوافر من البحث والدراسة ، وظلَّ مفهومها يلفه الغموض حينًا ، وتحيط به الظلال حينًا آخر ، وظلَّ النقاد والدارسون بين مدٍّ وجزر في تحديد مفهوم الصورة الشعرية ، فعلى سبيل المثال ظهرت لهذا المصطلح عدة تسميات مثل : (الصورة الفنية) ، و (الصورة البلاغية)، و (الصورة البيانية) ، و (الصورة المجازية) ، و(الصورة الاستعارية) ، وصورة جزئية ، وأخرى كليّة ، وصورة ذهنية ، إلى غير ذلك من

---

(1) سيد، مفرح إدريس أحمد ، الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام 1395هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (د. ت) ، ص 355 .

(2) دوشي ، جواهر بنت علي ، فلسطين في الشعر الحديث بمنطقة جازان : الرؤية والتشكيل ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2012م ، ص 119 .

التسميات . وإذا أراد الدارس أن يجمع بين آراء النقاد ليصل إلى تحديد دقيق للصورة الشعرية، فإنّه سيظل بضرب في التيه، وربّما أصابته الحيرة لكثرة التفاسير وتناقضها وغرابتها.

لذلك لم يكن من السهل على الدراسة أن تحدد مفهومًا قاطعًا مانعًا للصورة ؛ وذلك لكثرة التعريفات لمفهومها قديمًا وحديثًا ، فهو مصطلح مراوغ يكاد يتفلت من بين أيدي الباحث ؛ لأنَّ الصورة ذات لدلالات مختلفة ، وترابطات متشابكة ومعقدة ، تُقرِّب البعيد ، وتبعد القريب ، وتجعل المتناقضات مؤتلفات ، وتجمع بين الأضداد ، وكلُّ هذا يجعل تحديد المفهوم بدّقّة أمرًا مرنًا هلاميًّا ، يضع الباحث في منطقة وسطى بين القديم والحديث.

ولكن هذا لا يعني التهرب من تحديد ماهية الصورة ومفهومها ، فهي تتألف من عناصر محسوسة ؛ الخطوط ، والألوان ، والحركة ، والظلال ، إلى جانب أنّها تحمل فكرة وعاطفة ، تضاف على القيمة الجماليّة ، يقول شوقي ضيف :"والصورة من يد صنّاع يعرف كيف يضمُّ الخطَّ إلى الخطِّ ، فلا تحسُّ نشازًا بل تحسُّ استواءً وائتلافًا .."[1]

وتعرف الصورة الشعرية بأنَّها رسم بالكلمات ؛ وتجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكل حسيٍّ ؛ وأنّ الخيال عنصر هام من عناصر انتاجها ؛ وأنَّها كما تعتمد المجاز وغيره من مقومات البلاغة العربية– التشبيه والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير...– يمكن أن تعتمد الوصف الحسيّ لكي توصل إلى خيالنا شيئا يتجاوز الحقيقة الخارجية للأشياء ، وذلك من خلال اعتمادها على طاقات اللغة وإشعاعاتها الوجدانية ، لتجسيد عاطفة الشاعر وفكرته في ألفاظٍ ذات دلالة حقيقية..[2]

وقد وقفت الدراسة على تعريفات كثيرة ومتنوعة للصورة الشعرية يطول المجال هنا لذكرها ، لكنَّ تعريف الناقد الدكتور فايز الداية ، يكاد يحصرها ؛ إذ يقول : " كلُّ ما يؤدي إلى شكلٍ متجانسٍ مكون من عدّة عناصر متلاحمة، يستطيع أن يحرك فينا شيئًا ، وأن يحركنا نحوه ، فهو صورة ، فلا حياة للصورة إلا بتواصل المرسل مع المتلقي ، فهـو صورة ، فلا حيـــــاة للصورة إلا بتواصل المرسل مع المتلقي ، هذا يبدع ، وذاك يتعايش ، فتتحرك الصورة كائنًا

---

(1) انظر: ضيف ، شوقي ، دراسات في الشعر العربيّ المعاصر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1959م ، ص 239 .

(2) انظر : سي دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين ، ط1 ، بغداد ، 1982م ، ص83. ومكي ، الطاهر أحمد ، الشعر العربي المعاصر : روائعه ومدخل لقراءته ، ط1 ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1986م ، ص83. واليافي ، نعيم ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، ط1 ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1982م ، ص45 . والقط ، عبد القادر ، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ، ط1 ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1978، ص435.

حيّاً له خصائصه وشخصيته"[1]

وخلاصة القول : أنّه من العسير على الباحث أن يحيط بكلِّ جوانب الصورة الشعرية ومفاهيمها ، فمصادر الصورة المتعددة ، ومجالاتها المختلفة ، ومعانيها الخفيّة في نفس الشاعر ، وأنماطها النفسية والفنية والبلاغية ، يجب ألاّ تغادر ذهن الباحث وهو يدرسها في أي مجال أدبيّ ؛ لذلك وضعت في حسباني أن آخذ من كلِّ مفهوم بطرف ، غير مغفل أمر الابتكار والحداثة في الصورة الشعرية ،" فالصورة مع كثرة الاستعمال يصيبها الوهن والضعف ، والشاعر الحصيف ، هو الذي يجدد في صوره ويقتنصها اقتناصًا كما يفعل الصياد الماهر."[2]

ولما كان شعر الحنين في الأدب السعوديّ كغيره من جوانب الشعر الأخرى في الأدب العربيِّ ، يعبر عن أحاسيس صادقة ، ومشاعر فياضة ، فقد لوَّن الشاعر السعوديّ – كغيره- قصائده بصور شعرية متعددة الأدوات ، ومتباينة الأشكال من تشبيهات واستعارات وكنايات ... وغيرها ، وهو في الوقت ذاته ، لم يجمد عند اقتباس صور السلف ، ولم يكتف بترسم المحدثين من زملائه العرب ، بل كان يمزج القديم بالحديث ، ويضيف عليها ألوانًا محلية مناسبة، فنجح إلى حدٍّ مقبول ، وكان يحلق تارة ويبدع ، وأخرى يقلد ، فهو بين مدٍّ وجزر، لذلك يجد المتلقي أشكالاً شتى متباينة من الصور الشعرية في شعر الحنين في ديوان الشعر السعوديّ ، فالشاعر السعوديّ لا يتعصب لنمط أو لون أو نوع دون الآخر، فالقصيدة عنده هي بنت اللحظة ، واللحظة هي التي تختار الوتيرة التي تحدد الصورة الشعرية ، فالصورة عنده تنبع من عالم الوجدان ، فهي لا تكون صوراً جاهزة في ذهنه يأخذ منها متى شاء ، بل تأتي مع القصيدة لحظة بلحظة .

فمن نماذج الصور البيانية التي اشتملت عليها قصائد الحنين ما جاء في قول الشاعر محمد عبد القادر فقيه (1920- 2009) وهو يَحنُّ إلى أمّه ويتشوق لها ، في قصيدته " أماه" يقول:[3]

أماه .... يا واحةً غنّاء ناضرة ... الوردُ والزَّهرُ في أفنائِها انعقدا

---

[1] الداية ، فايز ، سندباد محمد الفايز بين ألف ليلة وليلة وشعراء الخليج العربيّ ، مجلة الكويت ، العدد 185 ، مارس / آذار 1999م ، ص 42 .

[2] ضيف ، شوقي ، في النقد الأدبيّ ، ط7 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 73 .،

[3] فقيه ، محمد عبد القادر ، المجموعة الشعرية الكاملة "صور وظلال " ، ط1 ، مطابع سحر ، جدة ، 1414هـ ، ص 282 .

تحنو على كبدي الواهي خمائلـها وتَـمْـسحُ الدَّمعَ مـن عينيَّ والسُّهـدا

تحنـو عـــليَّ وترويني جـداولُـها واقـطـعُ العمرَ فـــي أفْـيـــائها رغدا

يا جنَّةً مـن جـنات الله قد بَعُدت طال الحنين لها والعمر صـار سـدى

شبه الشاعر أمّه بالواحة الغنّاء النّضرة ، وقد تعانقت ورودها وأزهارها ، تحنو عليه ، وتمسح دمعه وأحزانه ، ثمَّ شبهها أيضًا بالجنّة ذات الخضرة والبهاء ، حيث إِنَّ وجه الشبه بينهما هو الصّفاء والحنان والجمال.

كذلك يشبه حسن عبد الله القرشيّ والدته بالشّجرة الوارفة الظّلال التي يستظلون بها ، ويتقون لفح الأعاصير والكروب ، وكذلك تشبيهها بالدرع الواقي الحصين الذي يردّ عنهم عاديات الزمان وخطوبه ، يقول:[1]

كُنـا بظلّك نتقي لفحَّ الأعـاصر والكروبِ

ونردُّ عادية الزَّما نِ بدرعك الواقي المهيبِ

فاليومَ لا ظلَّ يقيـ نا نفحةَ الهـولِ العصيبِ

كلا ولا درعٌ يحطّ مُ رمية السَّهـم المصيبِ

إنَّ المتأمـل فـي الـصّور الـشعرية الـسابقة ، قـد لا يـشعر بتـدفق عـاطفيّ ، أو اهتـزاز شعوريّ ؛ لاعتماد الشاعرين . تقليديا . على صورة بيانية سطحية صريحة . وهذا ما افقدها الجمال والابتكار ، "فالصورة التعبيرية الإيحائية أقوى فنيًا من الصورة الوصفية المباشرة" .[2]

ولكنَّ ذلك لا يعني استسلام الشاعر الحديث لمكونات الصّورة التراثية ، بل بدأ يبحث في داخل تلك الصّورة عن المميزات التي صممت القوة والبقاء لتلك الصورة ، فأدرك أنَّ ثمة عناصر مهمة لا غنى عنها لأيّ صورة عنها ، لا سيما إِن أراد صاحبها الابتداع والتفوق. من تلك العناصر البحث عن المصادر الكثيرة والمتنوعة التي تستقي منها الصورة مادتها ، قديمة كانت أو حديثة ، منها تلبيس الصورة بذاتيّة الشاعر وامتزاجه بها، وتداخل معطيات الحواس ، واستخدام عنصر التشخيص ، وكذلك التوسع في استخدام المجاز ، هذا بالإضافة إلى عدة مكونات جزئية تضفي عنصر الجدة على الصورة ، كالحركة والكثافة والعمق ... وغيرها من العناصر الجديدة التي تمدّ الصورة بالحيوية والابتداع.[3].

---

[1] القرشيّ ، حسن عبد الله ، ديوان : (نداء الدِّماء) ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1964م ، ص 82

[2] هلال ، محمد غنيميّ ، النقد الأدبيّ الحديث ، ط1 ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة ، ص 426 .

[3] المرجع السابق ، ص 353 .

ومن الصور التي أخذت تستقي مادتها من مصادر جديدة قول الشاعر حمزة شحاتة يخاطب أخته (سعاد) ، حين هاجر إلى مصر، في قصيدته (رحلة بلا رفيق):[1]

سعادُ . . هل تقرأ عيناك الذي تخطّه عينايْ ؟

وهل سمعتِ .. شهقاتِ مهجتي الحرَّى؟

تطوفُ كالفراش ، حول وجهك الوضّاء دافئ السِّماتْ؟

وهل ترينَ دمعةً في كلِّ كلمةٍ لاهثةٍ يرسلها فمي؟

وهل شعرتِ في انقباضِ صوتي الحزين عندما أودِّعك؟

وهل تتبَّعت خطاي ، سَمَّرَ الأسى انطلاقها؟

إنَّ التجديد يبرز في الصور السابقة من حيث أَنّها لم تُعَدُّ تلك الصور القديمة التي تهتم بالماديات المحسوسات من قدٍّ وحمرة خد ، وما إليها وإنما أصبحت تميل صوب الأشياء المعنونة المجردة ؛ وإلى رهافة الشكل الصوري المعتمد على طاقة الخيال . فالعين هنا ليست عين المها ، أو البقرة الوحشيّة ، إنّ العين هنا جسم مستقل ، يقرأ ويخططّ ويحاور ، والدّموع في الأنموذج السابق جُسِّمت فأصبحت تلهث وتتكلم ، وكذلك الأسى بات إنساناً يفعل ويتعمد الضرر ، فها هو يسمِّر الخطا ، ويمنعها من الانطلاق ، وهذا المزيج من الصور التي تداخلت فيها الحواس ؛ حيث العيون أياد تكتب ، والدموع لا ترسلها العيون بل ترسلها الكلمات عبر الفم ، والصوت الذي غدا إنساناً يحسّ بمشاعر الحزن .

ومن النماذج الأخرى للصورة التي تقترب من النموذج السابق من حيث الاعتماد على منطلقات تصويرية جديدة قول حسين عبد الله القرشيّ في قصيدته (رسائل) التي يحُنُّ فيها إلى ذكرياته الماضية: [2]

ومنذ ربيعنا الثاني

ومنذ خنقتُ بين يديك نيساني

ومنذ ركضت تكتشفين

فيَّ منابع الأمسِ

تفتت في دمي الليلُ

وخدَّر طاقتي الويلُ

---

[1] شحاته ، حمزة ، الأعمال الكاملة ، ط1،الناشر: عبد المقصود خوجه، ،1431هـ – 2010 ، ص 102 .

[2] القرشي ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، ديوان : (بحيرة العطش) ، مصدر سابق ، ص 462 .

فلا الأوتارُ لا الألحان تدعوني
ولا أنا من عرفتِ ، وأنت من أنتِ؟
كلانا سائرٌ في درب ماضيهِ.
كلانا يرتوي- مترنِّحًا- من منهل التِّيهِ
يعبئ موكبَ الذِّكرى
لحفلٍ في لياليه
يلوِّن وهمَّهُ يُلقي عليه وشاحْ.
وعطرَ أقاحْ.
ولكن تفضح المرآة سهداً في مآقيه.

يصوِّر القرشيّ في المقطع السابق تجربته في الحبِّ مع محبوبته التي شهدت عدة مراحل بعدة صور ، تجمعها الدّقة والتتابع المتدرج ، فهو يريد تصوير بداية الحب ، ثم توهجه ، ثمّ انطفاءه ، وأخيرًا المحاولة اليائسة لبعثة من جديد ، عبر ملاحقته بالصورة الفنيّة الجديدة ، التي تهتم بتصوير الجزئيات الدقيقة ، والتفاصيل الثانوية على هامش تلك العلاقة ، لعلمه بأهمية تلك التفصيلات في رسم الأبعاد النفسيّة للحالة الشعرية التي يريد تصويرها . فبداية حبهما تتناسب وتشبيهها بالربيع ؛ لأنّ هذه المرحلة هي التي تندفع فيها عاطفة المحب مثل اندفاع الربيع في خضرته ، فتتلوَّن كلَّ الأشياء من حوله بلونه.

كما أنَّ الشاعر يأبى أن تكون صورته تقليدية عادية فنراه يصور تأجج الحبَّ واشتعاله بقوله :" تفتت في دمي الليل" ، وهي صورة جديدة ، تعتمد على الدقة المتناهية في اختيار الفعل الذي تُبنى منه الصورة ؛ فالتفتت يدلُّ على الانتشار ، بمعنى أنَّ الليل تحول إلى كائن ممتزج بذات الشاعر ، متوحد معها . وهذا الشاعر جاسم الصحيح (1384هـ . ؟) يجعل الاهتمام بجزئيات الصورة والنظر إليها تكامليًا أمرًا لازمًا ؛ لأنه يحميها من التفتت ، ويجعلها تؤدي دورًا كاملاً ، ذلك أنّ الدور يتنامى تنامي الصور ، ففي قصيدته (أبها) [1] مشاهد تصويرية تتعاضد فيها الصور الجزئية ، لتنتهي إلى صورة كلية ، تحوي داخل إطارها مجموعة من المشاهد ، تكاملت في رؤية الشاعر قبل إبداعها شعرًا ، لتشكل مشهدًا واحدًا ، لكن سرعان ما تنبجس من هذا المشهد المتكامل في ذهن الشاعر ، صور جزئية ، تتوزع في النّص ، ليعيد

[1] الصحيح ، جاسم ، ديوان : (أولمبياد الجسد) ، ط1 ، مطابع الابتكار ، الدمام ، 2001م ، ص 183 .

المتلقي تمليها ، فيظفر بذات المشهد الذي تكمل في ذهن الشاعر ، ولنا أن نتأمل هذا التجزؤ ، الذي يولد باجتماعه التكامل في الصورة ، يقول الشاعر:[1]

أرى الطبيعةَ تستجلي أساورها	في معصميك متى عصفورُها طربا
وأقتفي موكب الأشجار في سفرٍ	ما بين زفْرةِ سفحٍ أو شهيقِ رُبا
فأنْثني بين أنفاسٍ مُرهقةٍ	كأنَّما عُتّقت في صمتها حُقُبا
وأسألُ المنحنى : كم عاشقين هنا	تطارحها في الحقولِ الشَّوق والعتبا
أنَّى رحَلْتُ أرى الغابات تَسْبقني	إلى المكانِ وتكسو وجهه عُشبا
والماءُ أغنيةٌ تمشي على قدمٍ	حولي ، وتكْنِسُ من أوداجي التَّعبا

ونستطيعُ أن نتمثل في قصيدة (مقعد في "أبو خيال ") للشاعر أحمد بن عبد الله التيهانيّ ، مثل هذه العلاقات بين الصور الجزئية ، التي لا نستطيع بدون إبقاء العلائق بينها ، استكمال المشهد الشعريّ الذي أراد النص نقله إلينا ، ولطول القصيدة آخذ مشهداً واحداً منها ، يحنُّ فيه الشاعر إلى مسقط رأسه (أبها) ، يقول:[2]

وبقية أسرارِ المشهد ....

تتثاءبُ أبها ..

و تغفو...

تتدثر معطفها الأسود.

لتذيبَ العاشقَ في ليلٍ

كالحضنِ الحاني للمُسْهَد

فغفوتُ

وحلمتُ بأنّي أحملها...

تَحْمِلُني...

أو...

ضاعَ المشهد

لكني أبصر آمالاً

تُدْخِلُها أبها في صدري

---

[1] الصحيح ، جاسم ، ديوان : (أولمبياد الجسد) ، مصدر سابق ، ص 183 .

[2] التهيانيّ ، أحمد بن عبد الله ، ديوان : (أماريق) ، ط1 ، نادي أبها الأدبيَّ ، 2000م ، ص 52 .

كالنَّارِ بروحي تتوقدُ

فإذا آمالي...

هي أبها...

ومن هنا يمكن القول أنَّ القصيدة يمكن أن تكون " صورة كبرى أو بناء ناتج من اندماج ذات الشاعر في الموضوع"[1]

وفي قصيدة (شاعر) [2] يحاول غازي القصيبيّ رسم صورة مركبة للحظة الأمل التي يغتالها الخوف ، كما يحاول لملمة الذات التي تتلاشى بين عنت الحظ العاثر ، فإذا كان الشاعر تقليديّ يجعل الليل معادلاً موضوعيًّا للشعر في تشبيهه البسيط ، فإنَّ القصيبيّ قد فتّتَ هذا الواقع ، واشتق من شعر محبوبته صبحا يخنق ظلمة الليل، وزج بـ (أنا) الشاعر بين هذا الصبح ، وذاك الليل ، موغلاً في رسم الحيرة التي يعيشها بين الأمل والألم ، واستمر في بناء هذه الصورة المعتمدة على المقابلات ؛ حيث الروح مقابل الوحش المفترس ، والبدر والنخيل مقابل الليل والمستحيل ، وبذلك تجاوبت أصداء هذه الصّورة ، وتضافرت أجزاءها ليكتمل دورها الحيويّ في صنع تلوين شعوريّ استطاع تحريك وجداننا وإثارة شعورنا ، يقول القصيبيّ:[3]

وارتمى شعْرُكِ فوقَ الليل

صبحًا من شموسٍ باهرة

وأنا أرقبُ صُبْحَ الليلِ

والرُّوح على أسنانِ فكٍّ قاهرة

كدْتُ...

لكن ... لا تقولي

رغم رقصِ البدرِ مابين النّخيل

رغم أنَّ الليلَ خِدْنُ المستحيل

لا تقوليها

فما جدوى الحروف الحادرة

---

(1) الرباعي، عبد القادر ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ط1 ، أربد/ الأردن ، 1980م ، ص212.

(2) القصيبيّ ، غازي ، المجموعة الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 786.

(3) المصدر السابق ، ص 786.

سَكِرْتُ بالبدر .. فانداحت على
الأفقِ بلا عقلٍ ... كما انداحت
خُطانا العاثرة

ويعدُّ الشاعر محمد العليّ (1932- ؟) من الشعراء العرب الحداثيين ، الذين اهتموا بالصورة الشعرية اهتمامًا كبيرًا ، وقد تعددت هذه العناية حدّا جعل من العليّ ليس شاعرًا رسّامًا فقط ، ولكنه شاعرٌ تشكيليّ ، يقدم لنا الصورة الشعرية بالألوان والأضواء .[1] ونقف على أحد نماذجه الشعرية ؛ ليتجلى لنا كيف ينجح في جمع العناصر المتباعدة في الزمان والمكان ، في صورة شعرية ، تتآلف فيها هذه الأشياء المتباعدة في إطار شعوري موحد ، يقول في قصيدة (أم غوران) مخاطبًا زوجته متشوقًا لها:[2]

لم يقلها فمي
قلتها بيدي
بغيومِ جبيني
ولكنّها لا تحبُّ اللغاتِ
سوى أن تكون
ولادةَ شيءٍ جميل
يغامرُ من أجله القلبُ
ولكنني لم أقلها : أحبُّك..

إلى أن يقول:[3]

وجئتُ كقطرةِ ماءٍ لحقلكِ يا أمَّ
غوران
هل تعرفين اللغاتِ إذا
اندحرتْ
هل تصبينَ ماءً على الماءِ؟

---

[1] النابلسي ، شاكر ، نبت الصمت : دراسة في الشعر السعوديّ المعاصر ، ط1 ، العصر الحديث للنشر ، بيروت ، 1992م ، ص 120 .

[2] المرجع سابق ، ص 278 .

[3] المرجع السابق ، ص 278 .

إنَّ اللغاتِ سرابيّةٌ فاعذريني

كما تعذرين الحقيقة

أو تعذرين

السّحاب.

إنَّ الشاعر محمدا العليَّ في هذه الصورة الشعرية لا يلتقي مع الواقع ، بل يتمرد عليه ، وينظر إلى الأشياء بإحساسه لا بعينه ، فهو يحوِّلُ الأشياء الطبيعيّة حوله إلى صورٍ فنيّة تحاكي ذاته ، وتتمازج مع أحاسيسه ، إنَّ صوره لا تجتمع في منطق الزمان أو المكان ، لكنها تجتمع في منطق الشعور ، حيث يشكلها تشكيًلا نفسياً متفقًا مع حالته الشعورية ، التي كان عليها بعد فقده لزوجته ، فإذا بالأشياء المتباعدة تتمازج في بنية صورته الشعورية.

لقد استخدم الشاعر أكثر من رمزٍ دلاليٍّ في المقطعين السابقين ، للتعبير عن حبِّه لزوجته وحنينه لها بل للتعبير عن حيرته في تلاشي ذاته ، فمن الرموز التي كثفها الشاعر زمانياً ومكانيًا ، وصهرها في بوتقةٍ شعرية واحدة : غيوم الجبينَ ، الولادة قطرة الماء ، السّراب ، السّحاب ، وقد استطاعت أن تعبر عن الحالة الشعورية التي تختلج في ذات الشاعر ، كما استطاعت أن تمزج بين الحقيقة المتمثلة في الشاعر وزوجته ، وما وراء الحقيقة المتمثلة في الشاعر والحياة ، وقد استغل الشاعر بعض عناصر الطبيعة في نقل أحاسيسه وإثارة مشاعرنا ، معتمداً على منطقٍ يتجاوز حدود الزّمان والمكان الطبيعيّ ، بينما يلتقي في منطق الشاعر.[1]

ونلتقي بالشاعر علي صيقل (1943- ؟) الذي يرسم بالتشخيص صورة الإبداع في الفن الشعريّ ، والتشخيص هو : " أن يخلع الشاعر الصفات والمشاعر الإنسانية على الأشياء المادية ، والتصورات العقلية المجردة ، فهو عملية نفسية صرفة ، تجعلنا في العمل الأدبيّ نمارس حياة حسيّة نتمثلها في الألفاظ " .[2] فيقول من قصيدته التي يحنّ بها إلى أمجاد الأمّة ومآثر الأجداد ، والتي يُذكّر بها ببدر الكبرى ، وبما حقق المسلمون من نصر في حرب العاشر من رمضان ، فيقول:[3]

بها التّاريخُ كم نـادى　　　وكم غذى بهـا سِفْرا

وكم غنّى بها طـرباً　　　وتاه بِذكْرهـا فخـرا

---

(1) انظر : النابلسي ، شاكر ، نبت الصمت / مرجع سابق ، ص 279.

(2) اسماعيل ، عزّ الدين ، الأسس الجمالية في النقد العربيّ ، ط11 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1995م ، ص 561 .

(3) صقيل ، علي محمد ، ديوان : (ترانيم على الشاطئ) ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1406هـ ، ص 46 .

فإن مرّت فما زالـت تضمخ أمسنا عِطرا

وتُفــعـمُ ليلَنا نــورا وتكْسو فجرنا سحرا

ففي هذه الأبيات ما فيها من الخيال المجنح ، والتشخيص البديع ، والتصوير الرائع . فالتاريخ ينادي ويغذي ويغني ويتيه....

وهذا الشاعر محمد عبد الرحمن الحفظيّ ينقل لنا رؤيته وتجربته الشعرية ، عن طريق التشخيص في صورة بصرية ، فقد أضفى على الأحلام والتاريخ صفات إنسانية ، مما منح صورته تلك الحرية والحياة ، والقدرة على التعبير عن جمال محبوبته ، يقول من قصيدةٍ مطولة يحنُّ فيها إلى ابنته (رهف) ويشكو غربته:[1]

وما لشعــري إلا أنت مَسْكَنُــه تملّكي بحروفِ القَلب ما كَتبا

ومن عيونـك أحلامٌ تُطاردنـــي وفي عـيونك تاريخـي الـذي هــربا

سنين غربتي ازدادت سوى زمـنٍ بطيـفِ وجـهــك ما أبــقاه مُغْتَرِبا

وفي اللقاء أحـاديثٌ سَيَكْـتُـبها حبري تعانق من أعطى ومـن شربا

تنهَلْتُ في خطواتِ العمر أجمله وجئـت مُعتَرِفَ الإحساس مُنْتَسـبا

فالأحلام عدو يطارده ، والتاريخ يهرب ، والأحاديث تعانق ، كلها صور تعمق لنا مدى تعلق الشاعر بابنته.

كما يلجأ الحفظيّ إلى الصورة السّمعية ، كي يبرز تلهفه وشوقه للقاء الحبيبة ، أو حتى الاكتفاء بسماع صوتها ، جاعلاً الهاتف إنساناً ينطق ويتكلم ، بينما هو يتشوق لسماع صوتها ينساب عبر الأثير ، يقول:[2]

يطولُ الصَّمتُ فاتنتي

ويحرقني انتظارُ الموعدِ الموهومِ

أُحملقُ حول الهاتفِ .. !!

أراقبه بكلِّ الشوق ... وأرجوه بأن ينطق

ويدركني ضياءُ الفجرِ!!

وينساني انتظارُ الحلمِ ...

دون رؤى..!!

---

[1] الحفظيّ ، محمد عبد الرحمن ، ديوان : (اشتعال الرَّمق) ، ط1 ، نادي أبها الثقافي ، 1998م ، ص 140

[2] المصدر السابق ، ص 88 .

فلم يتكلمْ الهاتف

ولم تتبسم اللحظات إلا في صدى الذّكرى.

وفي موطن آخر يلجأ الحفظيّ إلى نوع آخر من الصور الحسية ، ألا وهو الصورة الشميّة ، وذلك حين يتذكر الشاعر أيام صباه ومراهقته الأولى ، حين أهدت له حبيبته وردة ، وضعها في كتاب له ، وتمرُّ السنون ، فيجد نفسه يقرأ هذا الكتاب ، وإذا بالوردة عينها ، وقد جفّت أوراقها ، وضاع عبيرها الذي كان ، فاشتد شوقه وحنينه إلى الماضي الجميل ، بعد أ ن تكالبت عليه الذكريات، يقول: [1]

وردةَ الحُبِّ و الشَّقــا	والــزَّمــانُ الــمسَّــوفِ
وردةُ الشَّوقِ والــبراءةِ	والــمــوعــدِ الصَّفــي
أين أوراقُك النَّديــة	فالـعـطـرُ يَـخْـتَـفِــي
أين ألحانُك الــتي	شَغلت كُلَّ مِعــزفِ؟؟
وردتي... يــا قَصيدةً	صَـمـتتْ دون مُـنْـصِـفِ
قد عَصَرْتِ الجوى وإن	لــم تُـغَـنْي وتَـهـتِــفــي
وردتـــي ينزفُ الجوى	في اسودادِ الرؤى الخفي
ورق الــوردِ لا تمــت	فــوفـاءُ الــهـوى يَفــي
ورق الــورد قــد كفى	أنَّـــك الــرَّاحــلُ الــوفــي

ويجعل الشاعر أسامة عبد الرحمن (1942 . ؟) الصورة تموج بالحركة ، وتفيض بالحيوية الدافقة ، وترتفع إلى مستوى الإثارة ، والإيحاء حين تبدو حيّة فاعلة وليست مجرد صورة لا حراك فيها ، فهو يزاوج بين الطبيعة الصامتة المتمثلة في (الليل . النجم) ، والطبيعة المتحركة المتمثلة في (الريح) ، يقول مصوراً حالة مكة قبل أن تنعم بنور الرسالة السماوية ، والتي كان نزولها سبباً لمعاداة قريش للرسول ﷺ ومؤاذاتها له، وذلك من قصيدة يحنُّ فيها الشاعر إلى أمجاد الأمة وماضيها التليد يقول:[2]

وهناك في الطَّرفِ القصي الــنائي	والصَّمتُ مضطجعٌ على البيداءِ
والليلُ فــي أمِّ الـقُرى متـثــائبٌ	قــد لفّــهـا بغــلالــةٍ ســوداءِ
والرِّيحُ تهمسُ فــي الدَّيارِ بسِّــرها	وتــبــوحُ بالــخــافي من الأشيـاءِ

---

[1] الحفظيّ ، محمد عبد الرحمن ، ديوان : (اشتعال الرَّمق) ، مصدر سابق ص 60.

[2] عبد الرحمن ، أسامة ، ديوان : (شمعة ظمأى) ، ط1 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1403 هـ ، ص 70

والنَّجمُ يسري في الــدُّجى متثاقلاً   ويســيرُ نــحو الفجرِ في إبطاءِ

(فالتثائب ، والهمس ، والبوح ، والسُّرى ، والتثاقل ، والتصرف والإبطاء) صفات يتميز بها الإنسان ، والشاعر حين حشدها في الأبيات أرانا صورة حية لمجتمع أشبه بمجتمع الإنسان ، فالليل يتثائب ، ويتصرف ، ويمدُّ غلالته السوداء على الكون ، والريح تهمس وتبوح ، والنجم له إرادة قادرة على السير ، والأبطاء ، والتثاقل ،" وهكذا يُولِّدُ الخيال تشكيلات عديدة تبعًا لأحوال الشعور ، ودواعي النفس ، ولا شكَّ أنَّ لهذا البث ، والتحريك في أنسنة الوجود من الخلابة والسلطان على النفس ما له"[1]

وقد برع الشاعر في إشراك أكثر من حاسة في تلقي هذه الصور كالإحساس البصريّ ، الذي يدرك هذا الكيان الإنساني المتصرف في سيره وحركته ، والإحساس السمعيّ المدرك للبوح والهمس ، والإدراك الحركي المستشعر للحياة في هذه الأشياء والتفاعل داخل ذواتها مع الآخرين .

لقد تجنَّب الشاعر المباشرة الجافة في التناول ، واستعاض بالصورة الموحية المؤثرة التي تموج بالحركة والحياة ، وتفيض بالحيوية ، والقوة ، وتشع منها الألوان ، والظلال في شكل يتناسب مع طبيعة الغرض الذي يريد ؛ حيث رسم في هذه الأبيات صورة دقيقة لأم القرى ، قبل تنزل الوحي عليها ، وقد عمد في ذلك إلى حشد طاقاته الإبداعية في جانبها التصويري التشخيصي ، الذي تحول به المكان إلى عالم مفعم بالحياة بعد أن بثها الشاعر في أرجائه ، فغدا إنساناً مدركًا غافلاً ، له ما للبشر من طبائع وصفات.

وبناء عليه فإنَّ الصورة في شعر الحنين والغربة هي جوهر الشعر، وأداته القادرة على الابتكار ، وتجديد المعني ، ومنح الإيحاءات والإشارات والظلال العديدة ، وهو ما أشرنا إليه في ما سلف .

---

[1] أبو موسى ، محمد محمد ، التصوير البياني : دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط3 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1993م ، ص 277 .

2 – الموسيقى والإيقاع :

تعدُّ الموسيقى الشِّعريَّة من الوسائل الجوهرية والعناصر الأساسية في البناء الفنيّ للشعر عند جميع الأمم ، لذا يكاد يجمع دارسو الأدب على أنَّ موسيقى الشعر العربيّ هي أوزانه وقوافيه ؛ لهذا فإنَّ الشعر ضرب من الموسيقى " ذلك أن بين معنى الشعر وموسيقاه ارتباطًا حيويًا . وكلنا يعرف أنَّ معنى القصيدة قد يضيع تمامًا إذا ترجمت إلى كلمات منثورة ، فالمعنى في الشعر يتطلب موسيقى الشعر ، حتى نفهمه الفهم الكامل ، وحتى نتأثر به التأثر الواجب له "[1] ، لأنَّ " الصور والعواطف لا تصبح شعرية بالمعنى الحقّ ، إلا إذا لمستها أصابع الموسيقى ونبض في عروقها الوزن "[2]. ولا يغفل هنا دور الموسيقى كذلك في التأثير على المتلقي الذي يستقبل العمل الأدبي، حيث إنّها تؤثر عليه حتى ولو لم يدرك الأفكار التي يحملها النص ، ومرد ذلك إلى النغمات السحرية والإيقاعية التي تتوافر عليها هذا العمل الشعري[3]. ويعلل شوقي ضيف ذلك بكونها الوعاء الذي يتخلق في حناياه الشعر ، ويبلغ به المدى الذي يؤثر على نفوسنا ، وحواسنا ، ومشاعرنا ، وتنسيق خوالجنا تنسيقًا جيدًا [4].

وقد عرّف (كمال أبو ديب) الإيقاع بأنه : " الفاعلية التي تنتقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية ، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية.[5]

لذلك فقد حرص الشعراء . وشعراء السعودية جزء منهم . على أن يكون لشعرهم نغمٌ موسيقي يغذي المشاعر والنفوس ، ويمكن من خلاله التعبير عن تجربة الشاعر الذاتية ؛ إِذ يعدُّ " الوزن بينة هامة من بنيات التراكيب العام للتجربة ، وسبباً من أسباب الالتحام والالتئام ؛ فهو يسهم مع غيره من بنيات النّص في تصوير الوجدانيات من خلال إيقاعه الذي يُفترض فيه أن يكون منسجمًا مع السِّياق الشعريّ ، باعتبار الوزن جزءًا من الأسلوب الشعريّ العام في مفهوم الأسلوب الواسع "[6]

---

[1] النّويهيّ ، محمد ، قصة الشعر الجديد ، ط2 ، دار الفكر ، القاهر ة ، 1971م ، ص ، 20 .

[2] الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، مصدر سابق ، ص 58 .

[3] شوقي ، ضيف ، في التراث والشعر واللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978م ، ص 58 .

[4] ضيف ، شوقي ، فصول في الشعر ونقده ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، (د. ت) ، ص 302 .

(5) أبو ديب ، كمال ، في البنية الإيقاعية للشعر العربي الحديث ، ط2 ، دار العلم ، بيروت ، 1981م ، ص 230 .

[6] الحارثيّ ، محمد بن مريسي ، مجموعة الشعر العربيّ ، النشأة والتطور ، ط1 ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبيّ ، 1966 ، 497/2 .

وانطلاقًا من هذه الأهمية التي تمثلها الموسيقى في البناء الشعريّ ، يمكن تمييز نوعيين من الموسيقى في الشعر :

الأول : موسيقى خارجيّة ، تعتمد على الأوزان الشعرية ، وصوت القافية ، وحرف الرّوي .

والأخرى : داخليّة تنشأ من توالي الحروف في كلِّ كلمة من الكلمات المستعملة ، ثمَّ من الجرس المؤتلف الذي تصدره الكلمات في اجتماعها وتتابعها. وهذه الموسيقى تسهم مع الموسيقى الخارجية في إنماء التجربة الفينة ، ودفعها ، وسيكون تناول الموسيقى والإيقاع في شعر الحنين والغربة وفق هذين النوعين ؛ إذ تنهض البنية الإيقاعية عند الشعراء بالارتكاز علي حيوية الإيقاع – الدّاخلي والخارجي– وتشكيلاته الحركية ، والإيقاع:" تتابع منتظم لمجموعة من العناصر. "[1]

1- الموسيقى الداخلية (الإيقاع الداخليّ): وتعني :" الانسجام الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ، ودلالاتها ، أو بينها بعضها مع بعض [2] ، ومعنى ذلك : أن الإيقاع في هذا النوع الموسيقي ، يتمثل في الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على التفعيلات العروضية.[3]

وقد أطلق بعض الباحثين على هذا النوع من الموسيقى اسم (الموسيقى التعبيرية ؛ كونها ناتجة عن كيفية التعبير ، ومرتبطة بالانفعالات السائدة .[4] مما يجعل لها دورًا هامًا في التعبير ، والتلقي للشحنات الانفعالية ، التي مجال العمل الشعريّ.[5]

والقارئ لشعر الحنين والغربة عند شعراء المملكة العربية السعودية ، يستشعر انسياب هذه الموسيقى التعبيرية بإيقاعها الدّاخليّ في ثنايا كثير من ألفاظه ، وتراكيبه ؛ مما يعطيه إشراقه ، ووقدة تومي إلى المشاعر فتجليها ، وتُحسِّنُ التعبير عن ادقِّ الخلجات وأخفاها وسواء تمَّ هذا الإيقاع بوعي الشعراء ، أم بغير وعي أو إرادة مسبقة ، فإنَّ هذه الموسيقى قد أشاعت في

---

[1] العمري ، زهير بن حسن والقضاة ، محمد أحمد ، مكة المكرمة والمدينة المنورة في الشعر السعوديّ المعاصر ، مرجع سابق ، ص 398 .

[2] جعفر ، عبد الكريم راضي ، شعر عبد القادر الناصريّ : دراسة تحليلية فنيّة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1089م ، ص 279.

[3] المرجع السابق ، ص 280 .

[4] الورقي ، السعيد ، لغة الشعر العربيّ الحديث " مقوماتها الفنية ، طاقاتها الإبداعية ،ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1984م ، ص 160 .

[5] المرجع السابق ، ص 160 .

معالجات شعراء الحنين والغربة نغمًا إيقاعيًا متماوجًا مطربًا ، وقد توسل الشعراء السّعوديون فيها بعدد من الوسائل في سبيل إبرازها ، أهمها :

أ- الجناس : وذلك بما له من أثر موسيقي قوي ، ينبع من ترديد الحروف ، وتقابل الألفاظ المتشابهة ، وما يحمله من توقيعات جرسيّة نغميّة ، تتضافر مع دلالته في مخاتلة النفس ومخادعتها ، حين يتوهم السامع من أنَّ اللفظ قد أعيد عليه ، والمعنى قد كرر ، ثم يأتي اللفظ بمعنى آخر ، فيبعث في النفس الدهشة ، والإثارة ، والنشوة ، والطرب.

وقد عرف ابن المعتز الجناس فقال " هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ، أن تشبهها في تأليف حروفها".[1]

وجاء في (جوهر الكنز) عن فائدة الجناس أنَّ " تشابه ألفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلاً إليه ، فإنَّ النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين، وتتشوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظ ، فصار للتجنيس وقع في النفوس وفائدة "[2].

وقد جاء الجناس عند الشعراء السعوديين مطربًا ، سواء أكان جناسًا تامًا ،أم جناسًا ناقصًا ، فمن نماذج الجناس التام قول أحمد العربيّ (1915 . 1999م) مخاطبًا رجالات المسلمين وكبارهم:[3]

مهلاً سراة المسلمين خواطرٌ جاشت بهـن جوائشُ التّذكار

وقول أسامة بن عبد الرحمن مخاطبًا رسول الله ﷺ :[4]

يا من أقضَّى الجاهليّة وأثنى يمحو ظلام الجهلِ والجهلاءِ

وقول أحمد الموصليّ يتشوق إلى المدينة المنورة: [5]

إِنّها طيبةُ الحبيبةُ دومًا طيِّبَ اللهُ ربـعَـهـا وثـراهـا

وقول غازي القصيبيّ في الحنين إلى أبها: [6]

يا عروسّ الرُّبى الحبيبة أبها أنتِ أحلى من الخيال وأبهى

---

(1) ابن المعتز ، عبد الله بن محمد ، البديع ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت 1990م ، ص 25 .

(2) ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل، جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدب ذوي البراعة،(د . ط . د. ت)

(3) دغريري ، حسين بن حمد بن أحمد ، الهجرة النبوية في الشعر الحجازي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422هـ ، ص 475 .

(4) عبد الرحمن ، أسامة ، ديوان (شمعة ظمأى) ، مصدر سابق ، ص 73.

(5) قنديل ، أحمد ، مكتبتي قبلتي ، شعر وشعراء ، دار الرفاعيّ ، الرياض ، 1983م ، ص 194 .

(6) القصيبيّ ، غازي ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 554 .

الجناس الذي جاء بين (جاشت ، وجوائش) و (الجهل ، والجهلاء) ، و(طيبة ، وطيّب) و (أبها ، و أبهى) ، قد أشاع عذوبة نغميّة مطربة ؛ مما صعّد من النغمة الموسيقية في هذه الأبيات .

ومن الأمثلة على الجناس الناقص الذي اشتركت فيه الكلمات في أكثر الحروف فكان لهذا التكرار ترديدًا صوتيًا ينساب عبر البيت ، أو الأبيات التي ترد فيها ، قول الشاعر أحمد إبراهيم الغزاويّ في قصيدته (مأساة ومواساة). [1]

وَمَضَتْ بذلك ليلتانِ وما هما   إلاّ الـمَعـادُ بِـذرعِـهِ وذُعُـــورِهِ

وقول محمد حسن فقي في قصيدته (أمُّتنا الأرض):[2]

وغبيٌّ في كفِّهِ قصبُ السَّبْقِ   ويـزهـو به ... تـعـالـى السَّبوقُ

وقول أسامة عبد الرحمن: [3]

يا من أتى بالحقِّ وضاء السَّنى   كالشَّمسِ تَخْطِرُ في سنىً وسناءِ

وقد وقع الجناس في (ذرعه ، وذعوره) ، و(السبق ، والسّبوق) ، و (سنى ، وسناء) . فكان لهـا وقـعٌ موسـيقيٌّ تهتـز لـه الآذان و تـستمع بـه الأسـماع ، وتـأنس لـه النفـوس.

ب- رد العجز على الصدر :

ومن الحلي البديعية التي استخدمها الشعراء السعوديون في إثراء الموسيقى الداخلية (رد العجز على الصدر) أو ما يعرف اختصاراً بالتصدير ، وذلك بصوره المتعددة والتصدير هو :"أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين الملحقين بهما ، في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر الثاني " [4] ومن نماذج التصدير في شعر الحنين والغربة في ديوان الشعر السعودي ، قول الشاعر أحمد محمد جمال:[5]

فلا تبتئس فالفجر يخلفُ ليلنا   سنحمدُ مسرانا إذا طَلَعَ الفجرُ

فقد جاء الشاعر بكلمة (الفجر) في الشطر الأول ، ثمَّ أعاد عليها كلمة (الفجر) الثانية وهي نهاية العجز .

---

[1] الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، 3/ 1569.

[2] الفقي ، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 2 / 525.

[3] عبد الرحمن ، أسامة ، ديوان (شمعة ظمأى) ، مصدر سابق ، ص 72 .

[4] الصّعيديّ ، عبد المتعال ، بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1999م ، 77/4.

[5] جمال ، أحمد محمد ، ديوان (وداعًا أيها الشعر) ، ط1 ، منشورات نادي مكة الثقافيّ ، 1397هـ ، ص 34.

وقول الشاعر حسين سرحان كذلك:[1]

بما خلى آه لو كان على قدرٍ بما خلى فهو تفريقٌ وإرغامُ

حيث جاءت جملة (بما خلى) الثانية معادة على الأولى ، ولكنها لم تكن نهاية للعجز وإنما كانت فاتحة له .

وقول محمد حسن فقي:[2]

واجتوينا بها الحقوقُ وقد عادت سرابًا .. كما اجتوتنا الحقوقُ

يتهادى المرموقُ فينــا إذا عزّ وإن ذلَّ يَخْـتَفــي المرموقُ

حيث جاءت كلمتا (الحقوق والمرموق) في عجز البيتين معادة على (الحقوق والمرموق) في صدرهما ،وكان للطباق في (عزَّ وذلَّ) دورا مساندا للتصدير في إعطاء نغمة موسيقية مطربة في الأبيات .

جـ- التصريع : وهو- أيضًا- من الألوان البديعية التي تضفي على الشعر طابعًا خاصًا ونغمًا موسيقيًا متآلفًا ، وقد عرّفه ابن رشيق بقوله :" التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادة"[3]وهو واسع الانتشار عند شعراء الحنين والغربة السعوديين ، ويعتبر بذلك مقدمة موسيقية قصيرة ، لجأ إليها الشعراء السعوديون لتوفير الإيقاع الموسيقي الذي يمنح الأبيات جمالاً صوتيًا ومعنويًا ، بالإضافة إلى أنّه يستدل به من الوهلة الأولى على عالم الحنين والغربة قول الشاعر فؤاد شاكر في مطلع قصيدته (أنشودة الأمل الحزين):[4]

هو الحزنُ حتى ما تجفّ المدامعُ وحتّى يَرُدَّ البينُ مـا ليسَ راجعُ

هـــو الحـــزن لا لومَ نافـــــــــعٌ وهيهات لا رشدُ النواصحِ شافعُ

وقول الشاعر عبد السلام حافظ في قصيدته (الشوق يا وطني):[5]

داري وسرُّ الهوى الباقي وأوطاني ياطيبةَ النُّورِ يا روحي ووجداني

---

[1] المحسن ، أحمد عبد الله صالح ، شعر حسين سرحان : دراسة نقدية ، ط1 ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، 1991م ، ص 446 .

[2] فقي ، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 3 / 524 .

[3] ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل ، بيروت ، 1974م 1 / 173 .

[4] شاكر ، فؤاد ، ديوان : (وحي الفؤاد) ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، جدّة ، 1967م ، ص 287

[5] حافظ ، عبد السلام ، ديوان : (الفجر الراقص) ، ط1 ، القاهرة ، 1963م ، ص 19 .

وجـاء التـصريع أيـضًا فـي مطلـع قـصيدة الـشاعر إبـراهيم الـدامغ ، (عيـد الأم):[1]

عيدٌ يعودُ ببسمةٍ وعـــناقِ وطـهـارةٍ ومـحبةٍ وتـلاقـي.

وقول محمد العيد الخطراوي:[2]

قالت وفي صَوْتها سِحْرُ الأغاريدِ وروعةُ الفجرِ في لإطلالةِ العيد

د– التدوير : وهو أن يشترك شطرا البيت الشعريَّ في كلمة واحدة بأن يكون بعضها من الشطر الأول ، وبعضها من الشطر الثاني .[3] ونماذجه كثيرة ، ونكتفي بالتمثيل عليه بقول حمزة شحاته في قصيدته (جدّة): [4]

مُقبِلا كالمحبِّ يدفـعه الشّو قُ فَيُثْنيه عن مناه العقـــوقُ

حمّلته الأمــواجُ أغنية الشّـ طّ ، فأفضى بها الأداءُ الرَّشيـقُ

نغماً تُسْكِرُ القـــلوبَ حميًّا هُ ، فَمِنْهُ صبوحها والغبـــوقُ

فيه من بحرك التّرفقُ والعنـ فُ ومــن أفقكِ المدى والبريـقُ

إِننا هنا أمام غناء ، وليس من شك ، في أنَّ هذه الغنائية ، ببعدها الجمالي الصّافي ، تتصل لدى حمزة شحاته ، بوعي مكين بالموسيقى والعزف على العود ، ولم يكتفِ بأن يكون واحدًا من المعدودين في الحجاز بالبراعة النادرة في هذا العزف ، وإِنّما عكف على دراسة الموسيقى العربية ، مقامات وأنغامًا ومصادر لهذه المقامات والأنغام وتاريخها [5] وإنما دراسة فنية ، نقف فيها على أهمية هذه المحسنات ، في الرقي بذوق الشاعر وإيقاعه الداخليّ ؛ إِذ " تُحْسّنُ إذا طلبها المعنى واستدعاها المقام ، وكانت غير متكلفة ، وكانت في موضعها المناسب ، أمّا إذا كثرت في الكلام جنت على المعنى ، وقللت من جمال الأسلوب وروعته، ولم تفد السامع كبير فائدة "[6] وقد زاد الشاعر السعوديّ في الدفقات الإيقاعية الموسيقية الداخلية عند استخدام المحسنات في موضعها المناسب عرضًا وبلا تكلفٍ ، فكانت كأنها ضربات الدفوف داخل الأصوات الموسيقية المتناغمة ، بفضل الإجادة في حياكة ضروب البلاغة.

---

[1] الدامغ ، إبراهيم ، ديوان : (شرارة الثأر) ، دار العلوم ، القاهرة ، الرياض ، (د. ط . ت) ص 95 .

[2] الخطراوي ، محمد العيد ، ديوان: (همسات في أذن الليل) ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1397هـ ، ص 138.

[3] عبد الدايم ، صابر ، موسيقى الشعر العربيّ بين الثبات والتطور ، ط3 ، مكتبة الحانجي ، القاهرة ، 1993م ، ص 61

[4] شحاته ، حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 67 .

[5] ضياء ، عزيز ، حمزة شحاته : قمة عُرفت ولم تكتشف ، ط1 ، المكتبة الصغيرة ، الرياض ، 1977م ، ص 5 .

[6] فريد ، عائشة حسين ، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ، ط1 ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2000م ، ص 14 .

وللتدليل على ذلك نتمثل بأبياتٍ للشاعر حسين سرحان قالها في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، يقول:[1]

عامٌ بأيَّة بُشرى جِئت يـا عـــــامُ — لم يَخْلِفْ الحربَ لإيمـانٌ وإسـلامُ
بما خلى آه لو كـنا عـلـى قــــدرٍ — بما خلى فهـو تفريــقٌ وإرغـامُ
وليس في العام مـرجاتـي ومـسألتي — كلا فمن صُنْعِكَ الإنسانُ والعـامُ
وكيف والعام في الإبـرامِ لـيس لـه — نقضٌ وليست له في النقضِ إبرامُ

لقد ملأ الشاعر أبياته السابقة بالمحسنات البديعية ، حينما كرر لفظة (العام) خمس مرات اولاً ، وجانس بين (العام والعام) جناسًا تامًا ، كذلك بين (بما خلى ، بما خلى) ، وجانس جناسًا ناقصًا بين (عدم ، عدما) ، وعمد إلى الطباق بين(مقيم ومنصرم) و (يهون ويعظم) ، و (نقض وإبرام) ، وعمد إلى رد الأعجاز على الصدور في البيتين الثالث والرابع ، والتصريع في البيت الأول ، وبإنعام النظر في الأبيات السالفة ، نجد أنَّ الإيقاع الداخلي قد تحقق حسب معطياتٍ معنوية ونفسية وقدرة فنية ، وذلك خلاف تعدد البلاغة في الأبيات السابقة .

2- الموسيقى الخارجية (الإيقاع الخارجي): وقد سبق القول في أنها تتمثل في الوزن والقافية والرويّ ، والتي هي أبرز الفوارق ، وأشدها وضوحاً بين الشعر والنثر . لقول قدامة بن جعفر في تعريفه للشعر بأنّه " قول موزون مقفى يدلّ على معنى"[2] وعدّها ابن رشيق "أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية"[3] وستتناول الدراسة كلَّ مكوّن على حده ، حيث نبدأ بـ :

أ – الوزن :

وهو أبرز ميزات الشعر وأبينها في أسلوبه ، ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل ، وعن طريق ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها.[4] ولشعر العربي أوزان بلغ عددها ستة عشر بحرًا ، منها الطويل والبسيط والمديد والوافر والهزج والسريع والخفيف والرمل .... الخ

---

[1] المحسن ، أحمد عبد الله صالح ، شعر حسين سرحان : دراسة نقدية ، مرجع سابق ، ص 446 .

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 68.

[3] ابن رشيق ، العمدة ، مصدر سابق ، 1 / 134.

[4] الجعيد ، عطا الله بن مسفر بن مصلح ، الوطن في الشعر السعوديّ الحديث ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2001م ، ص 30 .

وقد نظم الشعراء السعوديون في مجال الدراسة. أكثر قصائدهم في قوالب البحور الخليلية ، طويلها وقصيرها ، تامها ومجزوءِها ، و تفاوت في استخدام هذه البحور من حيث الكثرة والقلة، فمن خلال الوقوف على النتاج الشعري الذي تهيأ للدراسة في شعر الحنين والغربة ، اتضح أن الشعراء السعوديون قد وظفوا عدداً من البحور الشعرية جاءت عليها معالجاتهم الشعرية ، سواء ما كان منها شعرًا عموديًا ، أو مقطعيًّا ، أو شعرًا تفعيليًّا ؛ إذ كانت البحور : (الطويل . البسيط . الكامل . الخفيف . الرمل . الوافر . المتقارب . السريع) أكثر حظًا من بحور : (المديد . المتدارك . المضارع . المقتضب . المجتث . المنسرح) ، حتى ليكاد بعضها يكون معدومًا في توظيفه الشعري.

وبالمجمل فإنَّ المعاني التي يتناولها شعر الحنين من : وصف للديار ، أو إخبار عن الذات ، أو تلهف على مفقود ، أو تذكر لعهد مضى ، أو بكاء على شيء ، إِنّما يدخل ذلك في باب الشرح والتفصيل ، وهو ما تحتمله البحور الطويلة ، كالطويل ، والكامل ، والبسيط ، والخفيف .[1] وتخالف الدراسة هذا الرأي متفقة مع القول بأنّ "الشعر فيض تلقائي لمشاعر قوية ، والشاعر عندما تحدثه نفسه بالشعر ، لا يضع في اعتباره بحرًا أو قافية وإنما يأتي هذا طواعية ليلاءم أحاسيسه وانفعالاته ، بحكم أنّ الوزن والقافية جزء لا يتجزأ من العمل الشعريّ ، وبحكم أنّ الصوت الموسيقي ليس لحنًا خارجيًا يقدر ما هو عضو متفاعل وعنصر ملتحم مع بقية عناصر النَّصَ الشِّعريَ"[2].وأنماط التشكيل الوزنيّ في شعر الحنين والغربة هي :

1- الشعر العاموديّ :

ونقصد به النوع الذي جاء على الشكل الموروث ، أو ما أصطلح على تسميته بعمود الشعر العربيّ ، الذي يلتزم الوزن والقافية ، بحيث تأتي القصيدة على وزن واحد ، وقافية واحدة ، وهو الذي التزم به أكثر شعراء الدراسة ، ونظموا عليه قصائدهم ، ويأتي ضمن هذا النوع الأشكال العروضية الملتزمة بالوزن ، لكنها تأتي وفق نظام قانوني معين ، وهو ما عرف بالمثلث والمخمس والمسدس ونحوها من المصطلحات ، من نماذج الرباعيات قول محمد حسن فقي في قصيدته (الاء الحبّ) التي يقول في مطلعها:[3]

---

[1] الخليلي ، مها روحي إبراهيم ، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة 635- 897هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية/نابلس ، 2007م ، ص 196.

[2] نافع ، عبد الفتاح صالح ، عضوية الموسيقى في النّص الشعري ، ط1 ، مكتبة المنار ، الزرقاء / الأردن ، 1982 ، 2 .74

[3] الفقي ، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 542/8.

تَمَنْيتُ روحَك تربا لروحي

بعالي الدُّرا وبداني السفوحِ

فأنتِ غبوقي وأنتِ صبوحي

تمنيُ هذا بروحي السَّجينْ

وفي هذه القصيدة يقول:[1]

أيا حبٍّ يا صاحبَ المَكْرُماتْ

تضيءُ الحياةُ وتهدي الغواةْ

وتأبى الأجاجَ .. وتُرْضي الفُراتْ

فما أعذبَ الوِرْدَ للظّامئينْ

وفي موضع آخر يقول:[2]

سأقْسِـــــمُ مالــــــي وأُعطيكــــهُ	وأعطيك من مجدي المستطــاعْ
لأمِّتي العقيلـــةِ دَيْنٌ ثقيـــــــلٌ	فقد نولّتـــي كريـمَ المتــــاعْ
حمتني ولاقيت منهـــا الحنــــــوَ	ومن غيرها قد لقيتُ الصِّـــراعْ
سأذكر مـا نلت مـــن برِّهـــــا	وأنسى اضطهادًا وأنسى ارتياعْ

ومن المربعات قصيدة (لوحة) لأحمد مطاعن (1927 .؟) حيث جاءت كلها على نظام مقطعــي يتكــون كــلُّ مقطــع فيــه مــن أربعــة أبيــات ، علــى وزن واحــد ، ومنهــا:[3]

هناك على الرَّبوةِ العاليةْ	وفي فئةِ العـرر الحانيــــةْ
بظلِّ البشامِ وفي الغمامش	لدى الزَّهرِ والأعين الجاريةْ
وعند الصَّباحِ النّقي النّدي	مع النَّسْمةِ البكرِ والشّاديـة
تركتُ فؤادي بتلـــك الرُّبى	وأودعته الحـــرُّةُ الغاليــــةْ

وأمّا المخمس فمن نماذجه قول عبد السلام هاشم حافظ ، في قصيدته (رفضٌ للمأساة)" [4]:

ميلادُ أرضي ... عيدُها رقَّتْ رؤاهْ

وتطلعت لغدٍ ... تُغنيها الشفاه

يا عالم الإنسان حَقُّكَ شعشعت

---

[1] المص الفقي ، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 8 / 542 .

[2] المصدر السابق ، 8 / 430 .

[3] مطاعن ، أحمد ديوان : (دورة الأيام) ، نادي أبها الأدبي الثقافي ، 1411هـ ، ص55 .

[4] حافظ ، عبد السلام هاشم ، ديوان (أغنيات الدّم والسلام) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1970م ، ص93

أضواؤه .. بنا تلألأ في علاه
وإذا ارتقى شَعْبٌ تمجده الحياة .

وجاءت قصيدة (تحية تونس)[1] لحسن عبد الله القرشيّ على نظام المخمسات ، وهي في سبعة مقاطع ، كل مقطع يتكون من خمسة أبيات ، على وزن واحد ، وبقافية مختلفة ، نأخذ منها:[2]

في تونسَ الخضراءِ أينع خاطري واخضرَّ أَمْسي
بَيْنَ الجبالِ الشُّمِّ ملحمةٌ تهيبُ بَعَبْدِ شمسِ
بَيْنَ الجِبالِ تألقت روحُ الفتوحِ وطاب غرسي
فهنا يقينُ النَّصر لا دنيا سماديرٍ وحَدْسِ
إنِّي أعيشُ هنا معَ التَّاريخِ في أيامِ عُرْسِ

ومن السداسيات قول الشاعر عبد الرحمن السويداء في قصيدته (أبها):[3]

يا طيرُ أحييتَ في قلبي صبابته عَزَفْتَ لحنًا فأبدعت الأغاريدا
أنغامُ صوتك تدنيني وتبعدني لذكرياتي بأحلاهنَّ ترديدا
ولفظك الريشُ غبَّ الطّلِّ في مهلٍ نثرت درًّا بجوفِ البحر ما صيدا
ففي جمالكَ أسماطٌ مُرتَّبةٌ زينت من نظمها زوجا وتفريدا
يبينُ من نظمكِ المنثور أملحه أتقنت عقدًا يُحلّي النَّحرَ والجيدا

2- شعر التفعيلة:

وهو ذلك اللون الحديث من الشعر الذي اصطلح على تسميته بالشعر الحرّ ، والذي يقوم على وحدة التفعيلة مع تفاوت في عدد التفعيلات في الشطر الشعريّ دون التزم بالقافية ؛ إذ إنَّ الشاعر مخيّرٌ في الإتيان بها أو التحرز منها .[4]

ومن شعراء الدراسة من نظم قصائدَ على الشكل التفعيليّ ومنهم روّاد كبار في ديوان الشعر

---

[1] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، 2/ 551 . 554 .

[2] المصدر السابق .2/ 551- 554.

[3] القرني ، منصور بن فازع بن أحمد ، أبها في الشعر السعوديّ المعاصر: دراسة موضوعية فنية ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2005م ، ص 264.

[4] انظر : علاق ، فالح ، مفهوم الشعر عند روّاد الشعر العربي الحر ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2005م ، ص 80، وعطية ، عبد الهادي عبد الله ، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي ، ط1 ، بستان المعرفة ، كفر الدّوار ، مصر ، 2002 م ، ص 24 .

السعوديّ كمحمد حسن عوّاد وحمزة شحاتة ، ومحمد حسن فقي ، وأحمد قنديل ، وغازي القصيبيّ ، وحسن عبد الله القرشي وغيرهم .فمن نماذج ذلك قول حمزة شحاتة يحنّ إلى ذكريات الزمن الماضي :[1]

أتقولُ قد طالَ الطَّريق؟

نعم لقد طال الطَّريق

وأيَّ شيءٍ لم يطلْ

في رحلةٍ بدأتْ ولم تّجِدْ الختامْ

الوعرُ والوعثاءُ والظَّلماءُ

والأملُ البعيدْ

والذِّكريات مضى بها

عَبْرَ الفضاءِ إلى الظّلامْ

مدىً سحيق

والأيْنُ والعثراتُ

والزَّمنُ العنيدُ

نَعَم وسخرية النجومِ بنا

بأحلامِ العبيدْ

تخوضُ معركة الظَّلامْ

إلى سنى الفجرِ الجديد

قُلْ يا صديقْ

ألا ترى في حِلْمِك الفجرَ الجديد؟

وقول الشاعر القرشيّ مخاطبًا محبوبته:[2]

أتسأليني مِعْبرا ، لا تسألي

تَحْضِنُها شواطئُ الحرمانِ والّضِياع

أَعيشُ لا متاع

وليس لي من زاد

---

[1] جوهرجيّ ، محمد إسماعيل ، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة : مصادر النوتة الموسيقية ، مصدر سابق ، 542/3.

[2] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 454451/2.

في زحمةِ الحياةِ غيرُ لحني الجريح

وغير وجهك الّذي بدا كواحةٍ منَ التَّرف

لأنني عِشْتُ في رحلتي عِشْتُ بر هدف

ونلتقي بنصٍّ للشاعرة شريفة أبو مريغة تعاملت فيه به الشاعرة بنفس أسلوب النصوص العمودية ، وهو لا يختلف عن أيِّ نصٍّ عمودي في الوزن والقافية ، تقول:[1]

يا زمانَ النّازحينْ

طالَ في القلبِ ولوغُ النّازحين

عِشْقُنا النابضُ في أرواحنا نارٌ ونورْ

شوقُنا الرابضُ في أعماقنا وَهَجٌ يمورْ

يا زمانَ النازحين ... عدْ بنا حيثُ بدأنا

قَبْلَ أن تودي بنا حُمَّى الحنينْ

أيُّ شيءٍ نَحْنُ إنْ ظلَّ النّزوح

عاصفًا يجتحُ أَمْنَ الحالمين

3- المزج الإيقاعي :

ومن الألوان الإيقاعيّة في شعر الحنين والغربة ما يزاوجُ فيها أصحابها بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة ، بحيث تختم القصيدة بأبيات من الشعر العمودي ، أو تتخلل القصيدة بعض المقاطع الشعرية من هذا الشعر.

ومن نماذج المزج الإيقاعي في شعر الحنين والغربة ، قول الشاعر سعد البوارديّ مخاطبًا محبوبته / الوطن:[2]

ما أسوأ أن تمنحنا الدُّنيا

أجمل ما فيها ...

لَحْظَتَها تَحْجُبْهُ عنا

اَسْلُبْهُ من ...!

لمن الغرامُ خـــميلةٌ .. وصِداحُ

لمن الهـــوى أغرودةٌ وملاحُ

---

[1] أبو مريغة ، شريفة ، ديوان: (وجئتُ عينيك) ، ط1 ، النادي الأدبيّ بالرياض ، 1996م ،ص37.

[2] البوارديّ ، سعد ، ديوان : (حلم) ، ط1 ، الناشر : محمد عبد المقصود خوجة ، جدة ، 2000م ، ص 22 .

إني عرفتُ الحبَّ حَكمـا جــائرًا

فــي كَفِّهِ للعاشــقـينَ رِمــاحُ

ما خلتُ قَبْلته ارتمتْ في وجنتي

يومًا ... وأعقبَ دمعَــتي أفراحُ

وكذلك قول حسن عبد الله القرشيّ ، يدعو محبوبته لكي ينطلقا معًا في أجواء الفجر الندية ، إلى نَسائم الرياض، حيث الزهور الفوّاحة بعطرها ، والأشجار المائلة بأغصانها ، يقول:[1]

غرَّد الفجرُ يا حبيبي   واستهام النُّورُ في روْضي الرَّطبِ

قبلاتُ الزَّهرِ سحرٌ مستطير

ونسيمُ الوردِ عِطرٌ وعبير

والدُّنى حُبٌّ تناهى شعور

فإلامَ الصَّدُّ؟

عن أليفِ الودِّ؟

والجفا والبُعدِ؟

وفؤادُ الصَّبِّ يشدو كالغريبِ   غرَّد الفجرُ فيها يا حبيبي

ومن هذا التمازج الإيقاعي ، قول الشاعر علي آل عمر عسيري (1372هـ . 1428) متغزلاً بمحبوبته ، متشوقًا لها:[2]

بَيْنَ إيحاءاتِ شمسٍ غــاربة   وظلالي في الرَّوابي هاربة

مَرَّ شاعريٍّ ناطـــــــقٍ   وعقـولٍ في المعاني ذاهـبة

مَرَّ بي ظبيٌّ محنى

يتعالى ... يتثنى

يتهادى ... يتأنى..

قلتُ من أين؟؟

فدتك الرُّوحُ أَقْبلْتَ ... وأنَّى؟

....

ما تــقولين أتبقين معـي؟   أسألـقـاكِ فأنَّــى ومتى؟

---

[1] القرشي ، حسن عبدالله ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، 165/2.

[2] القرني ، منصور بن فازع بن أحمد ، أبها في الشعر السعودي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 269.

شردَ الظَّبيُّ وأبها صَمَتْ   ولساني منهما قَدْ صَمتا

ب – القافية : وهي من العناصر المكملة للإيقاع الخارجي (الموسيقى الخارجية) . ولها " ترنيمة إيقاعية خارجية ، تضيف إلى الرصيد الوزني طاقة جديدة ، وتعطيه نبراً ، وقوة جرس ، يصبّ فيها الشاعر دَفْقهُ ، حتى إذا استعاد قوة نَفَسه بدأ من جديد ، كمن يجري على شوط محدد ، حتى إذا بلغة ، استراح قليلاً لينطلق من جديد. "[1]

وقد حدّد الخليل بن أحمد إطارها في تعريف جامع أصبح عمدة الدارسين للقافية ، إلى يومنا هذا ، وهو :" ليست القافية حرف الروى ، ولا الكلمة الأخيرة من البيت ، ولا البيت نفسه ، بل هي : الجزء الأخير من البيت المحصور بين آخر ساكنين ومتحرك قبلها".[2]

ونلحظ أنَّ الفراهيدي قد فصل القافية عن الروي ، وهو ما ستسير عليه هذه الدراسة ، إذ سنتناول الروى منفصًلا عن القافية .

ولن ندخل في تفاصيل حدود القافية وجوازاتها ، وعيوبها ، إنما الذي يهمنا هنا أن ندرك أنَّ القافية جزء إيقاعيّ خارجيّ متمم للوزن ، ومساهم في ضبط نهائيات الأبيات.

فالقافية " مهمة جداً موسيقيا لأنها تعطي السامع الصوت المنسق الذي تتوقعه أدناه"[3] وهي تشكل القمة في الأداء الصوتي للوزن الشعريّ ، وفي التركيز النهائي للوزن"[4] وقد تنوعت القافية في شعر الحنين والغربة عند الشعراء السعوديين تبعًا لتنوع الشكل الشعري الذي عالج به الشعراء السعوديون الحنين والغربة ما بين شعر مقطعيّ ، شمل– كما مرّ بنا– الرباعيات والمخمسات والسداسيات ، وشعر التفعيلة ، ومع هذا التنوع إلا أنّه يمكن القول إنَّ القافية في شعر الحنين والغربة في الشعر السعودي المعاصر قد جاءت في أربعة أشكال هي:

1. قوافٍ مفردة ، وهي الغالبة في معظم نماذج شعر الحنين والغربة.
2. قوافٍ متعددة ، جاءت على خلفية التنوع والتغيير ، فالشاعر هنا لا يلتزم بقافية واحدة حتى لا يتقيد بها .
3. قوافٍ مطلقة : وهي ما جاء حرف الروي فيها متحركًا.
4. قوافٍ مقيدة : وهي ما جاء حرف الروي فيها ساكنًا.

---

[1] الوجيّ ، عبد الرحمن ، الإيقاع في الشعر العربي ، ط1 ، دار الحصاد ، دمشق ، 1989م ، ص 71 .

[2] حقي ، ممدوح ، العروض الواضح ، ط14 ، دار الحياة ، بيروت ، 1970م ، ص 115 .

[3] خفاجيّ ، محمد عبد المنعم ، القصيدة العربية بين التطوير والتجديد ، ط1 ، دارا لجيل، بيروت ، 1414هـ ، ص235

[4] كشك ، أحمد ، القافية تاج الإيقاع الشعري ، ط1 ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، 1985م ، ص 145

وقد جاءت أغلب قصائد الحنين والغربة من النوع الثالث ، وهي القافية المطلقة . فالتقيد للقافية مع قلة شيوعه في الشعر العربي عامة مقارنة بالإطلاق ، يحبس التدفق الشعريّ ، ويحدّ من امتداد الصوت و النَّفس بخلاف تحريك القافية وإطلاقها ، الذي يتيح امتداداً أكبر للصوت ، يفرغ به الشاعر فيضًا أكبر من شحناته العاطفية ، ودفقاته النفسية ، التي يحاول من خلالها التعبير عن شدة وقع المعنى الذي يعالجه وجدانه ... مما يجعل القافية المطلقة أنسب له ؛ فهي أوضح في السمع ، وأشدّ أسرًا في الأذن .[1] والنماذج على القوافي المفردة في شعر الحنين والغربة كثيرة ومتعددة ، مثلها مثل القوافي المطلقة ، ونقف على نموذج واحد من كلتيهما ألا وهو قصيدة (قبس من الهجرة) التي لجأ فيها الشاعر حسن عبد الله القرشي إلى تحرير القافية من قيد سكون الحركة ، ومدّ الصوت من خلال حرف
الإطلاق الألف ، الذي لحق تأخر الروي فيها ، مما أدى إلى تفاعل المتلقي مع النغمات الموسيقية المتتابعة ، وانتشائه بذكريات الهجرة ، وتفاعله معها ، يقول:[2]

صفَّقَ الوجدُ في الفؤادِ وغنّـــى وتجلّى الحنينُ في النَّفسِ لَحْنــا

إِيه يا ذكـرياتُ من أين ضاعت صورٌ منك تتركُ النَّفسَ مُضنَى

تبعثُ الماضي المجيدَ لعينـــي صفحاتٍ تشعُّ نورًا وحُسْنـــــــا

هو ماضٍ من البطولاتِ قد صيـ ـغ، وشيـدت به المكارمُ حصنــا

ومن نماذج القافية المتعددة قصيدة (أنا في طيبة) للشاعر محمد العيد الخطراويّ ، والتي جاءت على بحر الخفيف التام ، وتكونت من أربعة مقاطع متساوية في عدد الأبيات ، حيث بلغت أبيات كلَّ مقطع أربعة عشر بيتًا ، وفي كلِّ مقطع اعتمد الشاعر على حرف روى مُلتزم متكرر فيه .

وجاء المقطع الأول على حرف اللام المكسور:

أنا في طيبةَ آتيهُ على الدّهـ ـرِ وأمشي على رؤوس الليالي[3]

وجاء المقطع الثاني على حرف النون المكسورة :

أنا في طيبة وزهوري مزيجٌ من طموحٍ ومَحْمَلٍ للأماني[4]

وجاء المقطع الثالث على حرف الراء المكسور :

---

[1] انظر : أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشعر العربي ، ط4 ، دار القلم ، بيروت ، ص 281 .

[2] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 1 / 294.

[3] الخطراويّ ، محمد العيد ، ديوان : (تفاصيل في خارطة الطقس) ، نادي المدينة المنورة الأدبيّ ، 1411 ، ص 7 .

[4] المصدر السابق ، ص 10 .

أنا في طيبة وقلبي شوقٌ وحنينٌ لمطلعِ المُختارِ [1]

وجاء المقطع الأخير على حرف الهمزة المكسورة :

أنا في طيبة وعيني تسعى خَلْفَ رِكْبِ الرَّسولِ في استهداءِ [2]

وقد بدأ الشاعر كل مقطع من مقاطعه الأربعة بما يشبه اللازمة الشعرية من خلال جملة : (أنا في طيبة) ؛ وكأنه يستمد من هذه الجملة تدفقه الشعوريّ الذي يحشد به طاقاته التعبيرية ، لتصوير المشهد الذي يتناوله ، كما أنّه حافظ على وتيرة إيقاعية واحدة سرت في جميع المقاطع من خلال التزامه ببحر واحد هو بحر الخفيف ، ومن خلال التزامه بنظام التقفية الموحد في كلِّ مقطع ، إضافة إلى التزامه بحركة واحدة وهي حركة الكسر ، التي حكمت جميع حروف الروي المتعددة ، وكلُّ ما فعله الشاعر أنَّه نوَّع في حروف الروي.

والنماذج على القوافي المقيدة متعددة في شعر الحنين والغربة ، ولكنها تبقى أقل من القوافي المطلقة ، فمن نماذجها قصيدة (بسمة أمل) للشاعر محمد إسماعيل جوهرجي ، والتي يحنّ فيها إلى عهد الصِّبا والشباب ، وإلى عشق فيه رقة وهمس لطيف ، وإلى أيام شدت فيها الطيور بسعادة ، يقول: [3]

تذكرتُ عهد الصِّبا والشَّبابْ وحُلمًا عـزيزًا تـولَّـى وشبـابْ

وصبْوَةَ عِشقٍ رقيق المُنـى وهـمسًا شفـيفًا نَديًّا مُـذابْ

وَغِنْوَةَ طيْرٍ عـلى أيكـهِ تـفيضُ مـن الحُسْنِ لحنًا عُجابْ

وقول غازي القصيبيّ في قصيدته (أماه): [4]

هل تذكرين وأنـتِ فـوق الحُزنَ في دنيا المـلائكْ

كم كِدْتُ في فجر الرَّحيلِ أفرُّ خوفًا من وفـائـكْ

تمضي ويرتعش الأسـى سُحُبًا تحومُ علـى سنائكْ

جـ- الرويّ : وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، ويلزم التكرار في كلِّ بيت منها في موضع واحد ، وهو نهايته ، وإليه تنسب القصيدة ، فيقال لاميّة ، أو نونيّة ، أو سينيَّة ، وغير ذلك.

---

[1] الخطراويّ ، محمد العيد ، ديوان : (تفاصيل في خارطة الطقس) ، مصدر سابق ، ص 12 .

[2] المصدر السابق ، ص 15 .

[3]) جوهرجي ، محمد إسماعيل ، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة ، مصدر سابق ، 32/3 .

[4] القصيبيّ ، غازي ، معركة بلا راية ، مطابع دار الكتب ، بيروت ، 1971 م ، ص 277 .

وفي مجال الروى تحدث النقاد عن حروف جميلة الجرس ، لذيذة النغم ، كالهمزة ، والباء ، والدال ، والراء ، والعين ، واللام ، والنون ، وأخرى ثقيلة النغم مثل : التاء والثاء ، والذال ، والشين ، فقالوا مثلاً : الباء والراء للغزل والنسيب ، والميم للوصف والخبر. [1] وللحديث عن هذه الحروف في الحنين والغربة في الشعر السعودي ، وبعد استقراء النصوص المستشهد بها في هذه الدراسة ، والتي جاءت على عمود الشعر العربي وعددها مئة وسبعة وثلاثون نصاً ، كانت حروف الروي حسب الجدول التالي :

حرف الروي	التكرار
النون	27
الراء	26
الباء	20
اللام	13
الميم	12
القاف	12
التاء	7
الكاف	5
الحاء	4
العين	4
الهاء	4
السين	3

ومع عدم اقتناع الدراسة بتلك الدراسات التي تحدثت عن روي خاص لكلِّ غرض من الأغراض الشعرية ، وحروف لينة الجرس ، وأخرى ثقيلته ، إلا إنَّ الدراسة ترى شيئا من الصحة فيما ورد من ذلك حين نستقريء النماذج التي تمَّ دراستها من الشعر الخاص بالحنين والغربة في الشعر السعوديّ ، و كما يظهر في الجدول ؛ فالحروف الثقيلة تكاد تكون معدومة في روي القصائد بخلاف التاء والقاف ، في حين كانت الحروف اللينة هي المسيطرة ؛ لأنَّ شعر الحنين تعبير عن خلجات للنفس ، واندفاع للعواطف ، وتصوير لأحاسيس كلها رقّة، وكفى أن يكون الحنين في تعريفه يعنى الرقة.

---

[1] الشايب ، أحمد إسماعيل ، أصول النقد الأدبيّ ، ط6 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960 م ، ص 331 .

3 ـ اللغة والأسلوب :

تعدُّ اللغة البيئة الأساس التي تشكل العمل الأدبيّ ، وبعبارة أخرى هي أداة الأدب ، ومن المقومات الأساس فيه ، وهي بالنسبة للشاعر " المادة الأولى التي يشكل منها وبها بناءه الشعريّ بكلِّ وسائل التشكيل المعروفة"[1].

لذلك فإنَّ اللغة تعدُّ عنصراً أساسياً يستخدمه الشاعر لصنع قصيدته ، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعريّ ، ومن لبناتها تبنى الأشكال الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة نفسية وجمالية معقدة ، وهي وسيلة الاتّصال بين المبدع والمتلقي في العمل الشعريّ ، ولا يقصد باللغة اللفظة المفردة ، وإنّما وجودها في سياق خاص ، واتصالها بكلمات أخرى تتفاعل معها ، وتؤثر فيها ، ومن هنا فإنَّ اللغة أهم ما في الأسلوب . واختلاف العبارات والتراكيب ، يدلُّ على اختلاف الطرائق في التعبير عن الأفكار والعواطف.[2]

ويستطيع الشاعر بمهارته في اللغة وصدق الانفعال أن يسيطر على تشكيل لغته ، فهي كائن حيّ يتطور عند الاستعمال بحسب قوة الانفعال ، ودرجة العاطفة ، فلكلِّ أداء لغوي فاعلية متجددة داخل بناء القصيدة ، وهذه الفاعلية تتولد بالتفاعل المتبادل بين عناصر التركيب العضويّ ، حيث تتلاحم كلٌّ من الفكرة والعاطفة والخيال والأداء التصويري في النسيج اللغويّ.الذي هو: " تصوير بالكلمات لأفكار الشاعر وحصيلة لمغامرات خياله . والشاعر يشبع باللغة حاجاته الذهنيّة والنفسيّة والفكرية باعتبارها مادة حركيّة ومرنة في التعبير والإبداع ، وحين تخضع مفردات اللغة للتجربة الشعورية أو اللاشعورية ، وتتشكل وفق مقتضيات التعبير عن هذه التجربة تصبح حينئذ لغة شعرية ."[3]

ولغة الشعر الحيَّة المتحركة هي تلك اللغة التي يحسن الشاعر التعامل معها ، فيسكب فيها مشاعره وأحاسيسه ، عندما يخرجها عن نمطية الاستعمال ، ويشكل بها كلمات معبرة ، تأخذ أبعاداً وجدانية مغلّفة بالخيال والمشاعر ، وتتجلى بها طبيعة اللغة في ثرائها وإيحائها.[4]

والشعراء هم سادة اللغة ، وهم الأقدر على إِمداد اللغة بمقومات التجدد والحياة و لكلِّ لغةٍ عبقرية خاصة ، تمدّ الشاعر بما لديها من تراكيب وصيغ جاهزة ، وطريقة خاصة في

---

(1) زايد ، علي عشري ، بناء القصيدة العربية الحديثة ، ط3 ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1417هـ / 1997م ، ص 45.

(2) انظر: مكي ، الطاهر أحمد ، الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 76.

(3) إسماعيل ، عزّ الدين ، الأدب وفنونه ، ط8 ، دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، 2004م ، ص83.

(4) عسّاف ، ساسين ، الصّور الشعرية ، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ،1983 م ، ص57.

الأسلوب ، ولكنَّ الفضل والمزيّة في حياة اللغة إنما يكون لأدبائها الذين يعبّرون بها ، ويبدعون من خلالها. [1]

ولا بدَّ أن تكون اللغة نابضة بروح العصر. فلكلِّ عصر لغته ، ولكلِّ وضع اجتماعيّ وحضاريّ أسلوبه الذي يتناسب مع اتجاهاته الفكرية وذوق أهلها ، تبعًا لتطور الحياة ، واهتمامات الشاعر المعاصر وما يحمله من رؤى متغيرة ومتجددة فتتدفق اللغة مفعمة بحرارة التجربة بحيث تستطيع استيعاب تلك التجارب وإيصالها إلى المتلقي ، والكلمة في الشعر "...ليست مجرد وسيلة في التعبير الشعريّ فحسب ، وإنّما هي طاقة إيحائية وتعبيرية تتجاوز ما تعارف عليه النّاس..."[2]

ويمكن القول إنَّ أبرز السِّمات الفنية للغة الشعرية هو ثراؤها بالطاقات التعبيرية ، واكتنازها بالإيحاءات اللا محدودة ، فقد كان الهمُّ الأول للشاعر أن يعيد للغة طاقاتها السِّحرية الأولى ، وقدرتها الخارقة على التأثير ، والتي كان لها في عصورها الأسطورية الأولى مكانة قبل أن تبتذل وتتحول إلى لغة عملية نفعية ، تخضع لمنطق العقل وتحديداته الصارمة ، وتسعى إلى نوع من التحديد والموضوعية ، بحيث لا تعبّر إلا عن كلِّ ما هو واضح محدد ، ولكن الشاعر يحسب دائمًا أنَّ ثمة أشياء تندُّ عن التحديد والوضوح. ومن ثمَّ فإنَّ هذه اللغة العادية بمحدوديتها وتناهيها عاجزة عن استيعابها والتعبير عنها ، لذلك جاء سعيه الدائب وراء اكتشاف لغة أخرى تتسع للتعبير عن هذه الأحاسيس والمشاعر اللا محدودة التي يحسّها.[3]

وحينما نقف على اللغة التي حملت مشاركات الشعراء السعوديين في الحنين والغربة ، لا بدَّ أن نشير إلى المؤثرات التي أثرت في لغة الشعر عندهم . وهنا نشير إلى عاملين أساسيين أثرا في المعجم الشعريّ عند أولئك الشعراء.

العامل الأول : ثقافة الشعراء اللغوية التي اكتسبوها بقراءتهم المختلفة من مصدري التشريع الإسلامي ، القرآن الكريم والحديث الشريف ، وفي تراث أمتهم الخالد في مصادره الأساس أدبية وتاريخية .

والعامل الثاني : تأثرهم بواقع العصر الذي يعيشون فيه ، ذلك لأنَّ الشاعر يعيش وسط

---

[1] شراد ، شلتاغ عبود ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ط2 ، مؤسسة الثقافة الجامعية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008م ، ص66.

[2] الحاويّ ، سعد ، فنيّة التعبير في الشعر الجديد ، ط1 ، مطبعة الأمانة ، منفلوط ، مصر ، 1409هـ ، ص 39 .

[3] انظر: الزهراني ، علي بن أحمد ، صورة المرأة في شعر يحيى توفيق حسن ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة / الأردن ، 2008 م ، ص 95.

المجموع ، وفي إطار مرحلة تاريخيَّة تتميز عن سابقتها ولاحقتها، أهمها التطور الحضاريّ الذي يؤثر بصورة أو بأخرى في كلّ مجريات الحياة ويطبعها بالطابع العصري. وعليه فقد تأثر المعجم الشعريُّ عند الشعراء السعوديين بهذين العاملين.

والمعجم الشعريّ هو :" ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ التي يستخدمها الشعراء كلٌّ في غرضه ومقصده ، وبمعنى أوضح هو ذلك الرصيد الضخم من الكلمات مما سلس لفظه وعذب معناه من ألفاظ السابقين ، وما تحتاجه لغة الشعر من الألفاظ العصرية "[1]

أما المعجم الشعري في دراستنا هذه فنعني به تلك المفردات والملفوظات التي انتظمتها سياقات النصوص الشعرية التي وقع عليها الاختيار لتكون في إطار هذه الدراسة ، وسنهتم هنا بما شاع حضوره وكثر استعماله وكان له أثر في بنية النص الشعريّ ، من حيث الإيحاء والدلالة من هذه المفردات مع الإشارة ما أمكن إلى مفردات أخرى ، لا ينطبق عليها هذا الشرط ، وستتناول الدراسة المعجم الشعري للحنين والغربة في الشعر السعوديّ من محاور أساسية ، تشمل ما تحدثنا عنه من أنواع الحنين في الشعر السعوديّ ، وهذه المحاور هي المكان ، والطبيعة ، والغزل، والحزن والشوق. مع اختلاف في غزارة محور عن آخر.

1 . مفردات المكان :

مفردة المكان لها حضورها البارز في معجم الشعراء السعوديين ، وذلك حين تكون وجهة النص الشعريّ المكان ذاته ، ليجيء في سياقه اسم المكان لمرة أو مرتين ، أو لأكثر من ذلك ، وقد تتفرع مسميات كثيرة عن المكان الأم ، وهو ما يعرف بجزيئات المكان من جبال ووديان ومنازل وغيرها من مظاهر الطبيعة ، وأشياء المكان التي تأخذ اسمًا وخبرًا في إطار المكان الأم . ومن هذه المفردات : جدَّة ، شواطئ ، مغاني ، هّجّر ، الكنانة ، بغداد ، البيت ، الدار ، الطفولة ، الرُّبع ، الحيّ ، الكيان ، الأهل ، الروح ، الجسد ، مدرج ، لواعج ، الوجد ، التاريخ ، الماضي ، الذكرى ، الغربة ، الحنين ، الشوق ، ربوع ، الوجدان ، بلادي ، العبق ، الوطن ، الأحساء ، المروج ، جازان ، قريتي ، الطائف ، محايل ، فيفاء ، مكة ، طيبة ، ينبع ، أم القرى ، الهجرة ، المهاجرين . الروضة ، القبر ، الأديم ، السماء ، القدس ، المسجد النبوي ، مآذن ، أحد ، قباء ، القباب ، ...الخ .

2 . مفردات الطبيعة :

---

[1] المطروحيّ ، محمد إبراهيم ، الشريف المرتضى شاعريته وخصائص شعره ، ط1 ، النادي الأدبيّ بالرياض، 1980م ، ص29.

أمر بدهيّ أن تأتي مفردات الطبيعة في الطليعة من بين المفردات التي شاعت في قصيدة الحنين والغربة، ذلك أنَّ الشعراء انقادوا أول ما انقادوا إلى طبيعة وطنهم الجميلة ، بل تكاد تلك الطبيعة أن تكون الدافع الأول إن لم تكن الأوحد الذي أفعم وجدانهم بالشوق والحنين ، وهذا ما رأيناه ماثلاً حين مزجوا الحنين بالطبيعة ، والطبيعة بالمحبوبة في النص الشعري لتأخذ حيزًا كبيرًا من المعجم الشعريّ لقصيدة (الحنين والغربة) . وقد حاولت الدراسة إجمال كثيرٍ من مفردات هذا الحقل الدلالي وليس كلها ؛ فإنَّ ذلك مما يصعب حصره هنا ، فهنالك قصائد تكاد تكون معجمًا لأشياء الطبيعة ومسمياتها ، ومن تلك المفردات التي يُتمثل بها في هذا المحور (النجوم ، الشمس ، القمر ، الفلك ، السحاب ، الغيم ، البرق ، الرعد ، الرياح ، الصِّبا ، الأصيل ، الغروب ، الشروق ، المطر ، المزن ، الليل ، الغيث ، النّدى ، الظل ، النسيم ، الطّل ، الفيء ، الصيف ، الربيع ، الخمائل ، الروابي ، الرياض ، الحقول ، السفوح ، المروج ، الجبال ، التلال ، الهضاب ، البحر ، الغدران ، الشلال ، الأزهار ، الأغصان ، الورود ، الخزامي ، الشيح ، الرمان ، الحمام...إلخ).

والمتأمل في هذه المفردات يلحظ توزعها بين الطبيعة السماوية والطبيعة الأرضية ، والطبيعة الأرضية ، والطبيعة السماوية الأرضية ، والطبيعة الساكنة والطبيعة المتحركة ، كذلك يلحظ أنها تعطي في مجموعها دلالات جمالية لها علاقة بالوجدان ، بمعنى أنَّ الشاعر يجد فيها كثيرًا من معاني الحبّ والجمال والإبداع ، والتفريغ النفسي للمشاعر والعواطف ، فمن ذلك – مثلاً – لجوء الشاعر أحمد بهلكي لحشد كثير من المفردات عن طريق أسلوب النداء المتكرر ، فهو ينادي بعض مظاهر الطبيعة باستخدام أداة النداء (يا) والتي ينادى بها للقريب وللبعيد ، كي يشعرنا بقرب وطنه من نفسه ، وابتعاده هو عن وطنه بحكم الغربة ، يقول في قصيدته (نجوى على البعد) يحنُّ لبلدته أبها:[1]

أنتِ يا أسطورةَ الوجدِ الجميلِ   يا احتواءَ السِّحرِ في ظلِّ الخميلِ
يا انزراعِ الآسِ في شُمِّ الرَّوابي   يا انسيابَ الماءِ في زاهي السُّهولِ
يا انسرابِ الجُهدِ في لحظةِ نجوى   شَقَّها هَمْسُ خليلٍ لخليلِ

والحقُّ أنَّ هذه المفردات تشي بالجمال ، وتستهوي الفؤاد ، إذا جاءت في حالة انفراد ، فكيف إذا استدعاها الشاعر لتعبر عن شوقه وحنينه ، وجيشان عواطفه ، فهي تحمل دلالات انفعالية تجتذب إليها الشاعر، وتعبر عن نفسه ، وتؤثر في سامعيه.

---

[1] بهلكي ، أحمد ، ديوان : (الأرض والحب) ، مصدر سابق ، ص 15.

جـ . مفردات الغزل :

ذكرنا في ثنايا الدراسة ، ارتباط الحنين إلى الوطن بالحنين إلى المرأة فكلاهما له تأثير جماليّ ونفسي بعضهما على بعض ، إلى درجة التمازج والتعادل ، ومن هنا فقد كثرت مفردات الغزل في النص الشعريّ في موضوع الحنين والغربة عند جلّ الشعراء ، إلى حدٍّ يدفعنا للقول أنَّ هذا الاستخدام اللغوي يعدُّ من أبرز الظواهر اللغوية في قصيدة الحنين والغربة في الشعر السعوديّ المعاصر ، وأكثر ما يتجلى هذا الاستخدام في توظيف ألفاظ الحبِّ والغزل في الحنين إلى الوطن ، والحنين إلى المحبوبة ، والحنين إلى الأهل ، والحنين إلى ذكريات الزمن الماضي ، فالغزل " ليس وقفًا على الغزل الجسميّ كم يُظَنُّ فلغته –من الناحية النفسية– هي المنفذ الصادق لكلِّ شعور حاد".[1] وأكثر ما يتجلى هذا الاستخدام في توظيف ألفاظ الحبَّ والغزل من مثل : (الحب ، الوجد ، العشق ، العتاب ، الجفاء ، الفراق ، اللقاء ، الوصال ، الهيام ، الوله ، الهوى ، اللوعة ، الصبابة ، الغرام ، العناق ، القُبَل) وغيرها من مفردات خطاب المحبوبة ، كالصفات الأنثوية الجمالية المرتبطة بتأثيرها الروحي من مثل :(سهام اللحظ ، حلاوة المنطق ، الدلال، الحسن ، التيه ، الجفوة ، العفة ، الرقة، الغنج، الرقص ، الخضاب ، الهجر ، الصدّ...الخ) وبما أنَّ المكان والمرأة متعادلان في شعر الحنين والغربة، فعليه فقد ظهر ما يمكننا تسميته بمعجم الإنسان في النص الشعريِّ، وذلك من خلال إسقاط مواضع الجمال في المرأة على جماليات المكان ، فنجد ونحن ننعم النظر في قصائد الحنين إلى الوطن كلمات مثل : (العين ، اللحظ ، المآقي ، القدّ ، الشفتان ، الشَّعر ، القلب ، الخد ، الأحضان ، الوجنة، الخصر ، الطرف ، الجدائل ، الأهداب .... الخ) .

د . مفردات الحزن والتَّشوق:

فرضت بعض المواقف الحياتية ، والانفعالات النفسية ، كالغربة عن المكان ، والحنين إلى الأهل والأصدقاء والأحباب ومآثر الأمة ، وذكريات الزمن الماضي ، وكذلك الاغتراب النفسيّ ، استخدام كثير من الألفاظ ذات الدلالات الموحية بالشوق والحنين وكذلك تلك التي تحمل في أعطافها معنى الكآبة والحزن ، فمن ذلك في قصائد الحنين والغربة :(الذكرى ، الآمال ، الأحلام ، البوح ، الكآبة ، الوحدة ، الموت ، النزوح ، الجوى ، النأي ، العذاب ، وغيرها الكثير) .

---

[1] مندور ، محمد ، في الميزان الجديد ، ط2 ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1973م ، ص 110.

ونستطيع القول بعد ذلك كلّه إنَّ القيمة الدلالية للمفردات قيمة شعورية في المقام الأول، فاللغة تتلاحم في كيان واحد مع الشعور ، فتنتقل للمتلقي جملة المشاعر التي تتراءى بين جنباتها ، ووهج انفعالها ، كم أرادها الشاعر ، وأفرغ فيها من معانٍ تخاطب الوجدان ،" فالألفاظ تعين الشاعر في التنفيس عن توترات مشاعره من خلال اختياره لمعجم خاصٍ وتركيب مستجد".[1]

هـ- أنماط اللغة الشعرية:

وجدت الدراسة أن اللغة الشعرية عند الشعراء السعوديين ، الذين استشهد بشعرهم في طي هذه الدراسة جاءت على نمطين : نمط سهل ، ونمط فخم .

1. النَّمط السّهل:

مال معظم الشعراء . غالباً . إلى اللغة السهلة المفهومة ، وهي لغة عربية فصيحة ، ولكنها أقرب إلى لغة الحياة المتأثرة بالمعطيات المعاصرة ، والمعبرة عن نوازع الذات الإنسانية ، وغالباً ما تأتي هذه اللغة منسجمة مع الموسيقى التي عادة ما تكون خفيفة هامسة ، أو راقصة مجلجلة ، فكلُّ ألفاظ الحنين والغربة في جميع أنواعها مألوفة لا تجد فيها لفظة تدفع بك للرجوع إلى معاجم اللغة ، وهي مع ذلك بعيدة عن الابتذال والسوقية ، وما جعلها مألوفة هو دورانها حول معاني الحزن والفجيعة والفراق ، وهذه المشاعر والأحاسيس الرقيقة ، لا يتناسب معها إلا الألفاظ السهلة المألوفة ، والنماذج على ذلك كثيرة ، وهي الأعم الأغلب ، وتكتفي الدراسة بالنماذج التالية :

فهذا الشاعر ضياء الدين حمزة رجب يذكرنا بالشعر العربيِّ في أزهى عصوره، ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ ، وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات فلا يصدم السمع منه كلمة نابية ، أو جملة دخيلة ، أو معنى فج ، وإنّما هناك إيقاع داخلي متناسق الجرس ، عذب النغمات ، يقول في قصيدة من الشعر الروحي يحنّ إلى وطنه المدينة المنورة ، والقصيدة بعنوان (دار الهدى):[2]

جادك الغيثُ أمانًا وسلاما ورضاً سَمْحًا ويُمنًا وابتساما

يا ديارًا حَلِمَ الغَيثُ بِها يَتَحَراها سحابًا وغَماما

فإذا ما انطلقتْ أَضواؤه ذاب حُبًّا في مغانيها وهاما

دونها الخُلدُ بِما ألبسها صانع الخلْدِ جمالاً ومقاما

---

[1] انظر: القرنيّ ، أبها في الشعر السعودي المعاصر ، مصدر سابق ، ص105.

[2] رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 11 .

الشَّذى يألـق مــن لألائِــهـا   والسِّـنــا ينـضحُ عِـطْرًا وخُــزامـا
والدُّنــا تَسبَــحُ فـــي أفلاكِهـا   تعبُر النّورَ الذي يُنسى الظلامــا
إنَّها الأضواءُ في دارِ الهُـــدى   بهـرتـه فـرأى الـبَــرقَ جِــهــامــا

وكلمـات القـصيدة (الغيـث ، ديـارا ، سـحابا ، غمامـا ، أضـواؤه ، جمـالاً ، الـشذى ، عطـرا ، خزاما ، أفلاكها ، النور .... الخ) كلُّها كلمات لا تحتاج إلى تنقيب في القواميس والمعاجم

وفي قصيدته (مسافرة) كانت تجربة الحب وإظهار مكامن الجمال والعشق عند الشاعر محمد العيد الخطراويِّ ، تحتاج منه إلى توظيف ألفاظ سلسة هادئة ، بأسلوب تسمو به الشفافية ، لتمتزج مع مشاعر المتلقي ، وتلتحم في وجدان المتذوق ، يقول:[1]

حَـياتي بدونِــك لَـيْـلٌ مقيمٌ   بِغَيْر نـجـومٍ وَعَـيْـشـي مُرْ
فإمَّـا تعودي يُنَوِّرُ بِـنَفسي   ضـيــاءُ الثُّريـا ونــورُ القمـرْ
إلى أينَ تمضين يا حُلوتـي   فَـقـلـبــي يوشـكُ أن يُنْفَــطِرْ
حنانيك لا تَحْضُري للـوداعِ   فأهونُ مِن ذلك أن أُحْتَضَــرْ

فكلمـات القصيدة (حلـوتي ، حنانـك ، تعـودي ، النـور ، الضيـاء ، لينفطـر ، احتـضر ...الخ) كلها . أيضًا . سهلة معهودة لا تحتاج لمعجم .

2. النمط الفخم :

وتعزو الدراسة وجود هذا النمط في لغة شعر الحنين والغربة إلى صلة بعض شعرائنا الوثيقة بشعر الفحول في أزهى عصورنا الأدبية وأقواها ، وبمدرسة الإحياء في العصر الحديث ، ممثله في أعلامها : البارودي ، وشوقي ، وحافظ ، وغيرهم ، بالإضافة إلى طبيعة بعض الموضوعات التي طرقها الشعراء ، والتي أملت على بعضهم اتخاذ هذا النمط بكلِّ مظاهره ، أداة للتعبير عما يريدون التعبير عنه ، فمثلاً الحنين إلى المحبوبة يحتاج ألفاظًا سهلة رقيقة ، بينما الحنين إلى أمجاد الأمة يلزمه ألفاظًا فخمة جزلة ، ومن نماذج هذا النمط في لغة الحنين والغربة قول الشاعر الرائد عبد الله بن خميس متشوقًا إلى وطنه جازان:[2]

وعهدتُ هذا الطودَ يُتْرِعُ بَحْرَها   مـا أثقلتـه المزْنُ مِن شُحْناتِـهـا
دفـعًا كأثباجِ المُـحـيـطِ تجوزُها   تـحـدو ركـام الطْمي فـي لبَّاتِـها
تُبقي أليماتِ الكوارثِ خلـفـهـا   والـفـتـك والتَّدميرُ مـن عاداتها

---

[1] الخطراوي ، محمد العيد ، ديوان : (همسات في أذن الليل) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1397هـ ، ص123.
[2] ابن خميس ، عبد الله ، ديوان :(على ربى اليمامة) ، ط2 ، نادي جازان الأدبي ، 1983م ، ص323ـ 333 .

تـرنـو إِليهـا العينُ وهـي أَسيفةٌ   وتَوقُّدُ النَّظراتِ بَــعْـضُ شكاتِـهـا
نامت على شوك الهراس عيونُها   حُـقـبًا وما نــامــت عيونُ أُساتِها
فَصَحَتْ على مثلِ القلاع هوادرًا   تفري أديمَ الصَّخْرِ في سَطْواتِهـا

إنَّ إحكام النسج ، ومتانة السَّبك ، والتألق في الصياغة ، ظاهرة في أبيات شاعرنا السابقة ، فقد سار فيها على طريق القوة في التعبير العربي الموروث ، فمفردات مثل (الطود ، يترع ، أثباج ، لبّاتها ، اليمات ، شوك الهراس ، القلاع ، تفري ، أديم ، ...) يصعب على معظم أبناء العصر معرفة مدلولاتها ومعانيها دون الرجوع إلى القاموس .

وبعد هذا الاستعراض الموجز للمعجم الشعري الأكثر حضورًا في شعر الحنين والغربة وأنماط لغته ، لا بدَّ من الإشارة إلا أن ذلك الحرص من الشعراء على مسايرة أبناء مجتمعهم باستخدام لغة سهلة مألوفة ، قد مهّد الطريق لتسلل بعض المفردات العامية الشائعة إلى النسيج الشعري عند بعضهم ، إِما دعمًا للفكرة المعبَّر عنها أو استدعاء الموقف المناسب لها ، ومن ذلك قول الشاعر إبراهيم صعابي:[1]

(من بادي الوقت هذا طبع) تربتنا   تزهو اخضرارًا على أنشودةِ المطر

وقول الشاعر محمد إبراهيم جدع على لسان شاب يشكو دلال أمّه وحنانها الزائد الذي سبب له المشاكل ، يقول :[2]

(فَوَرِطْتُ) في كلِّ الأمور مُحاذرًا   حدَّ الـمخـاطـرِ فافـتـقـدتُ هنائي

ونجد حسن عبد الله القرشيّ وهو شاعر فحل مطبوع يستخدم بعض المفردات العامية التي يتداولها الناس في مجالسهم ومهاتراتهم وأحاديثهم اليومية ، فمن ذلك قوله في البيت السادس من قصيدة (عبور) :[3]

غوري فلا أسفٌ عليك ولا لودٍّ فيك مأوى

فكلمة (غوري) وكلمة (لودٍّ) . من العامية المصريَّة المحكية ، الأولى بمعني (انصرفي) والثانية بمعنى (الولد) .

وفي موضع آخر يقول :[4]

ثُمَّ أعودُ للدّهولِ و (القرف)

---

(1) صعابي ، إبراهيم عمر ، ديوان : (وطني سيد البقاع) ، ط1 ، نادي أبها الأدبي ، 1419هـ/1998م ، ص 30.

(2) جدع ، محمد إبراهيم ، المجموعة الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 67 .

(3) القرشي، حسن عبدالله ، الأعمال الكاملة ، 326/2.

(4) المصدر السابق ، 452/2 .

وقوله :[1]

حتّى لقد يئستُ من حُبِّكَ لي يا (مُفْتري).

ويقول أحمد القنديل مخاطباً حفيده :[2]

إنَّ (باباك) وجَدَّكْ

قطعاهُ . في حياة الأمس . قَبْلَكْ

كذلك يقول أحمد الغزاويّ :[3]

وطفلٌ كزهرِ الرّوضِ يصرخ بينهم ينادي خلال الناس أَيْنكِ (ماما)

وكلمة (مكسوفة) في قول محمد بن علي السنوسيّ :[4]

ونفاقٌ مُلَوَّنٌ تَخْجَلُ الحِرْ باءُ منه فَتَنْثَني (مكسوفةْ)

وكلمة (بَرَّة) بمعنى اخرج في قول الشاعر عبد الله العثيمين :[5]

وَبِحِدَّةٍ نَفَضَ اليَديـ نِ وقــالَ للمسكينِ بَرَّة

وقد استخدم بعض الشعراء مفردات أعجمية في ثنايا شعرهم ، ولم يكن ذلك محض المصادفة ، وإنَّما حملهم على ذلك انفعالهم المتوهج وعاطفتهم المشبوبة ، التي أثارت فيهم الرغبة الشديدة في الإلحاح على توصيل هذا الشعور إلى المتلقي ، بأيّة لغة يرونها الأقرب إلى نفوسهم ، فمن ذلك ما جاء في قول حسن القرشيّ :[6]

(أركداشُ) أنـا مدى العمـر يـا فَرْ حةَ عمري والرّوحُ مني شكورُ

وقوله:[7]

(شوك قزال) يـا غـادةَ الأملِ الحلـ وصباك المُـحـجَّلُ المنْصورُ

وقول علي حافظ:[8]

فـ (لندن) كالثَّرى في الأرض عندي وطَـيْبـةُ كـالثُّريـا في السَّماءِ

---

[1] القرشي، حسن عبدالله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 317/2 .

[2] قنديل ، أحمد ، ديوان : (شمعتي تكفي) ، مصدر سابق ، ص 127 .

[3] الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، 342/2 .

[4] السنوسيّ ، محمد بن علي ، الأعمال الكاملة ، ص 438 .

[5] ابن ادريس ، عبد الله ، شعراء نجد المعاصرون ، ص 194 .

[6] أركداش ، كلمة تركية تعني (صديق) ، انظر : القرشيّ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، 299/2 .

[7] شوك قزال : كلمة تركية تعني : (ممتاز) ، انظر : المصدر السابق ، 298/2 .

[8] حافظ ، علي ، ديوان :(نفحاتٌ من طيبة) ، نادي المدينة الأدبي ، 1404هـ ، ص 265 .

لقد جاء استخدام كلمة (لندن) مطابقًا لشعور الشاعر حين أراد المفاضلة بين غربته في لندن وحاله في وطنه قبل الغربة.

كذلك جاءت كلمة (ملايين) لتؤدي المعنى الذي أراده الشاعر، وإن لم تكن ذات أصل في العربية ؛ إذ يقابلها كلمة (ألف ألف) ، وذلك في قول عبد المحسن حليت :[1]

وفـــي هـــواي (ملايـــين) تَـنـــــامُ عـلـــــى ذكـــري وتـــصحو عـلـــى طيفـــي إذا ارتحـــلا

مما سبق نجد أنَّ اللغة عند الشاعر السعوديّ أداة التعبير عن المشاعر والانفعالات ، وقد استخدمها بأسلوب فنيّ ، يختلف عن استخدام الشخص العادي لها في التعبير عن مشاعره ، فهي مقياس التمايز والتفرد حتى بين الشعراء أنفسهم ، ففي الوقت الذي نتفاعل مع قصيدة لشاعر ما ، وتأسرنا بألفاظها ننفر من قصيدة أخرى ، لبرود ألفاظها ورتابة لغتها . ولعلَّ هذا ما دفع أدونيس إِلى التأكيد على أنه " إذا كان الشعر تجاوزًا للظواهر ، ومواجهة للحقيقة الباطنة في شيء ما ، أو في العالم كلّه ، فإِنَّ على اللغة أن تحيد عن معناها العادي ؛ ذلك أنَّ المعنى الذي تتخذه عادة لا يقود إلى رؤى أليفة مشتركة ، إِنَّ لغة الشعر هي لغة الإشارة . في حين أن اللغة العادية لغة الإيضاح"[2].

---

[1] الجهني ، سليمان سالم ، صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي المعاصر ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص 123.

[2] أدونيس ، علي أحمد سعيد ، مقدمة للشعر العربيّ ، ط3 ، دار العودة ، بيروت ، 1979م ، ص 125.

4 . صدق العاطفة :

باتت العاطفة عنصرًا أساسيًّا من العناصر الأدبية، فلها أثرها البالغ في الشعر عامة ، وفي شعر الحنين خاصة ، فالشاعر حين يؤلف قطعا شعرية ، يضفي عليها من نفسه وروحه ، ما يجعلها تعبر عن مشاعره وتعانق إحساسه فالعاطفة :"هي الانفعال النفسي المصاحب للنص"[1]. فهي تحرك نفسيّ ، بينما الفكرة شيء عقليّ ، فالذهاب إلى الحديقة مثلاً فكرة ، ولكنَّ حبَّ الذهاب إليها ، والتردد عليها في أوقات معينة عاطفة.[2] والعاطفة هي لبُّ الفنون وعمادها ، وهي المعزف الذي يصدح به أوتار الأدب ، وعليه يعزف الأديب ، وهي الشرفة التي يطلُّ منها على ما تنطوي عليه النفوس من الم وأمل ، والمنفذ الذي يصل منه إلى القلوب ، وهي ترجمان لما يمكن من مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعيّة ، وهي التي توجه الفن إلى المثل العليا في الحياة .[3]

أهم صفات الأدب أن يكون طبيعيًّا ، وأن يكون صادق الإفصاح عن المعاني الحيوية ، دقيقًا في تصوير النزعات النفسية وما تغلغل في الصدر من ميول وآمال ، وأن يعرِض لكلِّ هذا في غير مواربة أَو تكلف .[4]

وقد عرَّف محمد زكي العشماوي العاطفة بأنّها"مجموعة المشاعر التي تنتاب الأديب حين يَمُرُّ بتجربة من تجارب الحياة ، أو يتأثر بموقف من مواقفها ، فتوجه نظرته إلى وجهة خاصة".[5]

والشاعر العربيّ السعودي . كغيره . من الشعراء العرب قديمًا وحديثًا . متعلق بوطنه ، محبّ له ، حتى إذا ما ارتحل عنه حنَّ إليه وخفق قلبه شوقًا إليه ، هذا هو شعور كلُّ إنسان سوي مخلص تجاه وطنه ، وربعه ، وأهله وأسرته ، وكل ما يحنُّ إليه المرء ويشتاق، وقد خلَّف لنا هؤلاء الشعراء شعرا في الحنين والغربة ، يتميز بشكل خاص بصدق العاطفة ، وفيض الشعور ، وعمق التجربة ، ورهافة الحس ، والانفعالات الإنسانية الفياضة ، والمتدفقة والمغلفة بنبرات حزينة مؤلمة .

---

[1] الشايب ، أحمد ، أصول النقد الأدبيّ ، مرجع سابق ، ص 193 .

[2] أبو شريفة ، عبد القادر ، مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، ط1 ، دار الفكر ، عمّان ، 1990م ، ص 25 .

[3] حسين ، عبد الحميد ، الأصول الفنيّة للأدب ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، 1964م ، ص 71 .

[4] المرجع السابق ، ص 76.

[5] العشماوي ، محمد زكي ، وآخرون ، البلاغة والنقد ، وزارة التربية ، الكويت ، 1998م ، ص27.

فهذا الشاعر صلاح بن هندي (1970- ؟) كانت تجربته حقيقية في الحنين إلى بيت المقدس ، وقد صدرت أبياته عن قلبٍ محب لمقدساته ، وعواطف جياشة ناجمة عن شوق وحنين كبيرين ، فهل نتوقع أن تصدر مثل هذه الأبيات بهذا التدفق العاطفي عن إنسان ينظم الشعر لمجرد الشعر؟ دون أن تربطه به أي روابط داخلية ، يقول:[1]

جُرْحٌ تَجذَّر في ثرى أعْصابي　　　حتّى تفرَّغ في أصولِ سحابي
يمتدُّ جُرْحُكِ من نعيمِ طفولتي　　　حتى جحيمِ كهولتي وشبابي
يا قُدْسُ في جُرحِ الملايين التي　　　عَشِقتك جرَحَ مصائب وصعابِ
ما زالت الأجيالُ تقتاتُ المنى　　　وتخيطُ ثوبَ الحُلم بالأهدابِ
حتى أنا ما زلتُ أرشفُ منيتي　　　وأحَرِّكُ الأحلامَ في أكْوابي
طارت من الأحلامِ كلُّ بلابلي　　　لم يَبْقَ إلاّ بومَتي وغرابِي

يبقى بعد هذا أن نشير إلى الصنعة الشعرية المتقنة ، التي تنبضُ بها هذه اللوحة الشعرية ، وإلى القدرة على التصوير والتجسيد ، وتوزيع الألوان والظلال ، خاصة وهو يرسم المجال النفسي لعالمه . وإلى الإيقاع الموسيقي المواكب لحركة النفس هدوءاً واندفاعًا ، قلقًا واطمئنانًا وإلى التفنن في تصوير الإطار الطبيعي للمشهد ، وقد طارت البلابل من الأحلام ، ولم يبق سوى البوم والغراب ، رمزًا لكلِّ ساقط منتفع متعاون مع الاحتلال .

وفي مجال التعبير عن العشق في طابعه الوجداني من خلال مزج الوطن بالحبيبة والحبيبة بالطبيعة ، ودلالات فنية رائعة يتغنى عبد الله الفيصل بوطنه المتغلغل في أعماقه ، والمنساب في دمه ، بنسيج لغويّ ، منكشف من حيث الدلالات الخارجية والتركيب الظاهريّ للصور . وعاطفة متوقدة انسابت أنغامًا على لسان الشاعر الذي يرى في وجه محبوبته البدر وطلته ، والذي لم يرَ لجمالها وحسنها مثيلاً ، فكلّ جمال في الكون وفي فتنته،لا يراه شيئًا أمام حسنها ، يقول:[2]

نَسيتُ الهوى إلا هواكِ فإنَّهُ　　　تغلغل في الأعماقِ وأنسابَ في دمي
وأصبحتُ لا طيفَ سِواك يهزنّي　　　ولا نَغَمٌ إلا يَفْترُ في فَمي
وما صرتُ أرعى البدر إلاّ لأنّه　　　كوجْهكِ إن تَسَفَّرَ وإن تَبسمِ
كأنّي وفي الدُّنيا جَمالٌ وفتنةٌ　　　عن الحُسْنِ إلا ما ائتلفتُ به عمي

---

[1] هندي ، صلاح ، ديوان : (رقصة الفستان) ، نادي الإحساء الأدبي ، 1428هـ ، ص 35 .

[2] عبد الله ، الفيصل ، ديوان :(حديث قلب) ، مصدر سابق ، ص 158 .

ونلحظ قلب الشاعر المفعم بعاطفة الحبِّ للوطن المتمثل في صورة المحبوبة ، وهذه الصورة الشعرية ذات الدلالات الخارجية ، والإيحاءات الداخلية ، فالهوى يتغلغل ، والبدر ينساب ، في شعر حلو متدفق .

وفي قصيدة (ظلٌّ يعبر) للشاعرة بشاير محمد (؟) نقف على نموذج من أرقى نماذج العاطفة وأصدقها وأصفاها وترًا وأشدها حرارة ، نموذج يمتلئ بشكاوي النفس ، وما يلاقيه المغترب المتيم من تباريح الوجد ، وقسوة البعد ، ومرارة الحرمان ، ولكنه مع كلِّ ذلك ، صادق اللوعة ، عفَّ الضمير ، رصين التعبير ، غني القلب ، موفور الحسِّ والشعور ، فالشاعرة تخاطب بلدتها الأحساء وكأنَّها عاشق مغرم، يخاطب عشيقته طالبا منها أن تذكره إذا اشتدَّ الشوق ، وطال الحنين ، تقول:[1]

حينما يشتدُّ نبضُ الشوقِ

في ليلِ الحنين

.... أذكريني

فأنا في غُربتي

أسكبُ الأوجاعَ في الليلِ الحزين

....أذكريني

يا دروبا انجبتني خطوةً حيرى

على وهجِ السنين

إنَّني كالشَّاطئِ المرهقِ حبًا

حين أعيته ارتحالاتُ السفين

أترى

لا زلتِ في ذات المساء...؟

تزرعينَ الدَّربَ أشواكًا

وتبكينَ الحيارى العابرين

عجبًا ، كم تتقنين السَّيرَ...

عبر الآهِ

جرحًا في أساطيرِ البكاءِ

---

[1] بشاير ، محمد ، ديوان : (خيلاء العتمة) ، نادي الإحساء الأدبيّ ، 1430هـ ، ص 70 .

أذكريني فأنا

أتملّاك طويلّا

في ابتهالاتِ وجومي

وأغنّي

علَّ آمالي لديك

تَبْعَثُ اللحنَ سعيدًا

في شرايين الغناءْ

أذكريني

عندما أعبرُ نهرَ الصمتِ

نحو الضفةِ الأخرى

وحيدًا بين بوحٍ وفناءْ

...أذكريني فأنا

أمكثُ الآن جريحًا

تصهرُ الآهات روحي

في أتونِ الغربانْ

أتهجى

أبجدياتِ اشتياقي

عندما عادَ الصَّدى

يكتبُ النِّسيانُ أذكارًا

على جُرْحِ النِّداءْ

وها هو الشاعر ضياء الدين رجب يكاد قلبه ينفطر على فراق المدينة (دار الهدى) ، في أبيات تفيضُ رقة وعذوبة ، فقد صدرت عن إنسان حزين ، يذرف الدموع على فراق وطنه ، وقلبه يكاد يذوب حنينًا إلى هذا الوطن ، أبيات تنبع من عاطفة صادقة تجاه وطنه ، وأي وطن : مدينة رسول الله ﷺ طيبة الطَّيبة ، يقول:[1]

لـي فـي ربــاك الـخُـضْــرِ	أحْـلامٌ وميـثـاقٌ وعَـهــدُ
ذكـرى تُـقَـرِّبُـهـا السِّــنو	نُ فَـيستـوي قُــرْبٌ وَبُـعْــدُ

---

[1] رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 357 .

الذّكرياتُ مَثارُها فـي النَّفْسِ　　آمـــــــالٌ وَوَجْـــــــــدُ
شَـوْقٌ تُـهَـدْهِـدُه الـمُـنـى　　ويُــــثــيــرُه بَــرْقٌ ورَعْـدُ
وهــوىً إذا هَـتَـفَـت بـــه　　وُرْقُ الحِـمـى لَهَبٌ و وقــدُ
يا مَهْدَ أحلامي وأحلامــي　　لَـــدَيْـــك مُـنـىً وَسَـعْـــــدُ
ومـجـالَ آمــال الشَّـبــا　　ب ومــا لها في القلبِ حَـدُّ

ويؤكـد الشاعر هيامـه ووجـده بالمدينـة ، وارتباطـه بهـا ارتباطًـا وثيقًـا فهـي مـوطن ذكرياتـه ، وموطن أيامه السعيدة ، لذلك فهي تستحق منه أسمى المشاعر الإنسانية ، وأنبل العواطف وأرقها ، يقول:[1]

لَمْ أَنْسَ والذّكرى الحبيبةُ　　فــي الجـوانــحِ تَسْـتَــبِدُ
أيــامَ استَـبِـقُ الـحـــيا　　ةَ وَرَوْضُــهـا عِـطْرٌ ونَدُّ
أقــضي لُبانـــات الـفـؤا　　دِ وهزْلُهــا في القلبِ جِـدُّ
ورحـــابُك الفِيحُ الـحِســانُ　　علــى رُبــاها الطَّيرُ تَشْدو
نِضْوٌ على عَهْدِ الهـــوى　　يُــضنــيه تَحْنـانٌ وَسَهْدُ

وتطفحُ الذكرى في نفسه في موضع آخر ، حين يغادر دمشق ، فيخاطبها خطاب المحبوبة في لحظة الوداع ، ونحسُّ من خلال الأبيات بلوعة الفراق ، وشدة الحزن ، وبتلك العواطف الفياضة ، والمشاعر الصادقة ، يقول:[2]

يا ابنةَ الغُوطةِ والنَّهرِ　　المُـحـلَّــى بــرِضَـابِـك
يا ابنةَ الفجــرِ تَمَنَّى　　الــبــدرُ تـقـبيـلَ إهـابكِ
آهِ لو تدريـنَ مــا بــي　　مِــثــلُ ما أعـلـمُ مـا بِك
يــا ابنةَ الكــرْمَةِ مِنْ　　كــرْمِ شـبــابـي وشبابـك
والأمـــانــي عــذابٌ　　مِـثْـلَ مَـعْـسولِ عَـذابِك
هَـمْسَةٌ تَسْري عـلـى　　البرقِ بِنِجْوى فــي خطابِك
فَأرى الحُـظْـوةَ فــي　　لُـقْـيـاكِ مِنْ بَعْدِ غِيابك
وإذا الـبُـعْـدُ حكــا　　يــــاتُ عَـذابــي وعذابك
وَتَـســالـيـنـا أحـــادِ　　يـــثُ اغـتـرابي واغترابِك

([1]) رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 358 .

([2]) المصدر السابق ، ص 250 ، 251 .

وارتــوائــي مِنْكِ يــا حُــبِّــي شَرابًا مـن شَـرابِكِ

أمّا الشاعر محمد العيد الخطراويّ ، فقد هاله منظر (الجرّافات) وهي تلتهم التاريخ، ،التراب، الذكريات ، ومعها وجدان الشاعر المحبّ لكلِّ ذرة رمل في البلد الطاهر ، المدينة المنورة ، فالجرّافة وحش رهيب قبيح ، أسود الأنياب ، قاسي القلب ، يعيث خرابًا في عمق الذكريات ، يغير معالم المكان بحجة التطوير،والتعمير ، يقول:[1]

يا أيُّها الجرّافُ قِفْ لا تـنزع النَّفَسَ الأخيـــرْ

مزَّقت أحشاءَ الـثُّـرا بِ ورحتَ تَلْتَهِمُ الأثيـــرْ

ونيوبكَ السُّودُ الطوا لُ تجولُ ما بينَ الصُّخورْ

سكـرى ينوءُ بها دمي فَيظـلُّ مِـن رَهـقٍ يـمورْ

ويفورُ في جَسَدِي كما تـلـقــاكَ أهْـوالُ الـقُبـورْ

لـلـــه قَـد غَـيَّــرتْ كَـفَـاك مِـن ماضٍ نضيرْ

ومـعــالمٍ مــا مَسَّها نَصَبٌ عـلى مَرِّ العُصورْ

وأزقــةٍ كَـمِـنَـت بِها حُــقَـبٌ وتــاريـخٌ غـزيـرْ

بكت الحياةُ على خرا ئبِـهــا وفَـرَّقــهـــا السُّرورْ

حُقَّ للشاعر أن يبكي ، حُقَّ له أن يفقد ذلك العبق النوراني ، وتلك المعالم التي اغتالتها يد الحضارة ، ففقدانها فقد لكلِّ الذكريات المرتبطة بالمكان ، المكان الذي يحمل بين زواياه ذكريات تحمل رائحته ، وتستمد وجودها من وجوده .

ثم يصرخ الشاعر في وجه هذا الوحش الضاري ، ويطلب منه أن يخفف خطاه الموجعة ، فهذا تراب أثير ، وليس له نظير على وجه الأرض ، وفي ذراته تاريخ جذور ممتدة في أعماق الزمان ، هنا مدارج الشاعر وملاعب صباه ، ووجه أبيه ، ورائحة طفولته وشبابه ، هنا طيبة مدينة رسول الله ﷺ بتاريخها العظيم العميق الضارب في الجذور ، يقول:[2]

ها أنت متقـدُ الخطى ترمـي ، وَتَقْذَفُ بالشّـرورْ

خفّف خُطاك ، فإنَّما هـذا الثَّرى شَــيءٌ أثــيرْ

الله فــضَّــلَــهُ بـكـــلِّ الأرض ، لــيـسَ له نظيرْ

---

[1] انظر: الجهني، سليمان سالم السناني ، صورة المدينة المنورة في الشعر السعوديّ الحديث ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (د . ت) ، ص143.

[2] المرجع السابق ، ص 145 .

لا تمضِ في تشريـدهِ لا تمضِ فـي قطع الجذورْ
دع هـذه التّربانَ لـي دعـنـي أشـمُّ بـهـا العبيرْ
أنفاسُـها الحرَّى علـى كـفّـيـك تـوشِـكُ أن تطيرْ

والشاعر في قصيدته لا يبكي أبنية ، وأَزِقَّة ، وساحات فقط ، بل يبكي تلك الجذور التي تربطه بالمدينة ، والتي يرى أنَّ الجرّافة تمعن في نسفها ، فقد تحولت الجرّافة عند الشاعر من تلك الآلة الحديدية المعروفة ، إلى طوفان حضاريّ ، يباغت حياة الشاعر الآمنة المطمئنة، يقول:[(1)]

ماذا لو انتظرَ الحديـ دُ ورقَّ للقـلـبِ الكسيــــرْ
رفقًا ففي ذرَّاتهــــا تاريخُ أيامـي الضريـــرْ
وملاعبي ومدارجـــي وشبابي الزَّاهي الـغريـــرْ
وعلى ملامحهـــا أرى وجهي يُجلِّلُه الفتـــــورْ
وهناك وجه أبي ، لـه إغفاءةٌ ، وعـليه نـــــورْ
وبقيّةٌ مـن ذكريـــــا تٍ لا تغيبُ عن الـضَّميرْ

وقد عانى الشاعر حسن بن محمد الزّهرانيّ (؟) أقصى حالات الحزن والأسى ، وذلك حين توفيت زوجته ، مخلفة لـه طفلة رضيعة عمرها شهران ، فأخذ يخاطب تلك الطفلة خطاب العاقل الواعي ، بعد أن نظر حوله فلم يجد سواها أمامه ، وكانت عواطفه متدفقة ، وحالته النفسية تشي بما هو فيه من تمزق داخلي ، وقلق على مصير طفلته التي تبكي أمامه في كلِّ لحظة، كأنها تعلم أنها أصبحت يتيمة، وأن أمّها الحنون قد غادرتها وتركتها للأبد، يقول:[(2)]

قطّعتِ قـلبي يا لـجـيـنُ ترفْـقـــي إنَّ الــذي أبكــاكِ قــد أبكــاني
فــأنـــا وأنْـتَ حكـايــةٌ مكـتوبـةٌ بالدَّمعِ فـوقَ براعــمِ الأشجـانِ
فــأنــا يــتـيـمٌ يا يتيمةُ فـامسحـي دمعي ودمعُـك يحتويه بِـنانـــي
سَـلُـمَـتْ أُمُّكِ يـا لجيـنُ بــرقّـــةِ قـلْـبــي ليبقى رائــعَ الخفقــانِ
لكـنَّهـا رَحَلَـتْ لتـتركَ خـافـقـي فـردًا يــذوقُ مرارة الحــرمــانِ
رَحَلَتْ فكلُّ سعادتي رحلت ولــم يمضِ على فَجْرِ الهوى عامان

(1) الجهني ، صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 146 .

(2) الزهرانيّ، حسن بن محمد ، ديوان :(صدى الأشجان) ، ط1 ، النادي الأدبي بالباحة ، 1418هـ ، ص 60 .

ويعود الشاعر بعد دفن زوجته ، ليستقبل معاناة أخرى ، رؤية الطفولة الباكية ، وقد ذكرته بأمّها الراحلة ، فوقف ينعم النظر في وجهها البريء ، فوجد في قسماته عنوانه ، فهي استمرار لحياة الراحلة وحياته هو، يقول:[1]

وحَزمْـت أحزانَ الفؤاد مُهـاجـرًا   بـمَواجعي بحْثا عن السُّلْوانِ

فإذا بِوَجْهِكِ نُصبَ عيني راسمًـا   أَمـلاً عـلـى بـوابـةِ الأحزانِ

فوقـفْـتُ أقْـرأهُ وأســألُ صَمْتَـهُ   فوجـدتُ في قسماتِهِ عُنْـواني

وهنا يتخيل الشاعر طفلته وقد أخذت تتحدث ، وتشكو مصيرها ، وما سوف تلاقيه من معاناة بعد فقد أمها ، متأملة حالها ، ومعاناتها التي ستبقى معها إلى الأبد ، يقول:[2]

وإذا بدمـعـك فـوق خـــدك ثـائرًا   حزنًا يهاجـمُ مَوْجُـهُ شطآنـي

وتـقـول بعـضُ حروفهِ لا يـا أبـي   حــزني وطربـك ليس يتفقانِ

سيـمـوتُ حُزْنـكِ يـا أبي أمّا أنـا   سيظلُّ حُـزنـي دائـمَ الثَّورانِ

سـأعـيـشُ يـا أبتي بلا أمٍّ فَـمـنْ   لـي إنَّ عمري يا أبي شهـرانِ

من سوف يرضعني ويمسح دمـعتي   ويضمني فـي رقّةٍ وحـنـانِ

سيظـلُّ حُـزنـي يا أبي من بعدها   مُـتَـعـددَ الأشـكالِ والألـوانِ

لقد رأينا كيف صوّر الشاعر بإحساسه المرهف وعاطفته القوية ، حالة اليتيم ومشاعره ، فعمد إلى الأفكار المعبرة عن بؤس اليتيم وحاجته إلى من يمدُّ له يد العون والمساعدة ، فأحال هذه الأفكار من خلال وجدانه إلى إحساسات وانفعالات نفسية يلونها بشعوره ، فلا تلبث أن تنتفي عنها صفة الذهنية الخالصة ، وتتصل بعاطفته وانفعاله ، لتشحن القارئ بالعطف والرغبة في مدِّ يد المساعدة والعون لهذا اليتيم الشاكي الباكي.

إنَّ شأن الشعراء السعوديين . كما رأينا في النماذج السالفة . شأن كلَّ إنسان حساس ، فهمومه في داخله ، يحملها معه أينما ذهب وأينما حلَّ ، وسيظلُ يتطلع ويبحث ويتأمل لعله يجد الخلاص خارج نفسه ، وستظل رحلة هؤلاء الشعراء جزءًا من رحلة القلوب القلقة على مرِّ التاريخ الوجدانيّ للإنسان ، ومن هنا سيظلُّ شعرهم مليئًا بحرارة العاطفة ، وصدق الرؤية ، تكتسب العاطفة فيه معنى أبعد من المعني العادي للعواطف التقليدية ، فعواطف هؤلاء الشعراء تنطلق لتمثل الكون كلّه ، وهذا ما يجعل شعرهم يبقى ويعيش .

---

[1] الزهراني ، ديوان : (صدى الأشجان) ، مصدر سابق ، ص 60 .

[2] المصدر السابق ، ص 60 .

5 . المزج بين الحنين والطبيعة:

بين شعر الحنين والتغني بجمال الطبيعة صلة عميقة تؤدي إلى التمازج والتداخل بينهما ، لقد سحرت الطبيعة ألباب الشعراء السعوديين ، ودفعتهم إلى التغني بجمالها وروعتها ، وهم على ربوعها حيث ملاعب الصّبا، وموطن الذكريات ، فإذا ما ابتعدوا عنها ألهبت الغربة مشاعرهم ، وفاضت قرائحهم بالشوق والحنين إلى أرض الوطن ومن حلَّ به من الأهل والأحباب ، من هنا مزج الشاعر السعوديّ بين شعر الطبيعة والحنين، وكيف لا يفعل وقد منح الله المملكة العربية السعودية طبيعة خلاّبة رائعة ، وجمالاً ساحراً فاتنا ، حيث ترتفع الجبال المعشوشبة ، وتمتد في جوانبها الغدران والعيون ، والسهول الممتدة ، والصحاري الواسعة ، وتجري فيها الجداول العذبة ، وتكثر وسطها واحات شاسعة من شجر النخيل والتي يتخللها بساتين البرتقال والعنب والرمان ، وتغرد على أفنان أشجارها وغابات نخيلها العنادل والطيور ، ويعطر النسيم أجواءها وبساتينها الورافة الظلال.

كلُّ ذلك رآه الشاعر السعوديّ وهو ينقل بصره بين الصحاري والسهول والجبال ، متأملاً حياة الرعاة والفلاحين والبدو بين شياههم وقطعانهم ، ومن جراء تنقله بين تلك الأماكن ذات المظاهر الطبيعية المؤتلفة والمختلفة ، تنبَّه خياله إلى فتنة الطبيعة في مظاهرها المتعددة وهو جزء من تلك الطبيعة، وشعره صورة عنها. ولذا " يأتي الشاعر الرومانسي مجذوباً إلى الطبيعة يناجيها مندمجًا فيها ينطقها، يحلُّ فيها وتحلُّ فيه، متأرجحًا بين الحلم والواقع "[1].

فها هو حسن عبد الله القرشيّ يمزج صورة محبوبته بالطبيعة فهو يجعل من الطبيعة أداة للتعبير عن حبه ، فحبه للطبيعة وعشقه لمظاهرها ، لم يكن نابغًا من ذاتها ، وإنّما لأنّها تمثل غيرها يقول:[2]

روضةُ الوصل تـــراء	ات ، فحياتي يا فداها
هي صفوة العيش سكرا	ن وهلْ أهوى سواهـا
طالما عانقت عطفيها	وما قبّـلتُ فـاهـــــا
كم شممتُ الوردَ يعلو	ها فَيُصْبيني شذاهـــا
كم به الأغصانُ نشو	ى حانيات في حماها

---

[1] جيدة ، عبد الحميد محمد ، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، 1980م ، ص 176.

[2] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 320 .

فنحن نكاد لا ندري أيتحدث الشاعر عن الروضة أم عن المحبوبة التي هي صورة لهذا الروضة ، ومزجت بها ؟؟

وهذا ما نجده أيضًا عند غازي القصيبيّ ففي قصيدته (غريب) يجمع بين عشيقتين ، الطبيعة والحبيبة في عقد من الجواهر والدرر ، يقول:[1]

ذكرتُكِ عِنْدَ البحيرةِ...
حيثُ تَسِيرُ القواربُ يَسْبَحُ مِسْرَبٌ
من البطِّ والبجعِ المتبختر حيثُ
تنامُ السَّماءُ على خُضْرَةِ الأرضِ
تستغربُ الأرضُ من زرقةِ السَّماءِ
هل تذكرينَ البحيرةَ حين يطلُّ عليها
الرّفيق الأنيقُ الرقيقُ الوسيمُ
البعيدُ القريبُ ، القمر؟
وهل تذكرين البحيرة والصُّبح يمشي
وئيداً وئيداً .. لكيلا يروح آخر حلمٍ
غفا فوق مقلةِ آخر حسناء من
عاشقات البحيرة ؟

ويتنامى هذا المزج لتصبح عيون الحبيبة هي الطبيعةُ ذاتها فيفرُّ لائذًا بها: [2]

أَمْرَحُ في عينيك .. أمشي على الرّمالِ كالطِّفل .. أَلُمُّ المحارْ
أقطعُ المرجانَ...آوي إلى كهفي الذي يحوي كنوزَ البحـــارْ
أشاركُ النّورسَ آفاقهُ حينًا وأغفُ فـــي ظـــلال القفـــارْ
وأتبعُ الدُّلفينَ في رحلةٍ حدودهـــا شواطـــئٌ لا تُـــزارْ..

أمّا الشاعر محمد فهد العيسى فلا يوحي لنا بتجربة غرامية ، وإِنّما إبداعه يصور كوامن ذاته ، وتوظيفه للطبيعة يكثف حالته النفسيّة حين جاشت عنده الذكريات، وأشجاه الحنين لأيامه الخالية ، وذكرياته السابقة ، يقول:[3]

---

(1) القصيبيّ ، غازي ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 742 .

(2) المصدر السابق ، ص 471 .

(3) العيسى ، محمد الفهد ، ديوان : (دروب الضّياع) مصدر سابق ، ص 114 .

حياتي ظلامٌ وبَيْنَ الـــدُّروبِ تعثرتُ أشكو نـــــدوبَ الألــمْ

وأرثي بلحنٍ تعيه النّجـــومُ نـزيفَ جـراحِ الأسى المضطرمْ

صداه صلاةٌ بعمق الظّـــلامِ بمعبدِ وادي الفنـــا والعــــــدمْ

وأشباح شتى من الذّكريــــاتِ تُرَّجعُ ترتيــلَ ذاك النغـــــــمْ

وحولي بقايا (كمان) حطـــام عليه كتبتُ ســـــــطوراً بـــدمْ

ستبقى على الدَّهرِ حتى تكونَ دليلاً لرمسي بيـــــــن الأكــمْ

وتصبح الطبيعةُ وسيلةَ لإثارة الشجون ، وتهييج الذكريات والحنين ، فهذا أحمد قنديل يحنُّ إلى قريته ، حين يتذكر ما ألفه فيها من طبيعة ساحرة ناطقة ، فهذا صوت الديكة ، وتغريد الطيور ، وثغاء الشياه ، وتلك راعية الغنم ، وهي تجلب الماء من البئر، والأزهار والأطيار والأنسام ، كلّها عواطف تسيطر على الشاعر ، فلم يعد يدري أحنينه للقرية أم لعناصر الجمال فيها ، يقول:[1]

حَنَنْتُ لقريتـي الخضراءِ قَـدْ تَـدري ولا تـدري

بما قد لجَّ في قلبي وما قَدْ أَجَّ فـــي صدْري

توارتْ غَيْر شـاعـرةٍ بِـما في كَوْننا الشّعـري

من الدسوسِ في الأعراقِ قَدْ طال به عُمري

إلى المنثورِ فوقَ السَّطحِ بين الرَّملِ والصَّخرِ

تُصَفِّقُ حـولهـا الأطيارُ من يُغْري إلى قُمري

وتَخْفقُ صَوْبـهـا الأنسامُ رقَّت حيثما تَسْـري

تُوشْوِشُ ماءَها الرَّقراقَ وَسْطَ حُقولهـا تَجْري

ويتعلق محمد هاشم رشيد بالطبيعة ، حيث نلمس ارتباط الطبيعة بالتجربة الوجدانية ظاهراً في شعر الحنين عنده ، وهذا المزج يضفي على نفسه حالة من التماسك تجعل مشاعره الداخلية مرتبطة بعوالم الطبيعة حوله ، يقول:[2]

كلُّ شيءٍ يا حبيبتي ها هنا حتى الجبالْ

والـشَّذى والدَّوحِ والزَّهـــرِ وذرات الرِّمالْ

شـاقـهـا سِحْـرُ مُحَياكِ وأغراهــا الدَّلالْ

[1] قنديل ، أحمد ، ديوان : (قريتي الخضراء) ، شركة مطابع الجزيرة ، الرياض ، 197.

[2] رشيد ، محمد هاشم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1991م ، 2 /40 .

فَتَمَنَّتْ لحظةً تَسْعَدُ فيها بالوصالْ

يا حَبيبي إنّها مثلي ظمأى فتعالْ

يزدهي الواقعُ والحلمُ بشُطآن الخيالْ

يا حبيبي رقص الدَّوْحُ فَقُمْ نرقصُ معه

وانتشى الطّيرُ بأكوابِ الزُّهورِ المترعة

قد أقام الكون عرساً للهوى ما أروعه

إنّه حُبُّكِ روَّى بالأماني أضلعه.

وليس ارتباط الحنين إلى المرأة بوصف الطبيعة بدعًا ، فهو عنصر مشارك في انفعالات الشاعر، وهو ظاهرة عند الوجدانيين بعامة ، حيث يستمد الشعراء من الطبيعة الخلابة ما يمكن أن يقترن بالتجربة الوجدانية ، فتمتزج عوالم الطبيعة بعوالم الوجدان ، لتصبح الطبيعة معادلاً للعالم الباطني ، ونمثل على ذلك بقول عبد السلام هاشم حافظ:[1]

ربيبةَ شعري وفني تعالي	أُغنيك لحنَ المنى في مقالي
طوى الليلُ ثوبَ الظلامِ وهل	شخوصُ الضياءِ بنورِ الليالي
وبدرٌ بهيٌّ لاحَ يَندي	ويرقصُ الغمامِ بروضِ الجمالِ
يموجُ الشُّعاعُ بوجه الفيافي	ويرقصُ في البحرِ مِثْلَ الظّلالِ

إنَّ الطبيعة ترسم جوًّا من الألفة بين العاشقين يهيئ للحظة اللقاء ، وخاصة عندما عمد الشاعر إلى تشخيص كل ما حوله من مظاهر الطبيعة ليساعده في إقناع المحبوبة للقدوم إليه فالليل يطوي ، وللظّلام ثوب ، والضياء يهلُّ ، والشعاع يرقص .

ويمزج محمد العيد الخطراويّ أشواقه وحنينه بمظاهر الطبيعة لتدلَّ على عمق هذا الحنين وهذا الشوق ، يقول:[2]

أتيتُ إليك بشوق الرَّوابي	وخفقِ السّواقي وهمسِ الزُّهرْ
وقلبي يرفرف في أضلعي	يُسابق خطوي ولا يستقرْ
ويركضُ نحوك في لَهْفةٍ	كركض الجداول نحو النَّهر
وفي مسمعي وشوشات	السّكن وهمسة الصّيِّبِ المنهمر

---

[1] حافظ ، عبد السلام هاشم ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 36/1.

[2] الخطراويّ ، محمد العيد ، ديوان : (حروف من دفتر الأشواق) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1990م ، ص 160 .

إنَّ أشواقه وهيامه تمتزج في أحوال الطبيعة الجميلة وعناصرها ، فهي الوجه الآخر لمشاعره ، وهي كذلك الوجه المعادل لحالة المحبوبة.

هو ما نجده أيضًا في قوله:[1]

ويا أنتِ يا تهويمة العطــــورِ	وصبوةَ الأنسامِ في البكــورِ
ودفقةِ الربيعِ في كيانـــــــي	وعنفوان اللونِ في الزُّهـــورِ
وبسمةً على شفاهِ عمــــري	تلألأت كغـيمةٍ منَ نـــــورِ
أقبلتْ كالصباحِ يومِ عيـــدٍ	وكالظلالِ ساعةَ الهجيـــــر
مخضرةٌ خُطاك بالأمانــــي	كالحلمِ المخضوضلِ النّضيرِ
وإنّي رأيتُ الفجرَ في شــذاكِ	معشوشبًا يطلُّ في حُبـــورِ
أَحْسَسْتُ فيك ضحكةَ الرّوابي	تَتْهَك في الحواءِ بالعبيـــرِ
وترسمُ الأشواقَ في عيـــون	مزهوةً كالأفـقِ المطيـــــر

وصورة المرأة عند الشعراء صورة مثالية تقترب من السمو والكمال ، وعدت صورة خالية في بعض الأحيان ، إذ تقترب من صورة الوطن ، فيجد فيها الشاعر روعة الذكريات ، وعبق الماضي ، فتصبح حينئذٍ رمزًا خالدًا للوطن وللأمة ، ومن أجل ذلك تتداخل الصورتان في نصوص بعضهم ، فتتعدد أوجه القراءة للنص الواحد .

ومن نماذج ذلك قصيدة (أهواك) لحمزة شحاتة ، التي يبدو فيها المزج واضحًا بين الوطن والطبيعة والمعشوقة ، التي جعل منها رمزًا لأرض وطنه الطاهر بطبيعته الأخاذة وجوه العليل ، يقول:[2]

أهــواك تمنحني الرِّضا أو تبخــــل	أنـا في هــواك الفـاتن المتبتــل
طلّقْتُ أسباب الحياةِ و عـــفتهـــا	حـتـى استباني وجهك المتهـلل
وظمئْتُ لا تروي المباهج مهــجتي	حـتـى بدا مـن ناظريك المنهـل
فـــنسيتُ آلامَ الحياةِ وبرحهــــا	وغـدوت لا أشـكو ولا أتململ
نـشوانَ ريّانَ لمطـالبٍ فائـضًــا	أمـلاً وأنت المنعـمُ المتفضــل
يا جنَّةً فاضت مفـــاتنُ حسنِهــا	هي للخـلود مثاله المتخيــل
رقَّت معاني الـــحسنِ واحتشدت بها	وشـدا الهزار بها وغنى البلبـل

---

[1] الخطراوي ، محمد العيد، ديوان : (حروف من دفتر الأشواق) ، مصدر سابق ، ص 183 .

[2] شحاته ، حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 25 .

وتعانقت فيه الغصون رواقصـــاً جـــذلاً يُعَبِّرُ عن هواها الجدول

وسرت بها النسمــاتُ عاطرةَ الشَّذا الزَّهرُ يَجِـدُ طيبها والمنــــــدل

لقد تداخلت الصور ، فتعددت أوجه قراءة النص ، فهناك صورة الوطن ، وصورة الطبيعة ، وصورة المحبوبة ، وهذا ما نجده . أيضًا . في قصيدة أسامة عبد الرحمن (ليتني أسهر في عينيك) حين يحنُّ لأمجاد أمته ، وماضيها المشرق العريق ، من خلال المزج بين الحنين للمحبوبة والأمجاد وعناصر الطبيعة ، يقول:[1]

إنني ألمحُ في عينيك بيتا من بيوت الجاهليّـــــــــة

وأرى في وجهك الحضريِّ ومضا من صفاء البدويّـــة

وانبلاج الشوق مثلَ الفجرِ في أجفان ليلى العامريّـــة

كيف ضاع الحبُّ في عينيكِ ؟ داسته الرِّياحُ البربريّة

كيف ضاعَ المجدُ واستولت عليه العادياتُ الهمجيّـــة

كيف ضاع البدرُ من ليلكِ عضته الذئاب البشريّـــــة

وهوت كلُّ نجومِ العزِّ تحت العربـــــات القيصريـــة

إنني أبحُث في عينيك عن عمــروٍ ووادي العبقريـــة

وسيوف المجدِ في آفاقِ حــطيــنَ وأرض القادسيـــة

وينغمس الشاعر محمد بن سليمان الشّبل (1349هـ- ؟) . في الطبيعة ، يبثها آماله والأمة ، ويودع جمالها مشاعره وأحاسيسه ، فكأنه يخاطب محبوبته أو وطنه فلا يسهل التفريق بينهما ، فقد امتزج كلاهما بالطبيعة . فصعب الحديث عن أحدهما منفصلًا عن غيره ، يقول:[2]

بِقَلْبي ما أهْواه فيكِ من السِّحْــــــــرِ وما بِفُـؤادي عَنْكِ مِنْ طَيِّبِ الذِّكْـــــرِ

وما لاح في دنياك من صُورِ الهـوى حياةً على كفَّيْ مرابِعــك الخُضْـــــرِ

أنا العاشقُ الولهانُ ذَويْت مُهجتـــــي فـسألتْ بأنفاسِ الصَّبابةِ في شِعْـري

رؤىً كالأماني في مشاعـــــــــــري كنادبـةِ الأطلالِ في مُـوْحشِ القفـــرِ

تجرَّعتُ منْها ما جَنيْتُ من الأســـى وما زال قـلبي بين طياتها يجـــــري

---

[1] عبد الرحمن ، أسامة ، ديوان : (واستوت على الجودي) ط1 ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، 1982م ، ص 96 .

[2] الشّبل ، محمد بن سليمان بن محمد ، ديوان : (نداء السّحر) ، ط1 ، النادي الأدبي بالرياض ، 1399هـ ، ص 97.

سقى اللهُ من نَبْعِ السَّماء مرابـــــعـاً ترنَّمَ في أفيائها ساجــعُ الطَّيــــــــرِ
تُقَبِّلُ فيها الورد مائسـةُ الرُّبـــــــــا وَتَلْـثَمُ قَطَراتُ النَّدى عَطَشَ الزَّهـــرِ
يذوبُ بها رُوْحُ الرَّبيعِ خمـائـــــــــلاً تُـزيِّـنُ مــحــيـاهـا بِـعـقْـدٍ من الـدّرِ
ورضٍ كأحلامِ الأساطير راقــــــصٍ على نفثاتِ العِطر في هَدْأةِ الفجـــرِ
يذوبُ كما ذابَ المتيَّمُ في الهــــوى وَيَخْطُرُ كالإشـعاعِ في ألـقِ البـــدْرِ

ونقف على صورة رائعة من مزج الحنين بالطبيعة عند الشاعر إبراهيم العواجيِّ ، حين يخاطب القمر خطاب البشر ، فهو يتساءل يريد جوابًا ، ولكن أكان التساؤل للقمر المعروف في السماء ؟ أم كان لمحبوبة هي القمر في حسنها وجمالها ؟ . يقول:[1]

أهجرتَ بلادك يا قمــــرُ وسهـولاً كُـنْـتَ تُـناجيهـــا
وحقــولاً كُنْتَ تَزينُهــــــا وصحـاري كُــنْتَ تُسليهــا
وقوافلَ في مَهْلٍ تمـــضـي تستهوي التيـه ويهويــهـــا
أتركـت الرَّكب بلا سمـــرٍ ورعـــاة العْيـسِ وحاديهـــا
وزفـاف القريــةِ ملحمــــــةٌ للحـــبِّ وصفـوِ أهاليهـــا
مـــاذا أسرى بك يا قمرُ عن أرضٍ كُنْتَ تُـواسيـــها

لقد وقفنا على نماذج من شعر الحنين عند عدد من الشعراء السعوديين ، وتبيّن لنا كيف مزجوا بين الحنين بصوره المختلفة والطبيعة ، " فالطبيعة في كافة الآداب الإنسانية مصدراً للشعر لا يقل أهمية عن الحياة ذاتها"[2] ولا شكَّ أنَّ لرهافة الحسِّ ، وجيشان الذكريات عند الشعراء السعوديين في موضوع الحنين والغربة أثرًا عظيمًا في هيامهم بالطبيعة في جميع مظاهرها ، فهم (يريدون أن يستلهموها ويستوحوها أسرارها ، وأن يكون أدبهم صدى للشعور الصادق بما يتجلى لإحساسهم من مناظرها)[3]. فنجد الطبيعة في شعرهم ، ثائرة مع ثورتهم ، هادئة مع هدوئهم ، وهي عارية في كآبتهم ، ناضرة في انشراحهم . وهم لا يتناولون الطبيعة من خلال إدراكهم الحسيّ ، وتناولها التناول الوصفي الخارجي بل إنهم " يضيفون إليها من عواطفهم ، ما يعدل منها ويبعث الحياة في جمادها" [4] .

---

[1] العواجي ، إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، دار المداد ، الرياض ، 1999م ، ص 139 .
[2] مندور ، محمد ، الأدب ومذاهبه ، ط6 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2006م ، ص70 .
[3] هلال ، محمد غنيمي ، الرومانتكية ، ط1 ، دار العودة ، بيروت ، 1973م ، ص 171 .
[4] عبّاس ، إحسان ، فن الشعر ، ط2 ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، عمّان ، 1993م ، ص 31 .

6 . التّجربة الذاتية الشعرية :

تمرُّ بالإنسان تجارب عديدة في الحياة ، متباينة في نوعها ، وفي مدى إحساس كلِّ فرد بها ، قوة أو ضعفا ، والشاعر إِنسان تمرُّ به تجارب كثيرة مغايرة لغيره من الناس ؛ لأنّه يحسُّ بالموقف ويتفاعل معه نفسياً وفكرياً ، ثمّ يصوغ ذلك شعراً ليشاركه المتلقي أحاسيسه ومشاعره ، وبمقدار هذه المشاركة يتحدد نجاح الشاعر أو فشله .

وتدور التجربة الذاتية في شعر الحنين والغربة حول التعامل مع مفارقات الحياة ، ومواجهة امتحان تقلبات الدّهر ، وإعطاء صورة متكاملة عن المعاناة النّفسية التي يمرُّ بها الشاعر في دنيا الغربة والارتحال.

إِنَّ الشاعر الحقّ هو الذي لديه القدرة على أن يتفاعل مع تجربته ، ويهضمها ، ويسيطر عليها بفكره ، والتجربة الشعرية يستغرق فيها الشاعر لينقلها لنا في أدقِّ ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجي ، ".... والشاعر يعرب في تجربته عما في نفسه من صراعٍ داخليّ سواء أَكانت تعبيراً عن حالات نفسه هو ، أم عن موقف إِنساني يمثله "[1]

وكلنا يعلم إِنَّ الشاعر إِنسان مرهف الحسِّ ، يتلقى إِلهامات الحياة المتباينة ، وتعتريه حالات من الحزن والسرور والانقباض والمرح ، شأنه شأن غيره من البشر ، لكنه يختلف عن غيره في أنّه لن يستطيع بحال من الأحوال ، أن يخرج تلك المشاعر النابضة المتفجرة من أعماق روحه ، إلا هو في أوج صفائه النفسيّ ، وفي أرقى درجات استجابته للتجربة.

فلا بدَّ من ضرورة انصهار التجربة في نفس الشاعر وتفاعله معها ، أيًّا كان نوع تلك التجربة ، فهو لا بدَّ أن يستشعرها ويتأثر بها ، وينفعل معها أولاً ، ثم ينقل ذلك الانفعال عن طريق أدواته التصويرية والتعبيرية إلى المتلقي ، لكي يأتي شعره متميزاً بالصدق والعفوية ، خاليًا من الاصطناع والتكلف وافتعال الشعور ، التي تخرج الشعر من إطاره الصحيح ، وتسلبه سمات الجودة.

والتجربة الشعرية ما هي " إلا إفضاء بما يكتهنه الشاعر في ذاته من خواطر وأفكار عاشها وتعايش معها ؛ فهي معايشة حقيقيّة لإحساس معين يتملّك الشاعر أو الأديب فيدفع به إلى الخلق الفنيِّ ، فهي على هذا النحو صياغة فنيّة لتجربة إِنسانية ناتجة عن معاناة حقيقيّة ، والمقصود بصدق التجربة هو أن يكون الأديب قد مرّ فعلاً ولو في عالم الخيال ، بموقف أثار

---

[1] غنيميّ ، هلال ، النقد الأدبيّ الحديث ، ط3 ، مطابع الشعب ، القاهرة / 1964م ، ص 384.

نفسه وحرّك وجدانه ، وألهب عاطفته ، مما يجعل نتاجه الفنيّ صدى لنفسه وصورة لفكره "[1]

ويتساءل د. جهاد المجاليّ : هل يلزم بالضرورة أن تكون المعاناة المقترنة بتجربة الشاعر، معاناة حقيقية عاشها الشاعر أو الأديب في واقع حياته ؟ أم أنَّها يمكن أن تُتَقَمَّص وَتُسْتَقى من خواطره وملاحظاته أحيانًا ، ومن نسج خياله في أحيان أخرى؟ .[2] والواقع أنَّ كثيرًا من النُّقَّاد يجمعون على أنّه ليس من الضروري أن تقع هذه التجربة في حياة الشاعر نفسه ، أو أن تكون نتيجة ممارسة واقعية له ، ويدلل المجالي على ذلك بقول جرير : " ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسَّبتُ نسيبًا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها ".[3]

وفي ذات المعنى يقول محمد مندور : " من غير المعقول أن نطالب الأدباء والشعراء ، أن يعيشوا كلَّ تلك التجارب التي يصوغونها في قصصهم أو أشعارهم ، وإلاّ لوجب أن نفترض أنّ أديبًا عالميًا كشكسبير أو بلزاك قد عاش حياة كلِّ أولئك المجرمين والأفّاقين والبخلاء الذين صوّر حياتهم في حياته أو قصصه "[4] فصدق التجربة إذن لا يعني بالضرورة مطابقتها للواقع : " لأنَّ ذلك قد يكون من شأن التجارب العلمية ، أمّا التجارب الشعرية ، فالصِّدق فيها يعني أن تكون مطابقة لوجدان الشاعر ، موضحة لحقيقة مشاعره " [5]

ولذلك نجد أَنَّ من الشعر ما يموت مع موت قائله ، أو انقضاء مناسبته ، وبالمقابل نجد شعرًا يظلُّ مشعًا متوهجًا مهما تعاقبت عليه القرون . وهذه الحقيقة وعاها الشعراء السعوديون ؛ حيث اهتموا بعناصر التجربة الشعرية ، من صدق ولغة معبرة ، وصورة مُجسِّدة ، وموسيقى مطربة ، وترتيب منطقي لا يخرج عن الوحدة الفنية ، لأنَّ المشاعر المزيفة التي إن انطلت برهة على الناس ، سرعان ما تتكشف . وقد مرَّ كثير من الشعراء السعوديين بتجارب عاطفية فجّرت في نفوسهم معاني الحزن والألم والأسى ، فمن غربة لبعضهم ، إلى تجارب غرامية ناجحة وفاشلة إلى فقد أهل وأصدقاء ومعارف ، إلى تحسر على ماضي الأمة الغابر ، للبعض الآخر، وهذه التجارب كلّها تركت في نفوسهم أثرًا عميقًا ، ظهر في شعرهم .

وتتجلى هذه التجارب بشكل واضحٍ عند تتبع التجربة الشعرية في بعض قصائدهم ، ولنأخذ

---

[1] المجالي ، جهاد ، التجربة الشعرية بين الصدق الفنيّ وصدق الواقع ، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج15 ، ع27 ، جمادى الآخرة ، 1424هـ ، ص 926 .

[2] المرجع السابق ، ص 926.

[3] انظر: عبد الرحمن، نصرت ، الصورة الفنية في الشعر الجاهليّ ، مكتبة الأقصى ، عمّان ، 1976م ، ص 146 .

[4] مندور، محمد ، محاضرات في الأدب ومذاهبه ، معهد الدراسات العالية ، القاهرة ، 1955 ، ص 6 .

[5] أبو الخشب ، إبراهيم ، في محيط النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (د. ط . د. ت) ص 218 .

على سبيل المثال النماذج التالية : ففي قصيدته (ذكرى أو في أعقاب ذكرى) يقول محمد أحمد العواد:[1]

يا صَفيَّ الأمْسِ يا باعث أطيافك في جُنْحِ الليالي

زمَرًا تَحْشدُها الذِّكرى بأحلامي ، فَما تترك بالي

واصلتني في صباحي ومسائي نِعَمًا أَحْيَت خيالي

كلَّما مثَّلها الحبُّ المولّي هَمَسَت سَكْرى قِبالي

أنا من تعرفُ صِدْقًا ووفاءً في الهُدى أو في الضَّلالِ.

إِننا نجد في المقطع السابق التجربة الشعرية ماثلة بكلِّ عناصرها . فالشعور موجود بكثافة عبر مناجاته لصفيِّه ذاك الذي أثر فيه كلّ ذلك التأثير الذي تمثله الأبيات ، فالخيال والعقل يسيران معًا في تناسق تام ، حيث يبدأ مناجاته لصفّيه ويلبسه وشاحًا من خياله كي يأتيه فيه ، فيبعث هذا الصفي أطيافه عبر خيال آخر هو جنح الليالي ، وهذه الأطياف تحشدها الذكرى زمرًا في أحلام الشاعر. فلم تغب عن باله ، وظلت تلازمه في صبحه ومسائه ، فهي من أحيت خياله فحنَّ لصفيّه هذا .

ومن نماذج التجربة الشعرية ما نجده في قصيدة(أغنية فيفاء) لمحمد علي السنوسيّ يقول:[2]

لسْتِ فيفا أنتِ جَنَّةْ تُلْهِمُ الشَّاعر فنَّهْ

من روابي الخُلْدِ لونٌ ومنْ الفردوسِ سِحْنَهْ

عالمٌ يُزْهِرُ بالبِشرِ ودُنْيا مُطْمَئِنَة

ونُفوسٌ كالنَّدى طُهْرا وكالإشْعاعِ فِطْنة

وسماءٌ تَندى مُزْنَةَ في إثرِ مُزْنَة

إنّ إحساس الشاعر الصادق وعاطفته الجيّاشة ، تتجلى بوضوح منذ البداية ، فيظهر لنا أنّه كان تحت وطأة تأثير نفسيٍّ عظيم،جعله يتجاوز كلَّ مشاهداته المحسوسة، كي يشبه بلدته بجنَّة الفردوس وهذا أقصى ما يصل به خيال الشاعر ، فلا شيء يعدل الجنة وجمالها.

ثمَّ نراه يبحث عن مواطن الجمال في بلدته ، فيجدها في وجوه أهلها، وطهارة أنفسهم ، وفطنتهم ، وذكائهم الفطريّ ؛ فإِنّ مكانًا يشبه الجنَّة لا ريب أنَّ جماله سينعكس على كلِّ ما حوله:[1]

---

[1] العواد ، محمد أحمد حسن ، ديوان : (في الأفق الملتهب) ، مطابع دار سعد ، القاهرة ، 1960م ، ص 271 .

[2] السنوسيّ ، محمد علي ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1403 هـ ، ص 398 .

عالـمٌ يُزْهِرُ بـالْبِشْــر ودنْيا مطمَئنةْ
ونفوسٌ كالنَّدى طهْرا وكالإشعاعِ فِطْنَهْ

ونـرى كيـف تمكـن الـشاعر مـن مـزج عناصـر التجربـة الـشعرية بعـضها بـبعض ، فالخيـال المجـنح، واللغـة الـشفافة العذبـة، والـصورة الـشعرية الراقيـة ، بالإضـافة إلـى الإيقـاع الموسـيقي الـداخلي ، كلّهـا تناسـقت لتسير بالتجربـة الـشعرية سيرًا ناجحًا إلـى حدٍّ كبيـر . وكانـت خاتمـة القصيدة موفقة أيضًا حين اعترف بقصور بيانه عن تصوير تجربته بالرغم من كلِّ محاولاته لذلك ، يقول:[2]

أَفْرَغَتْ فيك القوافــي كأسَهـا والشِّعرُ دنّـَهْ
وأفاضَ الفنُّ في دنـ يــاكِ ريَّـــاه ولحْـنَـهْ
للهـوى فـيك أغاريـ دٌ ولــلأهْــواءِ رَنَّـــــهْ
ولحُسنـائـك حُسْنٌ لستُ أدري مــا كأنَّهْ
إنَّـــه فَـوقَ بَـيـانـي جَـلَّ مَـن أبْـدع فَـنَّه

والتجربة الذاتية الشعرية عند طاهر زمخشريّ تنثال في كلِّ لفظة من كلماته ، فكأنما يجلب الدنيا إليه ، كأن يستدعي النـاس وشؤون الحياة لتلتف حلوه ، لتشاركه الحبَّ ، فـي مستهل حياته ، ولتشاطره الأسى في غربته وأحزانه فالذاتية " هي التي تصنع الكلمة والعبارة والصورة عنـد الـشاعر " .[3] فالـشاعر طـاهر زمخشريّ يـضيف الـسمير إلـى ذاتـه فكأنّـه لـصيق بـه ، وكذلك يضيف الأنين المر ، وهو يوظف الفعل للتأثير الذاتي ، فيقول : صنعتُ ، وأخرست ، ونسجت ، يقول:[4]

يا مسيري في وحدتي بالظّنونِ معْزفي لا يــزال صوت أنـينـــي
ولقد ضقْــتُ بالحياةِ وبالحبِّ وأَخرسْتُ رغم أنــفي لُحُونـــــي
فالأماني التي زُرِعــتْ مع الأيْ أمِ جفَّت زهورُهـــا في يمينـــــي
والليالي التي نُسِجَــتْ مــع الأ حلامِ بَعْثَرَتْ في مداهــا سنـيـني
وعلى ناظريَّ تحــــومُ الخيـالا تُ وقـد جُـنَّ من رؤاها جـنوني
ذكَّرتني بالأمس كــان وراء الـ غَيْبِ يلهــو بخافـــقي المغبـــونِ

---

(1) السنوسيّ ، محمد علي ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 398 .

(2) المصدر السابق ، ص 400 .

(3) المجالي ، جهاد ، التجربة الشعرية بين الصدق الفنيّ وصدق الواقع ، مرجع سابق ، ص 926 .

(4) زمخشريّ ، طاهر ، مجموعة الخضراء ، دار تهامة ، جدة ، 1982 م ، ص 205 .

والدُّروبُ التي تثاءبَ فيها الّصـ مـتُ ضجَّـت بلاعـجِ المحـزونِ

كيف عادتِ إليَّ تزحف بالذْكـ رى وقـد حرَّكتِ رؤاهـا شـجوني

والهوى كان لي عذابًا فـأضحى بِتَناسيه عـارضًا يعـترينـي

قتل الظَّنُّ كلَّ ما في الـحنايـا من شعـورٍ يَـمـدني باليقيـنِ

وعلى مقعـدي تلوحُ بـي الأفـ كارُ والليلُ غـارقٌ فـي السكـونِ

فالقارئ يتفاعل مع التجربة الذاتية للشاعر ، ويتعاطف معه ، ويستشعر غربته ، والإحباط الذي يظلل حياته ، بعد أن يصبح غير قادر على العطاء .

وتغمر الذاتية إبداع يحيى توفيق حسن في غزله الغرامي اللاهث في عوالم المرأة ، وتتبعث من شجونه وآلامه وأحزانه ، فيبوح بها ، فكأنه يقذف اللهيب الداخلي الذي يستعر في وجدانه إلى الخارج ، ومنبع الذاتية هو إحساسه الداخلي الذي يهتز لما يعترض حياه من نوازع الجمال عند المرأة أولاً ، ثم نوازع الحياة والشقاء فيها ، ثم تأتي نوازع الوطنية ، فهو يعاني في ليل من الشجن نتيجة صراع الحياة التي يكابدها ، وبما أنّه ذو روح شفاهة فإنه يزرع الحبَّ والودَّ ، لكنَّه يصدم بخيبة أمل ، حين لا يجد صدى ، يقول:[1]

لِمَنْ أبُوح بآلامـي وأحـزانـي وأيْن أهْربُ مـن ليلي وأشْجـانـي

إذا شكوتُ فكلّ الناس يَعْذلُـنـي وإنْ صبرتُ فصَبْرُ المرهـق الوانـي

كم أزرعُ الودَّ في أفياءَ مُعْـشبـةٍ فأحْصُدُ الحقدَ في صحْراءِ حرماني

ليلي طـويلٌ وأفكـاري تُحيِّرنـي وتسكـبُ اليأسَ في قَـلبي ووجـداني

يا ربّ أشْكـو إلـيك اليومَ أفئدةً تَـقْـسـو عَـليَّ ولا أشكو لإنـسانِ

الدَّهرُ خِصْمٌ كثيرُ الختلِ عذّبنـي وأنتَ عَـونـي إذا ضيَّعـتُ أعواني

ويبدو الوازع الديني عند الشاعر بارزًا في البيتين الأخيرين فالشاعر يشكو لخالقه ما يعاني من قسوة البشر ، ولا يشكو لأحدٍ من خلقه، كما أنه متوكل على الله واثق بعونه ، فهو يتأثر بالدين الإسلاميِّ ، وكيف لا يكون وقد عاش كغيره من الشعراء السعوديين في بيئة متدينةٍ، من جنباتها شعَّ ألقُ الوحي الإلهيّ . وعلى ثراها ظهر دين الإسلام ، ومن هنا ندرك أنَّ وهج الذاتية عند يحيى توفيق متفاعلة متأججة في معاناته وتجربته الشعرية .

أمّا التجربة الذاتية الشعريّة عند الشاعر محمد الفهد العيسى فقد مالت به إلى الانفعال في نظرته للأشياء ، لكنّه انفعال لا يتمرد على النظام الاجتماعي ، غير أنّه مثقل ثقلاً ذاتيًا ،

---

[1] حسن ، يحيى توفيق ، ديوان :(أودية الضياع) ، ط1 ، دار العلم للطباعة والنشر ، الرياض ،(د. ت)، ص121 .

حتى دفع به إلى التشاؤم والنظرة السوداوية ، فنظر إلى ما حوله بشك وريبة ، وتعلق بعالم ما وراء المحسوسات بل بما وراء الطبيعة ، إلى عالم من نسج خياله ، ماضٍ في مسيرته إلى ما وراء عالمه الخياليّ ، دون رفيق أو صديق ، مثخنًا بجراحه وهمومه ، يقول:[1]

حَبِيبي أراني عِبْرَ الطَّريقِ أَسِيْرُ إلى ما وراءِ الغيوبْ
أسيرُ إلى عالمٍ للفَناءِ وحيدًا تُحيْطُ بنَفسي النُّدوبْ
حُطامٌ فَقَد هَدَّ منِّي هواكِ صروحًا تحَّدَيتُ فيها الخطوبْ
هواكِ شَقاءٌ بدنْيا شقاءٍ أَضلَّ طَريقي بَيْن الدُّروبْ
حبيبي وكنْتَ بهذي الحياة الـ أغاني وكُنْتَ الأسيرَ الطّروبْ
فَلي هَينَماتٌ وعاها الزّمانُ بِحُبكِّ مَسَّتْ شغافَ القلوبْ
وأنتِ نَعَمْ أنتِ يا للشّقاء حطّمْتِ فُؤادي بوعدٍ خلوبْ
فَذُقْتُ العَذابَ وكأس الحمامِ فكُلُّ وفائي وحُبِّي ذنوبْ
بعيدًا بعيدًا وراء الغُيوب سأذهبُ وحْدي ولا لن أعودْ
غدًا سوفَ أذهبُ تحت الترابِ معي قلبي الدَّامي بيْن اللحودْ
وتبقى حياتي من الذّكرياتِ صدىً بين شعرٍ وأوتار عودْ

وتتجلى ذاتية القصيبيّ كثيرًا في شعره حتى في غرض الرِّثاء ، فهو شاعر يهزه الانفعال الحزين ، وينظر إلى الميت برؤيته الداخلية ، والرثاء حنين للميت ، يقول : عن الملك خالد بن عبد العزيز– يرحمه الله– المتوفى عام 1402هـ :[2]

وهزَّ ضلوعي المنظرْ
رأيتك في جلال الموتْ
لا أَنقى ولا أطهرْ
وحيدًا في رحَابِ اللهِ
لا عَرْضٌ ولا عَسكرْ
.....
وتسألني

---

[1] ادريس ، عبد الله بن عبد العزيز ، شعراء نجد المعاصرون، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2002م ، ص118.

[2] القصيبيّ ، غازي ، ديوان : (العودة إلى الأماكن القديمة) ، العودة إلى الأماكن القديمة، دار الصقر ، المنامة ، 1985م/1405هـ ، ص 123 .

أَما تُبْتَ عن الأشعــارِ
مررتُ اليومَ قربَ الدَارِ
تَفرَّقَ مَجْمَـعُ السُّمَّارِ
فلا أسمعُ إلا الصَّمْت يَسْتَرْسِلُ
في الأذكارِ
ولا أُبْصِرُ غيْرَ الجَـدْبِ
يَسْـترسلُ فـي الأزْهـارِ
فأبحثُ عنك في التذكارِ

ويناجي حسن عبد الله القرشيّ أمّه بعد رحيلها بقصيدة فيها عمق المصيبة، وفيها جلال الخطب ، وفيها رنّة الأسى ، وتُظْهِر لنا القصيدة شاعرًا يعطي انفعالاته انطلاقها لتتحد مع التعبير فتغطي تجربته الذاتية بغطاءٍ من الصور والموسيقى في نوعيها الداخليّ والخارجيّ يقول:[1]

فـي عُمْقِ أعماقـي مكانُـك فـي فُؤادي ، لا تغـيبي
لا في الثُّرابِ ، فأنتِ وَمْضُ مشارقٍ وشذى طيـوب
أنتِ المُحِبُّ السَّـمحُ إن غَـدَرَ المُحـبُ بالحَـبيبِ
أنـتِ الغـدُ المنْشُـودُ ها قد عادَ كالأمـسِ الكئيبِ
وتَـراءت الآمـالُ أشْـباحًـا لـدى لـيْلٍ مـريـبِ
لـيْـلٌ تـلـظَـى بالشُّـجـونِ وبـالرَّزايـا والـنُّدوبِ
هــا نَــحْـنُ يـا أمَـاهُ أيْـتَـامٌ بـمـائـدةِ الخُـطوبِ
حَـطَّـتْ بِـكَـلْكَـهـا ونـاءَ بِـحْمِلُها صَبْـرُ اللـبيبِ
وهتَفَـتُ ، فانحَـبسَ الجوابُ وكُنْتِ كاللُسنِ الخطيبِ
تَـتَـدفْـقـيـن فَـصاحـةً وتُـنـافسيـنَ صدى الأديـبِ

كما أنَّ تجارب بعض الشعراء السعوديين كانت حيّة في موضوع الحنين ، لذا جاءت في موضوع واحد لا تتعداه ، لأنَّها تعبر عن تجربة حقيقية عاناها الشاعر وتفاعل معها وعايشها واستولت على إحساسه ووجدانه ، فعبر عنها في عبارات جميلة عذبة، وصور في غاية الصدق والإبداع ، ومن ذلك قصيدة (يا منار التوحيد) للشاعر جاسم محمد الصحيح ، وهي

[1] القرشي ، محمد حسن ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصر سابق ، 252/2.

قصيدة طويلة قصرها صاحبها على الحنين لوطنه ، والتغني بأمجاده ، والإعجاب بتقدمه ورقيه ، يقول فيها:[1]

وطني حَيْثُ أفرغت ريشةُ الحبْ	بِ صداها على عروقِ الضَّادِ
حَيْثُ شادَ الغرامُ مِحْرابَهُ الأسـ	ـمى فَصلَّى (الثُّراب) بالعبادِ
وطني نَغْمَةٌ على شفةِ الشَّمْ	سِ تَهادت طَليقةَ الأبْعادِ
حُبُّهُ خَيْرُ بِذرةٍ دسَّها الآ	باءُ والأمَّهاتُ في الأولادِ
قفزَتْ من جذورها في الأضاليـ	ـعِ وشَقَّتْ مَرائِرَ الأكْبادِ
واشرأبت عن نَخْلَةَ أَوماَْ الغيـ	ـمُ إليها بِقَطْرةٍ من وِداد
فإذا الأُفقُ مَلْعَبٌ لسباقِ الـ	ـجذعِ والسَّعفِ والعذوقِ الصَّوادي

ويتابع قائلاً:[2]

اشمخي كيفما تريدينَ يا نخْـ	ـلَةُ بَلْ جاوزي حُدودَ المُرادِ
الوفاءُ العريقُ في فَرْعِكَ المتْـ	ـلعِ لم يَنْسَ جَذْرهُ في فؤادي
وطني يا خزائنَ الدِّفءِ لم تُوْ	صَدْ أمامَ ارتعاشةِ الورّادِ
واحدٌ في هواك قلبي فأزها	رُكَ عِنْدي تَوائِمٌ للقتادِ
أنا ذا فكْرَةٌ بها عِشْقُك انْصَبْـ	ـبَ فَثارت جوامحًا في مِدادي
فإذا صِحْتَ بي وراءَ المآسي	سَبَقَتْ شَوْطَها إلَيْكِ جيادي
فاستلمني إذعانةَ رفرفَت في	رُوحِها رُوحُ طاعَتي وانقيادي

إذن فالشاعر تتحقق لديه أهم عناصر التّجربة ، وهي الأحاسيس والمشاعر ، وما عليه سوى إعادة صياغتها في عناصر موَحيّة تترجم مشاعره الحقيقية نحو وطنه.

لقد عبَّر الشعراء السعوديون في النماذج السابقة عن تجارب ذاتية شعرية مرّت بهم ، وكأني بتلك التجارب أشعلت في قلوبهم جذوة تتضرم بالعديد من المشاعر المائجة وبقيت فيها تتوهج في دمائهم ، حتى حان صهرها في شكل قصيدة أو مقطوعة ، تحمل كلَّ تلك المشاعر ولا تغادر منها شيئًا ، وجاءت أشعارهم لتصور أنفسهم كما أحسوها ، ثم نقلوها إلينا، فشاركناهم إياها.

---

[1] الصّحيح ، جاسم بن محمد ، يا منار التوحيد ، مجلة الفيصل ، العدد 254 ، جمادى الأخرى 1419هـ / أكتوبر 1988م ، ص 59 .

[2] المرجع السابق ، ص 59.

7- التكرار:

يُعدُّ التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبيّ ، وقد درسها البلاغيون العرب ، وتنبهوا لها عند دراستهم كثير من الشواهد الأدبية ، وبينوا فوائدها ووظائفها .

وقد أصبح التكرار ظاهرة مميزة يُسْتَحَقُ الوقوف عليها ؛ لما تضطلع به من دور مهم في بناء القصيدة العربية الحديثة ، فقد " جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن عدوا خلالها التكرار في صوره ، لونًا من ألوان التجديد في الشعر " .[1] لما يحويه من إمكانيات تعبيرية وإيحائية ، وجماليّة ، يستطيع الشاعر من خلالها أن يرتفع بالنّص الشّعري إلى مرتبة الأصالة والجودة ، مقارنة بأسلوب التكرار في الشعر العربيّ القديم الذي " ظلَّ في إِطار محدود سواء في أنماط بنائه أم في دلالاته".[2]

والتكرار هو : " إِعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر ، أو مواضيع متعددة ".[3] والتكرار لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السِّياق الشعريّ ، وإِنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعاليٍّ في نفس المتلقي ، ولذلك فإِنَّه يعكس جانبًا من الموقف النفسيّ والانفعاليّ ، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الذي ورد فيه ، "فكلُّ تكرارٍ يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعريّ ، ولو لم يكن له ذلك ، لكان تكرارًا لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعريّ ؛ لأنَّ التكرار إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه ، وتصويره ، فالشاعر إذا كرر عكس أهمية ما يكرره ، مع الاهتمام بما بعده حتى تتجدد العلاقات ، وتثري الدلالات ، وينمو البناء الشعريّ" [4]

وعن أهمية التكرار تقول نازك الملائكة : " هي تطور ملحوظ في أساليب التعبير الشعريّ ، فالتكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يُعْنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ، وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها،

---

[1] الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، ط3 ، مكتبة النهضة ، مصر ، 1967م ، ص 230..

[2] السِّيِّد ، شفيع ، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية ، ط1 ، دار غريب ، القاهرة ، 2006م ، ص 142.

[3] الصّباغ ، رمضان ، في نقد الشعر العربي المعاصر : دراسة جمالية ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1998م ، ص 211 .

[4] الجيار ، مدحت سعيد ، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، ط1، الدار العربية للكتاب ، طرابلس/ليبيا ، 1984م ، ص 47.

وهو بهذا دلالة نفسية قيمة " [1]

وبعد هذه اللمحة الموجزة ننتقل إلى الحديث عن التكرار في شعر الحنين والغربة في الشعر السعوديّ ، ويمكننا تقسيم أسلوب التكرار فيه إلى(تكرارٍ للحروف، وتكرار للكلمة ، وتكرار للتراكيب) فمن تكرار الحروف ما نجده عند أحمد قنديل ؛ إذ نجده يكرر حرف الجر (على) في بداية قصيدة له ، يحنُّ فيها إلى صديقه الحميم الذي فارقه يقول:[2]

على الرّمل كم نُصْغي لسقراط والألُى   أقاموا صُروحَ الفكرِ بالشَّــرقِ والغربِ

على الصَّخر كم نبني من الشّر جَنَّةً   تُفَتِّتُ بعضَ الصَّخــرِ بالألسُنِ الدَّربِ

على البحرِ نمشي مع الموجِ ســاكنًا   وفي الصَّدر موجٌ هادرُ النّبضِ والوثبِ

لقد ساعد تكرار الحرف (على) على تفصيل الصورة وتوسيعها ، فالشاعر استعرض ذكرياته مع صديقه الحميم في كلِّ مكان جمع بينهما ، وأظهر أمانيهما المشتركة ، عند الرمل والصخر والبحر ، وهذه الصورة لم تكن لتتضح معالمها ، وتمتد أطرافها ، لولا ذكره لهذا الحرف في بداية أبياته المذكورة ، كما أنَّ تكرار (كم الخبرية) بعد الجار والمجرور أعطى الصورة زخمًا كبيرًا ؛ إذ إنها تفيد الكثرة ، مما جعلنا نحسُّ بمتانة العلاقة بين الشاعر وصديقه ، وكثرة وجودهما معًا.

وفي قصيدة (حنين) نجد أنَّ أحمد قنديل- أيضا- يكرر حرف الجر (إلى) أربع عشرة مرة ، وهذا التكرار سهَّل للشاعر التوسع والامتداد في أفكاره ومعانيه ، وأزال العوائق التي قد تمنع التدفق . إضافة إلى ما في تكرار هذا الحرف من تأكيد لفكرة الشاعر التي أراد إبرازها ، وهي حنينه الدائم لوطنه وهو في مصر ، رغم مغريات الحياة بها ، وكأنَّ ذكرى بلاده قد ارتبطت بكلِّ معنى يأتي بعد حرف (إلى) في أبياته ، يقول:[3]

إلـيـك بـلادي فــكـرةً وعــقـيــدةً   سَمَتْ بهما فـوق الطِّلابِ مشـاعـري

إليكِ إلى الثَّغرِ المطلِّ على الدُّنــى   منَ البحرِ مُنْداحَ السُّوى للمَعَــابــرِ

إلى الشاطئ المزْهوِّ فيه بـمن بــهِ   أصيلا إلى الأهلينَ فـي كــلِّ سامـرِ

إلى مكةَ فـي قُـدْسِـــها وجـلالــهـا   وَعِزَّتها الكُبرى عـلـى كُـلِّ كـابــرِ

إلى البيتِ محْفوفِ الرِّحابِ بطائـفٍ   وضيءِ الـمُحيَّـا أوْ مُصلٍّ وشـــاكـرِ

---

[1] الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، مصدر سابق ، ص 242 .

[2] قنديل ، أحمد ، ديوان (الأصداف) ، ط1 ، تهامة للنشر ، جدّة ، 1981م ، ص 80.

[3] قنديل ، أحمد ، ديوان (الأصداء) ، دار المكشوف ، بيروت / 1956م ، ص 64 . 65 .

إلــى الـمُـنْـحـنى أجـبـالــهُ ووهـادُهُ   وروَّادُهُ مــا بَـيْــنَ ثـــاوٍ وســـائــرِ

إلــى طَيْبـةَ فــي عـِزّها وعُــلـوهــا   وَخَضْرائها الخَضْـراءِ مَجْلى النَّواظرِ

إلى المسجدِ المَحبوبِ فيها مُحَبَّـبٌ   إلـــى كُــلِّ مـوهـوبِ الـهدايـةِ زائــرِ

إلـى السَّـهلِ مِنْ خيراتِها وَ عَقيقهـا   وبَـيْـنَ مَجالـيـهـا الـحِـسانِ النَّواضرِ

إلى الطّائِـف التَّيَّاهِ تـبْسَــمُ غِبْطـةً   بـأَفْـنـانِـهـا فـيـه ثُـغُـورُ الأزاهــرِ

إلـى الـوَجْـهِ فـي آكــامه ورمـالـهِ   فَـنُـعْـمـانَ فــي آمادِهِ فـالـمشاعــرِ

إلـى سهْـلكِ الهانـي بظلِّ جبالـهِ   إلـــى غَـورِكِ الدَّاوي بصوتِ الكـواسـرِ

إلـيكِ إلـى أهْـلي وأهـلكِ كُـلــهـمْ   سَـــواءٌ بِـقـلـبـي كـلُّ بـــادٍ وحـاضرِ

تحـيَّةَ معــمُودٍ وتَــحْـنَـانَ وامـقٍ   وتَـسْــلـيـمَ مُـشْـتـاقٍ وَذِكْرَةَ ذاكــرِ

إلى أنْ تلوبَ النَّفْـسُ فيكِ مَلُولَــةً   بِـمـا اهـتـاجَ مِنْها الآنَ وَجْدُ المُسافِرِ

ويكرر د. أحمد بن صالح السّديس حرف الجر (في) ليوضح لنا حبّه لأبيه وكثرة اجتماعهما معًا ، وأنّه لم ينساه لحظة واحدة ، وكيف له ذلك وهو يراه في أشياء كثيرة حوله ، يقول: [1]

فـــي مجلــسٍ وَجمَــتْ أرائكُهُ التـي   قد طالما سَعدَتْ بعَذْبِ بيَانِ

فــي طفــلي الملتاع يَـنْـشَـجُ طالبـاً   كَـنَـفا وظلَّ أبٍ رحيمٍ حاني

في المكتبِ المهجورِ حنَّ ومــا درى   أنَّ اللقاءَ ما عــادَ بالإمكانِ

في النَّـخـلِ كــنت له مُحبًّا عاشقًـا   تُهدي الجنى بسعادةٍ وتفاني

في صاحبٍ برٍّ وفي ، فــي مسجـدٍ   فـــي الآي والتَّرْتـيلِ للـقـرآنِ

أمّا تكرار الكلمة فالأمثلة على ذلك كثيرة في شعر الحنين في الشعر السعوديّ ، وهذه الكلمة قد تكون اسمًا أو فعلاً أو ضميرًا. فمن ذلك قول الشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن في قصيدته : (يا جدتي) [2].التي يكرر الشاعر فيها كثيرًا من الكلمات فقد تكررت كلمة (ماتت) سبع مرات في خمسة أبيات متتالية هي **:**[3]

ماتـــت ويصفعني البريدُ بموتهــا   ماتــت وتسحقني الدُّموعُ فَأُسْحَـقُ

ماتـــت ولـم تُكْملْ بقيةَ قِـصـةٍ   كُــنَّا إلـــى أحْـداثـهـا نَـتَـشَـوقُ

ماتـــت وفي يَدها الزّهـورُ نديَّــةً   ماتت وفي فمها الصَّباحُ المشرقُ

---

[1] السُّديس ، أحمد بن صالح ، إنّه أبي ، المجلة العربية ، مرجع سابق ، ص 33 .

[2] عبد الرحمن ، أسامة ، ديوان : (شمعة ظمأى) ، مصدر سابق ، ص 86 .

[3] المصدر السابق ، ص 86 .

ماتـــت وتــلـجُـمُـنا الحقيـقةُ مـرَّةً	ويشلُّـنـا الـقدرُ الخـؤونُ ويَــخْنقُ
ماتت ويمضغنا الأسى في جوفـه	والحزنُ فـوقَ جـفُـونِـنـا يَتَسَـلقُ

ونلاحظ هنا أنَّ التكرار جاء بصيغة الماضي ، وجاء مصحوباً بتكرار آخر هو (واو الحال) ، حيث يصور الشاعر وقع الصّدمة وأثرها على الأسرة ، ثم يتطرق إلى جانب من حياة جدّته ، بالإضافة إلى صورته في جماعته بعد الصدمة بوفاتها ، وبذا يؤدي التكرار معنىً يمتد إلى الماضي والحاضر والمستقبل ، الماديَّ والمعنويّ.

وهذا حسن عبد الله القرشيّ ، يريد أن يصور لنا الحالة التي عادت عليها المحبوبة بعد طول هجر وجفاء ، لقد عادت حقا ، ولكن تغير الكثير خلال غيابها، فلم تعد الأيام هي الأيام، فكأنه يريد أن يقول لها : عدتِ ، ولكن في الوقت الضائع ، حيث يكرر كلمة (عُدْتِ) بصورة ملحوظة في قصيدة له بعنوان "وأخيرًا" ، يقول:[1]

وأخيراً ... عُدْتِ لي . عُدْتِ . لماضيك الكئيب
عُدْتِ كالشَّمسِ وقـد مـالـت لـتـيـارِ المغيبِ
عُدْتِ كالزَّنبقةِ البيضاءِ فــي الحَـقـلِ الغـريبِ
عُدْتِ كـالـوردةِ تُجْتثَّ عَـنِ الغُصْنِ الرَّطيبِ
عُدْتِ لي ؟ فيم؟ وهل أبقيتِ لي رّوْحَ لُغــــوبِ

ويبدو إصرار الشاعر ظاهر بن علي الظاهر جليًّا في طلبه المسامحة من أمة ، على ما بدر منه نحوها سواء بقصد أو بلا قصد ، وذلك من خلال تكراره لفعل الأمر (سامحيني) الذي أفاد في الأبيات معنى بلاغيًّا هو (الدعاء) فهو يرى نفسه أَقلّ منزلة من أمه ، وهذا بالطبع واقع الحال ، يقول:[2]

سامحيني إن كانَ قد جاء مني	نَـقْصُ بِـرٍّ وجـــفـوةٍ ومُـزاحِ
سامحيني فَمِـفْرَقِــي لاح فـيـه	أبيضُ الشّعْر بارقًا كالـصَّباحِ
سامحيني فالأربعينَ غَزَتْـنـي	وهـي تجري بسرعةٍ لاجتيــاحي
سامحيني فإنَّ لي فـي رضاكِ	كُـلَّ فَـوزٍ وفــيه أيضًا نجاحـي
سامحـيني فــإنَّ جـنَّــة ربِّـــي	تــحْت رجليكِ تَحْتَـهـا مستراحِ

[1] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، ديوان : (بحيرة العطش)، مصدر سابق، 438/2 .
[2] الظاهر ، ظاهر بن علي ، سامحيني ، المجلة العربية ، مرجع سابق ، ص 75 .

ولتكرار الفعل حضور فاعل عند الشاعر محمد عبد الرحمن الحفظي ، لتزاحم الأحداث التي مرت في حياته ، وكثرة معاناته الداخلية ، وإحساسه المضطرب ، فكان الفعل أكثر قدرة على التعبير عن هذه التحولات الزمانية بأشكالها المختلفة ، لنقل تجربته الخاصة به ؛ لتثير إحساساً لدى المتلقي ، وتكسب الشاعر جمهوراً متعاطفاً . فالشاعر بشر يتحدث إلى بشر ، ويعمل جاهداً ليعثر على أجود الألفاظ في نسقٍ لكي يجعل تجربته تعيش مرة أخرى لدى الآخرين. لنستمع للحفظي وهو يقول في قصيدته : (الثلج والمجيء) متشوقاً لزوجته:[1]

يجيءُ وَصْلُكِ مِثْلَ الثّلج في ظمأٍ ضارٍ .. يُلاطفُ هَجْـعَ الليل لو أَسِنا

يجيءُ صوتُـكِ خيالاً يُشَقُّ لـه بـابُ الـفُـؤادِ مساحـاتٍ تُسائِلُـنـا

يجيءُ وَقْـعُـكِ إيـقـاظاً لثانيـةٍ تطوي السِّنينَ فلا تستحْصِلُ الزَّمـنا

يجيءُ لَحْظُكِ سبَّـاقاً إلى كبـدي وفـيـه يَرْقُـبُ إيحـاءً لـه سَكـنـا

يجيءُ وجْهُكِ من غابات فُرْقتـهِ كـما يجيءُ سحابُ القطرِ يُمْرِعُنـا

يجيءُ شِعْري خجلاناً بلا وتـرٍ فَـكَيْـفَ يَـقْرِبُ تـاريخاً بـما وزنـا

لقد كرَّر الشاعر الفعل (يجيءُ) ست مراتٍ في أول كلِّ بيت ، ثمّ كرره مرة واحدة في بداية عجز البيت الخامس ، وأتبعه بصورة السحاب الممطر الذي ملأ الدنيا خيرا ، وفي المرات الخمس الأولى جاء الفاعل مضافاً إلى كاف المخاطبة ، وصلك ، صوتك ، وقعك ، لحظك ، وجهك ، ثم نراه منسوباً لشعره في التكرار الأخير بضمير المتكلم (الياء) في شعري ، ليؤكد مكانتها في قلبه ، وأنها محور حياته ، ونبراس شعره ، وعليه فقد كرر الفعل (يجيءُ) ست مرات متتالية ، وبنغمة موسيقية واحدة ، وتشكيل أسلوبيّ موحد (فعل + فاعل + مضاف إليه + حال) وقد ساعده اعتماده على الطبيعة ، ولجوئه إليها ليجعل المجيء أكثر فاعلية وقدرة على حلِّ ألغاز نفسه الحائرة المضطربة ، الطامحة للانعتاق من همومها الداخلية والخارجية في آن واحد .

ويؤكد إبراهيم أمين فودة أَنه لن ينسى محبوبته أبداً ، فلها معه ذكريات طويلة و أمور كثيرة ، تجعل نسيانها محالاً، وهذا ما نتبينه من لجوء الشاعر إلى تكرار الفعل المضارع(أنسى) مقروناً بهمزة الاستفهام ، لتعطي المعنى زخماً وقوة ، يقول:[2]

أأنسى مـن يـحـنُّ إليــه قـلـبــي ويحفَظُ عهدَهُ ودًّا كَمينا

---

[1] الحفظيّ ، محمد عبد الرحمن ، ديوان : (اشتعال الرَّمق) ، ط1 ، نادي أبها الثقافي ، 1998م ، ص 91 ، 92 .

[2] فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 156 .

أأنسى من عَرَفْتُ بـه سجـــايـا تَعِزُّ خليقةً ، وتميسُ لينا

أأنسى منك صدقك في المـعاني أأنسى ذلك الخُلـقِ المتينا

أأنسى إذا تَلِينُ لـنـا الأمانـــي مذلَّلةً لحُكْـمِ الحُـبِّ فِـينا

أأنسى . بعد هـذا . مـِنْـكِ صوتاً أطيرُ إليه من طربٍ حنينا

ونحسُ بقسوة الزمن وأثره العظيم ، على الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاويّ ، وهو يتساءل عن رفاق الأمس ، وعن الليالي والأماسي التي مرت ، وعن الصبوة اوالشباب ، وبعد ذلك كلّه عن الذين كان يتهادى بينهم فرحًا سعيدًا ، وكلُّ ذلك نحسه من خلال تكرار الشاعر لاسم الاستفهام أينَ ، يقول:[1]

أيـنَ مِـنــي الرِّفـاقُ أيـــنَ لـيالٍ كالرؤى غُودرتْ وأين الأماسي

أيـــنَ أيـامُـــنـا ومـا هـــــي إلاّ مَـنْ حُـبـورٍ ولائـمُ الأعْـــراسِ

أينَ مني الصِّبا و أيـن انطـــلاقي بالعَــشِـيـات والضُّبا والكناسِ

أينَ لا أينَ صبوتي وشَــبـــابـي ورَوائي ونُضرتــي وحَـمـاسي

أيـنَ من كُنْتُ بـــينهم أتهـــادى بَــيْــن وَرِدٍ ويـاسـمـيــن وآس

وكذلك الشاعر أحمد الصالح ، يرى أنَّ الوطن والحبيبة كلٌّ لا يُجزأ " فللشعر نكهة الأحباب وللأحباب نكهة الوطن ، وبين الحبيبة والوطن لا يملك الشاعر إلا أن يلغي الحدّ الفاصل بينهما ... إنّ هوى الحبيبة هوى الوطن ، إنهما في الشعر لغة واحدة ، وفي العاطفة والشعور وحب الحياة حبيبان لا يفترقان ، مسكنهما قلب الشاعر ، يخفقان مع نبضاته ويستقران في دمه وعقله" [2]. فنراه يلجأ لتكرار ضمير الرفع المنفصل (أنتِ) ليؤكد لنفسه وللمتلقي اختلاط ملامح المحبوبة بقسمات الوطن وتضاريسه ، وامتزاجهما معًا في صورةٍ ورؤيةٍ واحدة ، لا يمكن تجزئتها ، فالمحبوبة تتحد مع الوطن، بل هي الوطن بكلّ ملامحه الفاتنة ، يقول:[3]

أنتِ في الأعماقِ إيمانُ وكـــلُّ الغيدِ رفْـضُ

أنتِ . لي شمسٌ وظلٌّ أنت لي بحْـــرٌ وأرضُ

أنتِ لــي فيه الخزامى وهـــو ما شابَ غَضُّ

أنتِ واحاتٌ وبيدٌ فــي انثيال الشَّوقِ وَمْـــضُ

---

[1] الغزاويّ ، أحمد بن إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مصدر سابق ، ص 302 .

[2] الصالح ، أحمد صالح ، ديوان : (عيناك يتجلى فيهما الوطن)، ط1 ، دار العلوم ، الرياض ، 1997م ، (المقدمة) ص 5 .

[3] المصدر السابق ، ص 10.

ويشكل التكرار ظاهرة لغوية بارزة في شعر يحيى توفيق حسن ، حيث يعمد الشاعر إلى التكرار محاولاً إبراز مشاعره وأحساسيه . ونلمح الإيحاء الرامز في عملية التكرار من خلال الكلمات المكررة .

وقد وجدت الدراسة أَنَّ الشاعر يكثر من تكرار الضمير (أنتِ) في كثير من قصائده ، ومن ذلك قوله في قصيدته (يوم الوداع) ، يخاطب المحبوبة ويتشوق لها: [1]

فأنتِ أروعُ حُلْمٍ عاشَ في عمري   وأنتِ حُبِّي الذي قد باتَ يُشْجيني

وأنتِ سرِّي الذي روحي تقدّسهُ   فكيف أنساكِ لا بل كيف تنسيني

وأنتِ آمالُ نَفْسي منذُ نَشأتِها   وأنت أنتِ الهوى في القربِ والبينِ

إِنَّ عملية تكرار الضمير المنفصل المتصدر للجملة ، بحمل تشكيلا إيحائيًا يتراوح في اللهفة العارمة في وجدان الشاعر وأحاسيسه نحو المرأة ؛ إذٍ يصفها بأنها أروع حلم يعيشه، وأنها حبّه الذي يعمل على تحريك مشاعره ، وأنها سرّه وآماله ، وأنها الهوى في قربه وبعده .

وفي موضوع آخر يكرر الشاعر الضمير (هي) ، حين يخاطب محبوبته بضمير الغائب ، يقول:[2]

فهي الحُزْنُ والسُّرور بقلبي   وهي الدَّاءُ والدَّواءُ لناري

وهي روحي التي تضيءُ طريقي   وهي فكري الذي يُقيلُ عثاري

وهي جُرحي الذي عليه سأبكي   وهي رَجْعُ الأنين في قيثاري

وهي هَمْسُ النَّايِ الحزينِ بليلي   وهي آهاتُ الشَّوقِ في أشعاري

كيف أنساها وهي نبضُ حياتي   وعلى ثَغْرِها خلعتُ وقاري

لقد عمَّق الشاعر تكرار الضمير (هي) تسع مراتٍ في بداية كلِّ شطر ، ما عدا البيت الأخير ؛ إذ يصف تلك المرأة / الوطن بأنها حزنه وسروره ودائه ودواءه .... الخ مما يكشف مكانتها عنده ومكانته عندها .

ومن تكرار الكلمة ما نجده في قول الشاعر أيمن عبد القادر كمال ، وقد هزّه الشوق والحنين لأبيه ، فلم يملك إلا أن يخاطبه بأعذب كلمة (أبتي) ، بعد أن حذف أداة النداء ، إيحاءً بقرب أبيه منه ، يقول:[3]

---

[1] حسن ، يحيى توفيق ، المجموعة الشعرية الكاملة ، شعري وحواء ، ط1 ، دار العلم ، جدة ، 1414هـ ، ص 299 .

[2] المصدر السابق ، ص 387 .

[3] كمال ، أيمن بن عبد القادر ، أبتي ، المجلة العربية ، مرجع سابق ، ص 59 .

أبتي وتأسرُني المعــاني ، كيف لا ؟ وبـسحْـرهـا تَـتَفَتّحُ الأزهــارُ

أبتي وتعجزني الحروف ، وكيف لا ؟ وبلحنها كـم غنَّـت الأطيارُ

أَبَـتِـــي ، أردِّدُها ومِـلِءُ صبابـتـــي شوقٌ تصاغرَ عند الإعصارُ

أبَـتـي ، أحبُّك ليسَ سـرًّا فالهـوى وهجٌ ، وليس لعاشــقٍ أسرارُ

ويعمد الشاعر عقيل بن ناجي المسكين (؟) إلى تكرار كلمة (وطني) اثنتي عشرة مرة في قصيدته (إهداء إلى سيدي الوطن)[1] كي يظهر لنا عشقه وحبه لوطنه ، وتأكيده على ذلك دون أن يحس بالرتابة أو الملل ، يقول:[2]

وطني ... بـحُـبِّـك غَنَّـت الأيــامُ وعـلـى شـذاكَ تَـبَـسَّمـتْ أقلامُ

وطني ... ورمْلُكَ في النُّفوسِ وشائجٌ ذهبيةٌ تَـسْــمــو بــهـا الأحلامُ

وطني وضادُك فـــي الحياةِ مشاعلٌ تُـوهــي الدُّروبَ وكلُّــها إسهامُ

وطني وحبّك فــي القلوبِ قــصيدةٌ للآنَ تَـنْـبِـضُ والغـنـاءُ مَرامُ

وطــنـي وجـودكَ لـــلأنــامِ مـنــارةٌ لا ليس يُحصى من نداكِ نِظامُ

وطــــني وما فَـقـرٌ عراكَ وأنت أنــ ـتَ جَـنـائـنٌ يهفـو إليك غمامُ

وطني .. ولوَّنـتِ الحياةُ مـشاعـري فَـرحًا فَـمَـنْ هـذا النَّشيدُ غرامُ

وطني وما أدري المحبَّ إذا اكْـتوى ولهًـا وكَـلُّ مديحُهُ استفـهـامُ

وطني حُـمِـيتُ من الأذى ودعاؤنا يـحـمـيـك ربٌّ واحـدٌ عـــلاّمُ

وطني وأنتَ فـي الوجودِ قصائدي تــرنــو إلـيك وما بــهـــا أسقامُ

وطني فــدتـكَ من العيون نفوسُـنا ورعتكَ مِــن غِـيَرِ الزَّمانِ كِـرامُ

وطــنـــي.. سَـلِـــمْـتَ مـن الأذى وعليكَ مِـن ربِّ الأنـامِ سـلامُ

ومن تكرار التراكيب ما نجده في قول الشاعر عمر كرديّ (1940 - ؟) الذي تأججت عنده مشاعر الحبِّ والحنين والشوق لمحبوبته وذلك في قصيدته التي تحمل عنوان ديوانه (محبوبتي) ، يقول فيها:[3]

طالَ الحنينُ فعانقي مُضْناكِ وخذيـه مُشْتاقًا إلى مغناكِ

طال الحنينُ فداعبي وجدانه فلعل ما أشجاهُ قد أشجاكِ

---

[1] المسكين ، عقيل بن ناجي ، إهداء إلى سيدي الوطن ، مجلة الفيصل ، العدد 331 ، المحرم 1425هـ / مارس 2004م ، ص 82 ، 83 .

[2] المرجع السابق ، ص 82 ، 83 .

[3] كردي ، عمر بن محمد ، ديوان : (محبوبتي) ، ط1 ، تهامة للطباعة والنشر ، جدّة ، 1996م ، ص 51

طال الحنينُ فذكريه وذكري أهليك ما جادت به يُمناكِ

لقد عمد الشاعر إلى تكرار تراكيب ذات نسق (الفعل + الفاعل + فاء الاستئناف) أعطت الأبيات إيقاعًا موسيقيا عذبًا ، كما أبانت لنا الحالة النفسية للشاعر وهو غريب بعيد عمن وطنه .

ويكرر عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبدالله اليحيا (1966 م– ؟) في قصيدته(ألم) عبارة : (واحرَّ قلباه يا أماه) خمس مرات في خمسة أبيات متوالية ، وهو في تكراره لتلك العبارة ، يوضح ما أصاب حياته بعد رحيل أمّه من تغير وتحول ، وما أصابه بعد غيابها من ضياع وتشتت ، فقد كانت سنده القويّ الذي يلجأ إليه في الملمات ، ويحتمي به عند الشدائد ، وهذا ما يؤكده تكراره لعبارة (نار الضياع) في بيتين متتاليين ، ثم اتباعها بكلمة (الضياع) في البيت الذي يليهما ، يقول:[1]

واحرَّ قلباه يا أماهُ قد وهنت فيَّ العزيمةُ والإقدامُ والشَّبَبُ

واحرَّ قلباه يا أماه قد ضغفت نفسي وروحي وزداد الهمُّ والنَّصبُ

واحرَّ قلباه يا أماه قد عصفت نار الضّياعِ وفي الأحْداقِ تلتهبُ

واحرَّ قلباه يا أماه قد عصفت نارُ الضياعِ وما يكفي لها النَّسبُ

واحرَّ قلباه يا أماه ما عرفتْ روحي الضّياعَ لعطفِ الله أرتقبُ

ولم يكتف الشاعر بتكرار العبارة المذكورة ، لكنه كرر معها أيضا الحرف (قد) الذي يفيد التحقيق ، ليؤكد حالته النفسية الصعبة بعد رحيل أمّه ، وأنَّ ما ذكره من الوهن والضعف وغيرذلك قد تحقق بالفعل ..

وفي قصيدته (هنا أبها) ينقل الشاعر عبد الرحمن العشماوي حبّه وشوقه لمدينته (أبها) إلى كلِّ قلبٍ يخفق بالحبِّ على البعد والقرب ، من خلال تكراره لعبارة (هنا أبها ألست ترى) ، يقول:[2]

هنا أبها ألست ترى بهاءً يُطَرَّزُ منه للحُسْنِ الثّيابُ

هنا أبها ألست ترى القوافي تسير .بلحنها الصّافي الرِّكابُ

هنا أبها ألست ترى يديها يُزينُها من الحنا الخِضابُ

---

[1] اليحيا ، عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبدالله ، ديوان:(الأجنحة السابحة) ، ط1 ، تهامة للطباعة والنشر ، جدة ، 1984م ، ص 267 ، 268 .

[2] العشماوي ، عبد الرحمن ، ديوان : (خارطة المدى) ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2004م ، ص 102 .

8 الحذف:

اللغة العربية كغيرها من اللغات الحيّة ، تنمو وتتطور وفق حتمية التطور الذي تتصف به اللغات ؛ لأنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لناموس الحياة في نظامها اللغويّ ، ولذلك فهي تشبه بالكائن الحي، وقد وصفت اللغة العربية بأنّها من أفصح اللغات ، وبأنَّ بلاغتها أتمُّ البلاغات ، فهي أوسع اللغات بمفرداتها ، وأقدرها على تلبية حاجات الناس ، وأحسنها استعداداً للإبداع[1].

والأصل في النظام اللغويّ أن تذكر الألفاظ ، بيد أنّ اللغة وفق سياقاتها اللغوية وأنظمتها البلاغية ، تلجأ أحيانًا إلى ضروب من الفنون البلاغية ، على سبيل الاختصار والإيجاز ، والحذف واحد من هذه الفنون البلاغية.

والحذف في علم البلاغة هو :" صورة بناء تقضي بإضمار دال ، أو عدة دالات على المحور النظمي ، ويلجأ المتلقي لتعويض النقص وفهم المرسلة اللغوية ، بطريقة عفوية أو إرادية ، إلى كفايته اللغوية ، وإلى سياق الكلام ، وإلى معطيات موقف التكلم وشروطه ، وبذلك يمكن أن يكون الحذف بناء لغوي تلقائي ، أو استعمالاً أسلوبيًا بلاغيًا ، أو الاثنين معًا ، هذا ويشمل الحذف كلَّ العناصر اللغوية في التعلم من الصوت إلى العبارة "[2].

والحذف يزين اللغة ، ويقوي العبارة ، ويثري المعنى ، ولا ينقص من قدر البلاغة ، وهذا ما يؤكده صاحب الطراز بقوله :" بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام من علة بلاغته ولصار إلى شيء مسترذل ، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحس والرِّقة"[3] وهذا يؤكد على أن الكلام المحذوف . في موقعه . أفضل من ذكره.

ولأهمية الحذف في العربية فقد مدحه ابن جني وأطلق عليه عبارة :(شجاعة العربية) ، إيحاءً بما في الحذف من جراءة وشجاعة، واعتماد على ثقافة المتلقي في الفهم ، فقال فيه : " قد حذفت العرب الجملة والمفردة والحرف والحركة ، وليس شيء م نلك إلا عن دليل عليه ، وإلا

---

(1) انظر: محمد ، يونس حمش خلف ، الحذف في اللغة العربية ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، معهد إعداد المعلمين ، نينوى ، العراق ، مج10 ، 24 ، 2010م ، ص 273 .

(2) الخديدي ، أمل منسي عائض ، عوارض التركيب في شعر عبد الله بن قيس الرقيات ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1428هـ ، ص 31.

(3) العلويّ ، يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، مصر ، 1914م ، 92/2 .

كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[1]. إذًا فالحذف المطلوب لا يأتي مفرغًا الكلام من المعنى ، أو مسهمًا في إبهامه ، وإنّما لا بدَّ من وجود الدليل عليه ، لئلا يتحول الكلام إلى طلاسم وغموض ممعن .

ويقول عبد القاهر الجرجانيّ في الحذف : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذِّكر ، والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن"[2].

لذلك فإنَّ الشاعر السعوديّ لجأ إلى الحذف كوسيلة إيحائيةً ، إذ يتطلب الإيحاء في بناء القصيدة ألا يصرح الشاعر بكل شيء ، بل إنه يلجأ أحيانًا إلى إسقاط بعض عناصر البناء اللغويّ ، مما يثري الإيحاء ويقويه من ناحية ، وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى ؛ لتأويل هذه الجوانب المضمرة . ولذلك فإنَّ المتذوق للأدب لا يجد متعته في السياق الواضح جدًا ، والمكشوف إلى حدِّ التعرية ، والذي يسئ الظن بعقله وذكائه ، وإنما يجد متعة نفسه حيث يتحرك حسه وينشط ؛ ليستوضح ويتبين ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز.

وقد تنوعت صور الحذف في شعر الحنين والغربة عند الشاعر السعوديّ فمن ذلك حذف أداة النداء ليعبر الشعراء بالحذف عن مدى الاقتراب والمودة بين ما جاء بعد أداة النداء المحذوفة ، ومعلوم أن النداء في وضعه اللغويِّ إنَّما يكون في الأصل للشيء البعيد ، ومن قواعد النحو عدم جواز حذف أداة النداء إذا كان المنادى بعيدًا،[3] ومن نماذج ذلك قول الشاعر علي بن حسين الشهرانيّ في رثاء صديقه الشاعر حمد الحجيّ:[4]

نجيَّ البيانِ .. وخِدْنَ الشَّجنِ

لك الله من راحلٍ ما توانى..

لقد لجأ الشاعر إلى حذف أداة النداء (يا) كي يوصل للمتلقي إيحاء نفسيًا بمدى قربه من صديقه الراحل ، وعدم ابتعاد المرثي وشدة اقترابه ، مع أن المفترض أن يكون الصديق الراحل بعيدًا ، فالموت في الحقيقة لحظة الفراق والابتعاد النهائي ، وهنا يصبح الحذف . بدلالته

---

[1] ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م ، 140/2.

[2] الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص109.

[3] هارون ، محمد عبد السلام ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ط5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2001م ، ص 63 .

[4] الشهرانيّ ، علي بن حسين ، ديوان : (مع نبع الحياة) ، نادي أبها الأدبيّ ، 1422هـ / 2001م ، ص 138.

السابقة ، ثورة على واقع هذه اللحظة ورفضًا لوطأتها الشديدة على نفس الشاعر فالشاعر المرثي وإن كان بعيدًا ، ثاويًا في قبره ، إلا أنَّه باق خالد؛ بما ترك من فكر وشعر وأدب ، فهو نجي البيان ، وخدن الشجن .

أما غازي القصيبيّ ، فإنه عند حذف أداة النداء يصرّح بالمنادى ، ويذكره باسمه ، ويجعل من نفسه مخبرًا أو مبشرًا لصديقه الراحل ، الذي لا تصله الأخبار ، فقد مات وانفرد في قبره ، حيث لا يسمع أخبارًا ، أو يعلق عليها ، بعد أن كان . في حياته . يكتب ويعلق وينقد أحوال الأمة ، فأراد القصيبيُّ أن يوصل له أحوال الأمة وأخبارها ، فيقول: [1]

نِزار أزفُّ لك الخبَر

لقد أعلنوها وفاة العرب

وحين أراد حمزة شحاته أن يفخّم ويعظّم مكانة مدينة جدة في نفسه ، فإنه يلجأ . أيضًا . إلى حذف حرف النداء ، يقول:[2]

جدَّتي أنتِ عالم الشعر والغنو ... ةِ يروي مشاعري ويروقُ

فقوله : جدتي ... أبلغ من قوله مثلاً يا جدتي فهذه تشي ببعدها عنه ، بينما جدتي ، تعطي إيحاءً بأنَّ مدينته (جدة) قريبة من نفسه ، لصيقة بها ، رغم بعدها عنه ، وبعده عنها في مغتربه في مصر .

كذلك الأمر مع الشاعر عبد الله الجشيّ وهو يخاطب بلاده بقوله:[3]

بلادي يا عَبقَ الأمسياتِ ... وأغنيةَ العشقِ في الذاكرة.

والأمر نفسه مع عبد الله بن أحمد الفيفي:[4]

فيفاءُ يا فلك الخيال الأبعدا ... وهو يسافرُ في جناحيه المدى

ومع حسن عبد الله القرشيّ:[5]

ربى القدس يا ضحكاتِ السَّنا ... ويا مشْعلاً فوقَ هامشِ الدُّنى

ومع عبد الرحمن العشماويّ :[6]

---

(1) القصيبيّ ، غازي ، ديوان :(للشهداء) ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004م ، ص28.

(2) شحاته ، حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 67 .

(3) الجشيّ ، عبد الله ، ديوان :(الحب للأرض والإنسان) ، ط1، نادي الإحساء الثقافي ، 1998م . ، ص 107 .

(4) الفيفي ، عبد الله بن أحمد ، ديوان: (فيفاء) ، مصدر سابق ، ص 130 .

(5) القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 234/2.

(6) العشماويّ ، عبد الرحمن ، ديوان : (صراع مع النفس)، مصدر سابق ، ص 48 .

عصفورتي ...

ولكم سكبتُ الدَّمعَ

في قربي وبعدي..

وقد يحذف الشعراء المبتدأ ، وهذا كثير في كلام العرب ، كما يقول الجرجاني:"ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ. (القطع والاستئناف) يبدؤون بذكر الأمر ، ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ، ويستأنفون كلامًا آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ" .[1] ومن الأمثلة على ذلك قول أحمد بهلكي: [2]

آهــاتُ صــبٍّ وأنَّــاتٌ يــردِّدُهــا ونحوَ عمق الشّكاةِ الحزنُ يدفعُهُ

فالتقدير هي آهات ، فحذف المبتدأ لأنَّ تقدير الكلام مفهوم ضمنًا ، والحذف أفصح من الذكر لما في ذلك من دلالة على القوة والحيوية في الآهات.

وقول أحمد بن علي آل مبارك :[3]

سلامٌ بقدر الحبِّ والشَّوقِ في الحشا ومن أينَ إحصاءٌ لقدرِ التَّشوقِ

والتقدير هو سلامٌ

وقول عبد الله الجشيّ:[4]

مَـراقِـدُ آبائي ومـهـدُ طفـولـتـي وملهى شبابي بين (تاج) و(بيرين)

والتقدير هي مراقدُ.

وكأنّي بهؤلاء الشعراء لا يريدون الكلام عن الآهات ، والسلام، والمراقد وهي بعيدة ، فجاء الحذف ليجعلها كأنها معهم ، يخاطبونها ، إمعانًا في إضفاء مزيدًا من التوقير لها.

ونلتقي بنماذج للحذف أيضا في شعر الحداثة ، ومن ذلك قصيدة (تتداعى الذكريات) للشاعر عبد العزيز العجلان:[5]

هنا الصَّحبُ كانوا هنا ذات ليل

وضحكاتهم بالوصيد ولما تَـزل

تثقل القلب حتى التّلفت

---

[1] الجرجانيّ ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص 147.

[2] بهلكي ، أحمد ، ديوان :(الأرض والحبّ) ، مصدر سابق ، ص 39 .

[3] المصدر السابق ، ص 39 .

[4] الجشيّ ، عبد الله ، ديوان :(الحب للأرض والإنسان) ، مصدر سابق ، ص 132 .

[5] العجلان ، عبد العزيز ، ديوان : (أشياء من ذات الليل). النادي الأدبي بالرياض ، 1991م ، ص 73 . 74 .

والزَّمن السَّمحُ يعتنقُ الانتصار

ويحتضن الأمل الحلوَ

أيان شئت وشاء

مرابعُ طافَ بهن الأمانُ

...

وأسلمها الحلمُ للعنفوان

وطال الوقوف بهن وطابا

هنا قبل أن يفقد الظّلُ ظِلَّهُ

وتنأى المسافاتُ ما بين قلبٍ وقلبِ

وما بين دربٍ ودربِ

وما بين جُرحٍ وفلة

ترنّح قلبك بين الطيوفِ

...

هنا كان

يساقط الحلم ما بين عينيك

إنَّ القصيدة تحمل دلالات كثيفة عامرة بالإحساس بالوحشة والوحدة والعزلة والإحباط والضيق ، وفي لجة هذه الانكسارات . كما يعبر عنوان القصيدة تتداعى الذكريات / الحلم التي كانت تملأ الشاعر سعادة وأمانًا ، إلا أن الحلم يساقط ، والذكريات تتوقف ، وهذا ما يوحي به الحذف . (هنا كان) ، ونلحظ أنَّه جاء بالفعل (كان) فقط بعد اسم الإشارة (هنا) بينما جاء قبل اسم الإشارة في (هنا الصحب) مصحوباً بالذكريات العذبة ، لقد انقطع الحلم ، وانقطعت الذكريات ، وجاء الحذف منسجمًا مع تلك الإيحاءات . وفي قصيدة (لقاء) للشاعر محمد الفهد العيسى ، نجد الشاعر يلجأ لوضع علامات الحذف ، تاركًا للمتلقي تقدير المحذوف ، كي يشاركه هذا المتلقي حالته النفسية ، التي كان عليها ، فقد تتابعت بعض الذكريات تتصل ثم تنفصل ، فكان لا بدَّ من الحذف إِشعارًا بالاتصال ثم الانفصال ، يقول:[1]

التقينا...

ننهل الحبَّ اشتياقًا

---

[1] العيسى ، محمد الفهد ، ديوان : (إبحار في ليل الشَّجن) ، مصدر سابق ، ص208 . 209 .

نِنْسجُ الودَّ حنانا....
آه يا أمسي الذي قد كُنْتُهُ
رَعْشَةَ الثَّغرِ
خُزامى ...أقحوانا
غَرَّبتْ بي ذكرياتُ العمر
بين حُقَّين...
عصفورين .. كانا
همسا...
عن ليالي التّوق...

وترى الدراسة أنَّ بلاغة الحذف لا تقتصر على دلالة غيرها عنها ، وإِنّما تظهر قيمة الحذف في تنبيه خلايا الشعور والإحساس نحو الجزء المفقود من الترتيب المعتاد ، وهذا يدفع المتلقي للتيقظ والانتباه للبحث والتأمل ، والغوص في أعماق المبدع للوصول إلى رسالته الحقيقية التي يريد إبرازها للمتلقي ، أمّا ما يراه البعض من أنَّ الحذف مجرد تخلص من زائد الكلام ، عندما يعرّف البلاغة بقوله هي :"إِيجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد"[1] ، فهذا الفهم قد بتر الهدف الأسمى لعملية الحذف . والتي يريد منها المبدع أن يجعل المتلقي حاضراً بكلِّ وجدانه مع النص ومع صاحب النص ،"وإذا كان المحذوف غائبًا عن الصياغة في الظاهر ، فلا بدَّ أن يكون حاضراً فيها في الباطن ، أو بعبارة أخرى ، إذا كان غائبًا عن الصياغة على المستوى السطحيّ ، فهو قائم فيها على المستوى العميق ، بحيث يستحضره المتلقي انطلاقاً من القرائن الحالية والمقالية التي تحيط به.[2]

(1) ابن عبد ربه الأندلسيّ ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، طبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهر ة ،(د.ط.د.ت) ، 26/2.

(2) أبو حميدة ، محمد صلاح زكي ، الخطاب الشعري عند محمود درويش : دراسة أسلوبية ، ط1 ، مطبعة مقداد ، غزة/فلسطين ، 2000م ، ص 23.

9 . التقديم والتأخير :

اللغة العربية مميزة عن باقي اللغات السّاميَّة بالمرونة في ترتيب عناصر الكلام والجمل داخل السياق في النصوص الإبداعية شعرًا ونثرًا ، وهذه المرونة منحت المبدعين حرية في توليد معان ما أمكن– مع قيود النحو التقعيديّ – الوصول إليها .

والجملة العربية تخضع لترتيب ينظّم تتابع أجزائها في الهيكل الأساسيِّ للبناء اللغويِّ ومن ثمَّ تستكمل عناصر أخرى يتم بها التعبير وتنقل الآراء والانفعالات ، فهناك التركيب الاسميّ للجملة وفيه يتقدم المبتدأ ثم يتلوه الخبر ، والتركيب الفعليّ للجملة يبدأ بالفعل ثم الفاعل وبعده المفعول به ، ثمَّ تتوالى الأجزاء الأخرى التي تكون مشتركة في الجملة الاسمية والفعلية كالحال والتمييز وغيرهما.

وتتعرض الجملة بصفة عامة إلى تغيير في ترتيب عناصرها ، وهذا التغيير يصحبه تغير في الأغراض التي تعبر عنها اللغة ، وهذا التقديم والتأخير إنّما هو لتحقيق بعض المعاني المقصودة ، والتي هي عبارة عن طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة ، فتزيدها تأكيدًا وقوة ، ولأنَّ له هذه الأهمية فقد اهتمَّ به اللغويون والنحويون علاوة على البلاغيين ، فسيبويه مثلاً يرى أنَّ"التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي ، فتقديم ما الأصل فيه التأخير ، إنّما يكون للعناية به ، والاهتمام بشأنه"[1] ، أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد خصص له بابًا في دلائله ، وبخاصة في الشعر ، فتراه يقول :" ولا تزال ترى شعرًا يروقك سمعه ، وبلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد السبب أن راقك ولطف عندك ، أَنْ قدَّم فيه شيء ، وحوَّل اللفظ من مكان إلى آخر "[2].

ونرى الجرجانيّ يقف أمام هذا الباب وقفة المجلّ المعجب بأسراره ، ومحاسنه فيقول عنه أيضًا :" إنَّه باب كثير الفوائد ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفه"[3].

وقد استغل الشعراء وغيرهم من الأدباء الناثرين ميزة التقديم والتأخير ، فمنهم من أكثر منها ، ومنهم من استخدمها على قدر حاجته ، ولا شك أَنَّ الشاعر أكثر من يلجأ اضطرارًا لهذه

---

[1] سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988م ، 127/2.

[2] الجرجانيّ ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، علق عليه : أحمد محمود شاكر ، ط3 ، مكتبة المدنيّ ، القاهر، 1992م ، ص 35 .

[3] المصدر السابق ، ص 106 .

الظاهرة في اللغة ، بسبب ما تملي عليه طبيعة الشعر من التزامات بالوزن والقافية ، وما شابه ذلك مما يختص به الشعر دون غير من الكلام ، وإذا تتبعنا ظاهرة التقديم والتأخير في شعر الحنين والغربة عند الشعراء السعوديين ، نجدها ماثلة في كثير من قصائدهم ، وهم عندما يستخدمون هذه الظاهرة ، فإنّهم يستخدمونها عن مهارة فنية ، ودراية أدبية بعلوم اللغة والأدب ، ثمَّ إنهم لا تستعملونها تعسفاً ، وإِنَّما يربطون بينها وبين الحالة الشعورية التي تجيش بها نفوسهم ، ويطفح بها شعورهم .

وقد جاء التقديم والتأخير في شعرهم في عدة صور أبرزها : تقديم الاسم على الفعل ، وتقديم الجار والمجرور ، والمفعول به على الفاعل ، وستبحث الدراسة كلاً منها على حده.

أ- تقديم الاسم على الفعل :

وهو أكثر صور التقديم الواردة في شعر الحنين والغربة عند الشعراء السعوديين ، وصورته أن يأتي الشاعر بالمبتدأ اسماً ظاهراً ، أو ضميراً منفصلاً ، ثمَّ يخبر عنه بجملة فعلية ، ومن نماذج ذلك قول حسين عرب في قصيدته :(العام الجديد):[1]

الدّم القاني جرى في مائِها   والمرائي في احمرارِ الشَّفقِ

والدُّجى يَنْشُرُ في أرجائِها   حيرةَ العقلِ وعجزَ المنطقِ

فالشاعر هنا قدَّم المبتدأ :(الدم القاني ، والدجى) ، وأخبر عنهما بجملتين فعلتين عما :(جرى في مائها) ، و(ينشر في أرجائها) . وهذا التقديم ينم عن رغبة داخلية عند الشاعر في إثبات مكانة غزوة بدر الكبرى في نفوس المتلقين ، باعتبارها المعركة التي مكنت للإسلام في الأرض.

وفي قصيدته(سأنام) يقول حسن عبد الله القرشيّ:[2]

الرَّوضُ يُشَعْشِعُ الحانا

واللحن يُسَرِّحُ أشجانا

والشَّجوُ يُقيِّدُ إِيمانا

فكل جملة تبدأ بمبتدأ جاء اسماً ظاهراً (الروض ، اللحن ، الشَّجو) ، في حين جاء الخبر جملة فعلية فعلها فعل مضارع (يشيع ، يُسرِّح ، يقيد) في حين كان بإمكان الشاعر أن يبدأ بالفعل ، فيقول مثلاً : (يشعشع الروض) ، ولكنَّ الشاعر جعل الجملة على النسق الذي

---

[1] عرب ، حسين ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، الناشر : محمد عبد المقصود خوجة ، جدة ، 2005م، 14/2.

[2] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 76/1.

جاءت عليه في القصيدة ، فقدَّم الاسم إشارة للعناية والاهتمام والتركيز عليه ، حتى تتجه النفس بكلِّ ما تحمله من مشاعر نحو ما يحمله هذا الاسم من معنى ، وهذا أمر معروف في علم البلاغة ؛ إذ إنَّ " المتحدث حين يبدأ حديثه بالاسم ، فكأنه يريد أن يوجه الاهتمام إلى هذا الاسم . وإذا بدأ حديثه بالفعل ، فهو يريد أن يوجه الاهتمام إلى الفعل"[1]

وفي قصيدته : (ذكرى الهجرة) يعمد الشاعر أسامة عبد الرحمن إلى اللجوء لهذا النمط من التقديم والتأخير أكثر من سبع مرات ، وهو في كلّ مرة يعمد من خلال هذا الأسلوب إلى تقرير حكم ، وإِثبات قول يريد إِثباته ، مع تنوع سياق هذا الإثبات حسب الموقف الشعوري ، والمنحنى النفسي الذي يشعر به ، ففي تصويره لحالة أم القرى قبل نزول الوحي ، تجده يستخدم هذا النمط ، يقول:[2]

والرّيحُ تهمسُ في الدِّيار بسرّها   وتبوحُ بالخافي من الأشياءِ

ليؤكد به حقيقة الأمر في مكة قبل أن يضيء الوحي أرجاءها ، وفي جانب الدفاع عن النبي ﷺ يلجأ للنمط ذاته ، يقول:[3]

ما صَدَّقوك تَعَنتًا ، وهم الألى   عرفوك غير مُسفَّه الآراءِ

خُلُقٌ يدلُّ عــلى النُّبوةِ هَدْيُهُ   وجلالُهُ كالسِّيرةِ العصماءِ

إِنَّ هذا التقديم الذي لجأ إليه الشاعر مع ما يثبته من خلق كريم للنبي ﷺ يدلُّ على صدق نبوته فإنّه كذلك يَحْمِل في طياته التقريع لهؤلاء المشركين الذي تجاهلوا كريم خلقه . عليه السلام . وفضائل شمائله .

وحين أراد الشاعر إِثبات سريان التخاذل والتقاعس في نفوس المسلمين اليوم ، إثباتًا لا يحتمل الشك أو الإنكار ، من وجهة نظره عمد إلى تقديم الاسم (المبتدأ) على الخبر الفعلي في قوله:[4]

دَاء سرى في المسلمين فأصبحوا   موتى ، وإن عُدوا مِنَ الأحياءِ

وهذا صالح بن سعيد الزهرانيّ ، يبني نصه (هرمجدون) على التقديم الذي يأخذ عنده عِدّة اتجاهات ، يقول:[5]

---

[1] أبو موسى ، محمد محمد ، دلالات التراكيب : دراسة بلاغية ، ط2 ، مكتبة وهبة ، القاهرة 1987م ، ص 312.

[2] عبد الرحمن ، أسامة ، ديوان :(شمعة ظمأى) ، مصدر سابق ، ص 70 .

[3] المصدر السابق، ص 71 .

[4] المصدر السابق ، ص 71 .

[5] الزهراني ، صالح بن سعيد ، ديوان: (فصول من سيرة الرماد) ، ط1 ، نادي القصيم الأدبيّ ،1999م ، ص 41 .

لّسْتَ وحدك ، كلنا بعنا زهورَ البرتقال.

كلنا في (طور سينين) بكينا.

....

....

كلنا ننوي الصّلاة

لا تعاتبنا على ما كان منا

إنَّ الشاعر يريد أن يقول لنا أننا جميعًا مشتركون في التفريط في القدس ، حكامًا ومحكومون ، الحكام بتخاذلهم وتآمرهم ، والمحكومون بصمتهم وسكوتهم عما يجري أمامهم ، دون محاولة لإبداء رأي ولو بالقلب . ويؤكد ذلك بقوله : كلنا ننوي الصلاة ، لقد نوينا ، فهل قمنا بالصلاة ؟ هذا ما يتساءل عنه الشاعر .

ب- تقديم الجار والمجرور :

هو النمط الثاني من أنماط التقديم والتأخير في شعر الحنين والغربة ، وهو كثير جدًا عند الشعراء السعوديين ، على اختلاف مواضع هذا التقديم من الجملة ، فقد يأتي في أول الكلام ، كقول حسن عبد الله القرشيّ :[1]

فيه خلونا للهوى حقبةً رنّحتِ العمرَ بِفيضِ الشُّعور

وفيه رجَّعنا أغاريدنا في الفجر نشدو للصّباح الغرير

فالقرشيّ عمد إلى تقديم الجار والمجرور ، حتى يلفت انتباه المتلقي إلى ما بعده ؛ إذ إنَّ السامع بمجرد أن يسمع قول الشاعر (فيه) يدرك أنَّ كلامًا مهمًا وراء هذا القول ، يريد الشاعر التنبيه إليه ، ولو أنّه جاء بالجملة على نحو :(خلونا فيه للهوى حقبه) ، وكذلك :(رجّعنا فيه أغاريدنا) فإنَّ الجملة تكون جملة باردة ، لا تثير الحسَّ النفسيَّ ، والتوقد الوجدانيَّ في نفس المتلقي ، كذلك فإنَّ تقديم الجار والمجرور في مثل هذه الحالة وما شابهها ، يساعد الشاعر على أن يستنفذ كلَّ ما يشعر به من توقد عاطفيّ . بالإضافة إلى جرس الإيقاع الموسيقي الذي تضيفه شبه الجملة عندما تتصدر الجملة .

ونجد هذا أيضًا عند عبد الرحمن العشماويّ في قصيدته :(فتى فلسطيني يتحدث) ، حيث اتكأ على فنية التقديم والتأخير للجار والمجرور ، إذ يقول:[1]

---

[1] القرشيّ ، حسن عبد الله ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 183/1.

دعـــونــــي يا بني قومي أحدثكم ...
فـــفــــي قـلـبــي جِـراحٌ ما لـهـا آخـر
وفــي نَـفْـســـــــي خـرائـطُ حَـــسرةٍ
مـــا زال يَـرسُــــــمـهـا لــي الغادر
وفــــي عـــيـنــــي رؤى بَـــحْـــرٍ
وفي سمعي صدى من موجه الهادر.

إنَّ تكرار التقديم هنا قصد به أن يستوفى الشحنات النفسيّة التي امتلأت بها نفسه ، والتقديم هنا قادر على إحداث جذب وتشويق للمتلقي ، وهو عنصر مهم في التجربة الشعرية .

وقول الشاعر أحمد محمد جمال متحدثًا عن ذكرى الهجرة النبوية وحنينه لتلك الأيام الخالدة :[2]

إلى طيبة سارا وأَرْبَحْ بِـهـــجـرةٍ إليهــا فثمَّ الحقُّ باكَـره النَّصرُ
إلى طيبةَ سارا وفي الأثر منهمـا من الكفر أشباحٌ يمثلها الذُّعرُ

فالشاعر هنا يشعر بأهمية (طيبة) دار الهجرة التي سار إليها الصاحبان الكريمان بعد مكثهما في الغار ، مما جعله يعمد إلى تقديمهما ، وهذا التقديم بشعر بتخصيص هذا المكان دون غيره بهذه الرحلة المباركة ، وفي هذا التشريف والتعظيم .

وفي حنينه للماضي البعيد، يلجأ محمد عبد الرحمن الحفظيّ لتقديم الجار والمجرور، ليعطي الأبعاد النفسية عمقًا قويًا، نلمح من خلاله صورة الطفولة في أوج عنفوانها يقول:[3]

هذي السِّنين تمدُّ نحوكِ فأْلها وتبوحُ من حُلَلِ النَّقاءِ مسيلا
وإليكِ تَحْضِنُ الطفولة صورةً بَيْنَ القـلـوبِ نـعـيشُـهـا تَقْبيلا

فمدلول :(إليك تحتضن الطفولة) أكثر وعقًا من قوله:(تحتضن الطفولة إليك....).

جـ- تقديم المفعول به على الفاعل:

إذا كان علماء اللغة قد تعارفوا فيما بينهم على نمطٍ مألوف وإطار معروف في نظم الكلام ، فإِنَّ " المبدع يتجاوز دائمًا هذا الإطار الثابت للغة ، إلى مستوى آخر يحاول فيه أن

---

[1] العشماوي ، عبد الرحمن بن صالح ، ديوان : (دموع في زمن الانكسار) ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2002م ، ص 29 .

[2] جمال ، أحمد محمد ، ديوان :(وداعًا أيها الشعر) ، منشورات نادي مكة الثقافيّ ، 1397 هـ، ص70.

[3] الحفظيّ ، محمد عبد الرحمن ، ديوان : (تباهي) ، مصدر سابق ، ص 89 .

يمتلك اللغة ويصادقها ، ويحرك أدواتها كيف يشاء ، فيقدم ما شاء له فكره أن يقدم ، ويؤخر ما شاء له أن يؤخر ، حرصًا منه على تحقيق الهدف التأثيري والإيصاليّ في وقت واحد معًا ، فالتقديم والتأخير من الوسائل التي يحطم المبدعون من خلالها الإطار الثابت للغة لتحقيق أهدافهم".[1]

والشعراء السعوديون من هؤلاء المبدعين ، الذين تعدُّ عملية التقديم والتأخير عندهم إفصاحا عن الفكر المسيطر عليهم ، لذلك فقد عمدوا أيضا إلى التلاعب بنسق الجملة الفعلية المألوف ، وخالفوا هذا النظام الترتيبي فعل / فاعل/ مفعول به في مواضع كثيرة ، وهذا التقديم يوحي بمزيد عناية بالمفعول به المقدم ، وأنّه يحتل مكانه بارزة في نفس الشاعر ، مما جعله يعمد إلى تقديمه شعوراً منه بأهميته ، وبما ارتبط به في نفسه من معان ، وأخيلة رغب في إبرازها . والتأكيد عليها ، مع ما في هذا من شفافية ، وإحساس بموقع الكلمة وارتباطها بأغوار النفس. ومن نماذج هذا النمط من التقديم والتأخير، قول الشاعر أحمد العربيّ :[2]

لم يَثْنِ عزمَ محمدٍ خذلانُ مَعْ شره وألدُّ خصومه الأشرارُ

وقول أحمد محمد جمال:[3]

عامٌ بأيَّةِ بُشْرى جئت يا عامُ لم يَخْلِفْ الحربَ إسلامٌ وإيمانُ

وقول محمد حسن فقي :[4]

غَشِيَتْ سماءَ المسلمينَ سحابةٌ سوداءُ ذاتُ رواعدٍ وبوارقِ

فالمفعول به في هذه الأبيات (عزم محمد ، الحرب ، سماء المسلمين) كان محط عناية الشعراء ، واهتمامهم ، فأحمد العربيّ ، أراد إظهار عزم النبي ﷺ الذي لم يلن نتيجة خذلان قومه له ، وأحمد محمد جمال ، أراد إظهار ما أقضَّ مضجعه ، وآلم نفسه وهو يستقبل العام الجديد ، وقد أهلكت الحروب الدائرة هنا وهناك الحرث والنسل في أنحاء كثيرة من العالم ، ومحمد حسن فقي توجهت عنايته لسماء المسلمين ، التي غشيتها سحب

---

[1] صادق ، رمضان ، شعر ابن الفارض : دراسة أسلوبية ، ط1 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992م ، ص113 . 114 .

[2] دغريري ، الهجرة في الشعر الحجازي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 353 .

[3] جمال ، محمد محمد ، ديوان :(وداعًا أيها الشعر) ، مصدر سابق ، ص 35 .

[4] فقي ، محمد حسن ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 440/9 .

التفرق والخلاف ، مما يدلُّ على أن المفعول به في هذه النماذج التصق بمشاعر الشعراء ، واستولى على اهتمامهم فاقتضى ذلك تقديمه بتوافق مع هذه الأهمية للفت الانتباه إِليه .
وعليه فتعدُّ عملية التقديم والتأخير إِفصاحًا عن الفكرة المسيطر على المبدع لأَنَّ الحركة والانتقال من مكان لآخر في الجملة ، ينتج عن الالتحام والتفاعل بين الفكر واللغة ، لأنَّ حركة الفكر تتبعها حركة للصياغة تعبر عنها.
ولكلٍّ شاعر أو أديب قدرة أو قدرات تظهر مدى براعته وقدرته على تملك زمام المفردات اللغوية ، والسباحة في محيط النص الأدبيّ بما يضمن له حسن الوصول إِلى قلب المتلقي ، بما يحقق المتعة والفائدة ، بحيث لا يصطدم بصخور المخالفات اللغوية ، أو الولوج في شعبِ الغموض والتيه ، فيُفسِّر كلامه على غير ما يقصده.

10 . التّناص:

التناص مصطلح ذو أصول غربية ، ترجم إلى العربية ، واختلف الباحثون في تحديد دلالته ومعناه بشكل عام ، وهو مصطلح نقديّ حديث ، شاع على يد الباحثة جوليا كرستيفا عام 1966م ، وقد تعددت التعريفات لهذا المفهوم لدى الكثير من الباحثين والدارسين ، حيث تعرفه جوليا بقولها " إِنه ترحال للنصوص وتداخل نصيّ ، في فضاء نصٍّ معيّن تتقاطع وتتنامي ملفوظات عديدة متقاطعة مع نصوص أخرى "[1]. ويعمق (رولان بارت) هذا المصطلح بقوله : "إِنَّ كل نصٍّ هو نسيج من نص الاقتباسات والمصدريات والأصداء... وكل نصٍ هو تناص من نصٍّ آخر ينتمي إلى التناص"[2]

وبما أنَّ التناص ذو أصول غربيّة ، فإنَّ مفهومه في الدراسات العربيَّة ظل مشتملاً على شيءٍ من الغموض ، ولعلَّ ذلك راجع إلى صعوبة الوصول إلى تعريف نهائي له ، بسبب بنائه أصلاً على مبدأ تعددية المعاني.

فعبد الملك مرتاض يرى أننا إِذ نتناص نعيد كلام غيرنا بنسج آخر ، من غير أن نكونه في كلِّ أطوارنا ، ونستوحيه ، نضاده ونعارضه ، نستحضره على وجه ما ، في الذهن أو في المخيلة ، فيجري على القريحة ، ويغتدي نصًا عائمًا في النصوص ، شاردًا في فضائها ، وقد لا يعرف أحد ذلك على الإطلاق.[3]

ويرى خليل الموسى أنَّ التناص تشكيل نصٍّ جديد من نصوص سابقة أو معاصرة ، تشكيلاً وظيفيًا ، فيغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي أمحت الحدود بينها.[4]

وهو عند حسني المختار :" أن يُضَمِّنُ المبدع إنتاجه قليلاً أو كثيرًا من نصوص عِبر ما كان يعرف لدى القدماء بالسرقة والتضمين والاقتباس والتلميح الاستشهاد ... الخ " [5]

---

[1] كرستينا ، جوليا ، علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، ط1 ، دار توبقال ، المغرب ، 1991م ، ص21 .

[2] بارت ، رولان ، من الأثر الأدبيّ إلى النص ، ترجمة : عبد السلام بنعيد ، مقال من مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 28 ، بيروت ،آذار 1989م ، ص 115.

[3] مرتاض ، عبد الملك ، الكتابة أم حوار النصوص ، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 330 ، تشرين الأول 1998م ، ص 17 ،

[4] الموسى ، خليل ، التناص والأجناسيّة في النص الشعري ، مجلة الموقف الأدبيّ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 305 ، أيلول 1996 ، ص 82 .

[5] المختار ، حسني ، استراتيجية التناص ، مجلة : (علامات في النقد) ، النادي الأدبيّ الثقافي بجدة ، المجلد 12 ، العدد 46 ، شوال ، 1423هـ ، ص 315 .

وقد اتّفق أحمد الزعبيُّ مع تعريف حسني المختار ، فأشار إلى تعريف واضح من بين هذه التعريفات ، حين قال :" أن يتضمن نصّ أدبيّ ما ، نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس ، أو التضمين ، أو التلميح ، أو الإشارة ، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافيّ لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصليّ ، وتندغم فيه لتشكل نصًا جديدًا واحدًا كاملاً"[1]

والتناص ظاهرة موجودة في شعر الحنين والغربة عند الشعراء السعوديين ، وهو أكثر بروزًا في شعر التفعيلة (الحر) ، وإن كان البعض يتطرف في ذلك وخاصة عند التناص الديني من القرآن الكريم ، بحيث يثير المتاعب لنفسه ويمنع أدبه من الوصول إلى الناس ، ولسنا بمجال مناقشة هذه المسألة هنا، وستقف الدراسة على نوعين من التناص في شعر الحنين والغربة في الشعر السعودي ، هما : التناص الديني ، والتناص الأدبيّ .

أ- التناص الدينيّ: ونقصد به النصوص الدينية الداخلة في النص الأصلي لكاتب النص ، عن طريق الاقتباس أو التضمين سواء من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، لتدعيم فكرة أو إسقاط يلزمه النص وقصيدة الكاتب.

ويأتي القرآن الكريم في الدرجة الأولى من الروافد الأصلية ، التي اقتبس منها الشعراء السعوديون ؛ ولعلَّ " الداعي إلى الاقتباس لدى الشاعر المعاصر من الموروث الديني ، وبالأخص القرآن الكريم ، مشكلة التعبير ، فهي التي تحمل الشاعر المبدع على التفتيش على عبارات جديدة ، ولغة جديدة غير مستهلكة تستطيع أن تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والأحاسيس والمشاعر ، وتدفع الشعراء إلى استعمال رموز جديدة ، واقتحام أرض مجهولة ، واستعارة لغة دينية، وآيات قرآنية".[2]

وقد وقفت الدراسة على نماذج لعدد من الشعراء السعوديين استطاعوا أن يقتبسوا من القرآن الكريم صياغات جديدة أضفت على أفكارهم ومعانيهم وأساليبهم قوة وجزالة وخصب من خلال الانبعاثات القدسية التي ترافق النص القرآنيّ ، حتى لو جاء في معرض الشعر.

ونبدأ مع الشاعر محمد العيد الخطراوي ، الذي يقتبس في قصيدته : "موشح في فندق للبيع" آيات من القرآن الكريم بشكل مباشر في خطابه الشعريّ، حيث يقول :[3]

---

[1] الزعبي ، أحمد ، التناص نظريًا وتطبيقيًا ، ط1 ، مكتبة الكناني ، إربد / الأردن ، 1995م ، ص 9 .

[2] الشافعيّ ، خالد بن ربيع بن محمد ، التناص آفاق التنظير وآليات التطبيق ، مجلة الدراسات الشرقية ،جامعة طنطا ، العدد 44 ، كانون ثان ، 2010م ، ص 248 .

[3] الخطراوي ، تفاصيل في خارطة الطقس ، مصدر سابق ، ص 153 .

ولو أنَّ أهلّ القرى آمنوا

لأمطرت السُّحُبُ منًا وسلوى

وأسفر وَجْهُ الصَّباحِ بدون غشٍ

وعاد إلى النَّبعِ صَوْتُ الرُّعاةِ

وعادَتْ إلينا الظّلالً

وكلُّ الأغاني التي غالها الجّدْبُ

أَوهَنها الْعَدُوُّ

ماتت على الطرقاتِ

في المقطوعة السابقة نجد الشاعر الخطراويَّ قد وظّف آيات من القرآن الكريم بشكل واضح جليّ ؛ ليظهر لنا ما يحمله قلبه من قلق وحيرة وإحباط وتذمر ، بسبب ما أصاب أمته من نكبات ونكسات وهزائم ، بسبب انصرافها عن المنهج السليم القويم ، ويؤكد بأنّ رجوعها إلى جادة الصواب ، سيغير أحوالها ، وتعود لتقود ركب الحضارة مجدداً ، وتكثر عليها خيرات الدنيا ، كما جاء في قوله تعالى " ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء والأرض"[1]

وفي موضوع آخر من القصيدة يحذر الشاعر من الكفر ، والخروج عن الناموس الآلهي ؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى الهلاك والهزيمة أمام النفس وأمام العدوّ ، يقول :[2]

ولكنهم كَفروا بالبِدايةِ

فزلزلت الأرضُ زلزالها

وأخْرجَ ربِّي أثْقالها

لِيَعْلَمَ ببابِ النِّهايةِ

وأنَّ الفناءَ طريقُ البقاءِ..

وفي ذلك تناص صريح ، مع قوله تعالى :" إِذا زلزلت الأرضُ زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها"[3].

---

(1) سورة الأعراف ، آية 96 .

(2) الخطراويّ ، تفاصيل في خارطة الطقس ،مصدر سابق، ص 156 .

(3) سورة الزلزلة ، آية 1 ، 2 .

وفي معرض حنينه لذكريات الصبا والشباب ، والأيام الجميلة التي انقضت ، حين كان سعيداً مع أبناء جيله ، فإذا به حين شاخ يجد نفسه يعيش في فجوة كبيرة ، ويعاني مما يمكن أن نسيمه (صراع الأجيال) فهو لا يفهم الجيل الجديد ، وهم بالتالي لا يفهمونه ، فنجده يستوحي بعض معاني قوله تعالى:"وليتلطف ولا يُشْعِرَنَّ بكم أحدا"[1] وقوله تعالى :" وكبلهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد"[2] للدلالة على عدم القبول من أبناء المجتمع ، وأنه غريب عنهم ، كما كان ذاك الفتى من فتيان أهل الكهف، غريباً عن العصر الذي عاد إليه بعد نوم طويل، يقول: [3]

رفاقي هُناكَ

أشاروا عليَّ بأن أتلطفَ

أن أتنكرَ خوفَ اللئامِ

لاقتنص الشمس عند الغروبِ

وأودعها في حنايا الوصيدِ

وأطوي رُكامَ السنينِ

وآتيها بالطَّعام.

فما الحلُّ؟

لا لُغَتي تفهمون

ولا وَرَقي تَقْتبلون.

ويعبر الشاعر محمد إسماعيل الأبارة (؟) في قصيدته (القادمون من المذابح) عن الحال التي أضحت عليها الأمة العربية من التشرذم ، والتفكك ، والضعف والهوان ، يقول:[4]

وتحطمت في وحل هذا المدِّ الذي أعيا السّيولَ سفينةُ الأمجاد.

وارتطم الزَّمانُ

زماننا الماضي بأرزاءِ الزَّمان...

وتفتحت أبوابُ نكستنا

وسادَ الصَّمْتُ

وانهارت قلاع المجدِ فوق جماجمِ الحراسِ

---

[1] سورة الكهف، آية ، 19 .

[2] سورة الكهف، آية 18 .

[3] الخطراويّ ، تفاصيل في خارطة الطقس ، مصدر سابق ، ص138.

[4] الشافعي، خالد بن ربيع ، التناص ، آفاق التنظير وآليات التطبيق ، مرجع سابق ، ص 249 .

وانطفأت مصابيحُ الأماني..
ماذا جرى يا أمّة الماضي المجيد ؟؟
رياحُ هذا الفصلِ تَعْصِفُ بالمزارعِ
بالخيامِ
بكلِّ ما في الأرضِ...
وريحنا ينقضُ كالطّوفان من حول الحمى
فيبيد فينا ما تبقى من شجيرات الحياةِ وزهرها
وشعارنا التسبيحُ باسم الظّلمِ
الإيمان بالإذلالِ...
هذا الليلُ عسعس
واستوى غسقُ الحياةِ بنورها ...

لقد جاءت عبارة (الليل عسعس) . بما تحمله من إيحاءات مترسخة في وجدان كلِّ مسلم ، لتسلم النص إلى ذهن المتلقي والمنفعل مع الشاعر وهو يحنُّ إلى ماضي الأمةِ وأمجادها، فقد أراد الشاعر أن يصور اشتداد الظلمة وادلهام الخطب على الأمة فلم يجد خيرًا من ذلك إلا أن يتناص مع قوله تعالى : (والليل إذا عسعس)[1]

وذات الآية الكريمة نجدها في بيت من قصيدة (بين الصّباح والمساء) لطاهر زمخشريّ ، يقول:[2]

وإذا عسعس الظّلامُ تضاغت   خلجاتي في اللاهبِ المُنْسابِ

وهو وإن استبدل لفظ الظّلام بالليل إلى أنَّ وهج الآية الكريمة ظلَّ ساطعًا من خلال المفردة القرآنية (عسعس) وما يشع عنها من إيحاءات.

وفي قصيدةٍ يقارن فيها الشاعر محمد صالح الزهرانيّ بين حال الأمة حين كانت سيّدة الدنيا، وبين حالها حين تكالبت عليها الأمم ، فهانت على نفسها وعلى غيرها ، وأسلمت خيراتها لأعدائها ، وتساقطت أقطارها الواحدة تلو الأخرى بعد أن أصبحت كالغنم القاصيّة ، يأكلها الذئب متى شاء ، يقول:[3]

---

(1) سورة التكوير ، الآية : 17 .

(2) زمخشريّ ، طاهر ، ديوان : (الحان مغتربة) ، ط2 ، دار تهامة ، حدّة ، 1982م ، ص 114 .

(3) الزهرانيّ ، محمد صالح ، ديوان (ستذكرون ما أقول لكم) ، ط1، نادي جازان الأدبي ، 1999م ، ص 41 .

كانت الأرضُ مثلَ العروس على وجنتيها تبوحُ الخُصوبَةُ

ولكنَّها الضّاريات رعتها المفاوزُ حتّى غدتْ مِثْلَ قوسِ

المُحاربِ في ليلةٍ داميةْ

فمال بِسكينه يُطعِمُ الجَدْبَ لحمَ الرَّبيعِ

فيا ليتها كانت القاضيةْ

لقد كان يخشى على القاصيةْ

فضَيَّعَ نصفَ القطيعَ

ونامَ على النّاصيّة

يُظهر التناص القرآني في المقطع السابق في قول الشاعر (فيا ليتها كانت القاضية) ، وهي تناص مع الآية القرآنية : (يا ليتها كانت القاضية) [1] ، وقوله: لقد كان يخشى على القاصية. تناص مع الحديث النبويّ : (إنّما يأكُلُ الذئبُ من الغنم القاصيّة).[2]

كما نجد تناصًا آخر للشاعر صالح الزهرانيّ في قصيدة يحنّ فيها لوالدته ، ويصف حاله إبان حياته معها ، وبالقرب منها ، حين كانت أيامه صوراً وفرحًا وسعادة يظهر ذلك في شعره ، وتغيرت أحواله بعد وفاتها فصارت ظلامًا حالكًاً ، فكلما أراد هزّ جذع الشعر وجدًا لفراقها، يأتيه الشعر فيالق من السهام تطعنه في صدره . وهو بتوظيفه للآيات القرآنية يخالف بينه النصّ القرآنيّ، فالسيدة مريم أمرها الله بهزٍّ جذع النخلة ليأتِ الخير والغذاء ، بينما الزهراني يهزُّ الجذع فتنهال عليه السهام ، يقول:[3]

ملأتِ قصائدي فجرًا جميلاً	وَحينَ رَحَلْتِ داهمَها الظّلامُ
فَكُنْتُ أَهُزُّ جِذْعَ الشِّعْرِ وحدًا	فَتَنْهلُ الفيالقُ والسِّهامُ

وقد وقع التناص في قول الشاعر (أهزّ جذع) ، وهو تناص ديني مع قوله تعالى :" وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخلةِ تساقِطُ عليكِ رطبًا جنيّا".[4]

ونجد التناص الديني في قول الشاعر محمد حسن عواد ، معاتبًا صديق له تغير عليه بعد طول ودّ :[5]

---

[1] سورة الحاقة ، الآية :27.

[2] أبو داوود ، سليمان بن الأشعث الأزديّ ، سنن أبي داوود ، ط1 ، دار الرسالة العلميّة ، بيروت ، 642/4.

[3] الزهرانيّ ، صالح سعيد ، ديوان : (ورقة من سفر الرؤيا) ،ط1 ، نادي القصيم الأدبيّ ، 2000م ، ص 28 .

[4] سورة مريم ، الآية : 25 .

[5] عواد ، محمد حسن ، ديوان : (نحو كيان جديد) ، دار المعارف ، القاهر ، 1955م ، 1 / 107 .

كنتُ إنْ قُلْتُ هاتْ كأسِكَ تَزْجِيـ   ها دهاقًا فَلَمَ مَنعت دِهاقك

فقد كان هذا الصديق كريمًا جوادًا ، وقول الشاعر (كأسك تزجيها) كناية عن ذلك فهو يملأ الكـــأس حتـــى الامـــتلاء ، أي يعطـــي بكـــرمٍ وطيـــب نفـــس ، وقـــول الـــشاعر (هات كأسك تزجيها دهاقا) تناص مع قوله تعالى : " وكأساً دهاقا "[1] . أي مملوءة قد عُصرت وصُفيت .

أمّا الشاعر أحمد إبراهيم الغزاويّ ، فقد أراد أن يصور الحالة التي كان وأهله عليها حين وفاة أمه ، فقد مرّت الساعات طويلة متثاقلة كأنها الدّهر، ولشدة بطئها رآها كأنها من (سم الخياط) ، يقول من قصيدته (حنان الأمومة):[2]

ومرَّت بنا الساعاتُ حرَّى كأنَّها   دهورٌ وفي سُمِّ الخياط مدارُها

فقوله:(سم الخياط) ، تناص مع قوله تعالى:"حتى يلج الجملُ في سم الخياط " .[3]

وفي قصيدته (العقوق) [4] يتحدث الشاعر أحمد سالم باعطب على لسان أمٍّ عقّها ولدها ، فتعاتبه على ذلك ، فهي التي أطعمته من عرقها وجهدها ، وأدفأته بدمها ، وصانته ، حين كانت الأوضاع صعبة ، والفقر يحيط بها ، وضنك الحياة كأنه نار حامية مستعرة ، فلم يجد الشاعر أشدَّ وقعًا لتصوير هذه الحياة إلا أن يوظف البيان القرآني ، يقول:[5]

أطعمته عَرَقي أدفأتُه بدمي   وصُنْتُهُ وجحيمُ الجورِ تَسْتَعِرُ

فقوله : (وجحيم الجور تستعر) ، تناص مع قوله تعالى " وإذا الجحيم سُعرت"[6].

ب- النتاص الأدبيّ :

والتناص الأدبيّ يعني " تداخل نصوص أدبية مختارة ، قديمة أو حديثة شعرًا أو نثرًا ، مع نصِّ القصيدة الأصلي ، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر" [7] ويشمل التناص الأدبيّ المعارضات والتضمين ، فشعراء الحنين والغربة مهما حاولوا التفرد بالخصوصية الإبداعية ، فإنّ جذورهم ستبقى مشدودة إلى جذورها التراثية.

---

(2) سورة النبأ ، الآية : 34 .

(2) الغزاويّ ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 4 / 1697 .

(3) سورة الأعراف ، الآية : 40 .

(4) باعطب ، أحمد سالم ن ديوان : (الروض الملتهب) ، مصدر سابق ، ص 57 .

(5) المصدر السابق ، ص 57 .

(6) سورة التكوير ، الآية : 12.

(7) الزعبي ، أحمد ، التناص نظريا وتطبيقيا ، مرجع سابق ، ص50.

فهذا الشاعر محمد سعيد جرهرجي ، في قصيدته (نجوى) [1] ، يوجه النصح لصديقٍ له بالابتعاد عن الشهوات ، وتهذيب النفس ومجاهدة الهوى ، فيقول: [2]

واذكر من الصّحبِ كم وَلوا وكم دُفِنوا تحتَ الثُّرابِ وكم يومًا سَتَحْياهُ

والنَّفْسُ كالطِفلِ إنْ لَم تَرْعَهُ مُـثُلٌ يَشُبُ دومًا على حبٍّ لملهاهُ

فقوله : (فالنَّفس كالطفل) . تناص أدبيّ مع قول البوصيريّ [3] :

والنَّفسُ كالطِّفلِ إنْ تَهْمله شبَّ على حُبِّ الرِّضاع وإن تُفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

وراعِها وهي في الأعْمال سائمةٌ وإن هي استحلتِ المرعى فلا تَسِمِ

لقد أراد جوهرجي أن يقول إنّ تعلق النفس بالأشياء كالطفل الرضيع ، إن تركته على ما ألفه من الرضاع شبَّ وهو محبٌّ له ، وإن منعته منه يمتنع ، وهذا عين ما قاله البوصيريّ ، لذلك فقد وظّف جوهرجيّ أبيات البوصيريّ فسمت معانية ، ووضحت فكرته.

وكذلك نجد التناص الأدبيّ في قول صالح الزَّهرانيّ: [4]

منذ خمسين عامْ واقفين على جَمْرَةِ الصَّبر نَبْني لقاماتنا وطنًا من غَمامْ

حالمينَ بِبَهْجٍ له طلعةُ الوردِ ، أغنية المجدِ ، بوحُ اليَمامْ

وطارَ اليَمام

ونحنُ على الجمرِ نمشي

فَلَيْتَ لنا أن نُخاتل هذا الطريق

فإمّا حياةٌ تَسُرُّ الصَّديق

وإمّا مماتٌ يغيضُ اللئامِ

فالمقطع الأخير يتناص مع قول عبد الرحيم محمود : [5]

فإمّا حياةٌ تَسُرُّ الصَّديق وإمّا مماتٌ يغيضُ العدى

فالزهرانيّ أراد أن يقول لكلِّ عربيّ ومسلم أنَّ الحرية تشرى بالدَّم ، وأنَّ الإنسان المحب

---

[1] جوهرجي ، محمد سعيد ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 298 .

[2] المصدر السابق ، ص 298 .

[3] انظر: حلو ، محمد يحيى ، البردة شرحًا وإعرابًا وبلاغة ، مراجعة : محمد عبيد الله ، ط3 ، دار البيروتيّ ، دمشق ، 2007م ، ص 40 .

[5] الزهرانيّ ، محمد سعيد ، ديوان : (الحروف لها أجنحة) ، نادي القصيم الأدبيّ ، 2004م ، قصيدة : تاريخ النّعام ، ص 26 .

[5] ديوان عبد الرحيم محمود ، جمع وتحقيق : كامل السوافيريّ ، دار العودة ، بروت ، 1977 / ، ص 121 .

لوطنه ، المخلص له ، أمامه طريقان : حياة بعزّة وكرامة ، أو موت بشرف يقهر العدوَّ ويغيضه .

ونجده عند الشاعر يحيى توفيق حسن في قوله من قصيدته (كلام الناس):[1]

كلامُ الناسِ عَنْكِ أَثارَ وجدي وطــولِ الشَّكِ فيك أطالَ سُهْدي

أحقٌّ ما يُقال عليكِ عنـــدي بأنَّك لا تصونُ قــديمَ عهــدي

وأنّكَ قُلتَ شيئا عن هوانـــا يُكَــذِّبُ في الهوى ما كُنْتَ تُبْدي

ومن لي يا رفيقَ الرُّوحِ أَشكـو إليــه من الجوى وعذابِ وجدي

إنَّ الأبيات السابقة تتناص في أكثر من موضع مع قصيدة الشاعر عبد الله الفيصل المشهورة (ثورة الشك) ، والتي جاءت في ديوانه بعنوان: (عواطف حائرة) ، والتي يقول فيها:[2]

أكادُ أَشُكُّ في نفسي لأنِّـــي أَكــادُ أَشُكُّ فيكَ وأَنْتَ منِّـــي

يقولُ النّاسُ إنكَ خُنْتَ عَهْدي ولم تَحْفَظْ هواي ولم تَصُنِّـــي

وأَنْتَ مُناي أَجْمَعُها مَشَتْ بي إليكَ خُطى الشَّبابِ المُطمَئنين

لقد اقترب يحيى توفيق في أبياته من قصيدة (ثورة الشك) ، فهو يتحدث عن نفس المعاني التي تحدث عنها عبد الله الفيصل ، الشك والخيانة .

وتحفل أغلب دواوين الشعراء السعوديين بمعارضات صريحة ومقصودة ، لبعض النماذج المشهورة في موروث الشعر العربيّ ، ويختلف الشعراء في ذلك بين مكثر ومقل ، وهذا يدلُّ على توسعهم في الاطلاع على الموروث إلى جانب النماذج الرفيعة وحسن انتقائها من عيون الشعر العربيّ بمختلف عصوره.

فمن نماذج ذلك أنّ الشاعر ضياء الدين حمزة رجب قد مرَّ بتلك الظروف النفسية الصعبة التي مرَّ بها أبو الطيب المتنبيّ حين قال قصيدته (عيد بأية حال) في هجاء كافور الأخشيديّ تلك الظروف التي تحمل أقسى حالات الهمّ والشوق والحنين ، يقول أبو الطيب المتنبيّ:[3]

عيدٌ بأيةِ حالٍ عدت يا عـيدُ بما مضى أم لأمرٍ فيكَ تجديدُ

---

[1] حسن ، يحيى توفيق ، المجموعة الشعرية الكاملة (شعري وحواء) ، ط1 ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، جدّة ، 1994م ، ص 303 .

[2] الفيصل ، عبدالله ، ديوان : (وحي الحرمان) ، مصدر سابق ، ص54.

[3] المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي ، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1983، ص 506.

ويقول ضياء الدين حمزة رجب:[1]

ما أخطأ المتنبي فيك يا عيدُ   فكـم تَحَرّاكَ محظوظٌ ومنـكودُ

كما نجد تناصًا واضحًا بين قصيدة (أقبل العام) لإبراهيم فودة ، ودالية المتنبي سالفة الذكر ، غير أن فودة استطاع أن ينتقل في قصيدته من الهمّ الخاص الذي كان فيه المتنبي إلى الهمّ العام الذي يشترك فيه كلّ المسلمين ، ألا وهو احتلال اليهود لمقدسات المسلمين في بيت المقدس ، وفيها يقول:[2]

أأقبل العامُ أم وافى بنا عـيـدُ   العـمـرُ يَـفْنى ، ولـلآلامِ تـجـديـدُ

لا العيدُ عيدٌ ولا أيامُـهُ بيضُ   سـاوتْ لـيـاليـه أيــامُــهُ السُّـــودُ

وهل نَحُسُّ ليومِ حَقٍّ فَرْحَـتَـهُ   وكــلُّ أوصـالُـنـا : هَـمٌّ وتَـنكـيـدُ

والقدس لا مسجدٌ فيه ولا حرمٌ   والشّرُّ مـــن حوله كالشّمسِ ممدودُ

ونكاد نرى الشاعر أبا الحسن القيروانيّ ، صاحب القصيدة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس ، أعني قصيدة : (يا ليلُ الصَّبُّ) [3] . يبعث حيًّا ، وذلك حين استلهم الشاعر محمد سعيد جوهرجيّ القصيدة بوزنها ورويها ، والكثير من ألفاظ قوافيها ، بالإضافة إلى معانيها الرّقيقة ، يقول : جوهرجيّ :[4]

يا ليلُ الصَّبُّ متى موعده؟!

وعـلامَ الـيـوم ... تُـسْـهِـدُه

يَـشْـتـاقُ الوصلَ فَتبعـــدُهُ

ونَــزيــفُ الشَّـــوقِ يُـكابـدُهُ

بِـشِـغافِ القلبِ... فـيكمـدُهُ

لا طيفَ سَـمـيرٍ...يعْهَـدُهُ

يُـصْـفـيـه الـودَّ...ويُسْعِـدُهُ

يــا لـيـلُ عَـلام...تُصْفِدُهُ؟

أغْــلالُ الـبُـعْـدِ وتُجْهِـدُهُ..

---

[1] رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، 108 . 111 .

[2] فودة ، إبراهيم ، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة ، مصدر سابق ، 1/ 190.

[3] المرزوقي ، محمد يحيى الجيلاني ، أبو الحسن الحصري القيرواني عصره- رسائله- ديوانه ، ط1، مكتبة المنار ، تونس ، 1963م ، ص 66-67.

[4] جوهرجيّ ، محمد إسماعيل ، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة ، مصدر سابق ، 1 / 53 ، 54 .

ومن النماذج المشهورة التي تناص معها كثير من الشعراء السعوديين ، قصيدة (ما أمرَّك وأحلاك) والمعروفة بـ (يا ظبية البان) للشريف الرضي ، والتي استطاع أن يعبِّر فيها عن الحنين بأبهى صوره ، وبشاعرية فريدة ، وصياغة عذبة ، وموسيقى جميلة الجرس والإيقاع ، يقول فيها:[1]

يا ظبيةَ البانِ ، ترعى في خمائله   لينهك اليومَ أن القلبَ مرعاكِ

الماءُ عِنْدكِ مَبذولٌ لشَاربه   وليسَ يريكِ إلا مدمعي الباكي

ومن نماذج ذلك قصيدة(الظبية النافرة) لإبراهيم فودة ويقول مطلعها:[2]

يا ظبيةً جَنَحَتْ للصَّدِّ نافرةً   مهلاً أغرك أنَّ القلبَ يهواكِ

وقصيدة (قولي) لضياء الدين رجب ، ومنها قوله :[3]

تَذَكَّريه ولو عَتبا ولو غَضبا   فَسوفَ تُسْعِدُهُ يا (ميُّ) ذكراكِ

قولي هنا كان من دار الهدى رجلٌ   بادي الهُيام عليلٌ ضاحكٌ باكي

وقصيدة (حبّ موءود) لإبراهيم العلاف ، وفيها يقول:[4]

يا نَشْوة الرّوحِ أينَ اليومَ مَسْراكِ   وهل لطيفي مثولٌ نُصْبَ ذكراكِ

ما زلتِ مني في سمعي وفي بصري   وفي دمي وفؤادي لستُ أنساكِ

وقصيدة (قمرية الأيك) للدكتور محمد بن سعد بن حسين (1931م – ؟) ومنها قوله :[5]

قمرية الأيكِ من في الفجر أبكاكِ   ومن بأيْكَتِنا بالشَّجو أغْراكِ

نبكي إذا هاجت الذِّكرى مشاعرَنا   ونَنْثني بعدها نَستنطقُ الحاكي

يَوْمَ التقينا وأطْيافُ المُنى زُمرٌ   من حَوْلنا والصِّبا تَزْهي برياّكِ

وهكذا يؤكد اهتمام كثير من الشعراء السعوديين بالتناص – على النحو الذي وقفنا عليه في النماذج السابقة – على نزعة التأثر المباشر بالمخزون الشعري العربيّ والتداخل معه ، فالتناص أَمر لا بدَّ منه في جميع النصوص ، سواء بوعي المبدع ، أو من غير وعي منه ، إِن أراد تدعيم فكرة ، أو موقف معين داخل النص.

---

[1] الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين ، ديوانه ، ط1، دار الأرقم ، بيروت ، 1999م ، ص593.

[2] فودة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 193 .

[3] رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ص 193 .

[4] العلاف ، إبراهيم ، المجموعة الكاملة ، مصدر سابق ، ص 61 .

[5] حسين ، محمد بن سعد ، ديوان : (أصداء وأنداء) نادي جدة الأدبيّ ،1408هـ، ص 251 .

الفصل الثالث

نماذج تطبيقيّة

1- من أجلِ عينيك .... يا وطني[1]

للشاعر : إبراهيم عمر صعابي

تــوهجَ الشّعرُ في عينيك يــا وطــني ... يصــوغُه الحــقُّ في روحي وفي بَـدنـي

فـجئتُ أعـزفُ للشطـآن أغــنيــةً ... أتيـتُ أنـشِـدُ والآفــاقُ تَــحْملـنــي

مـن أجلِ عَينك كلُّ الشّعرِ أسْكُبُه ... من أجلِ عـينيك أهـدي العمرَ يـا فـنـني

الـحـبُّ أنْـت بهـدْبِ الـقلبِ أنقشـه ... لــكــل بــاسـقــةٍ فــي غُــرَّةِ الــزَّمــنِ

وفــي محـيَّاكَ مـــا أبــهاهُ مـن حُـلمٍ ... عـلـى جـفـونِ الـنَّدى بـالـوردِ يكتُبني

يا شامـخًا فـي جبينِ الـدّهرِ مؤتلـقاً ... ها أنت في القلبِ في الأعماقِ تسكنني

هذا ابتهاج المدى من أجله رقصَتْ ... أيـامـنا الـخضرُ فـي الأريافِ والمـدنِ

أضحت لنـا في عـيونِ الأفقِ مركبةٌ ... تسـيـر بـالـخير في صـمتٍ وفي علنِ

أنَّــى اتـجهنا ففـي التَّـاريخِ ملــحمةٌ ... حــروفــهــا لـحـدودِ الـشـمـس تَسْبُقُني

تغفــو الـعيــونُ وعيــنُ الله حارســةٌ ... مــن كـلِّ مُسْتَـترٍ فــي زيفـهِ الـنّتَــنِ

يا غرة الأرضِ إنَّ الأرض قدْ دَهِشَتْ ... فــأنـتَ لــلأرضِ... مـثلُ الـريـحِ للسُّفُنِ

يـــا جبهةً لـسوى الـجبّارِ مــا سجدتْ ... يــا كــلَّ نبـضٍ بـقـلـبِ الـمؤمنِ الفطنِ

تـمسكــتْ بـحبـــالِ الله فـــي ثقـــةٍ ... ومــن يــثــقْ بـحـبـال الله لـم يَـهُـنِ

فـكـلُّ حـبــةِ رمــلٍ تنـتـشـي فـرحًا ... وكـلُّ طيـرٍ تـغنـى صــادقَ الـشـجـنْ

والـدَّربُ يـعـبــقُ أزهـــاراً مــعــطــرةً ... في البحر..في البر..في سهلٍ وفي حَزَنِ

والشـمــسُ تَــغْـرُبُ إلا فيكَ يـا بـلـدي ... مــا دام فـيـنـا كـتـابُ الله ذي المِـنَــنِ

إنّـَا نَـمُـدُّ إلـــى الــرحـمــن أفــئــدةً ... أن تـورق الأرضُ فـي صـحـوٍ وفي وَسَنِ

* الشاعر والقصيدة :

ينتمي الشاعر إبراهيم عمر صعابي إلى الاتجاه التجديديّ في ديوان الشعر السعوديّ ، الذي نزع إلى المحافظة على جوهر القصيدة العربية ، وحاول أن يتكيَّف بها مع مستجدات العصر

---

[1] الصعابي ، إبراهيم عمر ، ديوان ، (وقفات على الماء) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1412هـ / 1991م ، ص 27 . 28 .

والمنجزات الجمالية المعاصرة . وينطلق شعراء هذا الاتجاه من خلال رصيد شعري مميز سبقهم إليه شعراء الوطن في مراحل سابقة ، ولذا فهم يقدمون تجاربهم محاولين الإضافة والتجاوز ، ويوفق بعضهم إلى ذلك ، ويكون لهم نتاجاتهم الشعرية الوطنية ، التي تعيد تكرار رؤى وفنيات الشعراء السابقين ، محاولين أن يختطوا لذواتهم الشعرية مكانًا مميزًا في خارطة الشعر العربي عامة والشعر السعوديّ خاصة .[1]

وصعابي من الشعراء الذين ينتمون إلى جنوب المملكة العربية السعودية ، وهو بالتالي ممن تعلقوا بالبيئة البحرية وعبَّروا عنها ، ولد في جازان ، عام1374هـ/1954م ، أنهى مراحل التعليم الأولى بمدارس بلدته جازان ، ثم حصل على دبلوم المعلمين عام 1394هـ ، وبكالوريوس الإدارة العامة من كلية الاقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام 1400هـ ، ودبلوم الكليات المتوسطة تخصص رياضيات / لغة عربية عام 1402هـ ، وهو يعمل مدرسًا للغة العربية بمتوسط ابن سينا بجازان ، وعضوا في نادي جازان الأدبي ، وعضو شرف في نادي مكة الثقافي، وقد مثَّل المملكة في مهرجان الشعر العربيّ لدول الخليج عام 1408هـ. وقد صدرت له الدواوين الشعرية التالية :

. حبيبتي والبحر 1403هـ.

. زورق في القلب 1406هـ.

. وقفات على الماء 1412هـ.

. أسئلة الريح 1414هـ[2]

وقد اخترت له هذه القصيدة من ديوانه:(وقفات على الماء) . الصادر عن نادي المدينة المنورة الأدبيّ عام 1412هـ / 1991م.

والقصيدة قالها الشاعر أثناء مشاركته في مهرجان الشعر العربي لدول مجلس التعاون الخليجي عام 1408هـ ، فقد شعر بالغربة عن وطنه أثناء إقامته في البحرين ، فأشجاه الحنين له ؛ فتفتقت قريحته عن هذه القصيدة.[3]

وعند قراءتنا لهذا القصيدة ، نجد أن الشاعر قد اختار عبارة :(من أجل عينيك يا وطني)

---

[1] انظر : النعمي ، حسن أحمد ، الشعر في منطقة جازان من (1351-1418) دراسة موضوعية وفنية ، ط1، نادي جازان الأدبي ، 1430هـ ، ص 534.

[2] انظر: الجبوريّ ، كامل سلمان ، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 هـ / 2003 م ، 46/1 .

[3] الصعابي ، إبراهيم عمر ، ديوان ، (وقفات على الماء) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1412هـ / 1991م ، ص 28.

لتكون بيت القصيد فيها ، فمن المعروف أن العنوان هو المدخل إلى فهم النص ، وقد اختاره الشاعر لأنّه محور النص الشعريّ ؛ ولأنّه يريد توجيه المتلقي نحو ما يريده ، فغالبا ما يلجأ الشاعر إلى اختيار عنوانه بعد أن ينتهي من كتابة قصيدته حيث يتبقى في ذهنه المحور الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة ، ومن البارز والجلي أنَّ العينين هما وسيلة الرؤية ، ومن خلال حاسة البصر يظهر الوجود أمامنا ، وعلى ذلك فإنَّ العينين أغلى ما يمتلك الإنسان.

تبدأ القصيدة بالشاعر يفخر بحبه لوطنه ، ويخاطبه خطاب العاقل للعاقل ، ونراه يصور هذا الوطن امرأة جميلة يتوهج الجمال في عينيها ، فالوطن أصبح جسدا حقيقيًا ، يراه ماثلا أمامه ، ويصادق على ما يكتبه من أبيات الحبِّ الذي استوطن روحه ، وسرى في جسده ، ويلفت نظر المتأمل أنَّ الحنين عند الشاعر قد تداخل مع الحنين إلى المرأة ، فهذا الشاعر البعيد عن وطنه اختيارًا للمشاركة في مهرجان شعريٍّ ، يقف في وجه بطش الحياة ، ومتاعب الزمان ، وعصف الوحدة ، فيحسُّ بشيءٍ غير قليل من الحنين إليها ، إلى الأرض وإلى تلك ، وأمام مرارة الواقع حاول الشاعر أن يتحدى هذه المرارة بمحاولة نبش كنز الذكريات ، لتخرج منها صورة امرأة تمثل هذا الوطن الشامخ المهيب ، فكانت وطنًا داخل الوطن ، وكلاهما بعيد .. بعيد.

ومن البدهيّ أن يرتبط الوطن بالمحبوبة في ذاكرة الشاعر البعيد عن وطنه ، والذي يتكئ على وضع ثقيل الهموم ، بعيد الدار والوطن والمحبوبة ، فيشرد خياله إلى حيث هذا الثلاثيّ موجود ، ليقتنص لحظة يسجلها في قصيدة تقليدية تشع عاطفة ، وتفيض حنينا ، ليكون الحنين لهم باعثًا مهمًا إلى الحنين لعناصر أخرى كثيرة ، تتضافر لتشكيل لوحة حقيقية لوطن يعيش في ذاكرة الشاعر حيثما حلَّ أو ارتحل ، وأكثر من ذلك نقول : إنَّ الحنين إلى المرأة سبب في الحنين إلى الوطن، الذي كان شاهدًا على عذوبة الذكريات معها ، يقول :[1]

تَوهَّجَ الشِّعْرُ في عينيْك يا وطني	يصوغُهُ الحقُّ في روحي وفي بَدني
فَجِئْتُ أعْزف للشُّطآنِ أغنيةً	أَتَيْتُ أُنْشِدُ والأفاقُ تحملني
من أجل عينيك .. كلُّ الشِّعرِ أَسكُبُهُ	من أجل عينيك..أهدي العمرَ يا فنني
الحُبُّ أنْتَ بهَدْبِ القلبِ أنْقُشُهُ	لكلِّ باسقةٍ في غُرَّةِ الزَّمَنِ
وفي مُحَيَّاكَ ما أبهاهُ مِنْ حُلُمٍ	على جُفونِ النَّدَى بالوَرْدِ يَكْتُبُنِي

[1] الصعابي ، إبراهيم عمر ، ديوان ، (وقفات على الماء) ، مصدر سابق، ص28 .

لقد عصفت الغربة في خبايا الروح ، واستقرت فيها سكنا وموطنا ، فاشتعل الحنين إلى وطن الذكريات ، فجاء الشاعر فنانا عازفًا ، لا يعزف لجمهور من الناس ، بل للشواطئ الجميلة ، التي قضى على جوانبها أجمل أيام عمره سعادة وبهجة ، جاء منشدًا عشقه لوطنه ، لا تحمله وسيلة ركوب معروفة ، ولكن محمولاً على الآفاق ليسهل له الوصول إلى وطنه بسرعة ، فمن أجل عيون الوطن / المحبوبة ، يرسل الشعر مسكوبًا كسبائك الفضة السائلة المترقرقة ، ولا يقتصر على ذلك فقط ، بل يقدِّم عمرة فداء لوطنه.

لقد كانت ذات الشاعر مركزًا مهمًا وفاعلاً ومنتجًا لحركية متدفقة وثابة ، تنطلق إلى الوراء بذات السرعة التي تتجه فيها نحو الأمام ، فقد زاوج الشاعر بين الماضي والحاضر حين بدأت القصيدة بالفعل الماضي (توهج) ثم بالمضارع (يصوغه) انتقالاً إلى الماضي (جئت) ، ثم المضارع (أعزف) ، ثم (أتيت) ، ثم (أنشد وتحملي) و(أسكبه) و(أهدي) و(أنقشه) و(يكتبني). وفي ذلك إيحاءات فنية ، تمزج بين المعطيات المكانية ، فالشاعر لا ينظر إلى الماضي . بل نحس أنه ينظر إلى الحاضر والمستقبل ، فهو ابن اليوم لا ابن الأمس.

وحين يعبِّر الشاعر عن مكانة وطنه في قلبه ، يتحدث كأنه عاشق متيَّم يخاطب معشوقتة ، كذلك يظهر اهتمامه وتقديره لوطنه بأن جعل له منزلة عظيمة في قلبه المعذب الكبير، فهو يسكن أعماق قلبه ، مستقرا خالدا فيها ، لا مكانة تساوي مكانته ، أو تطاول عنده هامته ، فهو شامخ على مدى الأيام ، يسير قدما نحو المستقبل ، غير منفصم عن ماضيه المجيد التليد، يرعاه الله ويحفظه ، من كل عابث يحاول النيل من أمنه واستقراره. والشاعر إذ يستخدم ضمير الجماعة (أيامنا ، لنا) ، لا يلغي الذات الشاعرة (تسكنني ، تسبقني) ، بل يتوحد بالوطن تارة وبالجماعة التي يتحدث باسمها تارة أخرى ، من هنا تبقى الذات حاضرة في مختلف أنواع الضمائر ، يقول:[1]

يـا شـامخًا فـي جَبينِ الدَّهْرِ مؤتلقا … ها أنتَ في القلبِ في الأعماقِ تسْكُنُني

هذا ابتهاج المدى من أجله رقصتْ … أيـامُـنـا الخُضْرُ فـي الأرياف والـمُـدنِ

أضحت لنا في عيون الأفق مركبةٌ … تَـسـيـرُ بالخـيرِ فـي صمتٍ وفـي علنِ

أنَّى اتّجهنا فـفـي التَّاريخِ ملحمةٌ … حُـروفُـهـا لحـدودِ الشَّـمْـسِ تَسْبُـقُـنـي

تَـغْـفُو العُيُونُ وعَـيْـنُ اللهِ حـارِسَــةٌ … مـنْ كُــلِّ مُسْتَـتـرٍ فـي زيـفِـهِ الـنَّـتِـنِ

---

[1] صعابي، ديوان : (وقفات على الماء) مصدر سابق ، ص 27 .

ولنا أن نتساءل هل كان الشاعر في مأزق شعوريّ ، وهو يقف في مهرجان للشعر يتحدث عن حنينه لوطنه؟ إِنني أظنُّ أَنَّ الإجابة ، نعم !! فقد كان هذا الوطن بحضوره الدينيّ والروحيّ ، وبتجلياته التاريخية ، ورصيده الحضاري الغني ، ومكانته التي سجلت حضوراً حضاريًّا لافتًا أمام منجزه التاريخيّ ، مشكلاً مضامين غنية لا يمكن تجاهلها ، بمعنى أنَّ الشاعر كان أمام وطن الإسلام والعروبة والتاريخ والأمجاد الماضية ، لكلِّ مسلم عامة ، بالإضافة إلى أنَّه كان إلى جانب ذلك أمام وطنه (المملكة العربية السعودية) خاصة ، الذي حقق الوحدة بين قبائله المتناحرة ، وأراضيه الواسعة الشاسعة، وسجل خطوات حضارية هائلة ، حين استثمر الطفرة النفطية بوعي نادر في سبيل نهضة المكان والإنسان ، في ظلِّ نظام مدرك واع ، استطاع أن يوائم بين الأصالة والمعاصرة ، بين سيره نحو الاستفادة من كلِّ المعطيات الحضارية التقنية التي جاءت من (الآخر) المختلف معه حضارياً ، دون تفريطه في الثوابت الشخصية الحضارية التي حمَّله التاريخ إياها ، ولذا كان الشاعر أمام تدفق مضموني كبير ومتسع يقول:[1]

يا غرَّةَ الأرضِ إنَّ الأرضَ قد دَهِشَــــتْ	فـأنْـت للأرضِ مـثـلُ الرِّيحِ للسُّفـنِ
يا جَبهـةً لسوى الجبّارِ مـا سَـجَـدَتْ	يـا كُـلَّ نَـبْضٍ بقلبِ المؤمن الفـطنِ
تَـمـسَّكتْ بـحبـالِ اللهِ فـي ثـقَــةٍ	ومَـن يَـثـقْ بِـحــبـالِ الله لـن يَـهــنِ
فَـكُـلُّ حـبَّـةِ رَمْـلٍ تَـنْـتَـشــــي فَـرحًا	وكـلُّ طـيـرٍ تـغَنَّـى صادق الشَّجَـنِ
والـدَّرْبُ يَـعْـبِـقُ أزهــــارًا مُـعَـطَّـرةً	في البحر في البرِّ في سهلٍ وفي حَزَنِ

وبإنعام النظر نجد أنَّ النداء يحتل مكانة مرموقة في القصيدة ، حيث جاء المنادى مضافا إلى ضمير المتكلم ، ليحمل معنى الاستدعاء والارتباط بالآخر من أجل التواصل والتمازج معه ، كما جاء مصحوباً بألوان من الكناية التي تحمل أنواعًا متعددة من الصفات ، فهي كنايات عن موصوف ، مما يلون نظرة الشاعر إلى الوطن ويثريها ، نجد ذلك في :(يا فنني ، يا شامخًا فيَّ ، يا غرَّة الأرض ، يا جبهة ، يا كلَّ نبض ، يا بلدي....الخ) وفي ذلك دلالة واضحة تتمثل في التعلق بالوطن والرغبة في الاقتراب منه ، والعودة إليه سريعا.

والشاعر وهو يتحدث عن وطنه بتلك القوة ، وذلك العنفوان ، وبأسمى مشاعر الفخر والاعتزاز ، يعلم علم اليقين مكانة وطنه على الساحتين المحلية والدولية ، وكونه بلدا محوريا لكل دول العالم ، فلا عجب أن يصفه بأنّه غرَّة الأرض ، وبأنَّه مثل الريح للسفن ، كناية عن

[1] صعابي، ديوان : (وقفات على الماء) ، مصدر سابق ، ص 28 .

أهميته الكبيرة ، لغيره من دول العالم وشعوبها ، وأنَّ غيره مرتبط به ارتباط السفن بالرياح ، فلا حركة للسفن–أقصد الشراعية– إلا بالرياح.

كما أنَّ الشاعر يدرك أنَّ لوطنه مكانة دينية عظيمة في نفس كلِّ مؤمنٍ ، يستمدها من اختيار الله –عزَّ وجلَّ– لهذه البقعة لتكون حاضنة لآخر الديانات السماوية ، وعلى ثراها وتحت سمائها ، توجد أقدس المقدسات لكل المسلمين عبر توالي الأزمان والأحقاب ، كما يستمدها من تمسكه بشرع الله ومبادىء دينه الحنيف ، الإسلام العظيم.

والشاعر يؤمن إيمانا راسخا لا شكَّ فيه، أنَّ شرع الله حين يحكَّم في الأرض، تتحقق السعادة ، ويسود العدل، وتظهر نتائج ذلك على كلِّ ما حولنا، من أحياء وجماد ، من حبات الرمل ، إلى كلِّ طيرٍ ، ودربٍ ، في البرِّ والبحر ، في السهول وفي الجبال.

وعبر تشكيل جماليٍّ تسمو الرؤية الشِّعرية عند إبراهيم صعابي لتنهل من خلفية مصدرية مقدسة ، ألا وهي الخطاب القرآني الكريم ؛ إذ نلاحظ أن الشاعر يفيد من بعض الآيات القرآنية الكريمة ، لتأتي رؤيته الشعرية متناصة معها تناصًا إيحائيًا غير مباشر ، وذلك في قوله:[1]

تمسكتْ بحبال اللهِ في ثِقةٍ ومن يثق بحبال اللهِ لن يهنِ

ففي البيت تناص قرآني مع قوله تعالى :"واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا"[2]

فالشاعر يدعو إلى الوحدة والجماعة ، وهو عين ما دعت إليه الآية الكريمة ، ولم يكن التناص المستقى من التراث الديني مقصودًا ، بل أعتقد أنه كان من وحي الخاطرة استجابة للواقع الذي تمليه عليه الظروف التي كانت تمرُّ به الأمة الإسلامية من تمزق وتشتت في فترة الأزمة العراقية/الكويتية ، وقرع طبول الحرب التي كان الشاعر يرى أنها ستمزق العرب وتذهب بريحهم وقوتهم . وحين استلهم الشاعر التراث ، فإنَّه لم يتقيد بحرفية النص التراثي ، بل كتب بطريقة مبتكرة ، جعلت المتلقي يربط بين النص القرآني ونص الشاعر .

وأما بالنسبة للغة الشعرية التي اهتدى إليها الشاعر إبراهيم الصعابي في التعبير عن تجربته ، فيبدو أنه قد تأثر في معجمه الشعري بواقع حياته بعض التأثر ، فقد ولد ونشأ وترعرع في مدينة جازان ، وهي مدينة جبلية تطل على البحر الأحمر وبالتالي لا بدَّ أن نلمس عنده ذلك النُّزوع الفطريِّ نحو حبِّ الأرض والبشر ، أي نحو هموم الآخرين ، وهذا جليٌّ في توظيفه

---

[1] الصعابي، إبراهيم عمر، ديوان : (وقفات على الماء) ، مصدر سابق ، ص 28 .

[2] سورة آل عمران ، الآية 103 .

لبعض المفردات البحرية ، وبعض المفردات الدالة على البهجة والتوهج والخير مثل :(توهج ، للشطآن ، الآفاق ، أنشد ، الندى ، الورد ، الأعماق ، ابتهاج ، الشمس ، الأرض ، الريح ، السفن ، البحر ، البر ، تنتشي فرحًا ... الخ) وقد استطاع الشاعر بمهارته في اللغة . باعتباره معلماً للغة العربية . وصدق الانفعال أن يسيطر على تشكيل لغته ، ومن أمثلة ذلك : (توهج الشعر ، أتيت أنشد ، أعزف ، أغنية من أجل عينيك ، غرة الزمن ... الخ) ، وهذا المفردات تؤكد توجه الشاعر الوجداني .

أمّا الموسيقى الشعرية فقد تمثلت في الموسيقى الداخلية باعتبارها النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة ، وبين وقع الكلام وحالة الشاعر النفسية ، وباعتبارها المزاوجة التامة بين المعنى والشكل وبينه شخصيًا وبين قرائه ، وبين المضمون الوطني الذي يتحدث عنه بلغته الحماسية القوية ، وبين موسيقى خارجية تتمثل في الوزن والقافية والوري ، وقد تمثلت الموسيقى الداخلية في كثرة التكرار الذي يعطي نغمًا موسيقيًا عذبًا ، وجاء تكرار كلمة (كل) تعبيرًا عن التعلق بالوطن ، كلّ الوطن ، بمدنه وقراه بسهوله وجباله ، بأهله وسكانه ، بكل شيء فيه ، يقول:[(1)]

يـا جـبهـةً لسوى الجبّار ما سجـدتْ يـا كـلَّ نَـبْضٍ بقلبِ المؤمـنِ الفَطـنِ

....

فـكـلُّ حـبّةِ رملٍ تَـنْـتـشي فَـرحًـا وكـلُّ طَـيـرٍ تـغـنَّـى صـادق الشَّـجـنِ

كما أضفى التصريع نغمًا صوتيًا عذبًا ، دلنا على حاله الشاعر النفسيّة والانفعالية ، كذلك فإنّ التقديم والتأخير في عدة مواضع ساهم في تركيز الاهتمام والعناية باللفظ المقدم ، يقول :[(2)]

يا شامخًا في جبينِ الدَّهـرِ مؤتـلقًا ها انت في القلب.. في الأعمـاق تسكنني

أضحت لنا في عيون الأفق مركبـةٌ تَسيرُ بالـخيرِ فـي صمتٍ وفي علنِ

أنّى اتجهنا ففي الـتَّاريخِ ملحَمةٌ حُروفُهـا لـحدود الشَّمْس تَسبُقني

فقد قدَّم شبه الجملة من الجار والمجرور في قوله :(أضحت لنا في عيون الأفقِ مركبة) ، وقوله:(لحدود الشمس تسبقني) .

وكذلك كان لحذف حرف العطف(الواو) دوره في إضفاء دلالة إيحائية على قرب الوطن من الشاعر ومن قلبه ، وذلك في قوله : (ها أنت في القلب... في الأعماق تسكنني) وقوله: (في

---

(1) الصعابي ، إبراهيم عمر ، ديوان :(وقفات على الماء) مصدر سابق ، ص 28 .

(2) المصدر السابق ، ص 28 .

البحر ،، في البرِّ...في سهلٍ وفي حزنِ).

وكان للطباق دوره في إيضاح المعنى وتأكيده وتقويته عن طريق المقارنة بين الضِّدية ، فنحن إذا تصورنا أحد الضِّدين ، تهيئنا للآخر وكنا مستعدين له ، فالطباق بين : (صمت وعلن) و(سهل وحزن) و(صحو وسن). جعلنا ندرك مكانة وطنه عنده ، وأهميته في قلبه ونفسه .

وأمّا الموسيقى الخارجية فقد نظم الشاعر قصيدته على بحر البسيط ليعبر عن انفعالاته ومشاعره ، وكانت القافية مطلقة ، والروي هو حرف النون المقترن غالبًا بياء المتكلم ، ليزيد من وقعه الموسيقي ، وليتمكن من السيطرة على اتساق النغم وانسجامه من أول القصيدة حتى نهايتها ، وليجعل المتلقي يتمتع بأحلى النغمات وقعًا وأكثرهن انسجامًا .

والصورة الشعرية في القصيدة عمل فني يشير إلى عظمة الخيال المبدع الذي يبعثها من الذاكرة إلى العاطفة السائدة التي تلونها ، كما أنها عند شاعرنا لم تعد نسخًا للواقع ، بل تجاوزته لما يعرف بالصور المعنوية ، ومنها الصورة الذهنية ، التي تعني بقاء أثر الإحساس في النفس بعد زوال المؤثر الخارجي ، وقد حفلت القصيدة بصور تعكس مقدرة الشاعر على إبداع الصورة الشعرية المتحركة ، وهي الصنف الأرقى من بين أصناف الصور كقوله : (توهج الشعر) ، و(يصوغه الحقُّ) ، و(أعزفُ للشطآن) ، و(رقصت أيامنا) ، و(الدّرب يعبق أزهارا). وثمة صور تجمع بين الشعر وبين اللوحات التشكيلية ، كقوله :(الآفاق تحملني) ، و(بهدب القلب أنقشه) ، و(في الأعماق تسكنني) ، و(كلُّ طير تغني صادق الشحن).

وتعتمد الصورة الشعرية عند الشاعر على طائفة من أصناف البلاغة العربية غير المقصودة لذاتها ، وفي مقدمتها التشابيه ، والاستعارات ، والكنايات.

ختامًا ففي قصيدة الشاعر إبراهيم عمر صعابي يمتزج الهمّ العام بالبوح الخاص ، فلا يعرف هل كانت المحبوبة التي غنّى لها أنثى بعينها أم كانت الوطن؟ تماما كما فعل الشاعر عبدالله الفيصل في رائعته المعروفة ، من أجل عينيك عشقت الهوى [1]، التي يبدو التناص جليا بين عنوانها ، والعنوان الذي اختاره صعابي لقصيدته ، وتمضي في قراءة القصيدة فتعرف أنَّه يخاطب وطنا ارتبطت حياته به ، فهو في قلبه ، وفي أعماقه ، معه في كلِّ نبضة قلب ، وكيف لا؟ وهو من شهد طفولته وصباه ، فصار شيئًا من كيانه. لذا فلا عجب أن خاطبه خطاب العاشق المدنف للمحبوبة التي ملكت عليه كل مشاعره. وتبدو الرؤية الدينية جليّة في نهاية القصيدة ، إذ يفخر الشاعر بتمسك وطنه بكتاب الله الدستور الأزلي للمملكة.

---

(1) الفيصل ، عبدالله ، ديوان : (وحي الحرمان) ، مصدر سابق ، ص 97-98 .

إلى المروتين[1]

لطاهر زمخشري

1960 . 1987م

أهِـيمُ بِروحِـي علــى الـرَّابـيهْ ... وعِنْدَ المطافِ وفـي المــروتَين

وأهْفُـو إلـى ذِكْــرِ غـالـيــهْ ... لدى البيتِ والخيفِ والأخْشَبَيْن

فَيَهْدرُ دمْعِــي بآماقـيـــهْ ... ويجْري لظـاهُ على الوجنتيــن

ويَصْـرخُ شوقـي بأعْماقيــهْ ... فأرسلُ من مُقلتــي دمعَتيــن

أهيمُ وعَبْرَ الـمدى معْبَــدٌ ... يُعلَّقُ في بـابـــه النَّيِّريــن

فَإن طـافَ في جَوفِـه مسْهَدٌ ... وألقى علـى سُجْفِه نظرتيــن

تَراءى لَـهُ شَـفَقٌ مُجهِــدٌ ... يواري سنا الفَجـرِ فـي بُرْدَتَيْن

ولَيْس لـه بالشَّجـا مَولِــدٌ ... لمُغْتَرِبٍ غَـائِرِ المُقْلَتَيْن

أهِيـم وقـلـبــي بِدقـاتــهِ ... يطِيرُ اشتياقاً إلى المسجدين

وصـدري يَـضُـجُّ بـآهـاتــهِ ... فيسري صداهُ علـى الضِّفَتيْن

علـى النَّيل يقْضي سويعاتـهِ ... يُناغـي الوجومَ بسَمْعٍ وعَيْن

وخُضرُ الـرَّوابـي لأنَّـــاتــهِ ... تُرَدِّدُ مـن شَـجْوه زَفْرَتَيْن

أهيمُ وحَولي كؤوس المُنـــى ... تَقْطُرُ فـي شَفَتي رشفَتيْن

فـأحْسَبُ أنِّي احتسيتُ الهنــا ... لأسكـبَ مـن عَذْبِـهِ غُنْوَتَين

إذا بـي أليفُ الجَوى والـضَّنى ... أصاولُ فـي غُرْبَتي شقْوَتَين

شَقـاءُ التياعـي بِخُضرِ الرُّبــى ... وشَقوةُ سهمِ رمانـي بِبَيْن

أهِـيمُ وفــي خـاطـري الـتَّائـه ... رؤى بَلـدٍ مُشْرِقُ الجانبين

يَطوفُ خَيـالـي بـأنحـائِــه ... لِيَقْطعَ فيـه ولو خُطْوَتَيْن

أمـرِّغُ خـدي بـبَطْحـائِـــه ... وألمسُ مِنـهُ الثَّرى باليَدَيْن

وأُلْقِـي الـرِّحــالَ بأفـيـائِــه ... وأطْبَعُ فـي أرضـه قُبلَتَيْن

أهــيـمُ ولـلـطَّيـرِ فـي غُصْنِـهِ ... نُواحٌ يُزَغْرِدُ فـي المَسْمَعَيْن

فَيَشْدو الـفـؤادُ علـى لحْـنِـهِ ... ورجْـعُ الصَّدى يَملأُ الخافـقين

[1] زمخشري ، طاهر ، مجموعة النيل ، ديوان : (أغاريد الصحراء)، ، ط1، مطبوعات تهامة ، جدة ، 1984م ، ص 16 .

فَتجري البوادرُ مِن مُزْنِه وتُبْقي على طَرْفِهِ عَبْرَتين
تُعيدُ النَّشيدَ إلى أذنه حنيناً وشوقاً إلى المروتين

* الشاعر والقصيدة :

طاهر عبد الرحمن زمخشريّ ، شاعر وكاتب من رواد الأدب في الحجاز في فترة نهضته الفكرية والأدبية ، مركبة في الحياة كان المعاناة بكلِّ تفاصيلها ، ومن صلب هذه المعاناة كتب سيرة عطائه الممتد بين قافية ومايكرفون ، فاستحق أن يكون بذلك ظاهرة أدبية في عصره ، قال عن نفسه :"أنا كومة من الفحم الأسود ، تلبس ثيابًا بيضاء ، تقول شعرًا قصائده حمراء وخضراء وصفراء"[(1)]

ولد بمكة عام 1332هـ/1906م ، أنهى الدراسة من مدرسة الفلاح ، عمل في مختلف أنشطة الدولة والدوائر الحكومية ، ثم شارك في تأسيس الإذاعة السعودية ، وكان من أوائل الذين عملوا فيها ، أَحَبَّ الطفولة والأطفال ، حتى عرف باسم (بابا طاهر) ؛ إذ أصدر أول مجلة سعودية خاصة بالأطفال وكان اسمها (الروضة) ، وقد صدر العدد الأول منها يوم الخميس 1959/9/17م .

عاش الزمخشريّ حياة المشقة والبؤس والغربة ، وأقام طويلاً في مصر ، ثم انتقل إلى تونس ، حيث كرّمته الحكومة التونسية ، ومنحته وسامًا رفيعًا عام 1966م ، عاد إلى وطنه السعودية ، حيث حصل على جائزة الدولة التقديرية للأدب عام 1404هـ ، توفي عام 1987م.

والزمخشريّ شاعر مكثر له أكثر من واحد وثلاثين ديوانًا شعريًا ، وقرابة 200 أغنية ما بين نشيد ديني ومنولوج[(2)] ، فمن أهم أعماله:

. أحلام الربيع عام 1946م ، ويقال أنّه أول ديوان سعوديّ مطبوع .
. همسات 1952.
. أنفاس الربيع 1955م.
. أصداء الرابية 1958م.
. أغاريد الصحراء 1961م.
. الحان مغترب 1961م.
. حقيبة الذكريات 1978م.

[(1)] حسين ، مصطفى إبراهيم ، أدباء سعوديون : ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديبا ، ط1، دار الرفاعي ، الرياض ، 1994م ، ص 228.
(1) المرجع السابق ، ص 228.

وغيرها الكثير.[1]

والقصيدة من القصائد الخالدة للزمخشريّ ، قالها وهو في مصر، حيث تعوَّد أن يقضي كلَّ الأعياد في مكة المكرمة بجانب البيت والخيف والأخشبين ، ولكنه في ذلك العيد من عام 1377هـ ، لم يتمكن من الذهاب إلى مكة ، فكانت ولادة هذه القصيدة ، التي هي نموذج من نماذج الحنين إلى الوطن ، والإخلاص له ، والتعلق بذكرياته التي من المحال أن تنسى ، ويفصح فيها الشاعر عن مشاعره نحو وطنه وهو بعيد عنه في غربته في مصر ، ويذكر فيها أسماء بعض الأماكن التي كان له ذكريات فيها ، فتفيض دموعه شوقًا لها ، وتظهر عاطفته الجياشة التي تنتقل لنا ، فنشاركه همّه وشعوره بالأسى لبعده عن الدّيار الطاهرة.

والشاعر حينما فارق البيت العتيق ، لم نسمع في شعره غير مسحة الحزن والألم والشكوى ، فلم يستطع مقاومة الشوق له ، إذ حنّت روحه وتاقت لرؤية تلك الديار المقدسة ، فلا يهنأ له بال حتى يمتع ناظريه برؤيتها ، فإذا تعذر عليه الذهاب لها ، نجد الحسرة والألم ، تغلف نفسه ، وتلون شعره ، وقد يتمكن منه الهمَّ والغمّ ، ويصبح عرضة للمثيرات الخارجية ، أي تتحول غربته المكانية ، إلى اغتراب نفسي يستوطن ذاته وباطنه العميق.[2]

لقد كان الهيام بمكة مرتكزًا ابتدائيًا لمقاطع القصيدة ، إذ يبتدئ كلُّ مقطع منها بالفعل (أهيم) الذي يحول مقاطع القصيدة إلى تكرار وترجيع:[3]

أهيم بروحي على الرابيةْ	وعِنْدِ المطافِ وفي المروتينْ
وأهفو إلى ذكرِ غـــاليةْ	لدى البيتِ والخيفِ والأخشبينْ
فـيهدرُ دمعــي بماقيهْ	ويجري لظاهُ على الوجنتينْ
ويصرخ شوقـي بأعماقيهْ	فأرسِــلُ مِن مقلتــي دمعتينْ

إنَّ الشاعر يعود بذكرياته إلى تلك الأماكن التي قضى فيها أجمل سنوات عمره ، وأعذب ذكريات حياته ، في مكة المكرمة ، التي شهدت ولادته ، فهو ليس غريبا عنها ، يعرفها حقَّ المعرفة ، فقد عاش بين جنباتها ، وترعرع بين أزقتها ، على الرابية ، وفي المروتين ، وعند المطاف ، وعند الأخشبين ، ونشعر به وهو يذوب شوقًا ، ويكاد الحنين يذهب بعقله ، فيهيم

---

[1] انظر : شراب ، محمد محمد حسن ، شعراء من المملكة العربية السعودية مع فصول في النقد ، مصدر سابق ، ص 362 .

[2] انظر : زياد ، صالح ، المكان من الطبيعة إلى الثقافة ، مكة المكرمة رمزًا في الشعر السعودي ، مجلة جامعة دمشق ، مج22 ، العدد (3+4) ، 2006م ، ص 118 .

[3] زمخشري ، طاهر ، مجموعة النيل ، ديوان : (أغاريد الصحراء) ، مصدر سابق ، ص 16 .

على وجهه كالمجنون ، ودموعه تجري على خديه ، ويصل به الأسى إلى أقصاه ، فيجسد شوقه إنساناً يصرخ من أعماقه مستخدماً (الفاء) التي تدل على السرعة ، والأفعال المضارعة (أهيم ،أهفو ، يهدر ، يصرخ ، أرسل) والتي تدلّ على التجدد والاستمرار لهذا الحنين الذي يكاد يعصر نفسه ؛ إذ يظهر على صورة دموع متوقدة على خديه.

وفجأة تظهر أمامه صورة الكعبة المشرفة عبر الأفق البعيد ، فيطوف بصره وعقله بها ، ويأخذ الأرق به ، فيرى كأنَّ الشفق يحجب ضوء الفجر، ويحضر بردتين ليواري بهما ضوء الفجر حتى لا يظهر ، كلّ هذه الصور تعبر عما يجول في صدر الشاعر من حنين وألم ، يقول:[1]

أهيمُ وعَبْرَ المدى مَعْبَرٌ	يُعَلقُ في بابه النَّيِّرين
فإن طاف في بابِه مُسهَدٌ	وأَلقى على سُجْفِـهِ نظريتينْ
تراءى لـه شَـفَقٌ مُجْـهَدٌ	يواري سنا الفجرِ في بُردتين
وليسَ لـهُ بالشَّجا مَوْلِدٌ	لِمُغْـتَرِبٍ غـائرِ المُقْلَتَيْن

ويستمر الشاعر هائما سارحا بخياله وعقله على تلك الأماكن المقدسة ، التي هيّجت نار الذكريات في قلبه ، فجعلت قلبه طائرًا يرفرف من شدة الشوق والحنين ، يقول:[2]

أهيمُ وقلبي بدقاته	يطيرُ اشتياقاً إلى المسجدين
وصدري يضجُّ بآهاته	فيسري صداها على الضفتين
على النيل ليقضي سويعاته	يُناغي الوجومَ بسمعٍ وعين
وخُضْر الرَّوابي لأناته	تُردِّدُ مِن شَجْوِهِ زمْرتَيْن

وتتلاحق الصور الجميلة مثل : (قلبي يطير ، صدري يضج ، يناغي الوجوم ، وكذلك هذه الألفاظ الموحية عن خلجات صدره (يضجُّ ، آهات ، اشتياقاً ، صداها) وتوظيفه للفعل المضارع (أهيم ، يطير ، يضجُّ ، يسري ، يقضي ، يناغي) ليدلَّ على استمرار حنينه ، واندفاعه ، وليكسر عند المتلقي آفاقا جديدة كان ينتظرها ؛ حين يدرك أنَّ حنين الشاعر لحمى البيت الحرام والقداسات ، حيث مكة والحجاز موطنه المغترب عنه ، لن يجعل النيل وضفافه ، وخضر الروابي التي تحيط به ، سلوانا للشاعر عن وطنه ، فقد أثارت هذه الأماكن حنينه إلى مكان أرفع منزلة عنده بوصفه مجمع القداسات أولا ، ثمَّ بوصفه موطنه المغترب عنه ثانية.

---

(1) زمخشري ، طاهر، مجموعة النيل ، المصدر السابق، ص 16.

(2) المصدر السابق ، ص 16.

ويستمر الشاعر هائمًا سارحًا بعقله ، وتأتيه الأماني ، والأحلام السعيدة ، فكأنها طعام شهي لذيذ تمتع بتذوقه وطعمه وحلاوته ، فيعتقد لوهلة أنه قد حظي بالغبطة والسرور ، ولكن سرعان ما يتبدد ذلك ، عندما يدرك الشاعر أنَّها أماني وأحلام ، وليست حقيقة ، فيعتريه الهمّ من جهتين : وجوده في بلاد ذات خضرة وجمال ، فبدلاً من أن تسعده لمنظرها الرائق تحزنه ، والثاني نأيه وفراقه لوطنه ، الذي هو كالسهم الحاد المنغرس في قلبه ، يقول:[(1)]

أهيمُ وحـولــي كؤوس المنـى	تقطرُ في شَـفـتي رشفَـتين
فأحسب أنِّــي أحتسيتِ الهنا	لأسكبَ من عَـذبهِ غنوتين
إذا بي أليفُ الجوى والضّنى	أصاولُ في غربتي شقوتين
شقاءُ التياعــي بِخُضْرِ الرُّبى	وشقوةُ سهـمٍ رمــانــي بِبَيْن

وكان استخدامه ل (إذا الفجائية) بداية خروجه وصحوه من أحلامه ، والعودة إلى عالم واقعٍ يعاني فيه الحزن والتعب ، ومرارة الغربة ، تلك الغربة التي لم تترك له لحظات ولو قليلة ليشعر فيها بالقليل من الهدوء والطمأنينة والسعادة.

وتشع في روحه إشراقة هذا البلد الطاهر، فيتمنى أن يتوسد بطحاءه الطيبة ، ويلمس ترابه الندي ، الذي يعبق بالقدسية والطهر، وأن يلقي عصا الترحال بأفيائه الوارفة الظلال،يقول:[(2)]

أهيمُ وفي خاطري التائه	رؤى بَـلدٍ مُشْرِقِ الجـانبين
يطوفُ خيالي بأنحـائـه	ليقـطعَ فـيه ولو خطوتين
أمرِّغ خـدي بـبــطائحـه	وألمسُ منهُ الثَّرى باليدين
وألــقــي الرِّحال بأفيائــه	وأطـبعُ فـي أرضـهِ قُـبْلَتَين

ويشبه الشاعر حاله بحال الطائر الذي ينوح بألحان يهتز للحنها المؤثر من يسمعها، فتلك الألحان تخرج من قلبٍ حزينٍ مولعٍ بحبِّ الوطن ، والحنين إليه ، وإلى الأماكن الجميلة فيه ، يقول:[(3)]

أهيمُ وللطَّيْرِ في غُصْنِهِ	نواحٌ يزغْردُ فــي المَسْمَعَيْن
فَيَشْدو الفُؤادُ عـلى لَحْنِهِ	وَرَجْعُ الصَّدى يَملأُ الخافقين
فَتَجْري البوادرُ من مُزْنِهِ	وتَبْـقَـى عـلـى طَرْفِهِ عَبْرَتَيْن

---

(1) زمخشري ، طاهر، مجموعة النيل ، مصدر سابق، ص 16.

(2) المصدر السابق ، ص 16.

(3) المصدر السابق ، ص 16.

تُعيدُ النَّشيدَ إلى أَذْنِهِ   حَنينا وشوقا إلى المروتيْن

ومع تكرار الفعل (أهيم) في بداية كلِّ مقطع ، يتغير الإحساس ، لتجلية معنى جديد من روح تجليات المكان ، وفق درجة ونوع الهيام ، ففي المقطع الأول ، ينصبُّ هيامه . سيّالا . بكلِّ بقعة مكيّة ، وما يترتب على ذلك من أثر نفسيٍّ حارقٍ حنينا وهياما ، وفي المقطع الثاني يتجه الهيام إلى الكعبة والبيت والنَّيِّرين ، حيث يحيل النظر لهما ظلمة ليل الشاعر المؤرق إلى شفق سرمديّ ، رآه بدافع الغربة مجهداً لا ينبلج بعده فجر ، ومع المقطع الأخير يهيم مع مظاهر الطبيعة في جانبها الصوتي غناء مع طيرٍ حزين ، يودي به في النهاية إلى الإحساس بسرمدية الحزن ، حنينًا بدأه وأنهاه بالمروتين وإلى المروتين ، مكانًا رسم الشاعر صورة الحنين إليه بالتعلق الدائم إليه وإلى كلِّ ما فيه .

وهيام الشاعر بروحه لا بجسده ، فيه إعلاء من شأن الروح ، التي هي سرٌّ من الأسرار الإلهية ؛ ومن ثمَّ ندرك أن هيام الشاعر إلى المكان المقدس ، كان حنينا إلى الوطن /مكة/ المروتين ، ومن هنا سمت روحه ، بروح وتجليات المكان إلى عالم روحاني رأى نفسه من خلاله يسمو ويحلق فوق بيت الله الحرام وكلّ ما فيه بعد أن تجاوز عالم المادة والمسافات .

إن تجليات مكة المكرمة مكانًا يهفو له قلب الشاعر تبدو منذ الكلمة الأولى في القصيدة ، إذ عرفنا أن (الرابية والمروتين) حيان من أحياء مكة ، أنهما المثير الأول الذي معه وبذكره ، ترق القلوب المفعمة إلى الحنين إلى الوطن ، وهكذا نرى الشاعر في حنينه هذا يناجي وطنه نجوى العاشق المتيم ، ويبثه وجد الغربة وألم الروح ، وليجعل من قصيدته مزيجًا لطيفًا من الرقة والغناء ، متخذاً من الشعر قيثارة يوقع على أوتارها أحاسيسه ولواعجه الخاصة ، التي نلحظ من خلالها عميق شعوره الذاتي بأحزان نفسه ، ودفائن آلامه ، ألا نشعر بخشوع عميق أمام البيتين الأول والأخير حين يقول؟ :

أهِيمُ بِروحِي على الرَّابيهْ   وعِنْدَ المطافِ وفي المروتَين

....

تُعيدُ النَّشيدَ إلى أذنه   حنيناً وشوقاً إلى المروتين

إننا نحس بحرارة حنين الشاعر إلى الوطن المقدس ، حين نأى عن أهله وديرته ، ألا يحقُّ له أن يضمَّ جناحي قلبه الكبير لينطوي على نفسه لحظات ، يذرف فيها دمعة صامتة ، وشكوى عابرة ؟

إنَّ حنين الشاعر كما يبدو – في القصيدة – لهو جدول شديد الصفاء ، وشديد الحرارة ، يتفجر من الينبوع عينه ، الذي يتدفق منه الحبُّ والألم ، فهو وليدهما معًا ، وفيه من حرارتهما معًا ، ولقد اغترب شاعرنا عن أهله ووطنه ، فظلَّ خيالهما يراود أحلامه ويفتح في نفسه الجراح ، فإذا به ينثر

علينا من خطرات حنينه نفحاتٍ حزينة شديدة الحرارة ، فكل ما يراه في غربته يذكره بوطنه الذي درج على أرضه طفلاً ، وشاب شعره على ثراه كهلًا وشيخًا .

وبغير شك فإن البعد النفسي الكامن في القصيدة يعمل على إنهاض وعينا للتحاور مع الشاعر وقصيدته ؛ للكشف فنياً عن المسكوت عنه نفسياً داخل جنبات لغته ، وصوره الشعرية وموسيقاه ، وسنبدأ من تلك اللغة التي يتضح للمتأمل في النصِّ الشعري أنها تحمل جملةً من الوظائف والدلالات في بنيتها الفردية (الكلمة) ، وبنيتها الكلية (التركيب) ، فاللغة بهذا البناء الفني عند طاهر زمخشري ، كانت مادة لدلالة ظاهرة وباطنة ، تتجاوز اللفظ الظاهر لتقف على المخبوء الذي يجول في وجدان الشاعر نتيجة لظرفه النفسي ، فألفاظه تسبق معانيه إلى قلب المتلقي ، وتشيع في نفسه خفة وطربا، فهي سهلة قريبة من النفس ، تدخل إلى القلب لتبقى فيه ، فمعجمه الشعري قد تأثر بواقع حياته ، فقد ولد في مكة المكرمة أقدس قداسات المسلمين على وجه الأرض ، لذلك فإنه يعمل إلى توظيف بعض المفردات التي تدل على قدسية هذا المكان ، مثل : (الرابية ، المطاف ، المروتين ، الخيف ، الأخشبين ، النيرين ، المجسدين). وبعض الألفاظ الدالة على حالته النفسية جراء غربته عن وطنه مثل : (أهيم ، أهفو ، يهدر دمعي ، لظاه ، يصرخ شوقي ، دمعتيه ، مسهد ، الشجا ، يضج بآهاته ، الجوى ، الضنى ، أمرغ ، غربتي) .

أمّا التركيب فإنَّ توظيف حروف الجر المتعددة مع التركيز على حرف الجر (في) الذي يفيد الظرفية ، ولنا أن نتساءل عن سبب إكثار الشاعر من استخدام حرف الجر هذا بصفة خاصة ، فقد جاء مكرراً إحدى عشرة مرة في القصيدة ، وأعلل ذلك بأن وطنه يسكن فكره وقلبه وعقله ، وكذلك هو ، فرغم ابتعاده عن وطنه ، إلا أنّه يشعر أنّه موجود فيه واقعًا لا خيالاً...

ومن أهم أسرار الجمال الروحي في القصيدة أن جاءت القافية معتمدة على المثنى ، وهو ما مكن الشاعر من توسيع ذكر الأماكن المقدسة (المروتين ، الأخشبين ، النيرين ، المسجدين الخيف....)

والتأكيد على تركيز المثنى ، زيادة في المبالغة على إيصال الصورة وإثراء للمشاعر والأحاسيس ، فاستخدام المثنى أقوى من المفرد ، فالوجنتين ، ودمعتين ، ونظرتين ، وبردتين ، وخطوتين ، ... الخ ، نحسُّ من خلالها مدى انصهار الذات الشاعر بالأماكن المقدسة ، فهو يستنطق خباياها . وأسرارها ، ليس مرة واحدة ، بل مرتين.

ويجلب انتباه القارئ وفرة عنصر الموسيقى الذي أولاه الشاعر عناية كبيرة والتزم به ، فالموسيقى في الشعر كما هو معروف تتفرع إلى نوعين يسيران في خط واحد ، الأول : موسيقى خارجية ، التي تمثلها النغمة التي تعمل بانتظام ملائم مع حالة الكلمة في التركيب

الشعري وهذه النغمة المتواترة هي الوزن ، إذ إنَّ اختيار الشعار للوزن مرتبط بنفسيته وحالته الشعورية ، فمطلع القصيدة عبارة عن شجى حزين نشعر من خلال موسيقاه بالكآبة والحزن فقد جاءت هذه القصيدة على بحر المتقارب ، وهو من أكثر البحور زخما بالإيقاع المغنَّى ، فهو كما يقول عنه النُّقاد والعروضيون ذو إيقاع متدفق متلاحق ، يحسُّ معه سامعه بالتّحدُّر والمتابعة وتوالي الوقع ، وهو بحر بسيط النَّغم مطرد التفاعيل منساب ، ويصلح لكلِّ ما فيه تعداد للصفات وتلذذ بجرسٍ من الألفاظ ، وسرد للأحداث في نسق مستمر...[1] ، فالإيقاع المعتمد في هذا البحر يعيشه الشاعر من حزن وحنين وغربة ، وهو ما أدى بالإيقاع أن يتخذ منحى بطيئًا ، ليدلَّ على المرارة والحزن ، التي كان عليها الشاعر وهو بعيد عن وطنه مكة .
وقد تهيأ للقصيدة هذا الإحساس الإيقاعيّ . الذي ينتج الدلالة . من أكثر من طريق ، وأول هذه الطرق أنَّ الشاعر نجح في أن يكثر من التقفية الداخلية ، التي جاءت في أعاريض الأشطر الأولى من المقاطع ، متغايرة من مقطع لآخر ، متوافقة داخل المقطع الواحد ، كل هذه في مقابل توحد قافية تفاعيل الأضرب ، التي جاءت نونية على امتداد القصيدة ، وقد حقق هذا أشياء مهمة ، إيقاعًا ومعنى. وقد تمسك الشاعر بهذا الحرف وأبقى عليه في كلِّ أبيات القصيدة وهو ما أضفى عليها انسجاماً متناهيًا ، واتزانًا ووقعًا لطيفاً على النفس .
أمّا الصورة الشعرية فيبدو أن الشاعر يبدي حفاوة بالغة بها ، ويتبدى هذا من خلال عنايته بالصور التشخيصية و التجسيدية المتحركة الصاخبة ، مثل: (أهيم بروحي ، فيهدر دمعي ، يصرخ شوقي ، يواري سنا الفجر في بردتين ، وقلبي بدقاه يطير ، ويطوف خيالي ، ويشدو الفؤاد) .
وتبلغ الصورة الشعرية مداها الأجمل حين يعمل الشاعر إلى ذلك المزيج الجميل بين الصورة الذهنية والصورة التجسيدية ، حيث يجعل المحسوس في خدمة المجرد بغية تعميق الفكرة ، والمعنى الشعري الذي يقصده ، لنستمع إليه وهو يقول :

تراءى له شفق مجهدٌ   يواري سنا الفجر في بردتين

فقد صور الشفق إنسانًا متعبًا ، يعمل على منع ضوء الفجر من الظهور بموارته ببردتين .
ويبدو البعد الدينيّ جليّا في الصورة الشعرية عند شاعرنا طاهر زمخشري ، مما يدفعنا للتوقف لاستجلاء لفظة (يطوف ، طاف) ، إِنها لفظة تستدعي ما لا حصر له من الدلالات

---

[1] انظر:عبد اللطيف ، محمد حماسة ، البناء العروضي للقصيدة العربية ، ط1 ، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ، 1999م ، ص 86 .

العقائدية ، فالشاعر بحكم النشأة المكية ، وبحكم تدينه الفطري عرف الطواف وترددت هذه المفردة كثيرًا أمامه ، فلم تكن غريبة عن سمعه ، وتغلغلت في وجدانه حتى تشربها دينيًا ، بعد أن استقرت في قاموسه اللغوي فصارت في وعيه ولا وعيه ذات قداسة ، يعطر بها وجدانه وضميره ، ويستدعيها مخزونًا آسرًا منهما .

إنَّ اللفظة في قوله : (يطوف خيالي) و (فإن طاف) ، تستدعي (الطواف) قداسة ، والطواف يستدعي دينيًا الكعبة ، والحج ، والسعي ، والصفا ، والمروة ، وكل ما له قداسة تغسل أدران النفس داخليًا وخارجيًا .

وفي القصيدة سلاسل متواصة الحلقات من الصور الفواتن استمدها الشاعر من الحياة والطبيعة وخلع عليها من شعوره العميق بالحنين والشوق لوطنه ومن خياله الخصيب فنونًا من الجمال والبهاء ، من ذلك :

وخضر الروابي لأناته   تردد من شجوه زفرتين

وقوله:

فيشدو الفؤاد على لحنه   ورجع الصدى يملأ الخافقين

إنها صور زاخرة بالإبداع والروعة ، بل هي لوحات فنية بريشة فنان مبدع .

ونتأمل–ختاما– القصيدة ، فيأسرنا هذا النفس الشعري النامي المطرد ، وهذه الموسيقى المتلاحقة المنسابة ، وهذه الصور الشعرية الفاتنة المعبرة ، وهذا الحنين الصادق العنيف ، والعشق الكبير ، الذي يذكرنا بعشق المتصوفة ، الذين تفانوا في حبهم ، وامتزج فيه العاشق بالمعشوق.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على معلم البشرية وخير من نطق بالعربية ، سيدنا محمد رسول الله وبعد:

فقد قامت دراستنا على غرض الحنين والغربة في الشعر السعودي المعاصر ، مستقرئةً مادة الغرض من مصادرها المتعددة ، ومحاولةً الوقوف على أبعادها الموضوعية ، وخصائصها الفنية ، لتكون– بالتالي– صورة وافية عن هذا الفن الكبير كأنموذج صادق في إعطاء تصور عام عن الشعر السعوديّ عامة في جميع اتجاهاته وفنونه ، وحيث إنَّ الدراسة كانت محدودة بعاملي الزمان والمكان ، فقد حاولت الدراسة تغطية جميع أجزاء هذين العاملين من خلال النماذج المدروسة التي تناولت بالفحص والاستقراء إبداع ما يزيد على تسعين شاعراً وشاعرة من جميع أنحاء المملكة العربية السعودية ، وفي مختلف العقود الزمنية للفترة المدروسة .

وقد أثَّرت الغربة في حياة الشعراء السعوديين ، حسيا ومعنويا ومعرفيا ، تأثيرا انعكس على تجربتهم الشعرية ؛ فجاء معظم نتاجهم الشعري حاملا لأثر الحنين والغربة في شكله ومضمونه ، وقد كشفت الدراسة عن ارتباط الشاعر السعودي بوطنه وأهله ومقدساته وأمته من جوانب متعددة ، أولها الجانب التاريخي بما يحمله من قيم وعادات وتقاليد ، والجانب الثاني ، جانب المحبوبة والطبيعة وارتباط ذلك بالوطن ، وانعكاس ذلك على الحياة ، أما الجانب الثالث فهو الجانب الإلهاميّ ، وما تثيره الغربة من شجون تلهب قريحة الشاعر ؛ فيبدع شعرا يأتي فيه الحنين عنصر تشكيل ومصدر إلهام.

كما اثبتت الدراسة حضور الحنين والغربة في التجربة الشعرية السعودية حضورا واقعيا وموضوعيا وفنيا ، بكل عناصرهما وظواهرهما وطبيعتهما المتنوعة في كل عناصر التجربة الشعرية ، حيث وقف الشعراء متأملين وطنهم وموضوعات الحنين عندهم ، وأوجدوا علاقة من التفاعل بينهم وبين هذه الموضوعات ، فنتج عن ذلك أثر بارز لتلك الموضوعات في بنية القصيدة وعناصرها الأسلوبية واللغوية والدلالية.

كما أنَّ رؤية الشاعر للوطن وموضوعات الحنين الأخرى تختلف حسب ما يتطلبه الموقف وما تمليه الحالة النفسية والشعورية عليه وهو ينتج قصيدته ، فالتجربة الشعورية– بما تحمله من حزن أو فرح أو تشاؤم أو تفاؤل– توجه رؤية الشاعر للوطن وتجعله مرآة تعكس شعور الشاعر وأحاسيسه تجاه الحياة وملابساتها. وأفكاره من خلال استحضارها وتداعياتها ، كما جاءت عنصرا فاعلا في التجربة الإبداعية في سياقات مختلفة ، وصفية ، ووجدانية ، وقد

أخذ الوطن خاصة ، وباقي موضوعات الحنين عامة ، بعدا وجدانيا ونفسيا عند الشاعر العربي السعودي ، حتى بات يعبِّر عن مشاعره وأفكاره من خلال استحضارها وتداعياتها ، كما جاءت عنصرا فاعلا في التجربة الإبداعية في سياقات مختلفة ، وصفية ، ووجدانية ، ودينية ، واجتماعية ، وتأملية ، وغير ذلك من سياقات التجربة الشعرية.

ولمّا كان لا بدَّ لكلِّ بداية من نهاية ، فلا بدَّ أن أنهي دراستي بأهم ما توصلت إليه من نتائج إثر دراسة:(الحنين والغربة في الشعر السعوديّ المعاصر) ، وهي:

1ـ هناك أتّفاق في المعنى بين مفهوم الغربة والاغتراب ، الذي حمل معنى النوى والبعد والنزوح عن الوطن ، كما اتفق مع المعنى الاصطلاحي من حيث الدلالة على النزوح من مكان إلى آخر ، والبعد عن المكان .

2ـ تبيّن أنَّ ما لهذا الشعر من مكانة ربما كانت نتيجته كون هذا الشعر يعبر عن عاطفة إِنسانية ، وجدت مع وجود الإنسان ولا تنتهي بنهايته ، عبَّر الشعراء عنها بحنينهم إلى الوطن كغرض أساس في شعر الحنين والغربة ، وإلى صور أخرى من الحنين . كالحنين إلى المحبوبة والمقدسات وغير ذلك .

3. إنَّ لشعر الحنين جذور قديمة ، ممتدة من العصر الجاهليّ وصولاً إلى العصر الحديث ، مع تعدد صور هذا الحنين ودواعيه.

4ـ حظيت الأماكن المقدسة والمناسبات الدينية ، بعناية كثير من الشعراء ، كما كان لكلِّ مكان من تلك الأماكن خصوصية تخرجه عن نظرائه في بقية المدن ، فالمسجد النبويّ بروضته الشريفة ، وقبته الخضراء ومحرابه الأسمى ، وحجرته النبوية الشريفة ، ليس كأي مسجد على ظهر البسيطة .

5. لوَّن الشعراء قصائدهم بصور شعرية ، متعددة الأدوات ، ومتنوعة الأساليب ، فمنها صور تقليدية قائمة على التشبيهات والاستعارات وغيرها ، وصور جديدة ذهنية معتمدة على أدوات الحس كالشم والسمع والبصر.

6ـ سلك بعض الشعراء طريق التجديد في الشكل العروضي لقصيدة الحنين فتعددت صورها ما بين شعر خليليّ (شعر البيت) وشعر التفعيلة ، (الحر) وآخرون مزجوا بين كليهما ، إضافة إلى التجديد في القافية كالرباعيات وغيرها، وتنوع القوافي ، إلى غير ذلك من الأشكال الجديدة.

7. كان للإيقاع الموسيقي دور كبير في قصيدة الحنين والغربة إذ ساهمت الموسيقى الداخلية

معتمدة على بعض المحسنات البديعية ، والموسيقى الخارجية ممثلة في الوزن والقافية والرويّ ، في إيصال أعذب النغمات وقعًا وأكثرهن انسجامًا ، إلى المتلقي ، وجعله يشارك الشاعر مشاعره وأحساسيه .

8. تعددت أساليب الأداء الفني لقصيدة الحنين والغربة ، فمن الشعراء من لجأ إلى لغة سهلة . وآخرون إلى لغة فخمة ، كما تعددت مفردات المعجم اللغويّ ، وظهرت ظواهر أسلوبية بارزة في شعر الحنين والغربة ، كالتكرار، والحذف ، والتقديم والتأخير، والتناص.

9- أسهمت الدراسة في الكشف عن الجوانب الإنسانية في الشعر السعوديّ ، حيث تدعو إلى تسليط الضوء على قضية الحنين والغربة ، كما ينطلق إلى آفاق المعمورة يضمد جراح الإنسان ويحس بالأمة ومشاعره ، بضمير ممتلئ بالعطف والإشفاق وفي هذا ما يعكس نبل العاطفة ، وصدق التجربة في ذلك الشعر .

أمّا أبرز المقترحات والتوصيات التي توصي بها هذه الدراسة فتتركز في الأمور التالية:

أ- زيادة الإقبال على دراسة أغراض وفنون الشعر السعوديّ الأخرى كالمديح والغزل والفخر ... وغير ذلك لتكتمل مكتبة الأدب السعوديّ ، وتسدُّ تلك الثغرات.

ب- نظرًا لكثافة موضوعات الحنين والغربة وتتابع إنتاجها المتدفق ، فكم سيكون مجديًا وجود دراسات تقوم على التصنيف والتفصيل ، بحيث يدرس كل موضوع من موضوعات شعر الحنين دراسة مستقلة ، حتى يتمكن الباحث من التعمق والاستقصاء ، واستكشاف الخصائص والظواهر البارزة في تلك الموضوعات.

جـ - القيام بدراسات مقارنةٍ وموازنةٍ تبحث أوجه الشبه والاختلافِ والتأثير بين الحنين والغربة في الشعر السعوديّ ، والحنين والغربة في شعر البلاد العربية الأخرى .

وفي الختام أشكر الله سبحانه وتعالى ، ثمَّ كلَّ من ساهم وتعاون معي في سبيل إنجاز هذه الدراسة وإخراجها إلى حيز الوجود ، راجيًا من الله أن أكون قد أتيت فيها على كلِّ ما يتطلب واجب الدراسة ، وما ينال رضا وتقدير أساتذتي الأجلاء.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

نايف فهد الرشيدي

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

أ. دواوين الشعراء:

1. الألمعي ، زاهر بن عواض .

* ديوان : (علي درب الجهاد) ، ط1 ، 1400هـ.

* ديوان : (الألمعيات) ، دار القلم بيروت ، 1971م .

2.امرئ القيس بن حجر الكندي، ديوانه ، ضبط وتصحيح : مصطفى عبد الشافي، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م .

3.الباروديّ ، محمود سامي البارودي باشا ، ديوانه ، حققه ووظفه وشرحه علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، 1998م.

4.البريّ ، عمر بن إبراهيم ، ديوان البريّ ، تحقيق وتقديم : د. محمد العيد الخطراويّ ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، (د . ط . ، د . ، ت).

5. بشاير، محمد ، ديوان : (خيلاء العتمة) ، نادي الإحساء الأدبيّ ، 1430هـ.

6. باخطمة، محمد صالح ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، منشورات : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 2005م .

7. باعطب ، أحمد سالم ، ديوان: (الروض الملتهب) ، الناديّ الأدبيّ بالرياض ،1980 م ، كتاب الشهر رقم17.

8. بغدادي ، فاطمة ، ديوان : (عواطف إنسانية) ، ط1 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1400هـ / 1980م

9. بنجر، فاروق صالح ، ديوان : (زمن لصباح القلب) ، ط1 ، منشورات عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1989م.

10. بدوي الجبل ، محمد سليمان الأحمد ، ديوانه ، دار العودة ، بيروت ، 1958م.

11. البواردي ، سعد ، ديوان : (حلم) ، ط1 ، الناشر : محمد عبد المقصود خوجة ، جدة ، 2000م.

12. بهلكيّ، أحمد بن يحيى ، ديوان : (الأرض والحبّ) ، ط2 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1400 هـ / 1980م .

13. التهيـانيّ ، أحمـد بـن عبـد الله ، ديـوان : (أمـاريق) ، ط1 ، نـادي أبهـا الأدبـيَّ ، 2000م.

14. الجشيّ ، عبد الله ، ديوان :(الحب لـلأرض والإنسان) ، ط1، نادي الاحساء الثقافي ، 1998م .

15. جمال ، أحمد محمد ، ديوان :(وداعًا أيها الشعر) ، منشورات نادي مكة الثقافيّ ، 1397.

16. جوهرجيّ ، محمد إسماعيل ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 2005.

17. الحفظي ، محمد عبد الرحمن .

* ديوان : (لحظة يا حلم) ، ط1 ، نادي أبها الأدبيَّ ، 1984 م .

* ديوان : (تباهي) ، ط1 ، مطابع المستقبل ، أبها ، 2006 .

*ديوان : (اشتعال الرَّمق) ، ط1 ، نادي أبها الثقافي ، 1998م.

18. حافظ ، عبد السلام هاشم .

* ديوان : (عبير الشّرق) ، ط1 ، دار التراث، القاهرة.

*ديوان: (وحي وقلب وألحان)، مطبوعات نادي أبها الثقافيّ ،1965م.

* ديوان : (الفجر الراقص) ، ط1 ، القاهرة ، 1963م.

* ديوان : (أغنيات الدّم والسلام) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1970م.

19. حسن ، يحيى توفيق.

* المجموعة الشعرية الكاملة ، شعري وحواء ، ط1 ، دار العلم ، جدة ، 1414هـ .

* ديوان: (أودية الضياع) ، ط1 ، دار العلم للطباعة والنشر، الرياض ،(د. ت).

20. حسين ، محمد بن سعد ، ديوان : (أصداء وأنداء) نادي جدة الأدبيّ ،1408هـ.

21. الحليبيّ ، خالد بن سعود ، ديوان : (قلبي بين يديك) ، ط1 ، نادي المنطقة الشرقية الأدبيّ ، الدمام 1993م

22. الحجيّ ، حمد ، ديوان : (عذاب السنين) ، جمع : محمد بن أحمد السّدي ، ط1 ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، 1989م .

23. الخديديّ ، عبد الملك بن عواض ، ديوان : (نفحات في نصرة الحقّ) ، ط1، الناشر : عبد الملك بن عواض الخديديّ ، 2007م.

24.الخطراويّ ، محمد العيد .
* ديوان : (غناء الجرح) ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبيَّ ، 1397هـ .
* ديوان : (تفاصيل في خارطة الطقس) ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبيّ .
* ديوان : (همسات في أذن الليل) ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1397هـ.
* ديوان : (حروف من دفتر الأشواق) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1990م.
25.ابن خميس ، عبد الله ، ديوان :(على ربى اليمامة) ، ط2 ، نادي جازان الأدبي ، 1983م.
26. الدامغ ، إبراهيم ، ديوان : (شرارة الثأر) ، دار العلوم ، القاهرة ، الرياض ، (د. ط . ت).
27.ابن دراج القسطليّ ، أحمد بن محمد بن أحمد، ديوانه ، تحقيق محمود مكي ، ط2 ، 1970م.
28. الدمينيّ ، علي ، ديوان : (بياض الأزمنة) ، ط1 ، نادي الرياض الأدبيّ ، 1995.
29. رجب ، ضياء الدين حمزة ، الأعمال الكاملة ، جمع : هاشم دفتر دار المدنيّ ، ط1 ، دار ، الأصفهانيّ ، جدّة ، 1980م.
30. رشيد ، محمد هاشم .
* الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1991م.
* ديوان : (في ظلال السّماء) ، النادي الأدبي بالمدينة المنورة ،1398 هـ /1978م.
31. رياض المعلوف ، ديوان (زورق الغياب) ، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1955.
32. زقزوق ، مصطفى عبد الواحد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 2005م.
33. الزهرانيّ، حسن بن محمد ، ديوان :(صدى الأشجان) ، ط1 ، النادي الأدبي بالباحة ، 1418هـ.
34.الزهراني ، صالح بن سعيد .
* ديوان: (فصول من سيرة الرماد) ، ط1 ، نادي القصيم الأدبيّ ،1999م.
* ديوان : (ورقة من سفر الرؤيا)، ط1 ، نادي القصيم الأدبيّ ، 2000م.

* ديوان : (الحروف لها أجنحة) ، نادي القصيم الأدبيّ ، 2004م.
35. الزهرانيّ ، محمد صالح ، ديوان : (ستذكرون ما أقول لكم) ، ط1، نادي جازان الأدبي ، 1999م.
36. زمخشريّ ، طاهر.
* مجموعة النيل ، الديوان السادس ، ألحان مغترب، دار تهامة ، جدّة ، 1984.
* مجموعة الخضراء ، دار تهامة ، جدة ، 1982 م.
37. الزّيد ، حمد بن زيد ، ديوان : (حروف على أفق الأصيل) ط1 ، نادي جدّة الأدبيّ الثقافيّ ، 1983م.
38. سرّاج، حسين عبد الله ، الأعمال الأدبية الكاملة ، ط1، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 2005م.
39. أبو سلمى، عبد الكريم الكرميّ ، ديوان: (المشرد) ، ط2، دمشق، 1963م .
40. السنوسيّ ، محمد علي ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1403 هـ.
41. شاكر، فؤاد ، ديوان : (وعي الفؤاد) ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، جدّة ، 1967م
42.الشّبل ، محمد بن سليمان بن محمد ، ديوان : (نداء السّحر) ، ط1 ، النادي الأدبي بالرياض ، 1399هـ.
43.الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين ، ديوانه ، ط1، دار الأرقم ، بيروت ، 1999م
44. شحاته ، حمزة ، الأعمال الكاملة ، ط1،الناشر: عبد المقصود خوجه، ،1431هـ – 2010.
45. الشهرانيّ ، علي بن حسين ، ديوان : (مع نبع الحياة) ، نادي أبها الأدبيّ ، 1422هـ / 2001م.
46. شوقي ، أحمد ، الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات) دار العودة ، بيروت ، 1988م.
47. الصالح ، أحمد صالح .
* ديوان : (عيناك يتجلى فيهما الوطن)، ط1 ، دار العلوم ، الرياض ، 1997م.
* ديوان : (قصائد في زمن السفر) ، النادي الأدبيّ بالرياض ، 1981م.

48. الصحيح ، جاسم ، ديوان : (أولمبياد الجسد) ، ط1 ، مطابع الابتكار ، الدمام ، 2001م .
49. الصّعابي ، إبراهيم عمر:
* ديوان : (حبيبتي والبحر) ، ط1 ، منشورات : نادي جازان الأدبيّ ، 1403 هـ.
* ديوان : (وقفات على الماء) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1412هـ /1991.
* ديوان : (وطني سيد البقاع) ، ط1 ، نادي أبها الأدبي ، 1419هـ/1998م.
50 . صقيل ، علي محمد ، ديوان : (ترانيم على الشاطئ) ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1406هـ ، ص 46 .
51. عبدالله بن الدّمينة ، ديوانه ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق : أحمد راتب النّفّاخ ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1959م.
52. عبد الرحمن ، أسامة .
* ديوان : (شمعة ظمأى) ، ط1 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1403 هـ.
* ديوان : (واستوت على الجودي) ط1 ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، 1982م.
53. عرب ، حسين ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، الناشر : محمد عبد المقصود خوجة ، جدة ، 2005م
54. العشماوي، عبد الرحمن صالح .
* ديوان : (صراع مع النفس) ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2002م.
* ديوان: (يا أمّة الإسلام) ، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض ، 2002 م.
* ديوان: (من القدس إلى سراييفو) ، ط1 ، دار الصحوة ، القاهرة ، 1314هـ.
* ديوان : (خارطة المدى) ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2004م.
* ديوان : (دموع في زمن الانكسار) ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2002م.
55. العجلان ، عبد العزيز ، ديوان : (أشياء من ذات الليل). النادي الأدبي بالرياض ، 1991م.
56. العلاّف ، إبراهيم صالح ، الأعمال الكاملة ، ط1 ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، 1409هـ.
57.عنترة بن شداد ، ديوانه ، تحقيق : محمد عناني، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،2001م.

58. ابن عنين الأنصاري ، شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاريّ ، ديوانه ، تحقيق : خليل مردم بك ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1959م.
59. عواد ، محمد حسن .
* ديوان : (نحو كيان جديد) ، دار المعارف ، القاهر ، 1955م.
*ديوان : (في الأفق الملتهب) ، مطابع دار سعد ، القاهرة ، 1960م.
60. العواجي ، إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط1 ، دار المداد ، الرياض ، 1999م.
61. العيسى ، محمد الفهد .
* ديوان : (الإبحار في ليل الشجن) ، ط1 ، الكتاب العربي السعوديّ 21 ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدّة ، 1980م.
* ديوان : (دروب الضّياع) ، النادي الأدبي بالرياض ، 1989م.
62. غازي عبد الرحن القصيبي.
* المجموعة الشعرية الكاملة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
*ديوان : (ورد على ضفائر سناء)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1978م.
* ديوان : (العودة إلى الأماكن القديمة) ، العودة إلى الأماكن القديمة ، دار الصقر المنامة 1985م/1405هـ.
*ديوان : (حديقة الغروب) ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، 2007م
* ديوان : (يافدى ناظريك) ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض / 1421هـ.
* ديوان : (معركة بلا راية) ، مطابع دار الكتب ، بيروت ، 1971 م.
* ديوان :(للشهداء) ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004م.
63. الغزاوي ، أحمد إبراهيم ، الأعمال الشعرية الكاملة، الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة ، 2000م
64. آل فتحي، حمزة بن فايع :
* ديوان : (خمائل محائل) ، ط1 ، جامعة الملك خالد ، 2012م .
* ديوان : (توجهات النيل) ، ط1 ، جامعة الملك خالد ، 2009 م
* ديوان : (كنت أحلم) ، ط1 ، جامعة الملك خالد ، 2010م.
65. فودة ، إبراهيم أمين ، الأعمال الكاملة ، ط1، الناشر :عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدّة ، 2005.

66. الفيصل، عبد الله .

* ديوان : (وحي الحرمان)، دار الأصفهاني ، جدة، 1401هـ

* ديوان : (حديث قلب) ، دار الأصفهاني ،جدّة ، 1982م.

67. الفيفيّ ، سلمان بن محمد قاسم ، ديوان : (مرا فيء الحبّ) ، تحقيق وتعليق : د . عبد الله بن أحمد الفيفيّ ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 2007م.

68. الفيفيّ، عبد الله بن أحمد ، ديوان: (فيفاء)، ط1، اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق،2005م.

69. الفيفيّ ، علي حسين ، ديوان : (زائر الأمس) ، ط1 ، مطبوعات نادي الطائف الأدبيّ ، 1406 هـ.

70. القرشيّ، حسن عبدالله .

* الأعمال الكاملة ، المجلد الثاني ، ديوان (النغم الأزرق) ، ط2، دار العودة ، بيروت.

* ديوان : (ستائر المطر) ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1997م .

* ديوان : (نداء الدِّماء) ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1964م.

* ديوان : (مواكب الذكريات) ، دار العودة ، بيروت ، 1972.

* ديوان : (النغم الأزرق) ، دار الآداب ، بيروت ، 1966م.

71. قنديل ، أحمد.

* ديوان : "شمعتي تكفي " ، ط2 ، ادفا ، بيروت، 1973م.

* ديوان : (اللوحات) ، مؤسسة قنديل ، جدّة ، 1978م

* ديوان : (قريتي الخضراء) ، شركة مطابع الجزيرة ، الرياض ، 1979م.

* ديوان : (الأصداف) ، ط1 ، تهامة للنشر ، جدّة ، 1981م.

* ديوان : (الأصداء) ، دار المكشوف ، بيروت / 1956م.

72. كردي ، عمر بن محمد ، ديوان : (محبوبتي) ، ط1 ، تهامة للطباعة والنشر ، جدّة ، 1996م.

73. آل مبارك ، أحمد بن علي المبارك ، ديوان سفير الأدباء وأديب السفراء ، تحقيق وتقديم الدكتور : بسيم عبد العظيم عبد القادر، ط1 ، مؤسسة المختار بالقاهرة ودار العالم الثقافيّة بالإحساء ، 2003.

74. محمد حسن فقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد التاسع ، ط1 ، منشورات : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1996م.
75. محمود سليم الحوت ، ديوان (ملاحم عربيّة)، دارالكتب العربيّة ، بيروت ، 1958م.
76. أبو مريفة ، شريفة ، ديوان: (وجئتُ عينيك) ، ط1 ، النادي الأدبيّ بالرياض ، 1996م.
77. المعلوف ، رياض ، ديوان: (زورق الغياب) ، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، 1955م.
78. مطاعن ، أحمد، ديوان : (دورة الأيام) ، نادي أبها الأدبي الثقافي ، 1411هـ.
79. النجميّ ، حسين أحمد، ديوان :(تأملات على مرافئ الغربة) ، نادي أبها،(د.ط.د.ت).
80. النحويّ ، عدنان رضا .
* ديوان : (حرقة ألم وإشراقه أمل) ، ط ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض،2005م.
* ديوان : (الأرض المباركة) ، ط 6، دار النحويّ للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1994م.
81. النقيدان، عبد العزيز بن محمد ، ديوان : (ترانيم الرمال) ، نادي القصيم الأدبيّ ببريدة ، (د، ط ، د، ت).
82. هندي ، صلاح ، ديوان : (رقصة الفستان) ، نادي الإحساء الأدبي ، 1428هـ .
83. الأهدل ، عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة ، ديوان : (روضة الشّعر الهادف) ، شرح وتعليق : سارة عبد الرحمن الأهدل ، 1426 هـ.
84. اليحيا ، عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبدالله ، ديوان: (الأجنحة السابحة)، ط1 ، تهامة للطباعة والنشر ، جدة ، 1984م.
ب . المراجع العامة :
1. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد ، المستطرف ، في كلِّ فن مستظرف ، دار الحياة ، بيروت، 1988م .
2. الأزهريّ ، أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ ، معجم تهذيب اللغة ، دار المعرفة ، بيروت ، 2001م .
3. أحمد ، عبد العزيز السيد ، رسالة في الحبِّ والصداقة ، ط1 ، دار الشباب للنشر والتوزيع ، قبرص ، 1993م .
4. إسماعيل، عزّ الدين .

* الأدب وفنونه ، ط8 ، دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، 2004م

* الأسس الجمالية في النقد العربيّ ، ط11 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1995م

5. إدريس ، عبد الله بن عبد العزيز ، شعراء نجد المعاصرون ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2002م.

6. إدريس ، عبد الله ، شعراء نجد المعاصرون ، دراسات ومختارات ط1 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1960م.

7. أدونيس ، علي أحمد سعيد ، مقدمة للشعر العربيّ ، ط3 ، دار العودة ، بيروت ، 1979م .

8. أنيس ، إبراهيم.

* الأصول اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1984م .

* موسيقى الشعر العربيّ ، ط4 ، دار القلم ، بيروت.

9. ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار المؤيد ، الرياض ، 148/2. 150.

10. ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل ، جوهر الكنز ، تلخيص كنز البراعة في أدب ذوي البراعة ، (د . ط . د. ت) .

11. ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار المؤيد ، الرياض ، 148/2. 150.

12. باعطب ، أحمد سالم ، عبد العزيز الرفاعيّ صور ومواقف (أديبًا وناثرًا) ، ط1 ، منشورات : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدّة ، 1997م .

13. بشر ، كمال محمد ، الأصوات العربية ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1979م .

14. بكري، شيخ أمين ، الحركة الأدبيّة في الملكة العربية السعودية ، دار صادر ، بيروت، 1973م.

15. تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة " في الكتاب التذكاريّ "نازك الملائكة"دراسات في الشعر والشاعرة ، شركة الربيعان، الكويت ، 1985م .

16. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، شرح وتحقيق : يحيى الشاميّ ، ط3 ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، 1990م .

17. الجبوريّ ، يحيى ، الحنين والغربة في الشعر العربيّ الحنين إلى الوطن ، ط1 ، دار مجدلاويّ ، عمان : 2007م.

18. الجدع ، أحمد ، حسن عبد الله القرشيّ شاعر من الحجاز ، ط3، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان،1986م،

19. جعفر ، عبد الكريم راضي ، شعر عبد القادر الناصريّ : دراسة تحليلية فنيّة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1089م.

20. جيدة ، عبد الحميد محمد ، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، 1980م

21 . الحارثيّ ، محمد بن مريسي ، مجموعة الشعر العربيّ ، النشأة والتطور ، ط1 ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبيّ ، 1966 .

22. الحامد ، عبد الله ، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ، ط2 ، دار الكتاب السعودي ، الرياض ، 1413هـ.

23 . الحاويّ ، سعد ، فنيّة التعبير في الشعر الجديد ، ط1 ، مطبعة الأمانة ، منفلوط ، مصر ، 1409هـ .

24. حسّان ، أبو رحاب، الغزل عند العرب ، ط1 ، مطبعة مصر، القاهرة، 1947م .

25. حسين ، عبد الحميد ، الأصول الفنيّة للأدب ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، 1964م .

26. حقي ، ممدوح ، العروض الواضح ، ط14 ، دار الحياة ، بيروت ، 1970م

27. الحليبيّ ، خالد بن سعود ، الشّعر الحديث في الإحساء (1300 ـ 1400 هـ) ، إصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبيّ ، الدمام ، 2003م .

28. أبو حميدة ، محمد صلاح زكي ، الخطاب الشعري عند محمود درويش : دراسة أسلوبية ، ط1 ، مطبعة مقداد ، غزة/فلسطين ، 2000م.

29. الحمويّ ، ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1993م ، 183/5.

30. حلو ، محمد يحيى ، البردة شرحًا وإعرابًا وبلاغة ، مراجعة : محمد عبيد الله ، ط3 ، دار البيروتيّ ، دمشق ، 2007م.

31. حور، محمد إبراهيم ، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1973 .

خليفة ، عبد اللطيف ، دراسات في سيكولوجيّة الاغتراب ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003م .

32. خفاجيّ ، محمد عبد المنعم .

*القصيدة العربية بين التطوير والتجديد ، ط1 ، دارا لجيل ،بيروت ، 1414هـ

* الشعر الجاهليّ ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1973م .أبو حميدة ، محمد صلاح زكي ، الخطاب الشعري عند محمود درويش : دراسة أسلوبية ، ط1 ، مطبعة مقداد ، غزة/فلسطين ، 2000م ، ص 23.

33. أبو الخشب ، إبراهيم ، في محيط النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (د. ط . د. ت) .

34. أبو داوود ، سليمان بن الأشعث الأزديّ ، سنن أبي داوود ، ط1 ، دار الرسالة العلميّة ، بيروت .

35. أبو ديب ، كمال ، في البنية الإيقاعية للشعر العربي الحديث ، ط2 ، دار العلم ، بيروت ، 1981م.

36. ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل ، بيروت ، 1974م .

37. رجب ، محمود ، الاغتراب ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1978م.

38. ريتشارد شاخت ، الاغتراب ، ترجمة : كامل يوسف حسين ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980م .

39. رداويّ ، محمود ، عبد الله بالخير ، شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية ، ط4 ، منشورات : عبد المقصود خوجة ، جدة ، 2004م .

40. زايد ، علي عشري ، بناء القصيدة العربية الحديثة ، ط3 ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1417هـ / 1997م.

41. الزعبيّ ، أحمد ، التناص نظريًا وتطبيقيًا ، ط1 ، مكتبة الكناني ، إربد / الأردن ، 1995م .

42. الزهرانيّ ، أميرة علي ، الذات في مواجهة العالم تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية ،ط1، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ،المغرب، 2007م .

42.سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988م .

43. سي دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين ، ط1 ، بغداد ، 1982م.

44. السّيِّد ، حسن سعد ، الاغتراب في الدراما المصريّة المعاصرة بين النظرية والتطبيق من (1960 . 1969)، ط1 الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1968.

45. السّيِّد ، شفيع ، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية ، ط1 ، دار غريب ، القاهرة ، 2006م .

46. الشايب ، أحمد إسماعيل ، أصول النقد الأدبيّ ، ط6 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960 م .

47. شراد ، شلتاغ عبود ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ط2 ، مؤسسة الثقافة الجامعية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008م.

48. الشريف ، محمد موسى ، الشوق والحنين إلى الحرمين ، ط1 ، دار الأندلس الخضراء ، الرياض، 2010م .

49. شعر هدبة بن الخشرم العذريّ ، جمع وتحقيق: يحيى وهيب الجبوري ، ط2 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1986م

50. شكري ، فيصل ، أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ط1 ، دار الملاّح للطباعة والنشر ، 1965م.

51. شوشة ، فاروق ، أجمل (20) قصيدة حبّ في الشعر العربيّ ، ط6 ، دار ابن زيدون للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995م .

52. شوقي ، ضيف.

* في التراث والشعر واللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978م .
* دراسات في الشعر العربيّ المعاصر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1959م .
* في النقد الأدبيّ ، ط7 ، دار المعارف ، القاهرة .
* فصول في الشعر ونقده ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، (د. ت) .

53. صادق ، رمضان ، شعر ابن الفارض : دراسة أسلوبية ، ط1 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992م .

54. الصّباغ ، رمضان ، في نقد الشعر العربي المعاصر : دراسة جمالية ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1998م .
55. الصّعيديّ ، عبد المتعال ، بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1999م .
56. صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفيّ ، دار الكتاب اللبنانيّ ، بيروت ، 1982م.
57. ضياء ، عزيز ، حمزة شحاته : قمة عُرفت ولم تكتشف ، ط1 ، المكتبة الصغيرة ، الرياض ، 1977م .
58. ضيف ، أحمد ، بلاغة العرب بالأندلس ، ط 2 ، دار المعارف ، سوسة ، تونس،1998م .
59. طريفي ، محمد نبيل ، ديوان اللصوص في العصرين الجاهليّ والإسلامي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م
60. ابن عبد ربه الأندلسيّ ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، طبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، (د.ط.د.ت) .
61. عبد الدايم ، صابر ، موسيقى الشعر العربيّ بين الثبات والتطور ، ط3 ، مكتبة الحاتمي ، القاهرة ، 1993م .
62. عبد الرحمن ، نصرت ، الصورة الفنية في الشعر الجاهليّ ، مكتبة الأقصى ، عمّان ، 1976م .
63. العبد الرحمن ، سعاد عبد الوهاب ، ثلاث نونيات في الحنين إلى الأوطان ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، 2002م ؟
64. عسّاف ، ساسين ، الصّور الشعرية ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983 م .
65. العشماوي ، محمد زكي ، وآخرون ، البلاغة والنقد ، وزارة التربية ، الكويت ، 1998م.
66. العطويّ ، مسعد بن عيد ، الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1417هـ .
67. ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، 1979.
68. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين .

* الأغاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1994 .
*أدب الغرباء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1972م .
69. فريد ، عائشة حسين ، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ، ط1 ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2000م .
70. الفوزان ، إبراهيم بن فوزان ، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، مكتبة الخانجي ، الرياض ، 1981م.
71. الفيروز أبادي ، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005م.
72. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت.
73. القاضي ، النعمان عبد المتعال ، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965م .
74. القاليّ ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ، كتاب الأمالي في لغة العرب ، دار الكتب العلّمية ، بيروت ، 1978م .
75. القط ، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ، ط1 ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1978.
76. كرستينا ، جوليا ، علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، ط1 ، دار توبقال ، المغرب ، 1991م .
77. كشك ، أحمد ، القافية تاج الإيقاع الشعري ، ط1 ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، 1985م .
78. كمال ، خلايلي ، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربيّ ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1993م.
79. محجوب ، فاطمة ، قضية الزّمن في الشعر العربيّ الشباب والمشيب، دار المعارف، القاهرة، (د . ط . د. ت) .
80. المرزوقيّ ، محمد يحيى الجيلاني ، أبو الحسن الحصريّ القيروانيّ– عصره –حياته– رسائله– ديوانه ، ط1، مكتبة المنار، تونس، 1963م.

81. المحسن ، أحمد عبد الله صالح ، شعر حسين سرحان : دراسة نقدية ، ط1 ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ،1991م .
82. المطروحيّ ، محمد إبراهيم ، الشريف المرتضى شاعريته وخصائص شعره ، ط1 ، النادي الأدبيّ بالرياض .
83. مطلوب ، أحمد ، عرار نجد ، قراءة في شعر عبد الله العثيميين ، ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، 2011م .
84. معجم البابطين لشعراء العربية في القرن التاسع عشر والعشرين ، ط1 ، الناشر : مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع.
85. المقريّ ، أبو العباس أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، دار صادر ، بيروت، 1982 .
86. مكي ، الطاهر أحمد ، الشعر العربي المعاصر: روائعه ومدخل لقراءته ، ط1 ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1986م.
87. الملائكة ، نازك، قضايا الشعر المعاصر ، ط3 ، مكتبة النهضة ، مصر ، 1967م
88. مندور ، محمد .
*محاضرات في الأدب ومذاهبه ، معهد الدراسات العالية ، القاهرة ، 1955 .
* في الميزان الجديد ، ط2 ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1973م .
89. ابن المعتز، عبد الله بن محمد ، البديع ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت 1990م .
90. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، 1997م.
91 . . أبو موسى ، محمد محمد .
* دلالات التراكيب : دراسة بلاغة ، ط2 ، مكتبة وهبة ، القاهرة 1987م .
* التصوير البياني : دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط3 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1993م.
92. النابلسي ، شاكر ، نبت الصمت : دراسة في الشعر السعوديّ المعاصر ، ط1 ، العصر الحديث للنشر ، بيروت ، 1992م .
93. الناعوريّ ، عيسى ، أدب المهجر، الناشر : وزارة الثقافة، عمان / الأردن ،2011 م.
94. نافع ، عبد الفتاح صالح ، عضوية الموسيقى في النّص الشعري ، ط1 ، مكتبة المنار ، الزرقاء / الأردن ، 1982.

95. النعمـي ، حسن أحمد ، الشعر في منطقة جازان من (1351– 1418) دراسة موضوعية وفنية ، ط1 ، نادي جازان الأدبيّ ، 1430 هـ .
96. النّويهيّ ، محمد ، قصة الشعر الجديد ، ط2 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1971م
97. هـارون ، محمد عبد السلام ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ط5 ، مكتبة الخانجيّ ، القاهرة ، 2001م .
98. هلال، محمد غنيميّ .
* النقد الأدبيّ الحديث ، ط1 ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة .
* الرومانتكية ، ط1 ، دار العودة ، بيروت ، 1973م.
99. هياجنة ، محمود سليم ، الاغتراب في القصيدة الجاهلية ، دار الكتاب الثقافي ، إربد/ الأردن ، 2005م.
100. ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميريّ ، السيرة النبوية ، دار ابن الهيثم ، القاهرة : 2006م .
101. الوجيّ ، عبد الرحمن ، الإيقاع في الشعر العربي ، ط1 ، دار الحصاد ، دمشق ، 1989م .
102. الواقديّ ، أبو عبد الله محمد بن عمر ، فتوح الشام ، دار الجليل ، بيروت ، 1990م ، 1 / 190.
103. الورقيّ ، السعيد ، لغة الشعر العربيّ الحديث " مقوماتها الفنية ، طاقاتها الإبداعية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1984م .
104. اليافيّ ، نعيم ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1982م.
105. يموت ، بشير ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط1 ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، 1934م .

جـ – الرسائل الجامعية :
1. الجعيد ، عطا الله بن مسفر بن مصلح ، الوطن في الشعر السعودي الحديث ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2001م.
2. الجهنيّ ، سليمان سالم ، صورة المدينة المنورة في الشعر السعوديّ المعاصر ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (د. ت).

3. الحارثيّ ، طيب أحمد ، أثر الموروث الشعري القديم في ديوان الشعر السعودي الحديث ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1420هـ.

4. الخديدي ، أمل منسي عائض ، عوارض التركيب في شعر عبدالله بن قيس الرقيات ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1428م.

5. الخليليّ ، مها روحي إبراهيم ، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة 635-895هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية /نابلس ،2007م.

6. سيِّد ، مفرح إدريس أحمد.

* الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، (د. ت).

*الشعر الاجتماعيّ في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام 1395هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (د. ت).

7. الشداديّ ، هاجد بن دميثان بن محمد ، الرثاء في الشعر السعوديّ 1351-1423هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1425هـ.

8. دغريري ، حسين بن حمد بن أحمد ، الهجرة النبوية في الشعر الحجازي الحديث ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422هـ.

9. دوشي ، جواهر بنت علي ، فلسطين في الشعر الحديث بمنطقة جازان : الرؤية والتشكيل ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2002م.

10. الزهرانيّ ، علي بن أحمد ، صورة المرأة في شعر يحيى توفيق حسن ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة/الأردن ، 2008م .

11. عبد ربه ، أمين صالح ، الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، 1977م.

12. قباجة ، محمد عبد المنعم ، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثانيّ 232-334هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل/فلسطين ، 2008م.

13. القرنيّ ، منصور بن فازع بن أحمد ، أبها في الشعر السعوديّ المعاصر: دراسة موضوعية فنية ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2005م.

14. وهران ، حبيب محمود ، الحنين في شعر صدر الإسلام ، رسالة دكتوراه ، جامعة تشرين/ سوريا ، 2003م .

د- الدوريات :

1. بارت ، رولان ، من الأثر الأدبيّ إلى النص ، ترجمة : عبد السلام بنعيد ، مقال من مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 28 ، بيروت ،آذار 1989م.
2. بافقيه ، حسين محمد ، غازي القصيبيّ ذاكرة بحرينيَّة ، مجلة العربي ، العدد 625 ، محرم 1432هـ / ديسمبر 20010م
3. جراب ، عيسى بن علي بن محمد ، يا بغداد ، مجلة البيادر ، دورية فصلية تصدر عن النادي الأدبيّ في أبها ، المملكة العربية السعودية ، العدد 41 ، محرم 1425هـ / 2004م .
4. الجلواح ، محمد ، دولة الكويت ، مجلة العربيّ ، العدد 651 ، ربيع الأول 1434هـ/ فبراير 2013م.
5. الحقيل ، عبد الله حمد ، صور عن رمضان في الأدب العربيّ ، جريدة الجزيرة ، الملحق الثقافي ، العدد 12787 ، الثلاثاء 20/ رمضان / 1428هـ.
6. الداية ، فايز ، سندباد محمد الفايز بين ليلة وليلة وشعراء الخليج العربيّ ، مجلة الكويت ، العدد 185، مارس/آذار 1999م.
7. دوغان ، أحمد ، الأمومة والطفولة في ديوان الشاعرة مريم بغداديّ ، المجلة العربية ، العدد (101 . 104) جمادى الثانية 1406 هـ آذار 1986م .
8. رداويّ ، محمود ، خصائص الحبّ والغزل في الشعر السعوديّ ، مجلة الثقافة ، دمشق ، تشرين أول 1988م .
9. الزهرانيّ ، أسماء بنت صالح .

* نجوى ، المجلة العربية ، العدد (347) ، السنة (30) ، ذو الحجة 1426هـ / يناير 2006م.

* صفعة ندم ، المجلة العربية ، العدد (349) ، السنة (31) صفر 1427هـ / آذار 2006م .

10. السالم ، زكي إبراهيم علي ، يا أقرب الناس ، مجلة الفيصل ، العدد 275 ، جمادى الأولى 1420هـ / أيلول 1999م .
11. سليمان ، عز الدين سليمان ، حجرٌ على الواديّ ، مجلة الفيصل ، العدد 270 ، ذو الحجة 1419 هـ / إبريل 1989م .

12.الشافعيّ ، خالد بن ربيع بن محمد ، التناص آفاق التنظير وآليات التطبيق ، مجلة الدراسات الشرقية ،جامعة طنطا ، العدد 44 ، كانون ثان ، 2010م .
13.الصّحيح ، جاسم بن محمد ، يا منار التوحيد ، مجلة الفيصل ، العدد 254 ، جمادى الأخرى 1419هـ / أكتوبر 1988م.
14.الظاهر ، ظاهر بن علي ، سامحيني ، المجلة العربية ، العدد 348 ، السنة 31 ، محرم 1427هـ 2006م.
15.الرحيليّ ، محمد بن حمود ، (أُحُد .. سلامٌ وتحية) ، مجلة المنهل ، العدد 584 ، المجلد (64) ، العام (68) ، ذو الحجة 1423هـ /فبراير 2003م.
16. محمد حكمت وليد ، قصيدة : (دار الأحبة) ، مجلة الفيصل ، الرياض ، العدد 295 ، محرم 1419هـ / مايو 1998م .
17.العارف ، يوسف حسن ، قراءة في نص طيبة للشاعر عبد الله الصيخان، جريدة الرياض، العدد 15697، الخميس 2011/6/16م.
18.عبد الرحمن ، مصطفى ، قصيدة (أمّة الأمجاد) ، مجلة العربي ، العدد 107 ، اكتوبر 1967م.
19.عبد الوهاب ، سعاد ، ثنائية المكان والزمان في " العودة إلى الأماكن القديمة " ديوان للشاعر غازي القصيبيّ ، مجلة الكويت ، العدد 199 ، محرم 1421هـ / مايو 2000م .
20.العسعوس ، حمد ، السؤال ، مجلة الفيصل ، العدد 309 ، ربيع الأول 1423هـ / مايو 2003 م .
21.القصيبيّ ، غازي ، أغنية حبٍّ للبحرين ، مجلة الكويت ، العدد 119.، 26 محرم 1421هـ / 1 مايو 2000م .
22. فقي ، محمد حسن ، قصيدة : " رمضان" ، مجلة المنهل ، العدد (585) . المجلد (65) ، العام (69) ، المحرم وصفر 1424هـ/مارس وابريل 2003م .
23. كمال ، أيمن بن عبد القادر، أمّي ، المجلة العربية ، العدد 349 ، السنة 31 ، صفر 1427 هـ / مارس 2006م .
24. محمد ، عبد المقصود خوجة.
*الأثنينيّة ، حفل تكريم الشاعر : يحيى توفيق حسن ، العدد 140 ، الناشر : عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1993/10/18م.

* الأثنينيّة ، العدد 81 ، حفل تكريم الأستاذ علي أبي العلا، الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة ، جدة ، 1409/4/5هـ ، 1988/11/14م.
25. محمد عبد الرزاق ، عبد الكريم الجهيمان شاعراً الملحق الثقافي في جريدة الجزيرة ، العدد (10276) ، الخميس 20/شعبان م1421هـ .
26. محمد ، يونس حمش خلف ، الحذف في اللغة العربية ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، معهد إعداد المعلمين ، نينوى ، العراق ، مج10 ، 24 ، 2010م .
27.المختار ، حسني ، استراتيجية التناص ، مجلة : (علامات في النقد) ، النادي الأدبيّ الثقافي بجدة ، المجلد 12 ، العدد 46 ، شوال ، 1423هـ ،
28. مرتاض ، عبد الملك ، الكتابة أم حوار النصوص ، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 330 ، تشرين الأول 1998م .
29. المرويع ، عبد الرحمن، (للنّور مدينة لا تنطفي) ، المجلة العربيّة، الرياض ، العدد 349، السنة 31 ، صفر1427هـ / مارس 2006م.
30. المجالي ، جهاد ، التجربة الشعرية بين الصدق الفنيّ وصدق الواقع ، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ، ج15 ، ع27 ، جمادى الآخرة ، 1424هـ .
31. المسكين ، عقيل بن ناجي ، إهداء إلى سيدي الوطن ، مجلة الفيصل ، العدد 331 ، المحرم 1425هـ / مارس 2004م.
32. مفتاح ، إبراهيم ، من وحي السبعين ، المجلة العربية ، العدد 435 ، ربيع الثاني 1434 هـ / مارس 2013م .
33. الموسى ، خليل ، التناص والأجناسيّة في النص الشعري ، مجلة الموقف الأدبيّ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 305 ، أيلول 1996 .
34. النّعيميَ ، فيصل غازي ، الحنين إلى الشباب في ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، مج11 ، العدد 1.
35. الهويمل ، محمد بن عبد الله ، توأمي الإفريقيّ ، مجلة الفيصل ، العدد 288 ، جمادى الآخرة 1421هـ / أيلول 2000م .
36.الوشميّ ، عبد الله بن صالح ، الخيمة ، مجلة الفيصل ، العدد 304 ، شوال 1422هـ / ديسمبر 2001م .

هـ- شبكة الإنترنت :

1. عبد المحسن بن حليت ، جسد الثقافة، 17www.aljsad.com /2013/5م.
2. محمـــد بـــن عبـــد الـــرحمن المقـــرن ، منتـــدى الإســـلام اليـــوم ، muntada.islamtoday.net، 2013/5/17م.
3. عبد العزيز بن باز ، ملتقى أهل العلم ، www.ahialaim.org. 2013/5/17م.

Noatalgia and exile with soudi poetry

From 1920 – 2012

Preparation :

Naief fahed al brak al radhedi

Supervision

Prof.Dr. Mohmoud Darabseh

Abstract

The poetry of nostalgia and desolation was always associated with life. In the last decades, Saudi Arabia witnessed brilliant development in this type of literature, In spite of that, it was ignored by researchers, so this was the motivation which made me research in this subject.

This study consists of an introduction, a preface, 4 chapters and a conclusion. In the preface, I discussed nostalgia and desolation in the terms of language then defining the phenomena of nostalgia and desolation in Saudi poetry in the past ages and present days.

In the first chapter , I discussed the causes of spread of this type of poetry in Saudi Arabia, and several subjects of this type of poetry including home sickness, missing the holy places, and religious events, the beloved girl, missing the family and friends, missing the old life and the good memories.

The second chapter was specialized to study the poetry images, music and rhythm language and style, The combination of nostalgia and nature, some phenomena like repetition and deletion.

In the third chapter, I discussed tow poems of this type of poetry. The first one "Men Ajle A'ynayka.. Ya Watany" (Ibrahim Sa'abi), and the second one 'Ela Al marwatain" (Taher zamkhshry).

In conclusion, I discussed the most important results that came from this study.